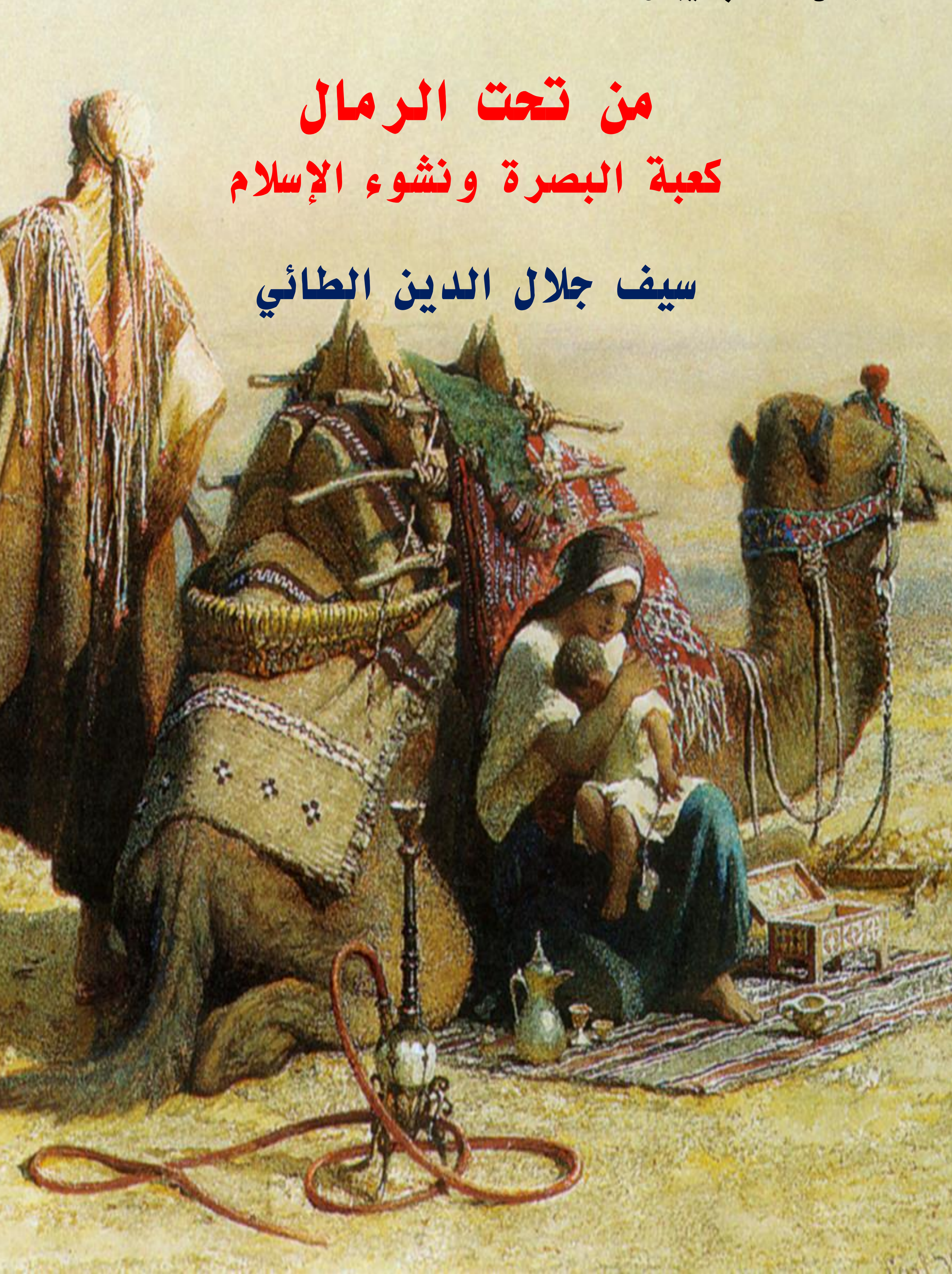
مشروع اشوربانيبال للثقافة 5

من تحت الرمال
كعبة البصرة ونشوء الإسلام

سيف جلال الدين الطائي



مشروع اشوربانيبال للثقافة 5

من تحت الرمال
كعبة البصرة ونشوء الاسلام

سيف جلال الدين الطائي



اشوربانيبال للكتاب

من تحت الرمال: كعبة البصرة ونشوء الاسلام
سيف جلال الدين الطائي

الطبعة الاولى©: ٢٠١٨
جميع الحقوق محفوظة للناشر: اشوربانيبال للثقافة
ان الدار غير مسؤولة عن اراء المؤلف وافكاره انما يعبر الكتاب عن اراء مؤلفه
العراق-بغداد-شارع المتنبي

اهداء

إلى كل الباحثين عن الحقيقة

وإلى كل الذين أناروا لنا الطريق وساهموا في نشر الوعي والمعرفة

وإلى جنة

وإلى نور

المقدمة

ان ما تحت الرمال يمكن ان يكشف عنه بسهولة ولمجرد ان نمسحه بأيدينا وبيد أي شخص أراد ذلك، ولكن ما هو تحت التراب يمكن ان يبقى مدفون تحت هذا التراب إلى ان يكشفه منقب او مختص بعلم الأثار وبصعوبة وبدقة عالية تستوجب منه توفر كل الامكانيات اللازمة لذلك، وبعد ان تخصص له الامكانيات اللازمة من أجل ذلك، لذلك فإن هذا العنوان برأينا هو الانسب لهذا الموضوع، لأن أي شخص يستطيع ان يقوم بذلك، اذا أراد هو ذلك، ولهذا انا اشبه الرواية العربية عن الإسلام بأنها اشبه بلغز مدفون تحت الرمال وليس تحت التراب، وبإمكان أي شخص ان يحل هذا اللغز متى ما أراد وفي أي زمان ومكان، ولأن الحاجة تتطلب منا معرفة الحقيقة او على الاقل شيء بسيط من هذه الحقيقة المدفونة تحت الرمال في ظل ما يحدث اليوم من صراعات، حتى تساهم بحل تلك الصراعات التي تحدث. فذات يوم عندما قرأت كتاب الآثاري الكندي دان غيبسون عن جغرافية القرآن وعن بحثه المقدم عن كعبة البتراء بكونها كعبة المسلمين، حتى وصلت لاعتقاد شبه كامل ان الكعبة الحالية ليست الكعبة الحقيقية، وان مكة ليست هي مكة الحقيقية التي جاء منها النبي محمد وقريش، وان البتراء هي المدينة التي جاء منها الاسلام، ولكن سرعان ما ذهب هذا الاعتقاد عن البتراء بأدراج الرياح حالما شاهدت العملات الإسلامية المبكرة، حيث ان بحثنا الحقيقي عن حقيقية نشأة الإسلام بدأ من تلك اللحظة، او بالأحرى عند قراءتي لبحث الباحث المصري احمد رسمي عن العلاقة بين محمد وإياس ملك الحيرة والمنشور في موقع مصر المدنية، حتى استهوتني فكرة البحث عن هذا الموضوع المحير، وبعد فترة وجدته اكثر منطقية من بحث دان غيبسون، لذلك اخذنا على عاتقنا ان نبحث عن تلك الإشكاليات بشكل يتناسب مع ما هو منطقي ويتماشى مع البحث الآثاري، حيث خصصنا الفصل الاول للبحث في إشكالية موطن العرب، التي تصورها الروايات العربية بشكل خاطئ بعيداً عن المنطقية وبعيداً عن النصوص القديمة التي قدمتها لنا الحضارات القديمة، والتي اهملها العرب من أجل ان لا تتعارض مع ما جاءت به الرواية العربية عن الإسلام، مع العلم ان ليس كل ما جاء في تلك الروايات هو خاطئ، بل ان بعضه هو حقيقي وحدث بالفعل ويتناسب مع القصة الحقيقية للإسلام. اما الفصل الثاني فخصص لفترة الإسلام اثناء حياة

النبي محمد وما اخفته كتب الرواة العرب وعن العلاقة بين إياس والنبي محمد وعلي ابن أبي طالب وإشكالية الحروب التي حدثت في هذه الفترة، وكذلك موضوع الخلفاء الاربعة. اما الفصل الثالث والاخير فيخص موضوع موقع الكعبة، فضلاً عما ما حدث من وقائع بعد حياة النبي محمد من حروب وثورات جرت في العراق وايران ضد الحكام الامويين والعباسيين وقصة تحويل الكعبة من مكانها الاصلي الى مكة الحالية.

الباحث

ربيع 2018

الفصـــــل الاول

العرب وبلاد العرب

إن الإشكالية الخاصة بتاريخ العرب تكمن في تحديد المنطقة التي جاءوا منها، فالمصادر الروائية القديمة تشير الى إنهم جاؤوا بهجرة من جزيرة العرب الحالية إلى بلاد الشام والعراق ثم مصر، والمصادر الحديثة لا تتفق مع ذلك لأنها تتماشى مع الأبحاث والأدلة الاركيولوجية وليست الروائية فقط، ولذلك لابد لنا من استعراض بعض ما قيل قديماً وحديثاً حول ذلك لنعرف ما قد يساهم بحل مشكلة منطقة نشوء الإسلام، لأن تحديد موطن العرب الحقيقي يعني حل جزء كبير من لغز نشوء الإسلام.

في السيرة النبوية لابن هشام والتي نقلها عن سيرة النبوية لابن إسحاق الذي يذكر أن العرب يرجعون بنسبهم إلى إسماعيل ابن النبي إبراهيم، وجاء في السيرة : "حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) اثني عشر رجلاً : نابتاً، وكان أبكرهم، وقيدر ، وأذبل، ومنشاً، ومسمعاً، وماشي، ودما، وأذر، وطيما، ويطورا، ونبش، قيذما، وأمهم : رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي"[1]. ويقول أيضا: "مضاض، وجرهم: ابن قحطان– وقحطان أبو اليمن كلها، وإليه يجتمع نسبها– ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح. قال ابن إسحاق: جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالخ، ويقطن هو قحطان بن عيبر بن شالخ"[2]. ويأخذنا ابن هشام ايضاً ليحدثنا عن أصل العرب، ولمحاولته وضع شرعية عما يريد، يذكر: "فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول إسماعيل أبو العرب كلها. قال ابن إسحاق : عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر بن سام بن ونوح، وطسم وعملاق وأمهم بنو لاوذ بن سام بن نوح، عرب كلهم. فولد نابت بن إسماعيل: يشجب بن نابت، فولد يشجب: يعرب بن يشجب، فولد يعرب: تيرح بن يعرب، فولد تيرح: ناحور بن تيرح، فولد ناحور: مقوم بن ناحور، فولد مقوم: ادد بن مقوم، فولد ادد: عدنان

---

[1]- ابن هشام، السيرة النبوية، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 2009،ص8.

[2] - المصدر نفسه،ص8 .

بن أدد"[3]. وينقل ابن هشام أيضا عن ابن إسحاق: "قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم (ع)، فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان، وعك بن عدنان" [4]. وتتفق المصادر العربية أن موطن عك هو اليمن، واستناداً إلى ذلك فإن العرب حسب الرواية الإسلامية هم من قحطان وعرفوا بالقحطانيين ومنهم ايضاً من هم من نسل إسماعيل بن إبراهيم أولاً ثم إنهم من نسل عدنان وعرفوا بالعدنانيين، ولكن ما يخفيه التاريخ هو أن العرب قبل الإسلام وبعده لم يكن لديهم أي معرفة عن هذه الرواية، فلا دليل على أن العرب من نسل شخصيتين هم عدنان وقحطان، غير إنهم عرفوا أنهم من نسل إسماعيل استناداً إلى المرويات اليهودية والمسيحية التي عرفت ذلك عنهم، ولذلك كان اليهود والمسيحيين وبالخصوص السريان منهم يطلقون على العرب قبل وبعد الإسلام تسمية (الاسماعيليون) أو (الهاجريون) نسبة إلى هاجر زوجة إبراهيم، وبالإشارة إلى ذلك نجد أن الرواية التي تتكلم عن أن العرب هم عدنانيين وقحطانيين ظهرت في القرن الهجري الثاني أي في العصر العباسي أثناء تدوين وكتابة الرواية العربية للإسلام. ونلاحظ أيضا أن رواية ابن هشام عن ابناء إسماعيل تتفق مع ما جاءت به التوراة، حيث جعلت التوراة لإسماعيل اثنا عشر ولداً وهم : (نبايوت بكر إسماعيل، وقيدار، وادبئيل، ومبسام، ومشماع، ودومة، ومسا، وحدار، وتيما، ويطور، ونافيش، وقدمة)، وذكرتهم حسب مواليدهم كما نص ذلك[5]، غير أن الاختلاف بين رواية ابن هشام والتوراة هي أمهم المصرية[6]. مع العلم أن هذه الأسماء ورد بعضها في المصادر الآشورية القديمة، ولكن تكمن الإشكالية في أن هذه الشخصيات لم تكن تتصل بنسب مباشر أو نسب واحد مثل (قيدار و نابت أو بالنسبة لـ ادبئيل أيضا) ، بل إن قيدار ونابت هي أسماء ممالك عربية عاصرت فترة سيطرة الآشوريين على سوريا، أما ادبئيل فهو ملك وضعه الآشوريين كحاكم على مملكة موصري(Mūṣri) في عهد الملك الاشوري توكولتي-ابيل-ايشارار(Tukulti-apil-ešarra) الثالث(745-727 قبل الميلاد)، بعد أن قام بالسيطرة على مناطق سوريا والأجزاء الجنوبية منها وخاصة القريبة من مصر ، فجاء ما

---

[3]- المصدر نفسه،ص9.

[4]- المصدر نفسه،ص9 .

[5]- التكوين ، الإصحاح 25 ، الآية 12 فما بعدها .

[6]. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت بنشره جامعة بغداد،ص434.

نصه: ".... نصبت ادبئيل كحارس للحملات على حدود موصري وفي كل البلدان التي.. (أنا استلمت) الجزية......"[7]. ومن غير الواضح ان المقصود بـ(موصري) هي مصر الحالية، بل ربما كان المقصود بها هي مملكة مضر العربية، والتي تقع في شمال غرب ما تعرف اليوم بجزيرة العرب، وربما في منطقة ما بالقرب من سيناء، لأن صوت (ض) غير موجود في اللغة الاكدية بلهجتها الآشورية والبابلية، ولذا يلفظ بصوت(ص)، ومثال على ذلك كلمة (صيلو)(Ṣēlu) الاكدية تعني (ضلع) في اللغة العربية[8]، ولهذا فإن (موصري) في المصادر الآشورية ربما كان يقصد بها (مضر)، وبسبب ذلك احتار العرب المعاصرون والقدماء في سر تسمية مصر بأرض الكنانة، ونحن نجد أن هذا هو التفسير الوحيد والمقبول والذي يربط بين اسم مصر ومضر القبيلة العربية لأنه في انساب العرب إن كنانة بطن من بطون مضر، حيث عرف حكمها بحكم الهكسوس أو الملوك الرعاة السلالتين الثامنة عشر والتاسعة عشر وهي التي أعطت مصر اسمها[9]، وبالرجوع إلى الرواية التوراتية التي تقول إن النبي إبراهيم تزوج من هاجر المصرية، أيضا ربما كان يقصد بها هاجر المضرية على اعتبار أن هاجر هي أم العرب، وعلى الرغم من ذلك فإن أول استخدام لاسم مصر ورد في نصوص بابلية وآشورية أخرى، مثل رسالة الملك المصري امنحوتب الثالث إلى ملك بابل الكاشي كاداشمان-انليل الأول (1374قبل الميلاد-1360قبل الميلاد)، وجاء اسم مصر بصيغته الاكدية (Mi-is-ri-i)، وهي جزء من رسائل العمارنة عاصمة الملك المصري أمنحوتب الرابع(اخناتون)، حيث أن رسائل تل العمارنة دونت باللغة الاكدية لكونها اللغة الدبلوماسية والرسمية للعالم القديم، وجاء في الرسالة: "أتحدث إلى كاداشمان-انليل ملك ارض كاردونياش (بابل) أخي، هذا امنحوتب الثالث الملك العظيم ملك ارض مصر أخوك، كل شيء على ما يرام معي، عسى أن يكون كل شيء بخير، بيتك، زوجاتك ، ابناءك ، نبلاءك، خيولك، عرباتك، وأراضيك...."[10].

---

[7]. عبد المعطي بن محمد ، العلاقات بين شمال شبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين ، ايتراك للطباعة والنشر ، ط1،القاهرة، 2007،ص118.

[8]. علي ياسين الجبوري،قاموس اللغة العربية-الاكدية، ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث،2009،ص546.

[9]- فاضل الربيعي، يوسف والبئر ، رياض الريس للكتب والنشر ، ط1، 2008 ،ص41 .

[10] - Anson F. Rainey ، The El-Amarna Correspondence: A New Edition ،2015 ،p58.

بالرجوع لموضوع العرب يذكر الطبري في رواية في تاريخه أن العرب هم من نابت وقيدار[11]، وبذلك نجد أن اسمي (نابت وقيدار) هم أكثر الأسماء وروداً في الكتب العربية، ولذلك إن اسم (نابت) ربما هو الأقرب إلى تسمية الأنباط، وبالنسبة لاسم (قيدار) فبالتأكيد كان يقصد به اسم مملكة قيدار التي ذكرت أول مرة في الحوليات الآشورية من عهد الملك الأشوري توكولتي-ابيل-ايشاررا(754-727ق.م)[12]، ويتحدث الملك الآشوري عن حملته على سوريا وشمال ما تسمى اليوم بجزيرة العرب، وعن تلقيه الاتاوة من عدد من الملوك والحكام لتلك المناطق وكان من بينهم (زبيبة ملكة بلاد العرب وقيدار) حيث يرد ما نصه: "علي ملوك ارض خاتي والآراميين في الساحل الغربي، القيداريين العرب ، تسلمت اتاوة (كوشتاشپي) حاكم كوموه، (رزين) حاكم دمشق، (ومناحيم) حاكم السامرة، (توبا ال) حاكم صور ، (شبيت بال) حاكم جبيل، (اوريك) حاكم كوا، سلومال حاكم ميلدا، اوسورمي حاكم تابل، اوشخيتي حاكم اتونا، اوربالا حاكم توخانو ، توخامي حاكم اشنوندي، اورمي حاكم خوبيشانا، داد ال حاكم كسكا، پيسير حاكم كركميش ، (پاناموا) حاكم سمأل، (ترخولارو) حاكم گورگوم، (زبيبة) ملكة بلاد العرب، وكانت الاتاوات عبارة عن الذهب والفضة والرصاص والحديد، وجلود الفيلة، والعاج والملابس من القماش الملون والكتان والأرجوان الأزرق والأحمر والخشب المستوي وخشر شجر القيف النفيس، وكافة أصناف الخزائن الملكية الثمينة، ونعاج حية، صوفها لونه ارجواني احمر، وطيور السماء المجنحة والتي أجنحتها ذات لون ارجواني ازرق، وجياد وبغال وأبقار، وقطعان الماشية والجمال والنوق مع صغارها، تسلم سنوياً في أشور، وأمرت بعمل عمود بجوار الجبل وصورت عليه رموز الآلهة العظيمة وصورتي الملكية الخاصة وحفرتها عليها وكتبت عليه كل الأعمال القوية لأشور ملكي ومنجزاتي الشخصية التي تحققت في جميع الآراميين..."[13].

---

[11]- الطبري، تاريخ الطبري، دار المعارف، مصر ،ط2،ج1،ص314.

[12]- د. هند بنت محمد التركي ، مملكة قيدار، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 2011،ص63.

[13] -Tadmor, The Inscriptions of Tiglath Pilesr III, p. 107 - 109

Borger, Historische Texte in Akkadische Sprache, p. 371; Retso.The Arabs in Antiguity,p. 131

أما بالنسبة لاسم (معد) والذي ذكرته الروايات العربية كابن لعدنان ، فربما هو يقارب لفظة (معن) والذي ورد في احد نقوش مملكة الحضر العربية والتي نشأت في مدينة الموصل شمال العراق ، حيث دون النقش على نصب للنار من حجر كلس ارتفاعه 90سم وعرضه عند قاعدته 36سم وهو بشكل منشور رباعي تتوجه أربعة قرون من زواياه، وفي سطحه العلوي حفرة للزيوت والنار ، وعلى ثلاثة من جوانبه كتابات محفورة ، وعلى الجانب الرابع وهو واجهة النص صورة لشخص واقف في باب معقود بقوس، وهذا الشخص حاسر الرأس، شعره كثيف وهو يرتدي سروالاً طويلاً وثوباً قصيراً لا يصل إلى الركبتين ضيق على الصدر، ويمسك بكلتا يديه إكليلاً من الغار مفلولاً مسبلاً، والصورة غير واضحة تالفة قليلاً، وتوجد فوقها معالم سطرين من الكتابة، ويظن أن هذا الشخص يمثل الجد أو الجند، رب الحظوظ الذي كان يلازم كل فرد وهو من حظه في دنياه، حيث عثر على هذا النص في وسط ارض مسطحة نصف دائرة تقع في مقدمة مدرج بالقرب من الجدار الذي يفصل بين حرم المعبد الكبير وصحنه وراء المعبد، حيث جاء في النص: "بشهر نيسان سنة 460 انا عبد نب(؟) بن نشرو بن ابا اخو جرملت الزعيم، أقمت نصباً للجد العائد لإقليم عربايا(؟) وأقمت تمثالي لحياة معنو السيد ولحياة برزل وبدا ابنيه..........جد العرب بيوم 15 بشهر... بسنة 460 بعد يوم ... بأسبوع......وعليه لرحشمش بن حريشو بن....."[14]. ولذلك فإن هذا الموضوع يفتح لنا مجالا واسعا حول موطن العرب ، لأن كل ما ذكر في مصادر قديمة يشير إلى أن العرب هم شعب سكنوا منطقة الشرق الأوسط القديم ولم يكونوا من الحجاز أو من اليمن ، فالرواية العربية تقول أن (إبراهيم وإسماعيل) وكان إسماعيل رضيع ومعهم (هاجر) زوجة (إبراهيم) انتقلوا إلى مكة واستقروا فيها ما عدا إبراهيم[15] ، وأصبحت موطناً للعرب وهم (الاسماعيليين)، غير أن التوراة أشارت إلى أن المنازل التي أقام بها (الاسماعيليين) هي من (حويلة) إلى (شور)[16]، وان كل ما وقع بين المكانين هو ارض تابعة للقبائل الإسماعيلية، غير إن الآراء مختلفة في تعيين موقع ارض (حويلة) ، الا أن الدكتور جواد علي يرجح أن موقعه يجب أن لا يكون بعيداً عن فلسطين، لأن شاؤول ضرب العماليق من حويلة إلى (شور) ولا

---

[14]- فؤاد سفر ، مجموعة كتابات الحضر المنشورة في مجلة سومر ، نص رقم 288.

[15]-الازرقي، اخبار مكة وما فيها من أثار ، دراسة د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط1،2003،ص97-98.

[16]-التكوين ، الاصحاح 25 ، الآية 18 .

يعقل أن تكون بعيدة عن (فلسطين)، لأن شاؤول لم يكن قوياً ذا جيوش جرارة حتى يضرب في منطقة نائية بعيدة عن فلسطين، أما شور فهي موضع يقع على الحدود الشمالية الشرقية لأرض مصر[17].

بالانتقال إلى المصادر القديمة لتحديد موطن العرب، فالمصادر العراقية القديمة زاخرة بالنصوص التي تذكر العرب، فيذكر الدكتور جواد علي خبر (نرام-سين) الملك الاكدي (2270ق.م– 2223ق.م)، عن استيلائه على الأراضي المتصلة بأرض بابل والتي كان سكانها من العرب (Aribu ، Arabu) وهو أقدم خبر يصل إلينا في موضوع صلات العرب بالعراق، وهو خبر ينبئك بان العرب أيام (نرام – سين) ، كانوا في تلك المنازل قبل أيامه بالطبع، وهي منازل كونوا فيها "مشيخات" وإمارات مثل إمارة الحيرة الشهيرة التي ظهرت بعد الميلاد[18]. وفي القرن الثامن قبل الميلاد ظهر العرب كقوة لها دورها المؤثر في أحداث المنطقة، حيث تصفهم النصوص الآشورية بأنهم أقوام يجولون في البوادي القريبة من الأراضي الزراعية، وكان استخدامهم للجمال قد سهل عليهم السفر والحركة والتنقل لمسافات طويلة في الصحاري القاحلة، وهذه الميزة أعطتهم أهمية خاصة في التعامل التجاري، فقد كان العرب يتحكمون بالطرق التجارية الكبرى مع الهند واليمن وإفريقيا ومدن بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين، فكانت هذه الميزة هي سبب الحرب الآشورية على مدن وممالك بلاد الشام، وكانت أول إشارة للعرب وبشكل صريح في نص آشوري لـ(شولمانو- اشاريدو الثالث) الملك الآشوري (858ق.م– 823ق.م) ، في احدى مسلاته ، كما ظهروا في مسلته والتي تسمى المسلة السوداء (كما في الشكل رقم 1) والمحفوظة في المتحف البريطاني، حيث تحدث عن معركة قرقر[19] ضد التحالفات الآرامية في بلاد الشام، والتي شكل العرب فيها جزءاً من هذا التحالف بقيادة ملكهم (جندب) وعرفوا بـ (عريبو)، ولذلك فإن العرب هم شعب اقرب للثقافة الآرامية من الثقافة اليمنية التي تكاد تكون شبه معدومة عندهم، حيث جاء في النص: "في اليوم الرابع عشر من شهر أيار، غادرت نينوى وعبرت دجلة متجهاً نحو مدن الملك خيامو على ضفاف نهر الباليخ (في سوريا)، فهربوا من بأسي وجبروت قوتي...ثم سرت وعبرت الفرات في موسم

---

[17] - د.جواد علي ، نفس المصدر ، ص435-436 .

[18] - د. جواد علي ، نفس المصدر ، ص573 .

[19] - قرقر: يعرف اليوم بتل قرقور في شمال حماة في سوريا .

الفيضان، وتسلمت الجزية من ملوك بلاد حاتي (سوريا) واتجهت نحو مدينة اليبو (حلب)، ولكن سكانها استولى عليهم الرعب وخافوا من مواجهتي عن قرب...ثم لاحقت العدو إلى قرقر وحطمتها وأحرقتها، وكان مع ارخوليني ملك حما وحلفائه 1200 عربة و1200 فارس، و20000 جندي من حداد-ادري ملك دمشق ، 700 عربة ، 700 فارس ، 10000 جندي من ارخوليني ملك حماة ، و20000 عربة و10000 جندي من اخاب ملك سيرالاي ، 5000 جندي من قو[20] ، 1000 جندي من مصر و10 عربات و10000 جندي من ارقناته ، 200 جندي من ملك اسنات و30 عربة و10000 جندي من ادن بعل ملك شيان ، 1000 جمل وجنوده من (جندبو) ملك العرب ، وجنود من باسن بن رحبي ملك امون ، ومجموعهم اثنا عشر ملكاً كانوا جمعوا قواتهم وتوجهوا لمحاربتي ، وقد قاتلتهم وكانت خسارتهم 25000 جندي واستوليت على عرباتهم وفرسانهم ومعداتهم الحربية ، ولقد هربوا بأرواحهم وكانت المعركة قائمة بين مدينتي قرقر وكلزواوا وكانت جثث قتلاهم متناثرة لمسافات بعيدة وفي كل مكان وجنودهم الهاربين ينتشرون في الوديان المجاورة " [21].



الشكل رقم (1) للعرب مع جمالهم في المسلة السوداء والمحفوظة في المتحف البريطاني

من الواضح أن العرب المذكورين في هذا النص لا يمكن اعتبارهم بدو بكل معنى البداوة لأنهم بلغوا شوطاً في التنظيم السياسي، بدليل زعامة (جندب) عليهم وأنهم بأعداد

---

[20]-قو: مملكة صغيرة على ساحل البحر المتوسط تقع بين نهري يحان وجيحان .

[21] - د. ابتهال عادل إبراهيم ، اليهود في المصادر المسمارية ، دار علاء الدين ، ط1 ، 2014 ، ص122 .

كبيرة بحيث استطاع ملكهم التحرك مع ألف جمال محارب ، وكذلك أنهم يسكنون أطراف البادية الشمالية لما تسمى اليوم بجزيرة العرب ، وفي مكان ما جنوب شرق دمشق ، لذلك ربطتهم علاقات مختلفة الشكل والحجم مع الممالك الآرامية الأخرى ومنها دمشق ، حيث لا يمكن تصور علاقات متطورة تصل حد التحالف العسكرية بين مدن سورية وأقوام تعيش مسافات بعيدة في أعماق الصحراء[22] ، ويبرز الجمل كحيوان رئيس يرتبط بالعرب ويستخدم للحرب ، وربما تشير مساهمة العرب العسكرية مع المدن الآرامية السورية في الحرب ضد الآشوريين ، إلى تلمس العرب لمصالحهم المتضررة بفعل هذه الحملات وبخاصة الحملات الآشورية ضد منافذ الطرق التجارية البرية مثل دمشق[23] ، ولكن على ما يبدو أن الآشوريين لم يحرزوا نصراً حاسماً ، لأنهم بعد هذه المعركة أعادوا حملاتهم تقريباً على نفس تلك التحالفات التي كانت في معركة قرقر ، غير أن العرب لم يذكروا في تلك النصوص عن تلك الحملات الجديدة ، مع انه من المرجح مشاركة العرب في تلك المعارك.

أما في عهد (توكولتي-ابيل-ايشاررا الثالث) الملك الآشوري " 754ق.م– 727ق.م) فقد ازداد الاهتمام بالعرب ، وكما ذكرنا سابقاً إنهم عينوا شخص يدعى (ادبئيل) حاكماً على اقليم موصري ، للحد من الهجمات التي يقوم بها العرب على حدود الآشوريين الغربية وكذلك من أجل السيطرة على طرق القوافل في تلك المناطق ، ونقرأ في حولياته انه في سنة لم يحددها ، تسلم الاتاوة من ممالك واقاليم مختلفة ذكر ضمنها اسم امرأة عربية اسمها بالنص بلفظ (زبيبة (زبيبي) ، (Zabibe) مسبوقة بكنية سياسية مرموقة ، وهو أول اسم لملكة عربية وصلنا عبر مصادر تاريخ الشرق القديم ، وقد جاء اسمها كآخر من سلم الاتاوة له ، رغم أن النص لم يحدد موقع تلك الملكة إلا أن معظم الآراء تتجه إلى أنها كانت تسكن في منطقة ادوماتو (بالنسبة لي هناك إشكالية حول هذه المنطقة وسنتطرق لها في هذا الفصل) ، وكما جاء في النص: "استلمت الجزية (يذكر عدداً من الملوك) .. وزبيبي ملكة العرب استلمت الذهب والفضة والقصدير والحديد ، وجلود الفيل والعاج والأردية الكتانية بزخارف متعددة الألوان ، وصوف مصبوغ بالأزرق ، وصوف مصبوغ بالقرمزي (الأرجواني)

---

[22] - رضا جواد الهاشمي ، العرب في ضوء المصادر المسمارية ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد ، العدد22 ، 1978 ، ص643.

[23]- د.رضا جواد الهامشي ، نفس المصدر ، ص643 .

وخشب الأبنوس ، وخشب البقبق ما يكفي ليكون كنز ملك ، مع طيور برية عندما تفرد أجنحتها تكون كأنها مصبوغة باللون الأزرق (وعلاوة على ذلك) خيول ، بغال وماشية صغيرة وكبيرة وجمال مذكرة ومؤنثة (نوق) مع صغارها ...."[24]. وذكر اسم ملكة عربية أخرى بلفظة (سامسي او شمسي ، Samsi) في نصوص أيضا للملك توكولتي-اپيل-ايشاررا الثالث، والتي على ما يبدو أنها تولت ملوكية العرب بدلاً من زبيبي ، والتي دخلت في حلف مع الآشوريين، حيث ما تذكره تلك النصوص الآشورية أن الملكة (شمسي) ربما كانت قد استمرت في الحلف مع الآشوريين ثم ارتدت بعد ذلك ، حيث جاء في النص: ".... سامسي ملكة العرب التي حنثت في يمنيها (القسم) بواسطة شمش(الشمس)...."[25].

وهذا ما اجبر الآشوريين على القيام بحملة عسكرية في تلك المناطق ضد العرب وباقي الممالك الأخرى ، وحيث جاء في نص يعود إلى عام 735ق.م أي في السنة التاسعة من حكم توكولتي-اپيل-ايشاررا الثالث:"... المدينة ... إلى مدينة لزاس ... عريبو (بلاد العرب) في إقليم سابا (سبأ)، في معسكرها وأصبحت خائفة من جيشي الكبير وأرسلت إلى (أنا الجمال والنوق) و..(أنا) وضعت قيماً (موظفاً وعاملاً عليها) وعمل أيضا مثلها (البيروايناس) والذي انحنى إلى قدمي ، وسكان ماسا لتيما وسكان سابا هايابا ، بادانا ، خاتي ، قبيلة اديبا لينز... حيث أقاليمهم تكون بعيدة نحو الغرب ، وسمعوا بشهرة حكمي (...واحضروا) بدون استثناء (نص : مثل رجل واحد) جزيتهم ذهب وفضة وجمال ونوق وكل أنواع التوابل (العطور) قدموا إلي وقبلوا قدمي ... وأسست قصراً يتناسب مع مكاني كملك لهم في ... وحددت لهم ادبئيل كحاكم أعلى فوقهم في إقليم موصري..."[26]. ولذلك نجد أن ملكتي العرب (زبيبة وشمسي) اضطرتا إلى الرضوخ للآشوريين وتقديم الاتاوة لهم، بعد أن عين (ادبئيل) كحاكم عليهم، وكما وضح نص آشوري يرجع لنفس الفترة إن خمسة عشر مدينة كانت تحت حكم ادبئيل: "... ودخلت المدينة و15 مدينة ... لادبئيل في عريبو (بلاد العرب)..."[27]. لكن في نص اخر لسنة غر معروفة ، يذكر توكولتي-اپيل-ايشاررا الثالث نفس الأحداث السابقة ولكن بتفاصيل أدق

---

[24] - د. عبد المعطي بن محمد، نفس المصدر، ص120 .

[25] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص121 .

[26] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر، ص122-124 .

[27] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر، ص125.

ولا يمكن تحديد هوية النص، فهل يعني ثورة قامت بها شمسي ضده أم انه مجرد وصف اخر لحملاته ضد العرب وبدقة أكثر وتفاصيل أوسع ، حيث ذكر حال صراعه مع شمسي بعد أن تعرض في مقدمة نصه إلى ذكر أحداث أخرى جرت في سوريا وفلسطين: ".. من أجل شمسي ملكة العرب ... أنا قتلت 1100 مواطن ، 30000 جمل ، و2000 رأس من الماشية .... 5000 وعاء بكل الأنواع من التوابل ، و11 تولا سلطانية ملكة آلهتها ، ... وممتلكاتها أخذتها منها وهربت بنفسها لإنقاذ حياتها إلى مدينة بازو (ربما شمال غرب ما تعرف اليوم بجزيرة العرب)، منطقة بدون ماء مثل أنثى الحمار مقهورة بالجوع والناس في معسكرها (عملوا) ... ثم أصبحت خائفة من قوة (جيشي) الكبير، وأحضرت لي الجمال والنوق نائياً فوقها ، وجعلت بيري يركع إلى قدمي، وسكان ماسا لتيما والسبئيين وسكان خايابا ، وبادان وخاتي والاديباليتر... في منطقة الغرب (حيث تبعد) في أقاليم (لم يسمع عنها إنسان) عن شهرتي وحكمي (و) .. وركعوا لعبوديتي وحكمي ووضعت عليهم بدون استثناء كجزية الجمال والنوق وكل أنواع التوابل وقبلوا قدماي وقد عينت ادبئيل كحاكم على " تخوم) موصري)..."[28] .

أما في عهد (شولمانو اشاريدو الخامس) الملك الآشوري (726ق.م – 722ق.م) أو كما يعرف باسم (شلمنصر الخامس) ، لا توجد أخبار منه لتشير إلى أي نوع من الاتصالات بين الآشوريين والعرب ، وهذا ما يعني ربما استمرار العرب على إطاعة الآشوريين منذ عهد توكولتي-ابيل-ايشاررا وكما ذكرنا سابقاً .

في عهد (شروكين الثاني) الملك الآشوري (721ق.م – 705ق.م) او كما عرف باسم (سرجون الثاني)، نلاحظ أن الآشوريين دخلوا في حروب مع البعض من الممالك السورية ومن ضمنها مملكة (موصري) ، وهذا يعني أن موصري أثناء حكم (شروكين الثاني) قد تخلت عن تحالفها مع الآشوريين وانقلبت عليهم ، وربما أن (موصري) كانت تتزعم تحالف عربي ضد الآشوريين ، فيذكر (شروكين الثاني) عن ذلك : "شروكين الثاني ملك آشور فاتح السامرة وكل بيت عمري ، الذي غنم (اشدود)[29] و (شينوختي) وامسك الـ(يماني)[30] في البحر

---

[28] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر، ص127 .

[29] - اشدود : مدينة الفلستين على ساحل فلسطين .

[3030] اليماني : الايونيون الاغريق .

كالسمك ، الذي قضى على (كاسكو) و (طابالي) و (خيلاكو)[31] ، الذي طارد (ميتا) ملك (موشكو)[32] ، الذي قهر موصري في (رفح) ، الذي اخذ (هانو) ملك (غزة) غنيمة ، الذي أخضع الملوك السبعة في (يا) بأراضي (يدنانا)[33] على مسافة سبعة أيام في بحر الغرب ، والتي لم يسمع بها احد من أجدادي الملوك لبعدها ، قد عرفوا في بقعتهم النائية عما فعلت ببلاد (حاتي) ، و(بلاد الكلدان) ، فارتجفوا فرقاً و أرسلوا إلى في بابل ذهباً وفضة ..."[34] . ومن خلال تحديد الجغرافية التي يتكلم عنها النص الآشوري نلاحظ أن اغلبها تقع في سوريا وسواحل فلسطين ، غير أن موصري تقع في سيناء كما ناقشنا ذلك سابقاً ، ولأن رفح تقع على الحدود المصرية الفلسطينية ، فهذا يعني أن موطن موصري هي سيناء ، وهي إشارة واضحة للعلاقة بين مضر القبيلة العربية وبين اسم مصر ، ولكن في نص اخر يظهر العرب بشكل مباشر في المواجهة مع الآشوريين ، مع ذكر اخر للسبئيين و موصري ، وجاء في النص :" ... أما هانو (ملك غزة) فقد أسرته شخصياً ، واستلمت الاتاوة من (بيرو صاحب (موصري) ، من شمسي ملكة بلاد العرب ، واتعمار السبئي ، ذهب في شكل مسحوق (تبر) وخيل وجمال ..."[35] . وفي نصين آخرين :".. (ليماني) من أشدود كان خائفاً من قوة جيشي (اسلحتي) وترك زوجته وأطفاله وهرب إلى حدود موصري ، والتي تتبع ميلوخا (بلاد كوش) .."[36]؛ "... ولكن سمع (ليماني) حول تقدم حملتي ومن الخوف هرب إلى إقليم موصري والذي كان يتبع الان ميلوخا واختبأ في مكان لا يمكن تتبعه ..."[37] . وهذه إشارة واضحة إلى أن موصري المذكورة تسكن سيناء ، وربما الأطراف المحاذية لسيناء ، حيث تدل الأخبار التاريخية عن وجود علاقات بين آشور ومصر في تلك الحقبة التاريخية ، خاصة إذا علمنا أن الدراسات الجغرافية أثبتت أن تلك المنطقة ذات طابع صحراوي وتكثر فيها الجبال والكهوف والأودية ، وأراضي شاسعة يسهل فيها الاختباء للفارين ، حيث جاء في نص اخر لنفس الملك الآشوري (شروكين الثاني)

---

[31] - خيلاكو : كليكيا على ساحل المتوسط الشمالي .

[32] - موشكو : يحتمل انها في اسيا الصغرى .

[33] - يدنانا : قبرص .

[34] - فراس السواح ، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم ، دار التكوين ، دمشق ، ط3 ، 2017 ، ص97 .

[35] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص133 .

[36] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص134 .

[37] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص134 .

أشار إلى تقدمه نحو موقع يدعى نخل موصري (ناخال – موصري) ، وجاء في النص :"... في منطقة مدينة ناخال (موصري) ، أنا جعلت جيشي يمشي طريق نحو غروب الشمس .. الجزء القديم من مدينة (لابن شليكاني) او (شليهاني) ملك موصري الذي سحر الإلهام والفتنة لآشوري سيدي ، الذي شملني واحضر الاتاوة ، واحضر 14 خيل حسنة (كبيرة) من موصري..." [38] . حيث أشار بعض الباحثين إلى أن مدينة (ناخال - موصري) تعني مستنقعات مائية تقع بين مصر وفلسطين وربما يقصد به وادي العريش في شمال سيناء أو وادي عن مدينة رفح الفلسطينية[39] ، غير انه أشار في نص اخر انه قام بحملة ضد القبائل في شمال ما تسمى بالجزيرة العربية الحالية ، فذكر تلك القبائل بأسمائها ، وانتصر على تلك القبائل ونقل سكانها إلى السامرة في فلسطين ، وختم نصه بذكره لتسلمه الهدايا من (بيرو) صاحب موصري ، ومن شمسي ملكة العرب ، ومن اتعمار السبئي ، ومن ملوك شاطئ البحر والصحراء ، وجاء في النص : "السنة السابعة : بوحي من الإله آشور ، فقد سحقت قبائل ثمود (تامودا) ، ومرسمياني[40] ، عباديدي (اباديدي)[41] ، وحيابة (خايابا) ، العرب الذين يعيشون في بلاد نائية بعيداً في الصحراء ، والذين لا يعرفون غريباً ولا بأي ناظر ومسؤول ، إنهم لم يقدموا الجزية حتى الآن لأي ملك ، وقد أقدمت على ترحيل بقاياهم ممن نجا من الموت وأسكنتهم في السامرة ، ومن بيرو ملك موصري وشمسي ملكة العرب ومن اتعمار السبئي ، ومن هؤلاء الملوك من الساحل والصحراء تسلمت الهدايا من تراب الذهب والاحجار الكريمة والعاج وبذور خشب الآبنوس وأنواع من العطور ومن الخيل والجمال "[42].

أما في عهد الملك الآشوري (سين – اخي – اريبا) أو كما عرف اليوم باسم (سنحاريب) (704ق.م – 681ق.م)، فنلاحظ انه سار على نهج أبيه (شروكين الثاني) في محاولاته التوسعية ضد الممالك السورية ، غير أن نصوصه كانت كثيرة عن العرب ، بسبب زيادة دور العرب السياسي في المنطقة ، حيث نجد أن العلاقة بين الآشوريين والعرب تأخذ منعطفاً

---

[38] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص135 .

[39] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص135 .

[40] - مرسمياني : واجه الباحثين صعوبة في تحديد هذه القبيلة .

[41] - اباديدي : يرى الباحثين انها قبيلة ابيداع المذكورة في التوراة .

[42] - د.ابتهال عادل إبراهيم ، نفس المصدر ، ص165 .

جديدا في عهده ، فظهر العرب في تصديهم للآشوريين في مواقف اعنف رغم ما بذله الآشوريين من محاولات عديدة لتخفيف حدتها ، إلا أنها لم تفلح لا من ناحية القوة ، ولا من ناحية اللين والسياسة ، حيث تبرز لنا مصادر تاريخ تلك الفترة إلى أن العرب لم يكتفوا بأن يتصدوا للآشوريين في مناطقهم أو المناطق المجاورة لهم ، بل نراهم موجودين في داخل بلاد الرافدين نفسها لمساندة كل تحالف وقوى ضد الآشوريين ، وهذا ما يمثل التواجد الحقيقي للعرب في العراق ، حيث ظهر العرب مشاركين الملوك البابليين في ثورتهم ضد الآشوريين ، وذلك عن طريق دخولهم في تحالف مع البابلي مردوخ بلادان (703ق.م) وابن زوجته المدعو ادينو ، حيث ضم الحلف اسم بسقانو شقيق الملكة العربية (ياتعة) ملك بلاد العرب ، وكما جاء في النص :" ... اما ادينا ابن زوجة مردوخ بلادان (ملك بابل) ومعه بسقانو شقيق ياتعة ملكة بلاد العرب ، بالإضافة إلى جيوشهم ، فهؤلاء جميعاً أسرتهم أحياء واستوليت على العربات والخيول والبغال والحمير والإبل التي خلفوها وراءهم أثناء المعركة ..." [43] . وهكذا فإن مشاركة العرب ضد آشور أصبحت قوية ، وأخذت طوراً جديداً ، فكما يتضح من النص أن العرب ساندوا مردوخ بلادان ملك بابل ضد سنحاريب ، أما بالنسبة لملكة العرب (ياتعة) فعلى الأرجح أنها كانت تحكم العرب في واحة (ادوماتو) والتي سنتطرق إلى موقعها في هذا الفصل بشيء من التفصيل كما أوضحنا سابقاً ، وعلى الرغم من كل تلك التحالفات ضد الآشوريين إلا أنهم لم يصمدوا أمام قوة الآشوريين بقيادة سنحاريب ، حيث هزموا أمامهم بشكل كبير ، وأخذ بسقانو شقيق ياتعة ملكة العرب أسيرا في كيش هو ومعظم جيشه[44] ، ومن الجدير بالذكر أن بعض النصوص التي تعود لسنحاريب أشارت إلى أن العرب كانوا متواجدين في مناطق مختلفة من في بلاد الرافدين في تلك الحقبة التاريخية ، وان سنحاريب قد أنزل بهم هزائم متعددة متكررة وأجبر بعضهم على الخروج من بعض المدن التابعة له ، وكما جاء في النص :"... لقد أسرت العرب والآراميين والكلديين الذين كانوا في اوروك ونيبور وفي كيش وفي هارساجكالاما ، ومعهم المواطنين والمتمردين واعتبرتهم في حكم الغنائم ، كما التهمت قواتي الغلال والتمور التي كانت في مزارعهم وثمار بساتينهم ومحاصيلهم

---

[43] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص145 .

[44] - عبد المعطي بن محمد ن نفس المصدر ، ص146 .

في سهولهم ووديانهم ..."[45] . ويشير نص اخر إلى قوة التواجد العربي في بلاد الرافدين ، جاء فيه :".. وبقدر الهي وسيدي اشور ، استطعت أن أحاصر 89 من المدن القوية المحصنة بالأسوار و820 قرية صغيرة واستوليت عليها وأخذت ممتلكاتهم غنائم ، وأخرجت من تلك المدن العرب والآراميين والكلديين والذين كانوا في اوروك ونيبور وفي كيش وفي هارساجكالاما، ومعهم المواطنين والمتمردين الذين كانوا في تلك الأماكن ، أخرجتهم جميعاً وجعلتهم في حكم الغنائم ..."[46] .

وفي العام الخامس عشر من حكمه أي في حوالي 689ق.م ، قام سنحاريب بأرسال جيوشه إلى منطقة ادوماتو ، لملاقاة الملكة العربية الجديدة والتي تدعى تلخونو ملكة بلاد العرب ، والتي يظهر أنها تربعت على العرش خلفاً للملكة ياتعة التي سبق وأن حاربها سنحاريب ، ومهما يكن من أمر فما إن وصلت الملكة تلخونو على عرش العرب في حصنها ادوماتو حتى أعلنت العصيان على الآشوريين وخرجت على رأس قوة عسكرية ضدهم وبمساعدة حزائيل ملك قيدار ، حيث التقى الجيشان بعيداً عن ادوماتو عندما شعرت الملكة بخسارة جيشها فرت نحوها ، فتبعها سنحاريب إلى هناك ولكن لم يستطيع اللحاق بها، وكما جاء في النص :"... تلخونو ملكة بلاد العرب سلبت منها وفي منتصف الصحراء 10000 من الابل ..... هي وحزائيل فرا ... أرعبهما قتالي ضدهما فغادروا خيامهم إلى ... من مدينة ادوماتو حيث فرا بجلدهما ..... وادوماتو التي تقع في قلب الصحراء ... من الظمأ حيث لا يوجد غذاء ولا أماكن شرب ... "[47] .

أما في فترة حكم (اشور-اخي-ايدينا) أو كما عرف باسم اسرحدون (680ق.م – 669ق.م) ، فقد توقفت الأعمال العسكرية ضد العرب في عهده بعد أن فرض عليهم مبدأ الولاء ودفع الاتاوة ، وخاصة أن حزائيل ملك قيدار قد خضع لهم بعد أن ذهب إلى نينوى محملاً بالهدايا، حتى انه أدرك أن الخلافات مع القبائل العربية لا تتعدى المعيار التذمري من جراء ممارسات الآشوريين ضدهم وان العدو الحقيقي وهو الذي يعمل دوماً على دفع القبائل العربية للقيام بأعمال عدائية ضد الآشوريين والمتمثل بمصر ، وأخيرا نجد أن الملك

[45] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص146 .

[46] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص147 .

[47] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص151 .

اسـرحدون اعتبر السـيطرة على سـاكني الصحراء غـرب بابـل هـو شيء مـتمم ومكمـل لنظـام السيطرة على بابل نفسها التي نجح في كسب ولاء سكانها عن طريق نفس سياسة المصالحة والتسامح [48] ، وقد ادى انتهاج هذه السياسة إلى فتح صفحة جديدة بين الآشوريين والعرب ، ليتمكن اسرحدون من تحقيق هدفه وهو دخول مصر ، لأنه لا يمكن الوصول إلى مصر دون المرور بأرض العرب في الغرب في الطريق مصر ، وبالتالي ضمان ولاء القبائل العربية ، وهذا ما أكدتـه النصـوص الآشـورية لتلك الفترة ، وتتجلى سياسـة التفـاهم والسـلم اسـرحدون مـع العـرب مـن خـلال تعاملـه مـع حزائيـل ملـك قيـدار الـذي سـبق أن هـرب مـن قبضـة والـده سنحاريب إلى ادوماتو (حصن العرب) ، بعد أن سقطت بيد سنحاريب واخذ الآلهة العربية أسرى إلى نينوى ، ولما تـوفي سنحاريب وانتقل الحكم إلى اسرحدون ، زالت أسباب الجفاء ، وذهب إلى نينوى لمقابلة الملك الجديد ومعه الكثير من الهدايا ، فقدم لاسرحدون فروض الطاعـة وطلـب منـه إعـادة تماثيـل الآلهـة ، ووافـق اسـرحدون على ذلـك ، ولتوطيـد تلـك المصالحة بين العرب والآشوريين ، قام اسرحدون بتنصيب تبوعة (Tabua) التي تربت تربية آشورية في قصر والـده سنحاريب كملكة على العرب ، وأرجعها إلى بلادها مع آلهة العرب وفرض عليهم الجزية ، وكما جاء في النص :"من ادماتو حصن العرب الذي سبق لوالدي سنحاريب ملك آشور أن استولى عليه وكان قد حصل على غنائم ممتلكاتهم وتماثيل آلهتهم وملكة العرب اسكالات وأخذهم جميعاً إلى بلاد أشور ، حزائيل ملك العرب جاء إلى نينوى عاصمتي محملاً بالهدايا الثمينة وقبل قدمي وتوسل إلي أن أعيد تماثيل آلهته فعطفت عليه وصلحت تماثيل اترسمين ، دي ، نوحاي ، رولدي ، عبديل ، واترقرم ، آلهة العرب ، وأرجعتها له بعد أن نقشت عليها كتابات تشهد بالمنزلة العالية لسيدي الإله آشور ، واسمي ، وجعلت تبوعة التي ترعرعت في قصر أبي ملكة عليهم وأرجعتها إلى بلدها مصحوبة بتماثيل ألهتها وعلاوة على الجزية التي قدمها حزائيل إلى والدي فقد فرضت عليه أن يدفع زيادة مقدارها خمسة وستون جملاً وعشرة مهور ..."[49] . وقد عثر على نص معاهدة مثيرة للاهتمام مدونة على رقيم طيني ولسوء الحظ لم تبقى المقدمة ولا الأسماء في الجزء الباقي من نص

---

[48] - Ephal.I. The ancient arabs normads on the borders of the fertile crescent 9th centuries B.C. israel 1982 . P.127-128.

[49] - Luchenbill. D.D. Arab vol. II, p.208. no 518 .

المعاهدة ، حيث يعتقد أن هذه المعاهدة عقدت مع الملك حزائيل زعيم قبيلة قيدار العربية ، أو ربما ابنه يتع ، وفيما بلي النص السليم من تلك المعاهدة :

" البداية محطمة

(...) هو سولف لن تعمل السلام معه ولا تعمل لنفس الاسباب معه لكن سوف تخافني وتعمل ما هو جيد لي (اذا) عملت ما هو جيد لي كل العرب (....

(كسر)

(يجب أن) أتقدم (...) ضدك (...) فمه (...) ستبقى على مسافة منك (...) سوف تجلب من الآن فصاعداً (...) حدد إليه (...دعهم) يعملون صعوبة (...) احد الخادمين لديك (...) بلد اخرى (...) ... سوف لن ترسل (رسائل) لا مع سمك الحبر ولا مع طير السماء سوف لن تقول : اذهب واخبر الملك حالاً ملك آشور يتقدم نحوك وهو يمتلك ... خدعة معينة ليستخدمها ضد سوف لا تكتم عني اي شيء تسمعه إذا كان من فم ملك او على حساب بلد (اي شيء) يتصل بي او هو مؤذي لنا أو لاشور لكنك ستكتب لي وتجذب انتباهي له مهم تكن (القضايا) نا قد أناقشه (معك) مهما تكن (...) الرجال .

البقية محطمة"[50] .

وبعد وفاة حزائيل قام اسرحدون بتنصيب ابنه يتع بمحله ، وزاد الاتاوة عليهم ، فقبل يتع بذلك ، غير أن شخص عربي يدعى (وهب) حرض كل العرب ضد يتع وحدثت محاولات لنزع السلطة من يتع ، غير أن اسرحدون أرسل قوات عسكرية لإسناد يتع ، فنجح بإخضاع كل العرب والقي القبض على وهب وكل من تمرد عليه وأرسلوا كأسرى إلى نينوى، وكما جاء في النص:" ولما مات حزائيل قمت بتتويج ابنه يتع على عرشه وزدت الجزية علاوة على ما أخذته من أبيه عشرة امنان من الذهب وألف حجرة كريمة وخمسين جملاً وألف حافظة من العطور ، بعدها قام وهب بتحريض جميع العرب ودفعهم للعصيان ضد يتع ، لأنه كان يطمع بالعرش لنفسه ، ولكن أنا اسرحدون ملك آشور ، ملك الجهات الأربع المحب للحق ، الكاره للحيل ، أرسلت جيشي لمساعدة يتع الذي تمكن من إخضاع جميع العرب ، وقيدوا وهب والمحاربين الذين معه بالسلاسل وجلبوهم إلى حضرتي في نينوى وقد طوقتهم

---

[50] - احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، رسالة ماجستير (اسرحدون 680-669ق.م) /جامعة واسط ، 2006 ، ص131 .

بالقيود أمام باب المدينة "[51] . غير أن يتع على الرغم من المساعدة الآشورية له إلا أنه لم يكن راضي على هذا التدخل ، ولذلك أعلن تمرده عليهم ، ولربما بسبب مقدار الاتاوة التي كان يدفعها لهم باستغلال انشغال الآشوريين في مصر وباقي المدن ، وهذا ما اجبر الآشوريين على القيام بحملة عسكرية عليه وهزموه وقاموا بأسر تماثيل آلهة العرب للمرة الثانية ، حيث قام يتع ملك العرب بالهروب إلى البلاد البعيدة حسب وصف النص الآشوري وربما إلى البادية التي كانت دائماً هي مأوى الملوك العرب الهاربين ، حيث يشار أيضا إلى أن الجيش لم يتجه لمهاجمة تبوعة التي ظلت على وفائها كحاكمة في ادوماتو[52] . وقام اسرحدون بحملة أخرى على القبائل العربية التي تنزل في ارض بازو (Bazu) وخازو (Hazu) ، في السنة الخامسة من حكمه ، والتي تقابل سنة 676ق.م ، وقد قتل فيها ثمانية ملوك ، وأسر عدد كبير من أتباعهم وأخذهم إلى ارض آشور ، كما حمل آلهتهم معه ، غير أن احد الملوك تمكن من النجاة ، لكنه ذهب إلى نينوى بعد ذلك لطلب العفو والصفح ، فقبل اسرحدون منه ذلك ، وأقام معه علاقات طيبة ، وأعاد إليه ألهته وجعله ملكا على ارض بازو وخازو وعلى أن يدفع الجزية له، وكما جاء في النص :" ارض بازو البلد البعيد الممتد على مساحة كبيرة واسعة من الأراضي الملحية وهو البلد القاحل المحروم من الماء مائة وأربعين بيرو من الأراضي الرملية المليئة بنبات العاقول والأحجار والجردان – حجر فم الغزال- ارض مليئة بالثعابين والعقارب مثل النمل وعشرون بيرو عبر جبل حازو المغطى بحجر الساكيلموت ، وقد تركت كل ذلك ورائي متقدماً نحو بلد البلد الذي لم تطأه أقدام ملك قبلي وبأمر من سيدي الإله آشور ، فقد اقتحمته منتصراً وان قيسو ملك خالديسي واكبر ملك مدينة البياتي ومنساكو ملك مدينة ماجلاني ويابا ملكة مدينة دخراني وحابيسو ملك مدينة قادابا ونيخارو ملك مدينة جعفاني وبسلو ملكة مدينة اخيلو وخبانا مرو ملك مدينة بودا ، ثمانية ملوك ذبحتهم من هذه المنطقة وكدست جثث محاربيهم واستوليت على آلهتهم وممتلكاتهم وأتباعهم ، وحملتهم إلى بلاد أشور ، ليل ملك يدع الذي هرب عندما قرب وصول جيشي وسماعه بأنني قد استوليت على ألهته جاء إلى نينوى مدينتي الملكية ، وفي حضرتي قبل قدمي فعطفت

[51] - احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، نفس المصدر ، ص132 .

[52] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص594 .

عليه، وعفوت عنه ، أما الآلهة التي كنت قد استوليت عليها فقد نقشتها باسم سيدي الإله آشور وأرجعتها إليه ونصبته ملكاً على بلاد بازو وفرضت عليه أداء الجزية"[53] . وقد ورد في التوراة اسم (بوز) و(حوز)[54] ، غير ان بوز هو ابن ناحور أخي إبراهيم ، ويظن أن لاسمه صلة باسم ارض (بوز) ، وأما (حوز) فإنه احد أولاد (ناحور) ، وقد ذكرت كلمة بوز بعد تيماء في سفر ارميا ، حيث ورد :" وكل اللفيف وكل ملوك ارض عوص ، وكل ملوك ارض فلسطين واشقلون وغزة وعقرون وبقية اشدود ، وادوم ومؤاب وبني عمون ، وكل ملوك صور ، وكل ملوك صيدون ، وكل ملوك الجزائ إلي في عبر البحر ، وددان وتيماء وبوز ، وكل مقصوصي الشعر مستديراً ، وكل ملوك العرب ، وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية " [55] .ولذلك نجد أن (بوز) في التوراة اسم موضع واسم شعب ، وربما أن خازو هي بموضع قريب منها ، كما أشار بعض الباحثين .

أما في أثناء حملة اسرحدون على مصر ، فيذكر انه تلقى المساعدة من العرب في طريقه إلى مصر ، والساكنين في الصحراء ، بعد أن احضروا له الجمال اللازمة لنقل الماء ، مما جعل اجتياز الصحراء على شيء من اليسر :" ولم يكن يوجد نهر على طول الطريق ، وقد كان علي أن أمد جيشي بالماء بوساطة حبال وسلاسل ودلاء لسحبها من الآبار وعندما أوامر سيدي آشور جاءت عن طريق الوحي إلى ذهني (خلال هذه المصيبة) فرحت روحي ووضعت قرب ماء ... على الجمال التي احضرها لي كل ملوك العرب"[56].

أما بالعودة إلى مدينة ادوماتو التي تكرر ذكرها في نصوص سنحاريب واسرحدون ، فنطرح هنا إشكالية تحديد موقعها ، فعلى الرغم من أن الروايات تنسب تسمية الدومة إلى منطقة ما في السعودية تدعى اليوم بـ(دومة الجندل) ، إلا أننا نجد أن ذلك النسب غير منطقي ، فلا شيء تاريخي يوجد فيها يعود لعقود قديمة ، فقط بناء يقال انه تاريخي يدعى بـ(قلعة مارد) ، حيث لمجرد مشاهدتنا له يمكن أن يعطينا انطباع أولي انه بناء حديث وليس قديم .

---

[53] - - احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، نفس المصدر ، ص135 .

[54] - التكوين ، الإصحاح 22 ، الاية 21 وما بعدها .

[55] - ارميا ، الإصحاح 25 ، الآية 20 وما بعدها .

[56] - - احمد حبيب سنيد الفتلاوي ، نفص المصدر ، ص144.

وكما ذكرنا سابقاً إن أقدم ذكر للدومة جاء في النصوص الآشورية الملكية ، في نصوص تغلاتبلاصر وسنحاريب ، وللتذكير نعيد ذكر تلك النصوص بشكل مختصر ، ففي نص سنحاريب: " تملخونو ملكة العرب في وسط الصحراء ... أخذت ... جمل منها وحزائيل ، أطاح بهما (يتحدث عن نفسه سنحاريب) هجر خيامها ، وهربا لينجوا بحياتهما إلى ادوماتو التي تقع في وسط الصحراء مدينة العطش التي لا يوجد فيها طعام أو شراب". وكذلك في نص يعود للملك اسرحدون ، جاء فيه : " من ادوماتو حصن العرب الذي سبق لوالدي سنحاريب أن استولى عليه وكان قد حصل على غنائم ممتلكاتهم وتماثيل آلهتهم وملكة العرب اسكالات واخذهم جميعاً إلى بلاد آشور ، حزائيل ملك العرب جاء إلى نينوى عاصمتي محملاً بالهدايا الثمينة وقبل قدمي وتوسل إلي أن أعيد تماثيل آلهته فعطفت عليه...". وينقل الدكتور جواد علي عن (موسيل) في إطار ما جاء عن ادوماتو (حصن العرب) المذكورة في النصوص الآشورية، ويقول أنها كانت مركز الوسيط للقبائل العربية ويشير إلى أنها واحة ، وان حدودهم وتأثيرهم وصل إلى أطراف بابل وان طرق التجارة كانت تقدم من بابل بالحبوب والملابس والمواد الأخرى الضرورية لسكان الواحة ، وكانوا يميلون للتعاون مع البابليين ، وكانوا كذلك خلال فترة الصراع البابلية الآشورية ، لذلك وجه الآشوريين إلى القبائل العربية التي تحالفت مع مردوك بلادن ملك بابل ضربات شديدة وفرقتهم حول حصن القلعة ، ويشير أيضا إلى أن وصف ادوماتو بكونها حصن يشير إلى تطور نوعي ملحوظ في أساليب الحرب عند العرب، حيث لم يسبق اسرحدون احد من الملوك في الإشارة إلى قلاع محصنة عند العرب[57] . إضافة إلى ذلك فإنه أشار إلى أن سنحاريب عندما تغلب على بابل وانتصر عليها في سنة 689ق.م ، تفرغ لمحاربة الملكة تلخونو والانتقام منها ، فأمر قواته بالضغط على أتباع الملكة وتعقبهم ، فحاصر (ادوماتو) وتغلب عليها وانتصر على العرب ، وعلى الرغم من أن النص الآشوري لسنحاريب لم يتحدث عن الجهة التي انطلق منها الآشوريين لمعركتهم ضد العرب في الدومة إلا أن (موسل) يرى أن الآشوريين هاجموها من إقليم بابل ، ويرى أيضا أن سلطان الملكة (تلخونو) كان يشمل منطقة واسعة تمتد من ادوماتو إلى بابل[58] ، وهذا ما يشير إلى إن

[57] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص591 .

[58] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص591 .

ادوماتو كانت منطقة قريبة على بابل، ولذلك شكل العرب في بلاد الرافدين دور مهم في سياسة المنطقة وخاصة في فترة الحرب البابلية الآشورية في عهد الملك الآشوري اشوربانيبال (669ق.م – 640ق.م) وحكم أخيه شمش – شوم – اوكين (668ق.م – 648ق.م) في على بابل ، حيث دخل العرب إلى بابل لمساندة البابليين ضد الآشوريين ، لكن لم تكفي قوتهم لمواجهة الآشوريين قبل أن يقوم حاكم الآشوري (شمش-شوم – اوكين) بحرق نفسه داخل قصره ، فيذكر الملك الآشوري اشوربانيبال عن عرب تلك الفترة في نص له :" بأمر من الآلهة آشور والآلهة عشتار والآلهة العظيمة سادتي ، انتصرت على (أبي يتع ، وايمو) ولدي (تيعري) اللذين توجها لنصرة (شمش – شوم – اوكين) ، أخي المعادي ، وحاولا دخول بابل ، أما الآخرون الذين دخلوا بابل ، فقد أكلوا بسبب الجوع والبلاء الذي حل بهم لحوم بعضهم البعض ، ولكي ينقذوا أنفسهم خرجوا من بابل إلا أن قواتي التي كانت معسكرة هناك ضد شمش – شوم – اوكين أوقعت بهم الهزيمة مرة أخرى ، وهرب ذلك الرجل وحيداً ، ولأجل إنقاذ حياته امسك بقدمي ، فأشفقت عليه وحملته على أن يقسم بالآلهة العظام ، ونصبته ملكاً على بلاد العرب بدلاً من يتع ابن حزائيل ، ولكنه اتفق مع نبايوت ، ولم يحترم القسم الذي اقسمه بالآلهة العظيمة وقام بنهب حدود بلادي"[59]. وبذلك نلاحظ كان هناك تواجد عربي في تلك المناطق بالقرب من بابل ، وليس في منطقة بعيدة عنها كموقع دومة الجندل الحالي في السعودية ، وإكمالاً للموضوع نجد أن (أبي يتع) قدم الطاعة لاشوربانيبال الذي عينه ملكاً للعرب ، غير أن (أبي يتع) كان في حسبانه أن يستفيد من ذلك لينقذ محاربيه فقط ، حتى انه سرعان ما تمرد على الآشوريين مرة ثانية[60] ، غير إن الآشوريين قاموا بأسره مرة ثانية وإرساله إلى نينوى وربطه بجانب إحدى بوابات مدينة نينوى[61] . وبالرجوع لنصوص اسرحدون نلاحظ أن ادوماتو (الدومة) عبارة عن حصن ، وهذا لا ينطبق مع دومة الجندل اليوم ، فهي مدينة ليست محصنة ، ولكن لو تتبعنا الروايات الأخرى سنلاحظ أن هناك ذكر لادوماتو في مناطق أخرى قريبة ، مثلاً وجد قوم في شرق الأردن يدعى (الادوميين) ولكن لم يعرف هناك حصن لهم ، أما المنطقة الأخرى والتي اعتقد شخصياً هي الأقرب لتكون ادوماتو

---

[59] - د.هند بنت محمد تركي ، نفس المصدر ، ص68 . .

[60] - بليافسكي ، اسرار بابل ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط1 ، 2006 ، ص42.

[61] - د.هند بنت محمد تركي ، نفس المصدر ، 72 .

الحقيقية هي (دومة الحيرة) التي ذكرتها عالمة الآثار البريطانية (المس بيل أو الخاتون كما يسميها أهالي بغداد) ، وهي واحة أيضا ، أوصافها تقارب وصف ادوماتو التي ذكرت بالنصوص الآشورية وكذلك أنها منطقة تقع إلى الجنوب الغربي من بابل ، وهذا ما يفسر لنا سبب قيام الآشوريين بالتغلب على بابل أولا ثم توجههم إلى ادوماتو واتخاذهم لبابل كنقطة عسكرية للانطلاق إليها كما أوضح موسيل .

ورد ذكر لدومة الحيرة في (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لـ(عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي) وكذلك لـ(ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) جاء ذكر (دومة الحيرة) في رواية له ، جاء فيه : "دوما : بالكوفة والنجف محلة منها ، ويقال : اسمها دومة لأن عمر لما أجلى أكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنا بها حصناً وسماه دومة أيضا " [62] . ومما ذكر نلاحظ أن دومة الحيرة تحتوي على حصن ، كما هو الحال في ادوماتو حصن العرب التي ورد ذكرها في نصوص الملك الآشوري سنحاريب وكذلك في نصوص ابنه اسرحدون . ويذكر ياقوت الحموي عنها أيضا :" ...وقيل إن خالدا (خالد بن الوليد) لما انصرف من العراق إلى الشام مر بدومة الجندل التي غزاها أولاً بعينها وفتحها وقتل أكيدر ، قال: وقد روي أن أكيدر كان منزله أولا بدومة الحيرة ، وهي كانت منازله ، وكانوا يزورون أخوالهم من كلب ، وإنه لمعهم وقد خرجوا للصيد إذ رفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها وهي مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا فيها الزيتون وغيره وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة ، وكان أكيدر يتردد بينها وبين دومة الحيرة، فهذا يزيل الاختلاف ، وقد ذهب بعض الرواة إلى أن التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل..."[63] . فعلى الرغم من أن ياقوت الحموي يميز بين دومة الحيرة ودومة الجندل ، إلا إننا نرى أن هذا التميز وضع فيما بعد ولغرض إعطاء غطاء شرعي أكثر لمنطقة الحجاز التي عرفت بشكل غير حقيقي بأنها المنطقة التي خرج منها الدين الإسلامي ، ونلاحظ أيضا وحسب رواية ياقوت الحموي أن خالد بن الوليد عندما انطلق من العراق إلى الشام مر بدومة الجندل !!

---

[62] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت ، ص486 .

[63] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر، ص488 .

وهنا نطرح سؤال مهم حول هذه الرواية وهو كيف لخالد بن الوليد عندما أراد الذهاب من العراق إلى الشام أن يتجه إلى أقصى جنوب العراق ثم إلى الشام في الشمال الغربي !!

كان من الصائب أن يسلك الطريق إلى المدن الغربية في العراق ثم إلى الشام كما هو المسير الاعتيادي وبدون أي عوائق ومشاكل ، أما لو كانت الدومة (ادوماتو) في العراق فإن رواية ياقوت الحموي ستكون دقيقة ولا تشوبها شائبة ، لأنه سار من منطقة ما في العراق ثم في طريقه مر بدومة الحيرة ثم إلى الشام ، وهو طريق مستقيم من العراق إلى مدنه في الغرب ثم إلى الشام .

إضافة إلى ذلك لو نلاحظ أيضا ورود كلمة (الاكيدر) والتي على الأغلب جاءت منها كلمة (الاخيضر) ، فحسب ما هو مرجح إن كلمة (اكيدر) هي بالأصل (قيدار أو كيدار) ، وان نص الملك الآشوري اسرحدون أعلاه يتحدث عن حزائيل ملك قيدار (ملك العرب) ، ولذلك إن تسمية (قيدار) ومع التباعد الزمني أصبحت (اكيدر) ، وما يؤكد ذلك هو أن اسم قيدار ورد في النصوص الاخمينية باسم (كي – دار – ري)[64] ، إضافة إلى ذلك فإن اسم (حزائيل) لليوم شائع في العراق وحتى في مناطق شرق الأردن ، ويعرف اليوم بصيغة (خزعل) لأن صوت (ع) غير موجود في الآشورية لذلك يستبدل صوت (ع) إلى صوتي (أ ، ء) .

ومن تسمية (اكيدر) جاءت تسمية (اخيضر) ، وحتى اليوم يعرف هذا الحصن في بلدة عين التمر أو دومة الحيرة بـ(حصن الاخيضر) .

يقول الدكتور صالح احمد العلي في كتابه (معالم العراق العمرانية) ، إن دومة الحيرة أقدم من دومة الجندل وإنها كانت القاعدة لاكيدر على الرغم من عدم امتلاكنا لنصوص دقيقة تبين ملامح العمارة في هذه المحلة إلا أنها كانت تحوي حصناً بدلالة صاحب دومة الجندل إليها ، وعلى الرغم من أن الدكتور صالح احمد العلي يشير بشكل مباشر إلى وجود دومتين (دومة الجندل ودومة الحيرة) ، ولكن أننا نعتقد أن هناك دومة واحدة وان الاكيدر لم يقدم إليها ، بل كانت هي حصن له وهي حصن القيدرايين العرب (الكيداريين) .

---

[64] - Knouf.E.:Nabataean Origin in Arabian Studies in Honour of Mahmmud . 1989 . p66

فعلى الرغم من أن الروايات العربية تنسب فترة بناء حصن الاخيضر للعصر العباسي أو بعض الأبحاث تقول انه بناء ربما قبل الإسلام أو بعده وكما هو واضح من خلال بناءه ، إلا اننا نرى ان هذا البناء الحالي ربما هو بناء حديث تم بناءه على أساس الحصن القديم .

وبذلك إن وجود مملكة عربية بقرب هذا الحصن وهي مملكة الحيرة لم يكن صدفة، على الرغم من أن هناك أبحاث واراء ترجح أن الحيرة نشأت في عهد حكم الملك البابلي نبوخذنصر وكانت معسكر للعرب ، حتى إن اسمها بصيغته الآرامية (حيرتا) (Herta) ويعني (المعسكر).حيث يذكر الطبري في تاريخه إن عهد الحيرة يرجع إلى الملك البابلي بختنصر (نبوخذ نصر) ، حيث روى عن ذلك : "أقدم برخيا من نجران إلى بختنصر ببابل واخبره بما أوحى الله إليه ، وقص عليه ما أمره به من غزو العرب الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، وان يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، واعلمه كفرهم به ، واتخاذهم آلهة دون الله ، وتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والبياعات ، ويختارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها ، فجمع من ظفر به منهم ، فبنا لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه، ووكل بهم حرساً وحفظة ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت إليه طوائف منهم سالمين مستأمنين ..." [65]. وهذه الرواية التي ذكرها الطبري ألمحت لشيء مهم وهو أن العرب كانوا يعرفون بعض خفايا التاريخ ، على الرغم من كونها عرفت عندهم بشكل مغاير عن ما ورد في التاريخ القديم ، إلا أن ذلك يعزى بسبب غياب التدوين عند العرب في تلك الفترة ، بل نقلوها شفهيا حتى تحرفت عندهم ، والإخباريين هنا ربما اخطئوا في نسب البناء وموضوع دخول العرب إلى العراق إلى الملك البابلي نبوخذ نصر لأنه كما عرفنا من النصوص الآشورية وخاصة في عهد سنحاريب واسرحدون أن التواجد للعرب في العراق يسبق فترة نبوخذ نصر بكثير، أما في نصوص الملوك الآشوري آشوربانيبال فهناك نص مهم يضع هذه المناطق في إشكالية وتخص موضوعنا هذا ، ففي نص من الحملة التاسعة لاشوربانيبال على العرب وهروب ملك العرب

---

[65] - الطبري ، نفس المصدر ، ص558 .

إلى بلاد الأنباط ، وجاء فيه : "بأمر آشور وعشتار حشدت جيوشي في مدن حزائيلو وحيراتا كاسي وادومي (ادوماتو) ، وفي ممر يابرود في بيت أماني في منطقة حورينا ، وفي مؤاب ، وسعيري وفي هارجبي في منطقة سوبيتي ذبحت الكثير من محاربيه ، وأنزلت به هزيمة حاسمة (جميع سكان بلاد العرب) الذين اندفعوا معه أطحت بهم بالسيف ولكنه افلح في الهرب من أسلحة آشور الجبارة ، يتع أصابه الشر وهرب وحيداً إلى بلاد الأنباط ..." [66].

وهنا يجب أن نطرح سؤال حول هذا النص ، وهو : أين تقع مدن حزائيل (خزائيل) وحيراتا كاسي وادومي؟؟؟

هذه المدن لا يمكن تحديد موقعها إلا بالأخذ بما ذكرنا أعلاه ، وهي أن هذه المدن تقع في العراق ، وان ادوماتو حصن العرب هي الدومة أو كما عرفتها المرويات العربية بـ(دومة الحيرة) ، ولذلك أن مدينة حيراتا كاسي هي مدينة الحيرة ، وهذا ما يعطي بعض الشيء من الصحة للرواية العربية عن تاريخ مدينة الحيرة ، فحتى باقي أجزاء نص اشوربانيبال أعلاه تتحدث عن مدن تقع في خط موازي مع دومة الحيرة لكون دومة الحيرة تنحرف قليلاً إلى الغرب من العراق بالتحديد في بلدة عين التمر في صحراء كربلاء باتجاه الشام ، حيث جاء ذكر بعض المدن التي تقع في الأردن مثل (مؤاب وسعير والأنباط). إضافة إلى ذلك ، لو تتبعنا الرواية الإسلامية عن فتوحات العراق وكما ذكرها الطبري مثلاً أو حتى ابن كثير نجد أن فتح عين التمر حدث في العام الثاني عشر الهجري أي بعد فتح الحيرة والانبار ، ثم بعد أن استقر المسلمين في عين التمر قاموا بفتح دومة الجندل، ولو تخيلنا جغرافية ومواقع تلك المناطق حسب ما ذكرته تلك الروايات ، فإن الخطأ في تلك الرواية هو موقع دومة الجندل ، حيث كان من المفترض أن يتم فتح دومة الجندل الحالية قبل أن يتم فتح العراق . فنجد أن الترتيب عند الطبري وابن كثير هو (الحيرة ، ثم الانبار ، ثم عين التمر ، ثم دومة الجندل) (الشكل رقم 2) ، ففي رواية ابن كثير عن فتح عين التمر : "لما استقل خالد بالأنبار...... وقصد عين التمر وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العرب ، وحولهم من الأعراب طوائف من النمر وتغلب وإياد ومن لاقاهم وعليهم عقة بن أبي عقة ، فلما دما خالد قال عقة لمهران : إن العرب اعلم بقتال العرب ، فدعنا وخالداً ، فقال له : دونكم وإياهم ،

[66] - د.هند بنت محمد التركي ، نفس المصدر ، ص67 .

وان احتجتم إلينا أعناكم ، فلامت العجم أميرهم على هذا ، فقال: دعوهم فإن غلبوا خالداً فهو لكم ، وان غلبوا قاتلنا خالداً وقد ضعفوا ونحن أقوياء ، فاعترفوا له بفضل الرأي عليهم. وسار خالد وتلقاه فلما تواجهوا قال خالد لمجنبتيه : أحفظوا مكانكم فإني حامل ، وأمر حماته أن يكونوا من ورائه ، وحمل على عقة وهو يسوي الصفوف فاحتضنه وأسره جيش عقة من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وقصد خالد حصن عين التمر ، فلما بلغ مهران هزيمة عقة وجيشه ، نزل من الحصن وهرب وتركه ، ورجعت فلول نصارى الأعراب إلى الحصن فوجدوه مفتوحاً فدخلوه واحتموا به ، فجاء خالد وأحاط بهم وحاصرهم اشد الحصار ، فلما رأوا ذلك سألوه الصلح فأبى إلا أن ينزلوا على حكم خالد فنزلوا على حكمه فجعلوا في السلاسل وتسلم الحصن ، ثم أمر فضربت عنق عقة ومن كان أسر معه والذين نزلوا على حكمه أيضا أجمعين ، وغنم ما في ذلك الحصن ، ووجد في الكنسية التي بها أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل وعليهم باب مغلق ، فكسره خالد وفرقهم في الأمراء وأهل الغناء ، وكان حمران صار إلى عثمان بن عفان من الخمس ، ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين أخذه أنس بن مالك ، وجماعة آخرون من الموالي المشاعر..." [67] . بعد ذلك اتجه خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ، أي أن مسار الفتوحات كان من الجنوب إلى الشمال ومن الشمال إلى الجنوب الغربي ، والغرابة هي أن يتجه المسلمين من الحجاز إلى العرب دون أن يمروا أو يفتحوا دومة الجندل ، والتي كان من المفروض فتحها يتم قبل فتح أي مدينة في العراق ، إلا أننا نجد أن دومة الجندل تم فتحها بعد فتح عدة مدن في العراق وبعد خوض المسلمين معارك عديدة فيه .

---

[67] - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1990 ، ج6 ، ص349 .



الشكل رقم (2) يوضح مسار المسلمين إلى (عين التمر) ، منقول من (أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين) لـ(سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث).

وفي رواية الطبري عن فتح دومة الجندل في العام الثاني عشر الهجري (الشكل رقم 3) ، جاء: "لما فرغ خالد من عين التمر، خلف فيها عويم بن الكاهل الاسلمي ، وخرج في تعبيته التي فيها العين ، ولما بلغ أهل دومة مسير خالد إليهم ، بعثوا إلى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم وقبل ما قد أتاهم وديعة في كلب وبهراء ومسانده ابن وبرة بن

رومانس واتاهم ابن الحدرجان في الضجاعم وابن الأيهم في طوائف من غسان وتنوخ فاشجوا عياضاً وشجوا به فلما بلغهم دنو خالد وهم على رئيسين : اكيدر بن عبد الملك والجودي بن ربيعة ... ومضى خالد حتى نزل على أهل دومة وعليهم الجودي بن ربيعة ووديعة بن الكلبي وابن رومانس الكلبي وابن الأيهم وابن الحدرجان ، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة لم يحملهم الحصن ، فلما اطمئن خالد خرج الجودي فنهض بوديعة فزحفا لخالد وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض ، فاقتتلوا فهزم الله الجودي ووديعة على يدي خالد ، وهزم عياض من يليه ، وركبهم المسلمين ، فأما خالد فإنه اخذ الجودي أخذا واخذ الأقرع بن حابس وديعة وأرز بقية الناس إلى الحصن ، فلم يحملهم فلم امتلأ الحصن أغلق من في الحصن ، الحصن دون أصحابهم ، فبقوا حوله حرداء ، وقال عاصم بن عمرو : يا بني تميم حلفاؤك كلب اسوهم وأجيروهم فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ففعلوا وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بن تميم بهم ، واقبل خالد على الذين أووا إلى الحصن ، فقتلهم ، حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسارى كلب ، فإن عاصماً والأقرب وبني تميم قالوا : قد أمناهم فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم أتحفظون أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام ؟؟ فقال لهم عاصم : لا تحسدهم العافية ولا يحوزهم الشيطان ، ثم أطاف خالد بالباب فلم يزل عنه حتى اقتلعه واقتحموا عليهم قتلوا المقاتلة وسبوا الشباب ، فاقاموهم فيمن يزيد فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الانبار ، ولما رجع خالد إلى الحيرة وكان منها قريباً حتى يصحبها اخذ القعقاع أهل الحيرة بالتقليس[68] فخرجوا يتلقونه وهم يقلسون وجعل بعضهم يقول لبعض : مروا بنا فهذا فرج الشر!" [69] .

إن تأكيدنا على مسار خالد بن الوليد في فتوحات العراق هو لوضع مسار صحيح للمناطق التي سار فيها خالد ، وأكثر ما يثير الريبة حول هذا المسار هو أن خالد بعد أن فتح دومة الجندل عاد إلى الحيرة في العراق ليكمل فتوحاته هناك ، ولو كان موقع الدومة

[68] - التقليس : استقبال القوم عند قدومهم باصناف اللهو.

[69] - الطبري ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص378 .

الحقيقي هو موقعها الحالي فكان الأولى بخالد أن يكمل فتوح العراق ثم يتجه إلى دومة الجندل الحالية ، ولكن نراه يفتح الحيرة والانبار وعين التمر في العراق وهي مناطق قريبة من بعضها ، ثم يتجه لدومة الجندل ويفتحها ، ثم يعود إلى العراق بالتحديد إلى المناطق أعلاه والمتقاربة من بعضها ، وهذا ما يجعلنا نلاحظ أن هناك خطأ في نسب الدومة إلى موقعها الحالي ، أما لو كان اتجاه خالد من دومة الحيرة إلى الحيرة نفسها ، فهذا يعني أن خالد كان يسير باتجاه مستقيم ، لأن دومة الحيرة تقع بين بلدة عين التمر والحيرة (الشكل رقم 4) .



الشكل رقم (3) ، يوضح مسار خالد إلى دومة الجندل ، منقول من (أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين) لـ(سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث).



الشكل رقم (4) ، عودة خالد بن الوليد من دومة الجندل إلى الحيرة ، منقول من (أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين) لـ(سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث).

وفي رواية ابن كثير عن إكمال المسلمين لفتوحات العراق بعد فتح الدومة ، اتجه المسلمين بعدها مباشرة إلى موقعين هما (الحصيد والخنافس) ، فيقال أن الحصيد هو موضع في أطراف العراق من جهة الجزيرة ، وهو وادي بين الكوفة والشام وفيه انتصر المسلمين على الفرس والموالين لهم من العرب من تغلب وربيعة ، فقتلوا في تلك المعركة روزمهر وروزبة قادة الفرس ، أما الخنافس يقال أنها ارض للعرب في طرف العراق قبل الانبار من ناحية

البردان ، تقام فيه سوق للعرب ، وهي المكان الذين التجئ إليه الفرس الهاربين من معركة الحصيد ، وتعقبهم المسلمين بقيادة أبو ليلى بن فدكى السعدى ، ولما علموا بذلك هربوا إلى موضع يقال لهم (المصيخ) بين حوران والقلت (في الشام) ، فجاء إليهم خالد بن الوليد وأغار عليهم وهم نائمون ، ولم ينجوا منهم احد إلا القليل منهم[70] .

ومن خلال تلك الفتوحات نلاحظ أن المسلمين بقيادة خالد كانوا ، يتجهون ويسيرون باتجاه غرب العراق ومدنه تلك ، ولم يتجهوا إلى الجنوب الغربي ، إلى ارض دومة الجندل في السعودية بالتحديد ، بل إنهم اتخذوا مسار واحد في ذلك ، وان ما دفعنا لهذا الاعتقاد هو أن قصة التحكيم بين أتباع علي ابن أبي طالب وأتباع معاوية بعد معركة صفين التي روتها المصادر الإسلامية لم تحدث في دومة الجندل بل في دومة الحيرة !! ، وان الإشكالية الثانية في ذلك ، في كون أن الطرف الأول ومركزهم العراق والطرف الثاني ومركزهم الشام ، ولذلك يجب أن تقع الأرض المحايدة لتحيكم في ارض تقع بين الطرفين أو على الأقل في ارض تتبع احد الطرفين بعد أن يتم توفير إجراءات الأمن في هذه الأرض ، فكيف لمعركة حدثت بين طرفين في الشمال وواقعة التحكيم بينهم تقع وتجري في ارض صحراوية في الجنوب !! لذلك أنه من المنطقي على الأقل أن تكون الدومة التي وقعت بها واقعة التحكيم هي دومة الحيرة ، على الرغم من أنها كانت تقع تحت في الاراضي التابعة لدولة علي ابن أبي طالب ، ولذلك إن خلاصة كل ما ذكر عن الدومة وحصنها ، فأرى أن الواقع يقول إنها دومة الحيرة ، وحصنها أو حصن العرب هو ما يعرف اليوم بحصن الاخيضر في بلدة عين التمر في مدينة كربلاء (لاحظ الشكل رقم 5) .

---

[70] - ابن كثير ، نفس المصدر ، 351 .



الشكل رقم (5) حصن الاخيضر (الاكيدر) في بلدة عين التمر في مدينة كربلاء



الشكل رقم (6) يوضح موقع دومة الحيرة في العراق ودومة الجندل في السعودية ، المنقولة من (أطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين) لـ(سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث).

وبالعودة الى تاريخ العرب في النصوص العراقية القديمة ، ففي عام 612 ق.م سقطت آشور بيد التحالف الميدي الكلدي (البابلي) ، وبذلك قامت الدولة البابلية الحديثة التي وصلت أوج عظمتها في عهد ملكها الكلدي (نبو كودوري اوصر) أو كما عرف بالتوراة باسم (نبوخذ نصر الثاني) (602ق.م – 562 قبلق.م) ، حيث عرف هذا الملك بسياسة التوازن والاتزان وابتعاده عن الحروب إلا القليل منها التي دخلها لأسباب تأمين طرق التجارة أو في منع أي تهديد يجاور دولته بابل ، غير أن سياسته مع العرب كانت لم تكن اقل حدة من سياسة الملوك الآشوريين السابقين ، فقام بعدة حملات على مناطق الشام والمناطق المتاخمة لمصر ، ففي العام السادس من حكمه أي حوالي سنة 598ق.م ، قام بحملة ضد العرب ، حيث دخل أراضيهم واستولى على مواشيهم واجبر أهلها على دفع الجزية ، كما قام بأسر آلهتهم ، وكما جاء في النص: "... العام السادس من شهر كيسليمو تحرك ملك اكد (بابل) بجيشه إلى داخل بلاد حاتي ، ووزع ملك أكاد جيشه في الأراضي الحاتية ، فغزوا الصحراء واخذوا كثيراً من الغنائم من ارض العرب ، كما كانت أيضا الأغنام التي أخذوها وآلهتهم المقدسة بأعداد كبيرة ، ثم بعد ذلك عاد الملك إلى بلاده في شهر..." [71] . ويرى بعض الباحثين أن تلك الحملة التي قام بها (نبوخذ نصر الثاني) كانت ضد العرب القاطنين مابين حماة شمالاً وحتى الأطراف الشمالية لما تسمى بجزيرة العرب جنوباً [72] ، أما في العام السابع والثلاثين لحكمه أي حوالي 568ق.م اتجه نحو مصر في عهد ملكها اماسيس (610 ق.م – 595ق.م) ، وكما جاء في النص التالي :
" ... في العام 37 فإن نبو كودوري اوصر ملك أكاد (بابل) ، سار نحو مصر ليقود معركة (اماسيس) (نص...) (أ) سو لمصر وفي جيشه ..." [73] .

رغم أن معظم مقاطع النص غير واضحة ، فإن ما نفهمه من ذلك النص هو أن نبوخذ نصر سار في الأطراف الجنوبية لسوريا والمحايدة للأطراف الشمالية الغربية من ما تسمى اليوم بجزيرة العرب ، حيث في رواية لمصدر كلاسيكي لـ(اكيستوفون) إلى أن نبوخذ نصر قام بحملة على العرب القاطنين في طريقه إلى مصر واخضع ملكها ، ولكن تلك المصادر

---

[71] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص213 .

[72] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص214 .

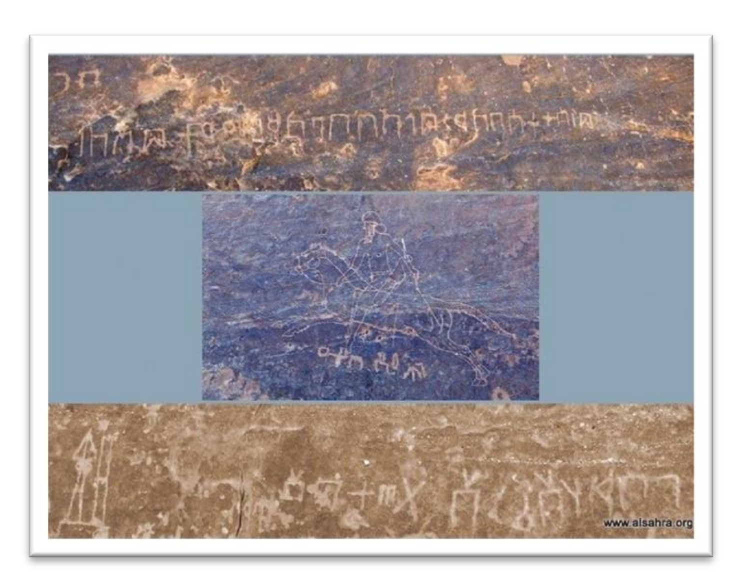
[73] - د. عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص212 .

لم تشير إلى اسم الملك أو موقعه[74] ، وفي نقش ثمودي مكتوب بالخط المسند عثر عليه في تيماء ذكر اسم نبوخذ نصر بصيغة (كدر) ويشتمه ، ويظهر بجانب النقش رسم جندي بابلي يمتطي فرسه وهو بكامل قيافته الحربية (الشكل رقم 7) ، وربما أن هذا النقش كتب من إحدى الحملتين على العرب أعلاه وربما على الأغلب إنها من حملة العام السادس لحكم نبوخذ نصر الثاني ، غير أن النقش لم يكن واضح في شطره الثاني ، ولم يذكر تاريخ الحملة ، حيث جاء في النقش :

" م ن ا ت ت س ب ك د ر م ل ك ب ب ل ك ص (؟) ث ت م ا ك ن"

الترجمة :"منات تسب كدر ملك بابل (المقطع الثاني لم يقرأ بشكل جيد لعدم وضوح بعض الأحرف)) . ومن الواضح أن (كدر) هنا كان مقصود به (نبوخذ نصر الثاني أو كما عرف اسمه بصيغته الاكدية البابلية (نبو كودوروي اوصر" ، وهذا ما يرجعنا إلى موضوع (الاخيضر والاكيدر) ، حيث أن اسم كودوري قريب من اسم استخدمه العراقيين إلى وقت قريب وخاصة اليهود العراقيين منهم وهو اسم (خضوري) ، ولذلك نلاحظ اسم (اكيدر) والذي بالأصل هو (قيدار أو كيدار) عرف باسم (اخيضر). أما عن كتابة النقش والرسم ، فإنه من المرجح الشخص العربي الذي كتب نقش سب ولعن ملك بابل وجرده من لقبيه الديني (نابو) والدنيوي (اوسرو) وأبقى على اسمه (كدر) كنوع من التحقير، فهو لا يعترف لا برتبته الدينية ولا برتبه المدنية بوصفه ملكاً سيداً. ويبدو أن أحد جنوده قد رسمه على صخرة قرب تيماء بلباس الحرب تخليدا لهذه الحملة ، وأتى عربي ثمودي وكتب سطر اللعن هذا لأن البابليين نهبوا كل شيْ بما في ذلك تمثال الإلهة.

[74] د.جواد علي ، نفس المصدر ، ص610 .



الشكل رقم (7)

ولا شك في أن نبوخذ نصر استطاع أن يفرض نفوذه على العرب المتواجدين في طريقه ، خاصة إن تلك المناطق كانت موطن العرب الحقيقي ، إضافة إلى ذلك نجد أن بعض الباحثين أشاروا إلى أن نبوخذ نصر الثاني قام بحملات وصلت إلى (ادوماتو) حيث قبائل القيداريين العربية الساكنين هناك ، بجوار قبائل (حاصور) ، التي أشارت لهم التوراة في سفر ارميا ، وكما جاء في النص :"عن قيدار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذ نصر ملك بابل هكذا قال الرب قوموا اصعدوا إلى قيدار أخربوا بني المشرق .يأخذون خيامهم و غنمهم و يأخذون لأنفسهم شققهم و كل آنيتهم و جمالهم و ينادوا إليهم الخوف من كل جانب. اهربوا انهزموا جدا تعمقوا في السكن يا سكان (حاصور) يقول الرب لان نبوخذ نصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة و فكر عليكم فكرا . و تكون حاصور مسكن بنات أوى و خربة إلى الأبد لا يسكن هناك إنسان و لا يتغرب فيها ابن ادم "[75]. حيث أشار الدكتور جواد علي في كتابه المفصل إلى حاصور وتكلم عنها بشيء من التفصيل ، فذكر أن أهل الأخبار أوردوا قصصاً عن (حضورا) (حاصور) ، فذكروا أن (حضورا) كانوا يقيمون بالرس وكانوا يعبدون الأوثان وبعث إليهم منهم نبي اسمه (شعيب بن ذي مهرع) فكذبوه وهلكوا ، غير انه أشار إلى أن هناك عدة مواضع يقال لها (الرس) منها موضع باليمامة وموضع كان فيه ديار

[75] - سفر ارميا ، الاصحاح 28 ، الاية 33 وما بعدها .

نفر من ثمود ، وورد في القرآن الكريم (أصحاب الرس) في عدة مواضع ، مع عاد وثمود ، وكما جاءت :

" وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا " [76] .

" كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ " [77] .

وذهب المفسرون إلى أنهم كانوا جماعة (حنظلة) وهو نبي ، فكفروا به ورموه في البئر، إلى غير ذلك من الأقوال [78] ، ويظهر من القران الكريم أن (أصحاب الرس) كانوا مثل جماعة عاد وثمود في الطبقة ، أي في زمانهم ، وأنهم هلكوا أيضاً ، وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن نبي (أصحاب الرس) هو (خالد بن سنان)[79] ، وقد ذكروا أن الرسول ذكره ، وقال انه نبي أضاعه قومه ، وللتذكير يعتقد الإيرانيين اليوم انه على قمة احد الجبال في بلدهم يوجد ضريح لهذا النبي (خالد بن سنان) .حيث روى أهل الأخبار أن نبوخذ نصر غزا أهل حضور (حضوراء) ، وأعمل فيهم السيف وأجلى خلقاً منهم إلى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله إليهم ، وهو (شعيب بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدم بن حضور) ، ولم يصدقوه، وكانوا أصحاب بطش وشدة وغلظة ، فلما قتلوه ، أوحى الله إلى نبي في عصره هو (برخيا بن اخبيا بن رزنائيل ابن شالتان) ، وكما ذكرنا سابقاً في قصة تأسيس الحيرة في عهد (نبوخذ نصر الثاني) حسب روايات الإخباريين[80] .ثم سار في بلاد العرب فالتقى بعدنان بذات عرق ، فهزم (نبوخذ نصر) عدنان ، وسار إلى (حضور) ، فانهزم الناس وفروا فرقتين ، فرقة أخذت إلى (ريسوب) وعليهم (عك) ، وفرقة قصدت وبار ، أما الذين بقوا في (حضور) ، وحاربوا نبوخذ نصر فقد حصدتهم السيوف ، ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا ، فألقاهم بالأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط[81] .ونرى أن الإخباريين العرب اخذوا قصة غزوا نبوخذ نصر الثاني لـ(حاصور) (حضور) ، ونسبوه إلى موضع في اليمن ، غير أن هذا الموضع

---

[76] - سورة الفرقان ، الاية 38 .

[77] - سورة ق ، الاية 12 .

[78] - د.جواد علي ، نفس المصدر ، ص347 .

[79] - جواد علي نفس المصدر ، ص348 .

[80] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص 349 .

[81] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص 349 .

بعيد عن (بابل) ، ولا يعقل أن نبوخذ نصر وصل إليه ، إضافة إلى أن النص التوراتي كان يضع (حاصور) في موضع في بلاد العرب بجانب القيداريين . ولهذا برأيي يجب أن تكون بموضع في العراق وبقرب منطقة (الدومة) (دوماتو) حصن العرب التي عرف بها (حزائيل) ملك قيدار ، ولحل ذلك من كلمة (حاصور) نفسها ، فكلمة (حاصور) (Hasor) (Hazor) ، تعني ما تعنيه لفظة (حيرتا) (Herta) في الآرامية ، و(الحيرة) في العربية ، من معنى (محاط) أي (محصور) (محاصر) ، بمعنى (حصن) أو (الأمكنة المحاطة المحصورة) ، فهي بمعنى (حيرتا) عند آرام و(Paremboles) عند اليونان ، وكانوا يرعون الماشية و من ماعز وأغنام وجمال في مناطقهم التي اعتادوا الإقامة بها ، ومشايخهم يقيمون في أسياف البادية في مخيمات ومضارب مع أتباعهم ، ويظهر أنهم تعرضوا لجيوش نبوخذ نصر ، وجرد عليهم حملة ، وكان من عادتهم الالتجاء إلى المغارات والكهوف حين مهاجمة عدو لهم حيث يذهبون إلى مناطق بعيدة يصعب على الجيوش مطاردتهم ، فيتخذون منها مواطن آمنة و يعيشون فيها ما دام الخطر[82] .

ولهذا أصبح من الواضح أن أصحاب الرس وسكان حاصور أو حضور هي (الحيرة) والتي تقع بجانب (ادوماتو) (الدومة) كما ذكرنا سابقاً والتي يسكنها القيدرايين ، وربما منها جاء وصف العرب لأنفسهم بأهل الوبر والمدر (الحضر) ، فأهل الوبر هم سكان البادية ، أما سكان المدن (الحضر) فهم العرب المستقرون والذين لديهم تنظيمات سياسية وإدارية ، وكلمة (الحضر) جاء من (الحاضرة) ، (الحضورا) ، غير أن بعض المصادر التاريخية أشارت أيضا إلى أن مدينة الحيرة ذكرت في التلمود بصيغة (حوطرا) (حواطره) ، وان بانيها هو (بر عدي) (بن عدي)[83] .

وبعد (نبوخذ نصر) ملك بابل مر عدة ملوك عليها ، حتى وصل نبونئيد إلى الحكم ، فكان هذا الملك مثيراً للجدل حول تدينه وتقديسه للإله القمر البابلي (سين) ، وهذا الملك البابلي لم يختلف عن العادة السائدة عند ملوك العراق القديم بمحاولتهم إخضاع بلاد العرب ، وان أول تلك الإشارات الذي تحدثت عن التصادم البابلي العربي بعهده ، هو ما تضمنته حولياته والتي تعرف لدى الباحثين بمسمى (تذكار نبونئيد) أو (حوليات نبونئيد) ، والمتضمنة

[82] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص352 .

[83] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص156 .

سنوات حكمه منذ توليه العرش ، وحتى سقوط بابل مع الاعتبار أن النص لم يكن كاملاً ، فقد أصابه التلف ، وبالتحديد النصوص التي تشير إلى سنين حكمه ، ومن تلك الحوليات نجد نص يتحدث به عن مدينة (ادومو) ، جاء فيه :"... في العام الثالث وفي شهر كسيليمو ... فإن الملك حشد جيشه ... نابو – ين (؟) دانشيش ... لأمور الغرب ضد مدينة ادومو ... نصبوا معسكرهم ... والفصائل المتعددة .. ومدينة شيندبلي ، هو قتله ..."[84] . فعلى الرغم من النقص الشديد للنص وصعوبة قراءته بشكل جيد ، إلا أننا نلاحظ هناك ذكر اخر لـ(ادوماتو) التي ذكرت بالنصوص السابقة ، فهذا ما يعني أن (نبوئيد) كان يتحرك بجيشه إلى الغرب من بابل وليس إلى الجنوب كما هو شائع ، لأن (دومة الجندل) تقع إلى الجنوب من بابل مع الانحراف قليلاً إلى الغرب ، بينما دومة الحيرة تقع إلى الغرب منها بشكل مباشر ، وربما أن نبونئيد اتجه إلى الحيرة أيضا ، وفي نص اخر من العام السابع لحكمه يتحدث به (نبونئيد) عن وصوله إلى (تيماء) واستقراره فيها ، وجاء فيه: "... في العام السابع ، الملك نبونئيد استقر في تيماء الإمارة التاجية ، وموظفيه وجيشه كانوا في أكاد ، ولم يذهب الملك إلى بابل لحفلات شهر نيسانو (عيد الاكيتو) ... والاحتفال بالعام الجديد الغي ..." [85]. وهذا النص يشير بشكل مباشر إلى الاختلافات الدينية والسياسية التي حدثت في بابل بعد حكم نبونئيد ، وخاصة انه من غير الطبيعي أن يتم إلغاء احتفالات رأس السنة في بابل ، وابتعاد الملك عنها في منطقة بعيدة جداً ، وفي نص تاريخي اخر منسوب لـ(نبونئيد) عرف بقصيدة (محاسبة نبونئيد) أو (السيرة الشعرية لنبونئيد) ، والتي هي عبارة عن تدوين تاريخي لسيرته ، في شكل شعر قديم ، دونت بعد وفاته ، كتبت على يد الكتبة والمؤلفين البابليين ، وقد تضمنت القصيدة تأكيد على وصوله إلى تيماء ، مع شرح تفصيلي لرحلته نحوها ، منذ خروجه من بابل وموقعه تجاه سكان تيماء ، وحتى استقراره فيها ، وجاء في النص : "... عندما كانت السنة الثالثة بدء وقد أمن المعسكر إلى ابنه الأكبر وحاشيته ، حيث كانت في الوطن تؤم تحت قيادته وهو أعطى كل شيء يذهب وأتمن المملكة له ، وبنفسه بدء لرحلة طويلة والقوى الحربية الاكدية مشت معه ، وهو تحول نحو تيماء في الغرب ، وبدأ على طرق (يقود) إلى

---

[84] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص228.

[85] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص229 .

المنطقة ، وعندما وصل إلى هناك هو قتل في المعركة أمير تيماء وذبح حاشته ، سكان المدينة، وكذلك سكان الأقاليم المجاورة ، هو نفسه جعل إقامته في تيماء ، وجيش أكاد ، استقروا هناك ..." [86].

في هذا النص أيضا نلاحظ أن النصين البابليين الذين تحدثا عن حملته في السنة الثالثة لحكم نبونئيد وبنص صريح يذكران أن الحملة كانت إلى الغرب من بابل ، وليست إلى الجنوب منها ، وعلى ما يبدو إن نبونئيد سيطر على (ادوماتو) في الغرب ، ثم اتجه إلى تيماء وسيطر عليها ، أما في (نص حران) المنسوب له أيضا ، نلاحظ ذكر مناطق أخرى مع شيء من التفصيل عن عبادته للإله سين ، وتوسعاته ، وسبب خروجه من بابل بسبب رؤياه التي ظهر بها معبوده (سين) ، والذي طلب منه فيها أن يعيد بناء معبده في حران ، واختلافاته مع مواطني بابل ، وجاء في النص:"... وفي منتصف الليل فإن (سين) جعلني احلم وقال في الحلم كما يأتي اعد بناء (ايخولخول) بسرعة معبد (سين) في حران ، وان ابسط يدك فوق كل البلدان ، وكل مواطني بابل وبورسيبا ونيبور واور والوركاء ولارسا المسؤولين والمواطنين في المراكز المتحضرة لبابل ، يعملون شروراً دون اهتمام وحتى الخطايا ضد قوى الآلهة الكبرى ، وإنهم لا يملكون الآن الخبرة المهابة لسخط الكاهن سريسنت ملك كل الآلهة ولا ينتظرون (هم) الطقوس الدينية وانه لا يوجد كثير من الكافرين والخائنين للعهد وهم ابتلعوا بعضهم البعض مثل الكلاب بسبب المرض والجوع الذي ظهر بينهم وهو (سين) اهلك مواطني الأقاليم، ولكن جعلني اترك مدينتي بابل على الطريق إلى تيماء ودادان وباداكو (فدك) وخبرا (خيبر) وياديعو (يديع) وحتى مدينة يثربو (يثرب) ، ولمدة عشر سنوات أنا تحركت حول هذه المدن ، ولم ادخل مدينتي وهل بابل ..." [87]. فعلى الرغم من أن النص يذكر مدن مهمة في جغرافية بلاد العرب والإسلام ، إلا انه لم يذكرها بالتسلسل نسبة إلى بابل من ناحية البعد والقرب ، فهو يبدأ بالبداية بذكر مركز استقرار نبونئيد وجيشه في تيماء ، ثم يبدأ بتعداد المدن الأخرى ، حيث نلاحظ أن (يثرب) و(خيبر) و(فدك) ، تعتبر من المدن الإسلامية المهمة ، وخاصة يثرب التي وصفت حسب الرواية الإسلامية بأنها مركز النبي محمد بعد هجرته من

---

[86] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص232 .

[87] - عبد المعطي بن محمد ، نفس المصدر ، ص239 .

مكة ، فإذا كان موضع مكة عليه إشكال ، فهذا يحيلنا إلى الافتراض أيضا أن موقع يثرب عليه إشكال أيضا من ناحية الرواية الإسلامية ، ووصفها لموقع يثرب ، ولا نستطيع القول أن هذه يثرب هي التي تقصدها الرواية الإسلامية ، ففي رواية تعود لحوالي عام 660م لمؤرخ سرياني مجهول من (خوزستان) في إيران الغربية ، يتحدث فيها عن تغيير العرب لاسم اسم يثرب إلى (المدينة المنورة) ، يقول :"...في حين سميت (المدينة) تيمناً بـ(مديان) الابن الرابع من (قطورة) (زوجة إبراهيم) ، وتسمى أيضا (يثرب) ، و(الدومة) (تعود لهم) ، وأراضي الهاجرين الغنية بالماء وأشجار النخيل والمباني المحصنة ، أراضي (حتا) التي تقع على البحر في محيط جزر (قطر) ، غنية بنفس الطريقة ، بل أيضا تحتوي على نباتات مختلفة ، منطقة (مازون) (سلطنة عُمان) تشبه ذلك أيضا ، كما انه تقع على البحر ، تشمل مساحة تزيد على مئة فرسخ ، كذلك (تعود إلى العرب) ، أيضا أراضي (اليمامة) في وسط الصحراء وأراضي (توف) (أراضي ألطف في كربلاء) ، مدينة (الحيرة) التي كانت مقر الملك (موندار) (المنذر) ولقبه المحارب الذي كان سادس الملوك الاسماعيليين" [88] .

على الرغم من أن هذه الرواية مهمة لأنها تعتبر قريبه على تاريخ نشوء الإسلام ، إلا إنها لا ترجح أن تكون يثرب هي المدينة المنورة ، ولا يمكن أن تكون مدين الحالية هي يثرب الحقيقية ، لأنه من الواضح أن مديان الحالية هي المقصودة أيضا ، لأن الرواية تتحدث عن تغيير اسم مدينة ما ، أي أن الاسم حديث اتخذه العرب لـ(يثرب) ، غير أن اسم مديان الحالية هو اسم قديم ورد في التوراة .

كذلك نجد أن النص يتحدث عن مناطق شرق وشمال شرق ما تسمى اليوم بجزيرة العرب ، ولذلك ليس من الغرابة أن نجد هذا النص يلمح إلى أن يثرب هي قريبة من الدومة وإنها تقع ضمن أراضي الهاجرين (العرب) ، الغنية بالنخيل ، لأن هذه الصفة لا يمكن ان تنطبق على دومة الجندل بل على دومة الحيرة بشكل واقعي ، فيذكر النص منطقة (حتا) أو (حتي) والي يقصد بها سواحل الخليج الشرقية وربما التي تمتد من (قطر) إلى (الإمارات) ، لأنه لليوم توجد منطقة في (الإمارات) تدعى (حتا) ، ويتجه النص أيضا إلى ذكر (مازون) (مازونا) والتي تعرف اليوم بـ(سلطنة عُمان) ، ثم اليمامة ، و(أراضي توف) ، والحيرة ، أي انه

---

[88] - . *Chron. Khuzistan*, 38-39 [pp. 187-188])

سار بروايته من الجنوب إلى الشمال ، ولذلك لا يمكن ان نقول ان (أراضي توف) كان يقصد بها (الطائف) ، بل انه يقصد بـ(أراضي توف) هي (ألطف) بين مدينتي (كربلاء والكوفة) ، حيث أشار روبرت هيلند إلى ذلك وقال ان (التوف) أو (الطوف) (ألطف) هي منطقة توجد غرب (الحيرة)[89] ، ويذكر ياقوت الحموي عن (ألطف) : " بأنها ارض من ضاحية (الكوفة) في طريق البرية ، وفيها كان مقتل الحسين بن علي ، وهي ارض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية ، منها : الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها ، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم ، وذلك لأن سابور اقطعهم أرضها يعتملونها من غير ان يلزمهم خراجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه (ص) غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم ، ..." [90]. وحسب ذلك فإن يثرب يجب ان تكون بالعراق أيضا ، وعلى الأغلب هي المنطقة الواقعة بين بلدة عين التمر بالقرب من كربلاء و(الكوفة) بالقرب من (الحيرة) و(الدومة) ، حيث لو نلاحظ مرة أخرى رواية مؤرخ خوزستان فإنه يربط (الدومة) بـ(يثرب) ، وهذا لا يمكن تصوره على موقع دومة الجندل وموقع المدينة المنورة الحالية ، ولنأخذ مثال لتوضيح موقع يثرب أو المدينة وهذا المثال هو السيرة الشخصية لكاتب سيرة (النبي محمد) وكاتبها (ابن إسحاق) ، فتذكر روايات الإخباريين عنه : هو (محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار بن خيار بن كوثان المطلبي) المعروف بـ((ابن إسحاق)[91] ، يقال أن جده من سبي بلدة عين التمر ، بعث بهم خالد بن الوليد إلى أبو بكر الصديق بـ(المدينة)[92] ، إضافة إلى ذلك أشارت بعض روايات الإخباريين العرب إلى أن (خالد بن الوليد) وجد جده في كنيسة في بلدة عين التمر من ضمن البعض من العرب الذين كانوا رهناً في يد كسرى وهم متفرقون بالشام والعراق[93] ، وهذا السبب جعل الباحثين يعتقدون أن جد ابن إسحاق كان نصرانياً ، بعد أن كانوا يتعلمون الإنجيل في دير بـ(عين التمر) ، وكان (يسار) هو أول من دخل المدينة من

---

[89] - Robert G. Hoyland . Arabia And The Arabs. P324 .

[90] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، ملجد 4 ، ص36 .

[91] - محمد بن اسحاق ، سيرة ابن اسحاق ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والابحاث للتعريب ، ص27 .

[92] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق د.علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ج7 ، ص427 .

[93] - محمد بن اسحاق ، سيرة ابن اسحاق ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والابحاث للتعريب ، ص29 .

العراق ، وبعد دخوله واستقراره بها هو ومن أسر معه ، دخلوا الإسلام ، وأصبحوا فيما بعد أحرارا ، وفي المدينة أصبح يسار مولى لـ(قيس بن محزمة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي) ، وعن ميلاد ابن إسحاق فإنه ولد في المدينة عام (85هـ / 705م) ، ونشأ فيها ، فسمي (القرشي المطلبي) بالولاء ، (المدني) بالمقام ، (التابعي) ، وفي المدينة أدرك بعض الصحابة ، ثم انتقل إلى مصر ، والتقى فيها بكبار الشخصيات ، ثم عاد للمدينة ثم رحل إلى الكوفة ، ثم إلى الجزيرة ، ثم إلى العراق ، فكتب سيرته بـ(الحيرة) بتأييد من (أبو جعفر المنصور)[94] . فمن خلال ما ذكر وبالاستناد إلى عدم صحة الموقع الحالي المعروف (للمدينة المنورة) ، فهذا يعني أن يسار جد ابن إسحاق ، وابن إسحاق نفسه كانوا يتنقلون في جغرافية مناطق مابين مدينة (الكوفة) وبلدة (عين التمر) ، ما عدا خروج ابن إسحاق إلى مصر والجزيرة ، وإلا ماذا يفعل جده في المدينة البعيدة عن موطنه العراق !!

المصادر الإسلامية تذكر أن يثرب قبل الإسلام وقبل ظهور الدعوة المحمدية كانت مدينة يهودية ، وتسكنها القبائل العربية المتهودة ، غير أننا لا نملك أي دليل على أي تواجد يهودي في يثرب ، ولا نملك حتى رواية تذكر اليهود هناك ، حتى إن بعض المصادر أشارت إلى أنه من الممكن كان تواجد يهودي في تلك المناطق ، وربما إن الملك البابلي نبونئيد هو من قام بنقل اليهود المسبيين من بابل إلى يثرب ، غير أن هذا غير ممكن لأنه لم هناك تواجد يهودي في بابل في تلك الفترة ، فلم يكن هناك سبي بابلي بالأصل ، لأن النص البابلي يتحدث عن حملة على (يهودا) من ضمن حملة قام بها نبوخذ نصر الثاني على (بلاد حاتي) (سوريا) فشملت مدينة (يهودا) بتلك الحملة ، وحتى إن النص البابلي يتحدث عن أسر للملك فقط ولم يتحدث عن أسر لشريحة كبيرة من الشعب . ولهذا نجد فرضية انتقال اليهود من بابل إلى يثرب غير منطقية وليست حقيقية ، بسبب عدم صحة السند حول ذلك ، فالرواية الإسلامية تشير إلى تواجد يهودي في يثرب متمثل بقبائل وهي (بنو قريظة وبنو نظير ، وبنو قينقاع) وغيرها من القبائل ، وبعد الإسلام وهجرة المسلمين من مكة إلى يثرب ، قام المسلمين بالهجوم على تلك القبائل وقتلهم لرجالهم وسبي نسائهم ، ومثلما نعرف انه من طبائع

---

[94] - رياض هاشم ، نضال مؤيد ، منهجية ابن اسحاق في تدوين السيرة النبوية ، مجلة كلية العلوم الاسلامية ، جامعة الموصل ، العدد الثاني عشر ، 2012 .

وتقاليد اليهود اليوم أنهم دائماً ما يحاولون إظهار مظلوميتهم بشكل مبالغ به أو غير مبالغ به ، حتى لو كان الأمر جاء من قصة أسطورية لم تحدث ، غير أننا بنفس الوقت لا نجدهم يطالبون بكشف تلك المظلومية التي حلت عليهم بـ(يثرب) ! وعلى الرغم من أن التدوين اليهودي في تلك المرحلة وقبلها كان جيد نوعاً ما ، إلا أننا لا نجد أي رواية يهودية أو حتى سريانية تذكر أن المسلمين في يثرب قاموا بإبادة اليهود ، بل على العكس إن مصادر تلك الفترة أشارت إلى العلاقة الطيبة بين أصحاب الدين الجديد واليهود وتحالفهم مع بعضهم ضد الاضطهاد البيزنطي لهم ، فيذكر مصدر ارميني أن حاكم القدس بعد دخول العرب إليها كان يهودي[95] ، حتى إن بعض المصادر أشارت إلى أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور المخلص لهم من الاسماعيليين . ففي نص منسوب لأعظم الحاخامين اليهود وهو (الحاخام شمعون بن يوحاي) الذي عاش في القرن الثاني الميلادي والذي يعرف بـ(اسرار الحاخام شمعون بن يوحاي) ، والذي دون في الفترة المنسوبة للخلفاء الراشدين والعصر الأموي ، جاء في النص : "...لقد صام أربعين يوماً وليلة وصلى لله ، هكذا كان يقول في صلاته : مبارك أنت ، يا الله ، يا إلهنا واله أبائنا ، اله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، الإله العظيم ، القوي والمخيف ، سيد السماء والأرض الرحيم ، الحي والباقي إلى أيد الآبدين والى الأزل ، أنت ممجد ، محمود ، معبود ، معظم ، وأوحد ، أنت ملك الملوك ورب الأرباب ، الأحد ، الذي اسمه فيك ، والذي هو في اسمك ، أنت مخفي عن عيون كل الأحياء واسمك مخفي ، أنت أعجوبة واسمك أعجوبة ، أنت واحد واسمك واحد ، أنت الذي اخترت إبراهيم وأخرجته من أور الكلدانيين ، وجعلته يعرف الم العبودية للمالك التي كانت ستستعبد أولاده ، وأنا أسألك الآن أيها الرب الإله ، أنت تفتح لي بوابات الصلاة وترسل لم الملك كي يخبرني ، متى سيأتي المسيا ، ابن داود، وكيف سيجمع المشتتين من إسرائيل من كل المواضع التي تبعثروا فيها ، وكم حرب سيخوضون بعد هذا التجمع ؟ - بحيث يوضح لي الأمر ، بنعمة الرب الإله ، والى متى نهاية الغرائب؟ قال حاخام شمعون : وللحال فتحت لي بوابات السماء ورأيت رؤى لله ، فوقعت على وجهي ، وقال لي صوت : شمعون ، شمعون ، شمعون! ، ثم أجبت ذلك الذي كلمني وقلت : ماذا تقول يارب؟ قال لي : انهض ، وحين كلمني وقفت مرتعشاً ، وسألته : ما اسمك ، قال : لماذا

---

[95] - باتريشيا كرونة ، مايكل كوك ، الهاجريون ، ترجمة نبيل فياض ، ط1 ، 1999 ، ص14.

تسأل عن اسمي ، وأنت ترى انه سر ، سألته : متى سيأتي مخلص إسرائيل ، قال : نظر الله إلى بني إسرائيل ، والله اعرفهم . وللحال جعل القينيين يمرون أمامي ، فسألته : ما هذه الأشياء ، أجاب : هؤلاء هم القينيون ، قم أراني مملكة إسماعيل ، التي كانت ستأتي بعد القينيين ، وللحال بكيت بحرقة ، وقلت له : رب! هل سيكون لديه آنئذ قرون وحوافر يدوس بها إسرائيل ، أجاب نعم . وحيت كنت ما أزال أتحدث إليه ، لمسني ملك اخر ، والذي اسمه كان ميتاترون وأيقظني كرجل يوقظ من نومه ، وحين رأيته وقفت مرتعشاً ، عادت إلي أحزاني وفقدت كل قوتي واستولى علي خفقان مثل خفقان امرأة في حالة الوضع ، قال لي : شمعون ، فأجبته : ها أنا ، قال لي : اعرف أن الواحد القدوس ، المبارك ، أرسلني إليك لأخبرك بشأن السؤال الذي وضعته أمامه ، والآن قد رأيت القينيين ومملكة إسماعيل بكيت، وأنت لم تكن لتبكي إلا بسبب مملكة إسماعيل فقط ، لأنه عند نهاية تلك المملكة سوف يقومون بمذبحة عظيمة في إسرائيل ، تفوق كل حساب ، ويصدرون قرارات قاسية ، تقول : كل من يقرأ الشريعة سوف يقتل بالسيف ، وسوف يحولون بعضاً من إسرائيل إلى دياناتهم، وسوف تأتي مملكة القينيين في ذلك الزمان إلى أورشليم وتذبح فيها أكثر من ثلاثين ألفا. وبسبب ظلمهم لإسرائيل ، سوف يرسل القدس المبارك ، الاسماعيليين ضدهم ، الذي يشنون حرباً عليهم كي يخلصوا إسرائيل من أيديهم ، ثم يظهر رجل مجنون تتملكه روح ويطلق أكاذيب حول القدوس ، ويغزو الأرض وهناك عداوة بينهم وبين ابناء عيسو. أجبت ميتاترون وقلت له : رب! هل إن ابناء إسماعيل اذاً هم خلاص إسرائيل؟ ، فقال لي : ألم يقل اشعياء النبي : فيرى ركباً ، ازواج فرسان ، ركاب حمير وركاب جمال؟ ، ركب هي مملكة ميديا وفارس ، ازواج هي مملكة اليونان ، فرسان هي مملكة ادوم ، ركاب حمر هو المسياء ، لأنه يقال : وضيعاً راكباً على حمار ، ركاب جمال هي مملكة إسماعيل ، الذين ستقوم في أيامهم مملكة المسيا ، لذلك فإن ركاب حمير) سبقت (ركاب جمال) وسوف يفرح (ركاب الجمال) حين يأتي المسيا : وسوف يموت الحكماء وسوف تتقوى أيدي ابناء بليال..." [96].

هذا النص يشير إلى مدى العلاقة الحميمة بين العرب واليهود ، والتي وصلت إلى درجة كتابة نصوص دينية من اليهود ، للتأكيد عليها ، وهذا ما يعني أن يهود تلك الفترة لم

---

[96] - نبيل فياض ، نصان يهوديان حول بدايات الاسلام ، لبنان ، 1998 .

يكونوا يعرفوا أي شيء عن قصة يهود (يثرب) التي عرفتها السردية الإسلامية في العصر العباسي ، في رواية (ابن إسحاق) و(ابن هشام) في القرن الثاني الهجري ، وعلى الرغم من ذلك فأننا ننكر أي خلاف بين العرب واليهود بعد دخول العرب إلى الشام ، وحسب ما ذكره سيبيوس في تاريخه حدثت مشكلة بين اليهود والعرب في فلسطين ، ولكن هذه الإشكالية حدثت بعد دخول العرب إلى الشام وليست قبلها ، فيذكر سيبيوس : "الآن سوف أتكلم عن مؤامرة اليهود المتمردين ، الذين وجدوا الدعم من الهاجرين لوقت قصير وخططوا لبناء معبد (هيكل) سليمان ، عند تحديد المكان الذي يسمى قدس الأقداس ، شيدوا المعبد مع قاعدة ، ليكون بمثابة مكان للصلاة ، إلا أن الاسماعيليين حسدوا (اليهود) وطردوهم من المكان ، وسموا نفس المبنى بمكانهم الخاص للصلاة (بني اليهود) بنو معبدهم للعبادة ، في أماكن أخرى... " [97]. وعلى الرغم من أن سياق رواية سيبيوس لا يلمح إلى وجود قتال وإبادة لليهود ، كذلك أننا نجهل السبب الحقيقي وراء وضع المسلمين هكذا قصة ، فما يمكن افتراضه هو أن المسلمين خلقوا تلك القصة من أجل إعطاء شرعية أكثر لموقع مكة والمدينة وكذلك لقصة الهجرة من مكة إلى المدينة .

أما لو رجعنا إلى العراق وبالتحديد المنطقة التي أشرنا إليها بكونها هي يثرب الحقيقية والتي حددنا موقعها بين الكوفة والحيرة وعين التمر ، سنجد ان تلك المناطق كانت تعرف بتواجد اليهود ، وعرفت أيضا بكثرة المدارس اليهودية التي أنتجت التلمود البابلي والمدراش ، ومن تلك المدارس (مدرسة نهر دعة ، مدرسة سورا ، ومدرسة فومديثة) ، حيث تضاربت الأنباء حول موقع مدينة نهر دعة ، التي تعتبر من مدن التلمود المهمة ، غير ان بعض الباحثين أشار إلى ان الأوصاف القديمة لنهر دعة كان يطلق على الصقع الذي يشمل منطقة واسعة في الفرات الأوسط فيه المدن والقرى والأراضي الزراعية التي تمتد على نهر الفرات الأوسط لمسافات طويلة ، غير ان دانفيل الجغرافي المشهور يعتبر أول من قال ان نهر دعة هي بلدة الحديثة الحالية على الفرات ، وورد في كتاب (جغرافية التلمود) لنيوباور في وصف نهر دعة ، قوله بأنها تقع على بعد اثنين وعشرين فرسخاً إلى الشمال من سورا ، ووصفها المؤرخ

[97] - سيبيوس ، تاريخ سيبيوس ، ترجمة ، روبرت بيدروشن ، نيويورك ، 1985 ، الفصل 31 .

اليهودي يوسيفيوس وقال إنها مدينة بابلية محاطة بأسوار منيعة وبنهر الفرات[98] ، أما بالنسبة لمدرسة سورا ، نشأت هذه المدرسة في مدينة سورا التي كانت تعتبر من مدن اليهود المهمة في العهد الفارسي وكذلك في العهد الإسلامي ، ويصف ياقوت الحموي موقعها بقوله إنها موضع في العراق من ارض بابل وهي مدينة السريانيين ، وهي قريبة من الوقت والحلة المزيدية[99] ، ويضيف إلى ذلك قوله انه كان في سورا جسر على نهر سورا يعبر عليه المسافرون إلى الكوفة ، وبالقرب منه كان قصر ابن هبيرة ، فلما ملك السفاح نزله واستتم تسقيف مقاصير فيه وزاد في بنائه وسماه بالهاشمية[100] ، وكانت تتميز سورا بكون أنها مقراً لرأس الجالوت[101] ، قبل ان ينتقل إلى بغداد ، أما المدرسة الثالثة ، هي مدينة فومبديثة ، التي كانت تعتبر إحدى كبريات المدن اليهودية التي ساهمت بإنتاج التلمود البابلي ، وحسب ما نقله الدكتور احمد سوسة عن ياقوت الحموي في وصفها هي والجبة بأنهما طسوجان من سواد الكوفة[102] ، غير ان بنيامين التطيلي يذكر ان فومبديثة هي الانبار في نهر دعة ويقيم فيها حوالي ألفي يهودي بينهم العلماء والفقهاء ، مع إشارتنا إلى اختلاف الآراء حول موقعها إلا ان الأغلبية منهم يتفق على ان موقعها بين الكوفة والانبار ، حتى ان بعض المصادر أشارت إلى ان مدينة فومبديثة تعرضت لهجوم من ملوك الحيرة (أل نصر) وكان الهجوم قد جاءها من عاقولا (الكوفة)[103] .

وعند التوقف عند هذه النقطة نلاحظ ان هناك مدينتين تقعان في العراق ، لم تذكر عليهما أي رواية فتح سواء كانت إسلامية أو من مصدر غير إسلامي ، وهي مدينتي (الكوفة والبصرة) ، فلا يوجد نص يذكر أي فتح حدث لهاتين المدينتين ، مع العلم ان مدينة الكوفة قبل الإسلام كانت تعرف باسم (عاقولا) بالمصادر السريانية أو (اكولا) بالمصادر الفارسية ، أما البصرة فكانت تتبع ميسان إداريا ، وتذكر الروايات الإسلامية ان سعد بن أبي

---

[98] - احمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ص187 .

[99] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، 278 .

[100] - احمد سوسة ، نفس المصدر ، ص188 .

[101] - رأس الجالوت : اسم حاكم اليهود بعد خراب بيت المقدس ، وهو بمثابة رئيس الطائفة اليهودية .

[102] - احمد سوسة ، نفس المصدر ، ص190.

[103] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص660.

وقاص أسس مدينة الكوفة عام 17 هجرية والمصادف عام 638م بأمر من عمر بن الخطاب في الجانب الغربي من نهر الفرات وعلى بضعة أميال من الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة ، وكان السبب في تأسيسها على حد زعم تلك الروايات هو جعلها قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق أو ان تدون دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن ، وتوافد إليها العرب والفرس والسريان واليهود ، ثم نمت وتحضرت وكثر فيها العمران ووصلت إلى أوج عظمتها في العصر الأموي ، ثم فجأة وبشكل غير متوقع في الروايات الإسلامية يقوم الخليفة الرابع (علي ابن أبي طالب) بنقل عاصمة الإسلام من المدينة المنورة إلى الكوفة ، وهنا نجد إشكالية في ذلك ، فكيف بخليفة جاء من بعد نبي الإسلام (محمد) ان يقوم بتغيير عاصمة دولة نبيه ، ومن أين له تلك القدرة والجرأة؟؟ ولماذا لم يعترض عليه احد؟؟ أو ان يحاول ان يغير من هذا الأمر؟؟

جواب ذلك سنعرفه لو قلنا ان علي هو نفسه محمد وهو نفسه (إياس بن قبيصة الطائي) حاكم الحيرة ، وان قصة الإسلام الحقيقية بدأت من تلك المدن ثم انتقلت إلى بلاد فارس وبلاد الترك والشام ، ثم إلى إفريقيا ، وهذا ما سنشرحه في الفصل القادم . حيث ان هذه الإشكالية تحيلنا إلى إشكالية أخرى وهي إشكالية موقع الجزيرة العربية الحقيقية ، فلو لاحظتم ما ذكرناه عن الجزيرة العربية سوف تلاحظون أننا دائماً ما نذكر عبارة (الجزيرة العربية الحالية) ، لأننا نرى في موقع الجزيرة العربية الحالية اشكالية ، وهو موقع غير صحيح وتصور خاطئ لها ، تم وضعه في الروايات العربية التي اعتمدت موقع مكة الحالية كمدينة نشأ عليها الإسلام ، ومن أجل إعطاء شرعية أكثر لموقع مكة ، قاموا بتصوير ان الجزيرة العربية هي الأراضي العربية التي تمتد من الجنوب في اليمن ، تقريبا إلى الشمال إلى الحدود مع العراق والشام ، إضافة إلى انه لا يوجد أي دليل على ان الجزيرة العربية الحالية هي جزيرة العرب ، فكل المصادر التاريخية كانت تشير إلى ان الجزيرة التي احتوت على ديار عربية هي (الجزيرة الفراتية). ففي رواية ياقوت الحموي عنها نجد بعض الصحة حول ما قاله ويسميها بجزيرة العرب ولا يعرف موضعها بالتحديد ، إلا انه ينقل رواية عن شخص اخر عنها فيرسم لها مساحة أوسع عن المساحة الحقيقية ، فيذكر: " اختلف في تحديدها ، وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد السائب مسنداً إلى ابن عباس ، قال : اقتسمت العرب جزرها على خمسة أقسام ، قال : وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة

الأنهار والبحار من جميع أقطارها وأطرافها ، فصاروا منها في مثل الجزائر من جزائرة البحر ، وذلك لأن الفرات أقبل من بلاد الروم فظهر بناحبة قنسرين ثم انحط على أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى وقع في البحر في ناحية البصرة والابلة ، وامتد إلى عبادان ، واخذ البحر في ذلك الموضع مغرباً مطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة إلى القطيف وهجر واسياف البحر وقطر وعمان والشحر ومال منه عنق إلى حضرموت واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن إلى بلاد فرسان وحكم والاشهريين وعك ومضى إلى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة ، ثم ساحل الطور وخليج ايلة وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها ، واقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلى بلاد السواد مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى وقع في بحر مصر والشام ..." [104].

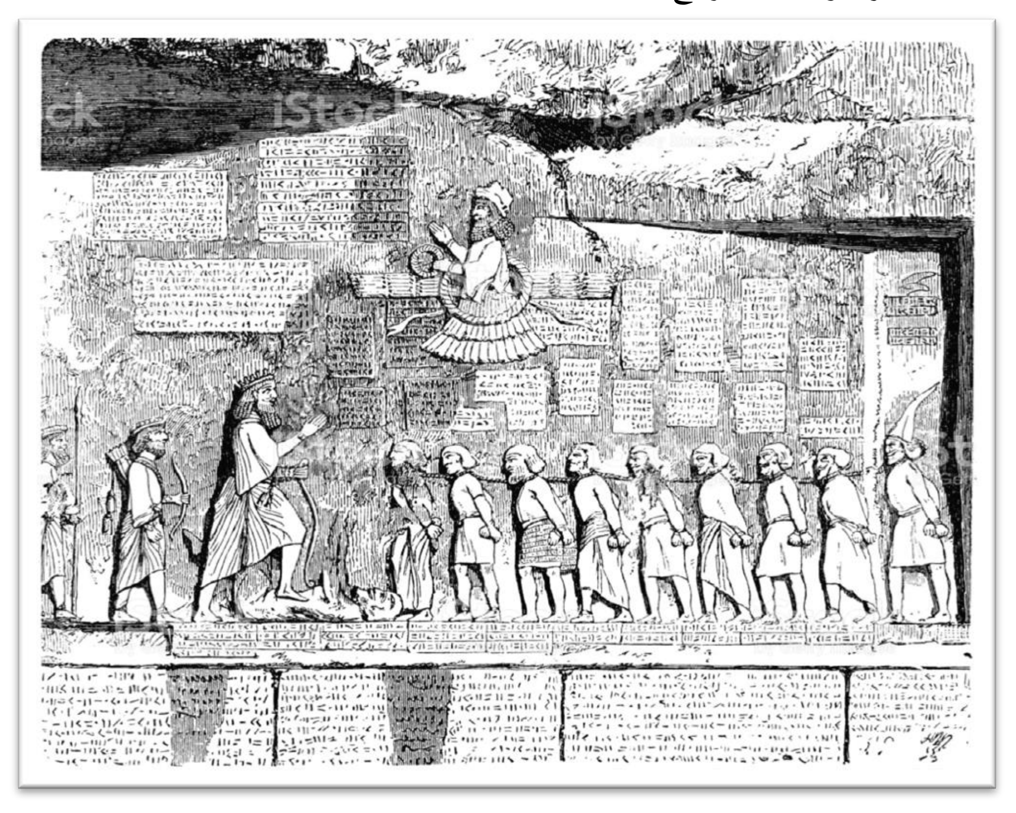
في هذه الرواية تتفق الرواية في بدايتها مع ما هو حقيقي عن الجزيرة الفراتية فقط ، وليس عن جزيرة العربية الحالية بشكل عام ، لأن النصوص القديمة لم تقصد أي شيء عن ما هو في أراضي وسط وجنوب الجزيرة العربية الحالية ، بل كانوا يقصدون بالجزيرة هي أراضي الجزيرة الفراتية . وبذلك ان ارتباط اسم العرب مع أراضي الجزيرة الفراتية لم يكن صدفة أو حديث أو قبل الإسلام بسنين عديدة ، بل هو يمتد إلى العصر الاخميني ، وربما إلى عصور أقدم من ذلك ، أي المقصود به عصر سقوط نينوى عام 612 قبل الميلاد ، حيث ان المصادر الفارسية الاخمينية القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد والتي دونت بالخط المسماري الاكدي تؤكد ان الجزيرة الفراتية هي بلاد العرب (عربايا) ، وجاء ذكر مصطلح عربايا أول مرة في (نقش بيستون) للملك داريوش (522 ق.م – 486ق.م) ، والمعروف بـ(دارا الأول) ، حيث يبدأ النص بتمجيد داريوش لنفسه ، ثم يتكلم داريوش عن عائلته ويذكرهم بالأسماء وعن ترتيبه بين الملوك من سلالته ، ثم يصل داريوش إلى كلامه عن الشرعية الدينية لحكمه ، ثم يذكر داريوش الأقاليم والمقاطعات التي تحت حكمه ، حيث نلاحظ ان هذه المقاطعات قد تم ذكرها حسب رقعتها الجغرافية وموقعها من بلاد الفرس وبالتسلسل ، (كما في الشكل رقم 8) ، حيث يقول : "أنا داريوش الملك العظيم ملك الملوك ، ملك بلاد

---

[104] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص138 .

فارس ، ملك البلدان ، ابن هيستاسبيس ، حفيد ارساميس الاخميني . يقول الملك داريوش : بنعمة الإله اهورامازدا أنا الملك ، وقد منحني الإله المملكة .

يقول الملك داريوش : هذه هي الدول التي تخضع لي ، وبفضل الإله اهورمازدا أصبحت ملكاً لهم ، بلاد فارس ، عيلام ، بابل ، آشور ، عربايا (بلاد العرب) ، مضرية (مصر) ، بلاد البحر ، ليديا ، اليونان ، ميديا ، ارمينيا ، كبادوكيا (تركيا) ، برثيا (أو فرثيا إقليم في شمال شرق إيران) ، دارانجيا (أفغانستان) ، اريا (شرق إيران) ، خوارزم (مقسمة أجزاؤها بين أوزبكستان ، كازاخستان ، تركمانستان) ، بكترا أو بلخ (أفغانستان) ، بلاد الصغد (شرق إيران) ، غاندارا (شمال غرب باكستان) ، ساكا أو سكودرا (شرق إيران) ، ساتاجيديا (باكستان) ، اراخوسيا أو الرخج (أفغانستان) ، ماكا ، ...." [105].



شكل رقم (8) ، نقش بيستون

[105] Rawlinson, H. C . The Persian Cuneiform Inscription at Behistun, Decyphered and Translated; With a Memoir on Persian Cuneiform Inscriptions in General, and on That of Behistun in Particular . P28.

كـذلك ورد ذكـر لـ(عربايا) في (نقـش دايفـا) ، والمنسـوب للملـك الاخميني الفارسـي احشـويروش (486 قبـل الميلاد – 462 قبـل الميلاد) ، والمكون مـن ثلاثـة ألـواح ، حيـث يبـدأ الـنص بتمجيـد الإلـه اهورامـازدا (الـه الزرادشـتية) ، ثـم يقـوم الملـك احشـويروش بتمجيـد نفسـه، ثم يقـوم بعـرض للبلـدان التي تقـع تحـت سـيطرته (الشـكل رقـم 9) ، وجـاء في الـنص: "الإلـه العظيم هـو اهورامـازدا ، الـذي خلـق هـذه الأرض ، الـذي خلـق السـماء ، الـذي خلـق الإنسـان ، الـذي خلـق السـعادة للإنسـان ، الـذي جعـل احشـويروش ملك...أنـا احشـويروش ، الملك العظيم ، ملك الملوك ، ملك البلدان التي تحتـوي على أنـواع كثيرة من الرجـال ، الملك في هـذه الأرض العظيمـة .. ، ابـن الملـك داريـوش .الملـك احشـويروش يقـول : بنعمـة الإلـه اهورامازدا هذه هي البلدان التي كنت لي السيادة عليها ، إنها تحمل لي الجزية ، ....ميديا (في إيـران) ، عـيلام (في إيـران) ، اراخوسـيا (الـرخج في أفغانسـتان) ، ارمينيـا ، درانجيانـا (في أفغانستان) ، بارثيا (في إيران) ، اريا (شرق إيران) ، باكترا (بلخ في أفغانستان) ، سـوغديا (بلاد الصـغد شـرق إيـران) ، تشوراسـميا (قـرب بحـر قـزوين) ، بابـل ، آشـور ، سـاتاجيديا (في باكستان) ، ليديا ، المضرية (مصر) ، يونا (يونان) ، أولئك الذين يسكنون على هذا الجانب من البحر ، وأولئك الذين يسكنون عبر البحر ، رجال ماكا ، عربايا (بلاد العرب) ، غاندارا (في باكسـتان) ، الهنـد ، كابادوكيـا (في تركيـا)، الـداهاي ، سـاكا (السـكيثيون) ، تراقيـون (شـمال شـرق اليونـان) ، رجـال اكاوفاسـيا (؟) ، الليبيـين (ليبيـا) ، كاريـا (فـي تركيـا) ، النوبـة (السـودان)..."[106].



الشكل رقم (9) نقش دايفا

[106] - Erich F.schmidt . The Treasury Of Persepolis And Other Discoveries In The Homeland Of The Achaemenians . P 14.

وكما اشرنا سابقاً فإن سنة 612 قبل الميلاد تعد هي السنة التي سقطت فيها نينوى وزوال الآشوريين هي منطلق لظهور العرب بشكل رئيسي في تلك المنطقة ، حتى صارت الأقاليم الشمالية الغربية من العراق تعرف باسم عربايا (وتعني بلاد العرب كما ذكرنا أعلاه بالنصوص الفارسية) ، حيث أقام العرب فيها مملكة مستقلة عرفت فيما بعد بمملكة عربايا (مملكة الحضر) ، حكمها العرب لمدة ثلاث قرون وكان حكامها عرب لأنهم أطلقوا على أنفسهم لقب (ملك العرب) ، ولذلك نستعرض بعض النصوص التي دونها العرب في مملكة الحضر (عربايا) على التماثيل والجدران وغيرها :" هذا تمثال المنتصر بحظه ، قريب الإله ، ابن عبد سميا الملك ، أقاموه له ..... ، يهبر مرين والكود ابنا شمشبرك بن الكود بن شمشبرك بن الكود وذريتهم ، وابناء يهبر مرين والكود والأقربون والأبعدون ، الذين في الخارج والذين في الداخل . بسم سيدنا النسر ، وبملكوته ، وبآلهة الحظوظ العائدة إلى العرب ، وبالإله سميا العائد إلى الرعاة البدو ، وبآلهة الحظوظ العائدة إلى الملك سنطروق (ملك الحضر) وذريته وابنائه كلهم إلى الأبد ، ليكن الدبرهن وانشمت ابنا عمهم بالتبني معن بن سنطروق الملك مذكورين بخير إلى الأبد في مدينة الحضر وإقليم عربايا " [107] .

"تمثال سنطروق ملك العرب الظافرين ابن نصرو سيدي ، ابن نشريهب " [108] .

" سنطروق ملك العرب بن نصرو سيدي " [109] .

أما في المصادر الرومانية فيذكر المؤرخ الروماني بليني في تاريخه الذي وضعه عام (78م) أسماء قبائل عربية كانت قد سكنت مملكة الحضر (مملكة عربايا) ، ومن أشهر تلك القبائل:

- قبيلة اورى والتي كانت أكثر القبائل انتشاراً في مملكة الحضر ، وسكنت هذه القبيلة أعالي الجزيرة الفراتية من الفرات إلى دجلة
- قبيلة الدمانوس وكانت تسكن شواطئ الفرات الأوسط
- قبيلتي (سلماتي – ماسي) وتسكن هذه القبائل على نهر بلوكتا (يظن انه الثرثار)
- قبيلة بني تيماء

---

[107] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، نص رقم 79 .

[108] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، نص رقم 195 .

[109] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، نص رقم 197 .

- قبائل أخرى مثل بني بلعقب وبني عصيليا وبني رفشمش وبني اقلة وأسماء بيوتات مثل بيت عقوبا وبيت رفشا[110] .

غير ان بعض أسماء هذه القبائل وردت في نقوش الحضر، مثل قبيلة بني تيماء وبنوا بلعقب ، حيث وجد نقش يذكرهما ، أثناء بنائهم للمعبد الثامن في الحضر سنة (2م) ، حيث كانت هذا المعبد مخصص لعبادة الإله (نرجول) الذي يرجع إلى أصول أشورية إلى الإله (نركال) ، وجاء في النقش :" في سنة 309 (بالتقويم السلوقي تعادل سنة 2 أو 3م) أقام بنو تيمو وبنو بلعقب من مالهم معبد لنرجول لحياتهم وحياة؟" [111] . كذلك عثر على نقوش أخرى تذكر بعض القبائل والبيوت من الحضر، مثل بني عصيليا وبيت رفشا وعقوبا ، ومن تلك النقوش : "ادعى اشلم وكنسيا ابنا بهيبو ويهيبو بن قدم – أخي؟ من بني عصيليا 54 أستر[112] . " بخير (اللهم) مذكور عجا بن رفشا" [113] .

أما بالنسبة لأسرة عقيبا ، فهي تعتبر أسرة عقيبا من أشهر الأسر في مملكة عربايا ، فقد ورد اسمها في العديد من النقوش الحضرية ، وورد بصيغة (بيت عقيبا) ، وكان لهذه الأسرة دور كبير في الدفاع عن الحضر، لأنها اشتركت في حروب المدينة ، وكانت رايتها ذات الأجراس النحاسية تعبد لأنها جلبت النصر للمدينة ، ويرجح ان الإله (سميا) صار إلها خاصاً ببيت عقيبا ، وجاء في النقش :"منحوتة مرن (سيدنا) والراية العائدة لبيت عقيبا " [114] .

في نقش اخر يذكر بني رفشمش ، حيث جاء : "أنا ... بن ابيجد بن) جدى بن ابيجد بن كبيرو من بني رفشمش ، ساعدت شمش الإله العظيم المجسن على تشييد بين الأفراح الواقع على مصطبة والذي هو جزء من المعبد الكبير الذي بناه لشمش أبيه ، لحياتي ولحياة كل من هو عزيز علي"[115] .

---

[110] - فؤاد سفر، محمد علي مصطفى ، الحضر مدينة الشمس ، ص22 .

[111] - فؤاد سفر، نفس المصدر السابق ، نص رقم 214 .

[112] - أستر: نقد روماني او انه قياس او وزن للفضة والذهب ، ويعتقد انه يساوي شيقلاص واحداً من الفضة .انظر النص في: فؤاد سفر، نفس المصدر السابق ، نص رقم 242 .

[113] - فؤاد سفر، نفس المصدر السابق ، نص رقم 321 .

[114] - فؤاد سفر، محمد علي مصطفى ، نفس المصدر، ص405 .

[115] - فؤاد سفر، محمد علي مصطفى ، نفس المصدر، ص 409 .

أما في وثائق مدينة (دورا-اوربوس) في الجزيرة قرب دير الزور في سوريا ، والمكتوبة على ورق البردي ، ذكر إقليم عربايا وعاصمته (كاستيلو ارابوم) " castel(lo) Ar(abum" (حصن العرب) ، والمقصود بها هي مدينة الحضر ، كما في البردية (P.Dura 100) التي يرجع تاريخها إلى عام (219م) ، والبردية (P.Dura 101) التي يرجع تاريخها إلى عام (222م) ، إضافة إلى ورود اسم من يقود هذا الحصن وهو (فاريوس برسمي) واسمه جاء بصيغة (Vareus (Ba]ṛ[si]ṃṣi .

أما فيما يخص ديانة مملكة عربايا ، فكانت الآلهة الحضرية ذات أصول بابلية وآشورية وإغريقية وغيرها من الثقافات ، إلا أنهم خصوا الشمس بالعبادة ، وذكرهم في كتاباتهم باسم (شمش أو شمشا) ، ويعتبرونه اكبر الآلهة ، وهو ذو أصول بابلية وآشورية ، وكذلك إذ دونت على المسكوكات التي ضربت في الحضر عبارة (الحضر مدينة شمش) ، وهذا ما يدل على ان هذا الإله كان هو الأبرز بين الآلهة الحضرية . وعلى أثر انتصار مملكة عربايا في الجزيرة على الجيش الروماني بقيادة الإمبراطور تراجان ، أو قبيل هذا الزمن شيد في مدينة الحضر بناء مكعب الشكل لا مثيل له في ابنية المدينة ، يرجح انه كعبة من كعبات العرب قبل الإسلام ، وخصصت هذه الكعبة لعبادة الإله الشمس ، لا سيما بصفته اله العلاج والشفاء ، وعرفت هذه الكعبة بـ(المعبد الكبير) . وهذا البناء عبارة عن غرفة مربعة محاطة بدهليز من جوانبها الأربعة ، وقد وجدت أشكال (للعيون والأذان البشرية) محفورة على جدان هذه الكعبة من الخارج ، وكان الغرض من ذلك هو إبعاد شر الحاسد وإيذاء النمام ، وما ينتج عنهما من أمراض وعاهات بحسب معتقداتهم ، وقد وجد نصب للنار عليه نقش يدل إلى ما ذهبنا إليه من صلة هذا البناء المكعب بالشفاء ، ومن المرجح أن بناء هذه الكعبة أو تشييد الأجزاء العليا منها يعزى إلى الملك سنطروق الذي دون اسمه في أكثر من مكان واحد في هذه الكعبة وعرف نفسه كملك للعرب . حيث كان هذا المعبد هو مركز النشاط الديني والاجتماعي في الجزيرة الفراتية ، يحج إليه الناس من مسافات بعيدة ويقدمون فيه نذورهم ويدفنون بجواره موتاهم ، وفي صحنه كانت تعقد الاجتماعات وتقام الولائم والاحتفالات والأعياد ، كذلك توجد في المعبد أماكن معينة لجمع التبرعات وتوزيع

الصدقات وأماكن أخرى لإطعام الزوار وإروائهم وتوفير سكن لهم ، كذلك كان هذا المعبد يحتوي فيه على مصليات لإلهة أخرى[116] .

ويظن ان الطواف حول هذه الكعبة كان ممكناً في حالات خاصة على سطحها من باب خارجية وكذلك في داخل دهاليزها من باب يفضي إليه من الإيوان الجنوبي الكبير ، ووجد في هذه الدهاليز أربعة تماثيل من الرخام كبيرة الحجم اثنان منها يعرفان لسنطروق الأول والثاني ، ويظن ان هذه التماثيل وضعت في هذه الكعبة لا تعظيماً لأصحابها أو تخليداً لهم وحسب ، بل لتعبد كآلهة ، أي ان أصحابها قد وصلوا إلى مصاف الآلهة تقدم إليهم النذور وتتلى إليهم الصلوات[117] .

أما أننا لو رجعنا إلى كلمة كعبة ودلالتها اللغوية ، فإنها لا تعطينا أي دلالة على الشكل الحالي للكعبة المكية ذات البناء الهندسي المربع أو المستطيل ، ولذلك ان اسم (الكعبة) لا يعطينا إشارة إلى أنها ذات البناء هندسي أشبه بالمربع أو المستطيل ، بل هو بناء ذو قبة ! حيث ان صوت (ع) يدغم في كلمة (الكعبة) فبدل كلمة (كعبة) تصبح (كبة أو قبة)، ففي اللغة الاكدية (بفرعيها الآشوري والبابلي) والتي لا تحتوي على صوت (ع) وردت كلمة (قبة) بصيغة (كبتو ، Kippatu) ، وان هذه الكلمة تطلق على الشيء المدور كالدائرة ، حيث أطلقت على الدائرة في الرياضيات البابلية[118] . ووردت كلمة (كبي) و(كبو) وجمعها (كوبيباتي) لإطلاقها على الأكلة المشهورة في العراق وبعض دول المشرق وهي (الكبة)[119] ، ومن الكبة نلاحظ الشكل الدائري لها والذي يشبه القبة ، أما في القرآن بالتحديد في سورة النبأ ، يصف القرآن شكل حور العين ، ويذكر: "وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا " [120]. والكواعب هي جمع كاعب يقال كعبت المرأة كعوبا ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب أي نساء متقاربات في السن برز ثديهن ، ومن ذلك نلاحظ ان الكعب في القرآن هو الشيء المدور ، ولذلك فإن شكل الكعبة المكية الحالية لا ينطبق عليه أي صفة من صفت الشكل المكعب ، غير انه وجد في مملكة

[116] - فؤاد سفر ، محمد علي مصطفى ، نفس المصدر ، ص 41 .

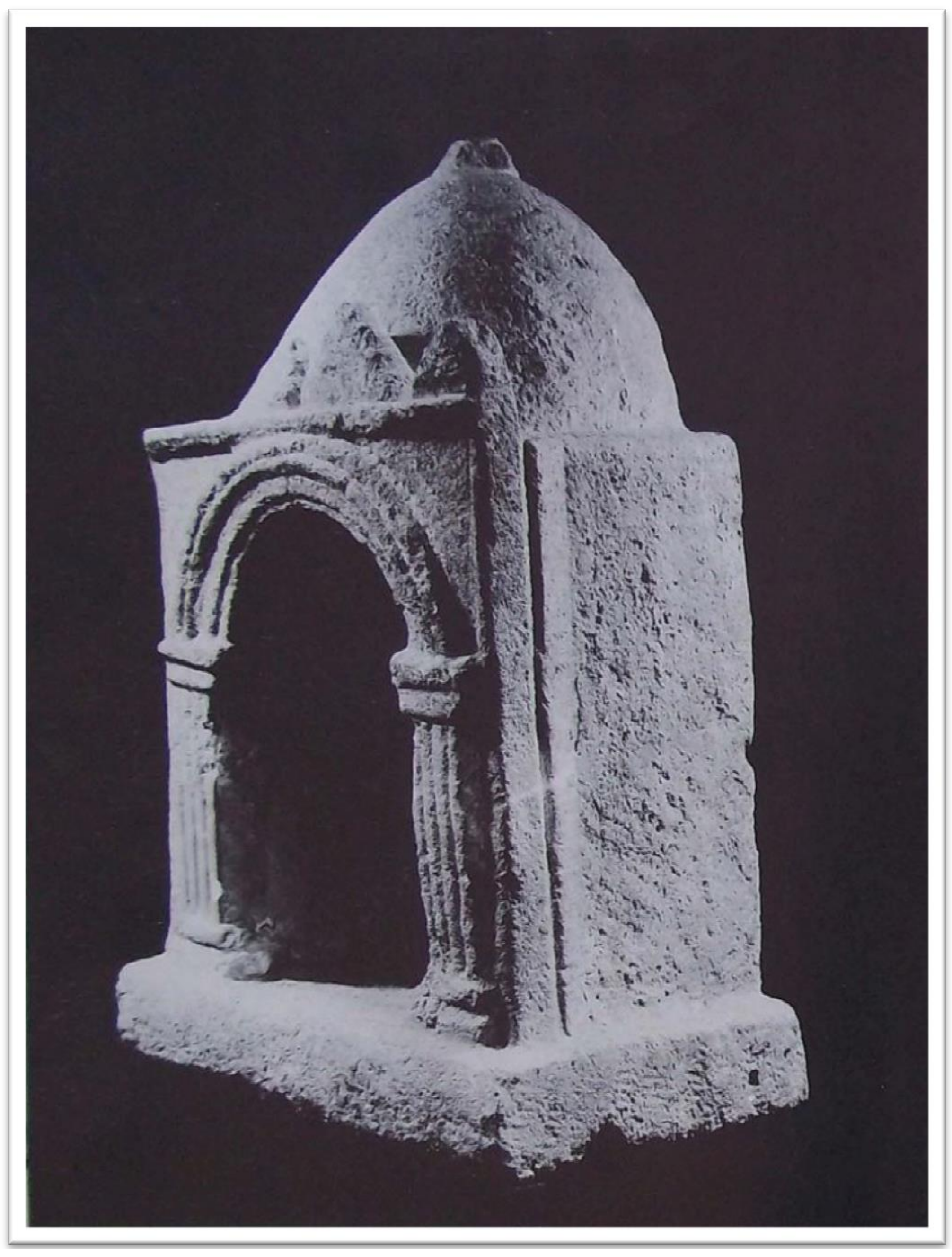
[117] - فؤاد سفر ، محمد علي مصطفى ، نفس المصدر ، ص43 .

[118] - طه باقر ، من تراثنا اللغوي ، بيت الوراق ، بغداد ، 2010 ، ص147 .

[119] - طه باقر ، نفس المصدر السابق ، ص 147 .

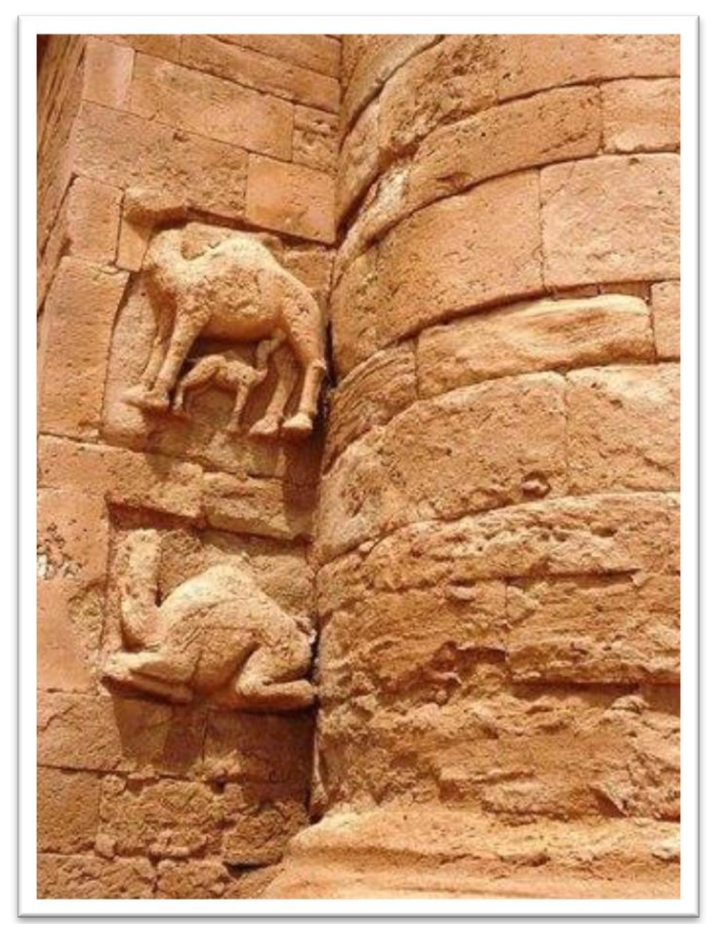
[120] - القرأن ، سورة النبأ ، الاية 33 .

عربايا على معابد شكلها يشبه الكعبة الحالية ولكنها تحتوي على قبة في الأعلى ، كما في الشكل رقم (10).

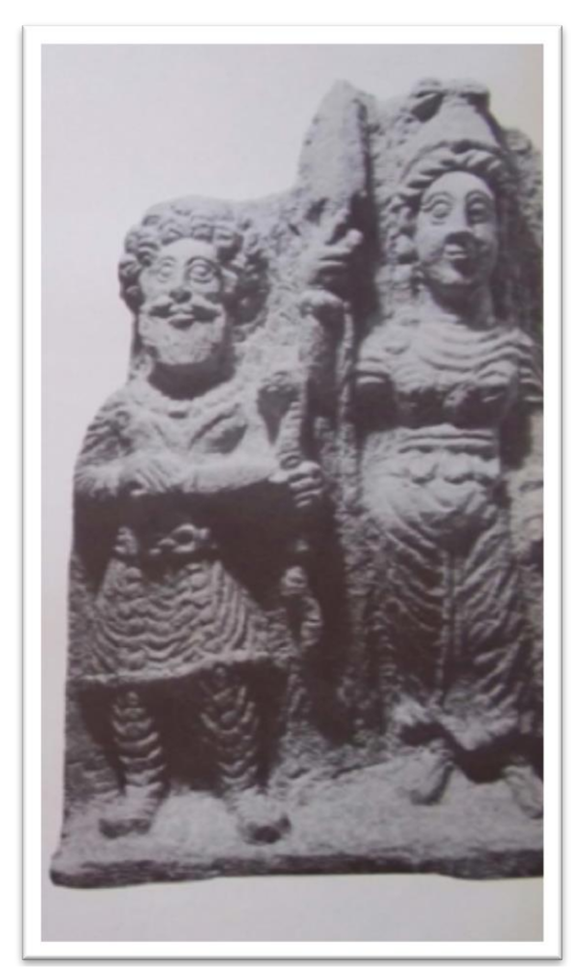


الشكل رقم (10) ، مجسم معبد صغير ذو قبة من مملكة عربايا في الجزيرة

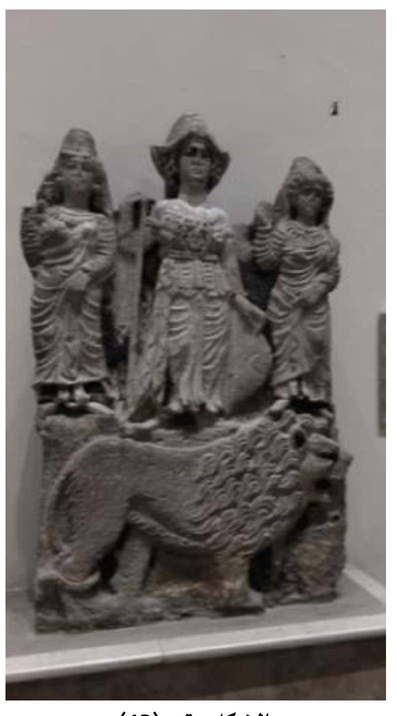
ووجد في مملكة عربايا في الجزيرة على معابد للآلهة للات (الشكل رقم 11) ، غير أننا لم نعرف أي معبد لها في ما تسمى بالجزيرة العربية الحالية ، مع ان الرواية الإسلامية ذكرت ان النبي محمد حطم الأصنام يوم فتح مكة ، ولنفرض ان هذه الرواية صحيحة ، فمن غير المعقول لأنه لم يتم العثور على قطعة من تماثيل الآلهة اللات وحتى باقي الآلهة ، إلا إذا تحولت إلى فتات . والآلهة اللات هي ذات أصول عراقية قديمة ، تمتد إلى سومر وبابل وأشور، وبالأساس هي نفسها آلهة العالم السفلي عند البابليين الآلهة (ارشكيكال) ، والتي عرفت باسم (اللاتو) ، زوجة الآله (نركال) والذي عرف عند الحضريين باسم (نرجول) ، حيث دخلت عبادتها إلى الحضر ، عن طريق بقايا الآشوريين في الجزيرة ، وكذلك عن طريق التأثيرات البابلية ، حيث ظهرت اللات في بعض التماثيل الحضرية بهيئة الآلهة اليونانية أثينا (كما في الشكل رقم 12) ، كذلك ظهرت واقفة بين امرأتين وهي واقفة على أسد كما في تصوير الآلهة عشتار عند البابليين ، ويحتمل ان هاتين ألامرأتين هما الآلهة العزى ومناة (كما في الشكل رقم 13) .



الشكل رقم (11) ، معبد اللات في مملكة الحضر (عربايا)



الشكل رقم (12)



الشكل رقم (13)

وذكرت اللات في الكتابات الحضرية ، كما في هذه الكتابات : " ليكن مذكوراً نشريهب بن حيرا ، بن زيك – بلجا ، بالخير والحسن قدام سيدنا وسيدتنا وابن سيدينا (و) اللات ، وسيما جميعهم هو والمحبون له " [121] .

" قدام سيدنا وسيدتنا وابن سيدينا واللات وشحرو، ليكون مذكوراً نشري بالخير والحسن ..." [122] .

" بشهر.... سنة 388(77 ميلادية) ، .... سنطروق الملك ، .... الشمس الإله ، ابن نصرو السيد العظيم لمرن ومرتن وبرمرن واللات وسميا" [123] .

غير ذلك دخل اسم اللات في الأسماء الشخصية عند سكان العرب في الحضر ، وجاء ذلك في عدة نقوش ، حيث نلاحظ ان تلك الأسماء مألوفة عند العرب ، قبل الإسلام وبعده،

---

[121] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 52.

[122] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 74.

[123] - فؤاج سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 82.

ومن هذه الأسماء (زيد اللات ، جدم اللات بن حي ، تيم اللات) ، وكذلك نلاحظ ورود بعض الأسماء الأخرى المألوفة عند العرب ، مثل (حيي ، عبد الإله ، عبسا (عباس) ، عبد عجيلو (عبد عجيل اسم شائع في العراق) ، زبيد (يعرف اليوم باسم قبيلة عند العرب) ، جذوة ، عبد الملك ، عبيدو (عبيد) ، معدو (معد) ، شعدو (سعد) ، وغيرها من الأسماء العربية) ، بينما هذه الأسماء لم تكن معروفة عند سكان اليمن أو ما تسمى اليوم بالجزيرة العربية ، حيث لا يوجد أي نقش أو أي شيء اخر يشير إلى ان هذه الأسماء كانت معروفة لديهم . إضافة إلى ذلك فقد وردت كلمة (السجيل) في الكتابات الحضرية ، وجاءت بمعنى (المذبح) ، وعلى الرغم من ان الروايات العربية وكذلك حتى المفسرين العرب يضعون لهذه الكلمة معنى اخر ، يناسب اعتقادهم حول تفسير سورة الفيل بوصفهم معناها (هي طين متحجر طبخت من نار أو هي الوادي الذي يعذب فيه الكفار!) ، وعلى اختلاف تفسيراتهم ، إلا أننا نجد ان هذه الكلمة قد وردت قديماً وكانت معروفة. مثلاً لو رجعنا لأسماء معابد مدينة بابل ، سنجد ان اسم معبد الإله مردوك والذي يدعى (الايساجيل) ، وحسب التسمية السومرية (أي – سا – جيل) والذي يعني (البيت الذي يرفعون فيه الرؤوس) ، فنلاحظ ان لتسمية المعبد هذه تقارب لفظي مع كلمة (سجيل). والأمر لا يتوقف عند ذلك ، فلو نرجع لسورة الفيل في القرآن ، سنجد ان اسم الطيور التي تحمل حجارة السجيل هي (الأبابيل) ، وان لهذه التسمية الثانية قرب لفظي مع اسم مدينة بابل القديم ، الذي هو (باب ايلو أو كما في دون في أحيان أخرى باب ايليم) ، أما في نصوص مدينة الحضر ، فالأمر لا يختلف كثيراً ، فيذكر الدكتور فؤاد سفر نص حضري ذكرت فيه كلمة السجيل وجاءت بمعنى مذبح المعبد، وجاء في النص :

"ج د ا ، بر ، ي د ع ي ، ب ر ، د ر ي ا

م ن ي ا – ل س ج ي ل"

النص بعد القراءة :

" تبرع جدا بن يدعي بن دريا منا (وحداً من الفضة) لمذبح المعبد"[124].

[124] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 240 .

لذلك ربما ان المقصود بالآية القرآنية " تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ" هو (ترميهم بحجارة من المعبد) ، ونفترض ان كلمة سجيل جاءت من كلمة الايساجيل (معبد مردوك في بابل) نتيجة التأثير البابلي والآشورية على ثقافة الحضر.

كذلك وجد في المعبد العاشر على كتابات حضرية ، ذكر فيها اسم الإله حضري يعرف لأول مرة ، ويدعى (الها) ، حيث ان هذه اللفظة تقارب لفظة (الله) ، حتى ان الحضريين لم يصنعوا له أي تمثال أو صنم ، ويحتمل السبب في ذلك هو أنهم اعتقدوا ان هذا الإله هو أسمى الآلهة وأبعدها عن الصفات البشرية ، وجاء في تلك الكتابات :

الكتابة قبل الترجمة :

" ب ن ح ش ا – ط ب ا – ع ل – ح ي ا ، ن ص رو – م ي ا ، ا ف ؟؟ ، ر ب ا د – ا ل ه ل"

بعد الترجمة :

" بحظ سعيد لحياة نصرو السيد ، الـ .... العظيم للإله " [125] .

وفي كتابة ثانية يذكر فيها الآلهة الحضري (الها) : "في شهر أيار عام 349 (38 ميلادية) السور والباب اللذان بناهما نصرو مريا في بيت إلها (بيت الإله) لحياته ولحياة ابنائه وإخوته ولحياة من هو محبوب من مريا ، الباني في بيت شمش الإله الأعظم (الشرفات؟ التي) تقوم على بيت شمش الإله ، أنا عبد الإله بن طفسرا بن نصر جددت بناءهما من أجل حياة نشريهب مريا وحياة ابنائه..." [126] . وفي رواية سريانية تصف اخبار الاسقف (مار احودمة) اسقف (تكريت ونينوى) وعن نشره النسطورية في الجزيرة في القرن السادس الميلادي ، نلاحظ إن هذه الرواية تصف الجزيرة الفراتية بأنها ارض الجزيرة (جزيرتا) التي كان البرابرة العرب يسكنونها قبل إن يهتدوا الى المسيحية : " كان ثمة شعوب كثيرة بين دجلة والفرات في بلاد بين النهرين المسماة جزيرتا (ارض الجزيرة) تسكن الخيام وكانت بربرية ومولعة بالحرب ، كانت خرافاتهم كثيرة وكانوا الاكثر جهلاً من كل شعوب الارض حتى اللحظة التي جاءهم فيها نور المسيح .. فصمم احودمة المقدسة بصبر كبير على زيارة كل مخيمات العرب ، ليرشدهم ويعلمهم

[125] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 67 .

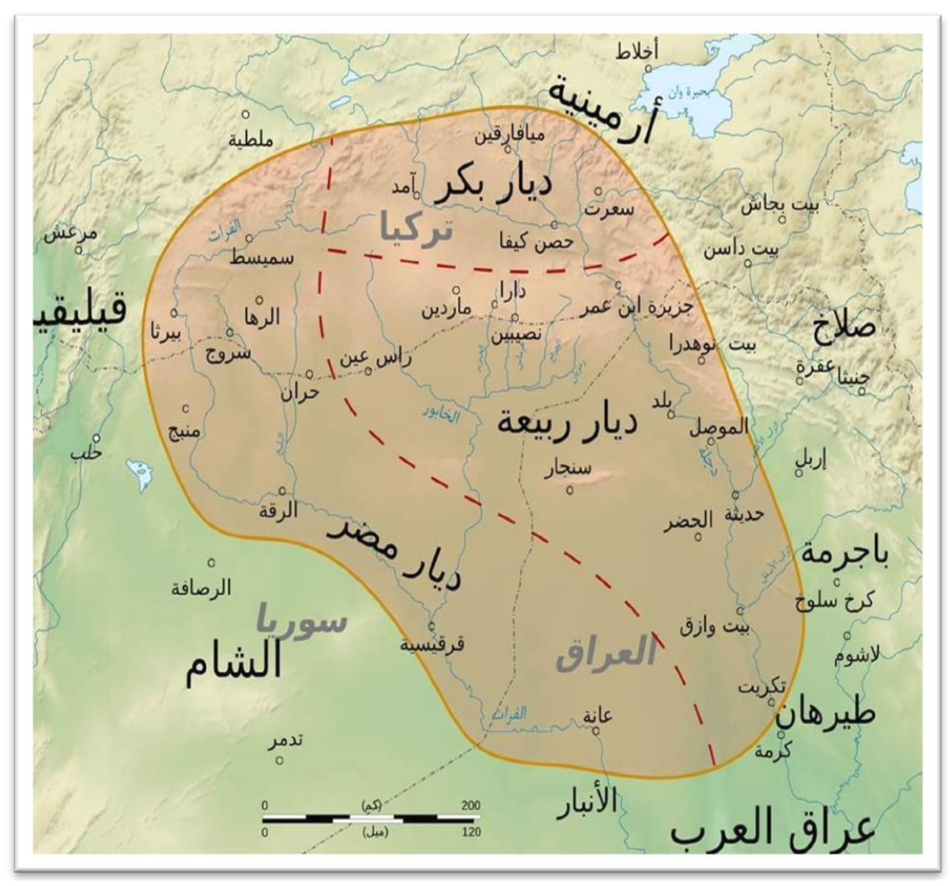
[126] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 272 .

بمواعظ كثيرة .. كان لديه كهنة يأتون من مناطق كثيرة .. لكي يؤسس في كل قبيلة كاهناً وشماساً ، انشأ لكنائس واسماها باسماء زعماء القبائل لكي يدعموه .. هكذا استمال قلوب العرب الى حب الرب وخصوصاً الى العطاء للمحتاجين .. فامتجت صدقاتهم الى كل الناس وكل الامكنة ، لكن بشكل خاص الى الاديرة المقدسة .. ولا يحصرون تقواهم بتقديم الهبات الى الكنائس والرهبان والفقراء والغرباء ، بل يحبون الصيام وحياة الزهد اكثر من المسيحيين الآخرين ، الى حد انهم يبدأون صيام الاربعين يوماً قبل اسبوع من بدء الآخرين به ، ان كثيراً منهم لا يأكلون الخبز طوال فترة الصيام كلها ، ليس فقط الرجال ، بل ايضاً الكثير من النساء " [127] . يذكر ماري بن سليمان في كتاب (أخبار فطاركة كرسي المشرق) والمكتوب باللغة العربية ، بعض المعلومات المختصرة عن انتشار النصرانية في الجزيرة الفراتية وعن الأوضاع السياسية والاجتماعية في القرن السادس الميلادي ، أما (ادي شير السرياني) فإنه قام بنشر كتاباً لمؤلف مجهول عرف باسم (التاريخ السعردي) ، وتناول هذا الكتاب أحداث السنوات من 251م-650م ، ومنها معلومات قيمة عن الأحداث السياسية والاجتماعية في الجزيرة الفراتية قبل الإسلام ، أما في كتاب (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لسعيد بن البطريق (930م) حيث ذكرت معلومات مهمة عن أخبار الروم والفرس متطرقاً إلى الأحداث السياسية التي مرت بها الجزيرة الفراتية في القرن السادس الميلادي . ومن المصادر السريانية الأخرى المهمة هي تاريخ إيليا برشينايا وإيليا برشينايا النصيبي وهم من مشاهير الكتاب في كنيسة المشرق ، وهو تاريخ استقرائي اعتمد على مصادر متعددة ومنها يونانية وإسلامية وسريانية ، ودون بدون عاطفة ، حيث يروي الحوادث التاريخية بعد ان يسبق الرواية باسم المصدر الذي استقى منها الرواية وذكر معلومات من أحداث القرن السادس الميلادي في إقليم الجزيرة الفراتية وعن سياسة الدولتين الساسانية والبيزنطية والحروب التي دارت بينهما ، فضلاً عن الاضطهاد الذي واجهه المسيحيون في الجزيرة الفراتية ، كذلك يوجد كتاب لمؤلف مجهول (680م) من أهالي الجزيرة نفسها ، يتضمن تاريخ الكنيسة النسطورية ، وفيه الأحداث التاريخية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ، وهذا المصدر لا يختلف عن المصادر أعلاه من ناحية المحتوى . ويضيف إلى ذلك الدكتور عبد الحكيم الكعبي في كتابه

---

[127] - François NAU . Les arabes chrétiens de Mésopotamie et de Syrie du VIIe au VIIIe siècle . P 17 .

(الجزيرة الفراتية وديارها العربية) إلى ان أسماء وأعلام الجزيرة الفراتية تدل على قدم الوجود العربي فيها مثل (بيث عربايا) في المصادر السريانية ، أما المؤرخين العرب ذكروا ان أهم ديارات العرب في الجزيرة الفراتية هي ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، وان اسمها يشير إلى أصل ساكنيها .



الشكل رقم (14) ، يوضح مناطق الجزيرة الفراتية

إلى هذا فقد ظهرت ممالك عربية في باقي المدن الشرقية مثل مملكة الأنباط ومملكة تدمر والحيرة والغساسنة ، إضافة إلى ممالك أخرى صغيرة ، فشكلت هذه الممالك النواة الأولى لتواجد العرب في تلك المناطق ، مجاورين للآراميين الذين أثروا في عرب تلك المناطق وبالتالي اكسبوهم ديانتهم وثقافتهم وحتى خطهم الآرامي ، وبالتالي عرف هؤلاء العرب كمتبنين للثقافة الآرامية ، وارتباطهم بالآراميين كان واضح جداً ، أكثر مما ارتباطهم باليمنيين الذين

يكاد تأثيرهم شبه منعدم على العرب في الشمال ، حيث إن أول ذكر للأنباط وعاصمتهم البتراء ، جاء في حوليات الملك الآشوري آشوربانيبال بعد ان هرب إليهم الملك العربي أبي ياتع، وبذلك كانت الأنباط أشبه بمكان لجوء للملوك العرب في ذلك العصر ، ثم توالى ذكرهم في المصادر اليونانية والرومانية والآرامية السريانية ، حيث ذكر تيودور الصقلي عنهم كعرب ، وهذا واضح من خلال روايته عنهم في حربهم مع انتيغونس احد قادة الاسكندر بالتحرش بهم ومهاجمتهم ، في عام 312 قبل الميلاد حيث وصفهم :" بلاد العرب الذين يدعون الأنباط " [128] .ثم يضيف : "ثمة قبائل عربية تتخذ الصحراء مراعي لقطعانها ، ولكن الأنباط يفوقون الجميع بثرائهم" [129] . وهذا ما يدل على ان الأنباط عرفوا نوعاً من الاستقرار، وان هذا الثراء هو الذي دعى انتيغونس الروماني للبحث عن وسيلة للسيطرة عليهم ، إضافة إلى ذلك فإن الأنباط عرفوا التجارة ، وأصبحت حياتهم أشبه بحياة تجارية ، ويضيف تيودور عن ذلك : "وقد تعود عدد غير قليل منهم على ان يجلبوا إلى الساحل : البخور والمر وأغلى ضروب الأفاويه ، يحصلون عليها ممن ينقلونها إليهم مما يسمى بالعربية السعدية (اليمن) " [130] .ثم جاء سترابو وتكلم عن الأنباط وتحدث عن أمور لم يتطرق تيودور ، أخذها من صديق له اسم (اثنودورس) ، وكان فيلسوفاً ولد بن الأنباط وعاش بينهم ، وقد حدثه هذا الفيلسوف ان عدداً كبيراً من الرومان ومن الغرباء من الجنسيات الأخرى كانوا يعيشون بين الأنباط، وكانوا في نزاع وخصام بينهم ، وان الأنباط كانوا على صفاء ووئام ، يعيشون عيشة سلام وراحة[131] ، أما في تاريخ المؤرخ اليهودي يوسفيوس والمتوفي سنة 95م ، هناك أخبار مفيدة عن الأنباط ، ولا سيما علاقتهم بالعبرانيين الذين كانوا على اتصال وثيق بسبب الجوار[132]، غير انه يضع صلة بين اسم نبايوت ابن إسماعيل وبين اسم النبط[133] ، ومر على الأنباط عدة ملوك ومنهم حارثة الأول والثاني وعبادة الأول ورب ايل الأول وحارثة

[128] - احسان عباس ، تاريخ دولة الانباط ، دار الشروق ، عمان ، 1987 ، ط1 ، ص 30 .

[129] - احسان عباس ، نفس المصدر ، ص 32 .

[130] - احسان عباس ، نفس المصدر ، ص 33 .

[131] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 14 .

[132] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص14 .

[133] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص 16 .

الثالث وغيرهم ، غير انه ليس بين الباحثين اتفاق على سياق الترتيب الذي توالى فيه الملوك على حكم الأنباط، وتقع بعد حارثة الأول ، الذي سيأتي الحديث عنه فيما بعد ثغرة كبيرة ، ليس ثمة ما يملأها حتى اليوم[134] ، أما في ديانة الأنباط . فكان الأنباط يعتقدون بتعدد الآلهة مع وجود آلهة أسمى في نظرهم وهو الإله ذو الشرى والذي يعني (الإله المنير) في إشارة للشمس[135] ، والآلهة ذو الشرى كان يعبد على شكل حجر اسود موجود داخل معبد يطلق عليه الكعبة ، حيث يذكر المؤرخ ابيفانيوس عند عيد سنوي يقيمه الأنباط في البتراء لأم ربهم الإله ذو الشرى ، ويسميها (كعبو)[136] ، غير انه خلط ربما بين اسم معبد ذو الشرى وبين اسم الآلهة الام (اللات) ، ويذكر دي فوغية (De Vogue) انه اكتشف في صلخد وهي منطقة نبطية صخرة مربعة باسم اللات ومثلها أخرى للإله ذو الشرى[137] ، وجاء في رواية رومانية عن عبادته :" أنهم (الأنباط) يعبدون الإله ذو الشرى ، فهم يبجلونه فوق جميع الآلهة الأخرى، تكون الصورة حجراً اسودا ، مربعاً عديم الشكل ، يبلغ ارتفاعه أربعة أقدام وعرضه قدمان، يثبت على قاعدة من الذهب المشغول ، إلى هذا الإله يقدمون الأضاحي ولأجله يسفحون دم الأضحية ، وهذا هو الشكل الخاص بهم من الإراقة" [138]. غير انه من شبه المؤكد أن عبادة الحجر الأسود كانت قد انتقلت إلى الأنباط من عبادات سورية عرفت في حمص ، فيذكر المؤرخ الأنطاكي هيروديان وللفترة من القرن الثاني إلى الثالث الميلادي رواية عن وقائع شاهدها بنفسه بخصوص الإمبراطورية الرومانية ، وتطرق خلالها إلى ذكر الحجر الأسود كجزء من العبادات الحمصية في سورية ، وجاء في تلك الرواية: " لم يكن يوجد تمثال لإله من صنع بشري حقيقي (لإله الحمصيين) ، من النوع الذي يقيمه الإغريق والرومان ، بل كان ثمة حجر ضخم ، مدور في القاعدة ويتناهى إلى نقطة في القمة ، مخروطي الشكل واسود اللون ، هذا الحجر يعبد كما لو كان مرسلاً من السماء " [139] . ومن هذه

---

[134] - احسان عباس ، نفس المصدر ، ص 37 .

[135] - خزعل الماجدي ، الانباط ، دار النايا ، ط1 ، 2012 ، دمشق ، ص 53 .

[136] - احسان عباس ، نفس المصدر ، ص 128 .

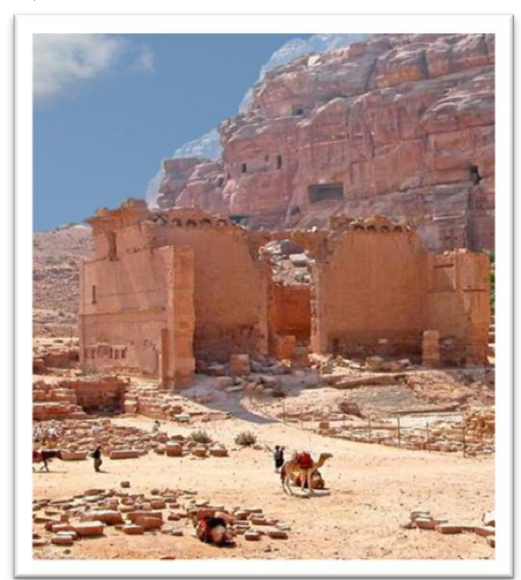
[137] - احسان عباس ، نفس المصدر ، 128 .

[138] - ربرت هيلند ، تاريخ العرب ، ترجمة عدنان حسن ، شركة قدمس ، ط1 ، دمشق ، 2010 ، ص 218 .

[139] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 218 .

الرواية نجد أقدم ذكر للحجر الأسود الذي عرفه العرب كجزء من ديانتهم ، والى غير ذلك تذكر رواية رومانية عن وجود عبادات للحجر الأسود في سيناء ، وربما هذا يعني أن عبادة الحجر الأسود أخذ بالانتشار في تلك المناطق ، وجاء في هذه الرواية : " على هذا الجبل في سيناء ، ثمة مكان أقام فيه العرب وثناً لهم من الرخام الأبيض الثلجي .. عندما يطل القمر الجديد يحين الوقت لمهرجانهم فيبدأ هذا الحجر بتغيير لونه ، يتحول الحجر إلى اللون الأسود كالزفت ، وعندما ينتهي الحفل يعود الحجر إلى لونه الأصلي ..." [140] .

والى غير ذلك يعتقد بعض الباحثين إلى أن البعض من الأنباط ، كانوا قد رفضوا أن يتم تمثيل وتشبيه الإله ذو الشرى بشكل ادمي ، لذلك جعلوه على شكل حجر الشكل ، وإن أهم معبد اكتشف في البتراء لعبادته هو معبد قصر البنت (الشكل رقم 15) .



الشكل رقم (15)

[140] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 218 .



الشكل رقم (16) ، شكل توضيحي لمعبد قصر البنت (معبد الإله ذو الشرى)

ولهذا الإله أهمية كبيرة عند العرب ، لدرجة انه ذكر في القرآن في سورة النجم بأنه نجم كان يعبده العرب قبل الإسلام ، فجاء في السورة : "وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى "[141] . وان ذكره في القرآن يعني انه كان الإله الأول عند العرب ، على الرغم من أن الرواية الإسلامية تقول أن الإله (هبل) هو كبير إلهة العرب ، حيث لا يوجد ما يؤكد ذلك عند العرب قبل الإسلام ، والإله هبل عرف عند الأنباط بأنه اله ثانوي ، غير أن الروايات الإسلامية ذكرت انه كان صنماً لقريش في مكة ، وهو أعظم آلهة العرب ، وكان على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، وان قريش جعلت له يداً من ذهب ، جاء به عمرو بن لحي من العراق من موضع هيت ، ونصبه على بئر الاخسف والجب الذي حفره إبراهيم في بطن الكعبة[142] ، وبعض الروايات تقول انه نقل إلى مكة من مؤاب ، غير انه لم يعثر على أي شيء في مكة الحالية يدل على انه عبد هناك ، وبالحقيقة إن العرب الشماليين هم من عبدوه ، ولم يعرف عند غيرهم ، وللإله هبل أصول بابلية قديمة ، فاسم هبل يتكون من مقطعين هما (الهاء ، بل) ، و(الهاء) هنا هي

---

[141] - القرأن ، سورة النجم ، اية 49 .

[142] - جواد علي ، نفس المصدر، الفصل السادس ، ص 251 .

(الهاء التعريفية العربية الشمالية) ، والتي استبدلت فيما بعد بـ(ال التعريف) ، أما (بل) ، فهو الصيغة البابلية الآشورية للإله (بعل) حيث أن صوت العين (ع) يدغم في اللغة الاكدية لذلك إن كلمة (بعل) تصبح (بل) ، و(بل) هو لقب الإله البابلي مردوك .

كذلك عرف الأنباط عبادة الآلهة (العزى) ، حيث أن هذه الآلهة على الأغلب هي من أصول مصرية قديمة ، وهي نفسها الإله المصرية (ايزيس) ، وايزيس هو الاسم اليوناني للآلهة (ايزا) بالصيغة المصرية ، ومن الواضح أن عبادة (ايزا) انتقلت إلى العرب نتيجة احتكاكهم بالمصريين في سيناء ، إضافة إلى ذلك فقد عرف الأنباط الكثير من الآلهة التي وردت في المصادر الإسلامية ، مثل : (سواع ، عوص أو عوض ، مناة ، ود ، بعل سمين ، يثع ، وغيرها). وللأنباط الفضل الكبير في الخط العربي ، حيث توصل العلماء والمستشرقون وفي ضوء اكتشافهم للنقوش الحجرية مثل نقش النمارة وحران ، إن الخط العربي القديم اشتق من الخط النبطي المتأخر الذي اشتق بدوره من الخط الآرامي[143] ، ومن الخط العربي القديم اشتق الخط النسخي الحديث .

وفي مكان اخر من الشام نشأت مملكة عربية أخرى ، وهي مملكة تدمر ، والتي من أشهر ملوكها هي زنوبيا وأذينة ، وعرفت عند الغرب باسم (بلميرا) ، حيث إن أقدم رواية تذكر تدمر كانت في رواية بلينوس : "تدمر مدينة مشهورة بسبب وضعها ، وغنى تربتها وينابيعها السائغة، إن حقولها محاطة من كل جانب بدائرة هائلة من الرمل ، وهي كما لو عزلتها الطبيعة عن العالم ، متروكة لمصيرها بين إمبراطوريتي روما وبرثيا الجبارتين ، ولقد لفتت اهتمام الطرفين منذ اللحظة الأولى للصراع بينها "[144] . أما في رواية المؤرخ الروماني (ابيان) في عام 41 قبل الميلاد ، فقد تحدث عن أطماع القائد الروماني ماركوس انطونيوس في تدمر ، وجاء في الرواية : "أرسل انطونيوس قوة خيالة إلى تدمر ، التي تقع غير بعيدة عن نهر الفرات ، لنهبها ، مقدماً التهمة التافهة ضد سكانها ، وهي كونهم واقعين على الحدود بين الرومان والبرثيين ، فتجنبوا الوقوف مع احد الطرفين ، نظراً لكونهم تجاراً فهم يجلبون منتجات الهند والعرب وفارس ويصرفونها في الأراضي الرومانية ، أما في الحقيقة فقد كانت نية نطونيوس إثراء

---

[143] - سهيلة ياسين الجبوري ، الخط العربي وتطوره في العصور العباسية في العراق ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، 1962 ، ص 25 .

[144] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 103 .

فرسانه ، على كلن فقد أنذر البلميرا/التدمريون مسبقاً فنقلوا ممتلكاتهم عبر النهر ، فيما هم يركزون أنفسهم على الضفة ، استعدوا لإطلاق السهام على كل من سيهاجمهم ، لأنهم رماة سهام خبراء بها ، لم يجد الفرسان شيئاً في المدينة ، فاقفلوا راجعين من دون أن يلاقوا عدواً وعادوا خالي الوفاض"[145] . وهذه الأهمية لمدينة تدمر هي بسبب كونها مدينة قوافل ، حيث كانت القوافل المتجهة من العراق إلى الشام أو العكس ، تمر بتدمر ، لذلك فهي مدينة تجارة، غير أن روما استطاعت أن تضم تدمر إلى تبعيتها في عام 20 ميلادية وبشكل فعلي ، وعلى الرغم من ذلك فقد اعتبر التدمريون أن وجود الرومان في مدينتهم هو عبارة عن احتلال[146] ، أما في القرن الثالث فقد اضطربت روما في الشرق بفعل سيطرة الساسانيين على العراق وإيران التي حلت محل البرثيين ، وفي الغرب بفعل القبائل الجرمانية ، فقد توغل الحاكم الساساني شابور في الأراضي الرومانية محققاً انتصارات كبيرة ، توجت بأسر الإمبراطور فلريان نفسه في العام 259 ميلادية ، ولكن كان في ذلك العهد ثمة مواطن من تدمر وعضو في مجلس الشيوخ الروماني يدعى أذينة (اوديناتوس) وهو أذينة ابن حيران بن وهب اللات ابن ناصور ، من أصل عربي ، صعد إلى سدة الحكم مستغلاً فراغ السلطة وتبني قضية روما ، وفي عام 260 ميلادية ، جمع عصبة من أهل البلاد السورية واظهر مقاومة جريئة ، فهزم الفرس في عدة مناسبات ، بل كذلك شق طريقه إلى قطيسفون (المدائن)[147] .وعندما كان أذينة عائداً من إحدى حروبه في اللاذقية إلى حمص ، وكان ابنه عبد اللات بصحبته ، أحاط الثائرون عليه في مكان وليمته ، وقضوا عليه وعلى ابنه وعلى حرسه أجمعين ، وأعلن ابن أخيه (معني) نفسه ملكاً ، ولكن إلى وقت قصير فقد تألّب عليه أنصاره أنفسهم ، وحاصروه وقتلوه بعد أشهر من حكمه ، وكان على وهب اللات ابن أذينة أن يسترد عرش أبيه بدعم أمه زنوبيا التي أصبحت وصية على الملك القاصر ، فتولت الحكم بصفتها ملكة تدمر لتقود المملكة وتلقب بـ(ملكة ملوك الشرق) ، وذلك عام 267 ميلادية ، وارتدت الرداء الإمبراطوري على كتفيها مدعية أنها تنحدر من أسرة كليوباترا والبطالمة ، وأطلقت على زوجها بعد وفاته اسم (ملك الملوك) وذلك على نصب تذكاري وقاعدة تمثال ، ثم انطلقت في جيوشها لاحتلال

---

[145] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 104 .

[146] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 104 .

[147] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 205 .

مصر ، وتوغلت عبر أسيا الصغرى ، وتوحي الألقاب التي أضيفت على وهب اللات على النصب التذكارية والنقود بأنها كانت منذ البداية تسعى لتقاسم ابنها الحكم مع الإمبراطورين المتعاقبين (كلديس ، ارليان) ، ولن تعتمد لقبي (اوغسطا واغسطس) لها ولابنها إلا عندما كشف ارليان انه لن يسمح بشيء من هذا القبيل وخرج لملاقاتها ، حيث كان ارليان بقواته عبر أسيا الصغرى ، وهزم التدمريين قرب أنطاكية ، ثم طارد زنوبيا إلى مدينتها ، فأسرها واستولى على مدينتها في العام 272 ميلادية ، لكن رغم أن عهد زنوبيا كان قصيراً فإن شهرتها بقيت زمناً طويلاً[148] . ومن المعلوم أن التدمريون كتبوا بالآرامية لكن لغة حياتهم اليومية كانت العربية بلهجتها الشمالية ، حيث أظهرت النقوش التدمرية الكثير من الأسماء العربية المعروفة ، غير أن بعض ما يشاع عن إن التدمريون اتبعوا سياسة التعريب ، حيث لوحظ في نقوش القرن الميلادي الأول إن المفردات العربية بدأت تكثر بشكل واضح ، إضافة إلى أن المصطلحات اليونانية استبدلت بمصطلحات عربية ، والجدير بالذكر إن الكتابة الآرامية تتألف من 22 حرفاً وتكتب من اليمين إلى اليسار وحروفها هي نفس حروف اللغة العربية .

أما في العراق فقد نشأت مملكة عربية كان لها الأثر الأكبر في الإسلام ، من حيث الشخصيات والأصول والتأثير ، وهذه المملكة تكلمنا عنها في هذا الفصل ، إلا أن ذلك لا يكفي لمعرفة تاريخها بشكل أوضح ، وتلك المملكة هي (مملكة الحيرة) أو التي كما عرفت عند الإخباريين باسم (دولة المناذرة) ، وكذلك عرفوا بأسماء أخرى مثل (ملوك تنوخ ، أل لخم ، أل نصر ، النعامنة ، وأخيرا بأل محرق) ، وترجعهم روايات الإخباريين بأصولهم إلى اليمن ، إلا أننا لا نجد أن هذه الرواية صحيحة ، فاختلاف الثقافة بين اليمنيين وبين اللخميين واضح كوضوح الليل من النهار ، وعلى الرغم من أن مدينة الحيرة كانت موجودة منذ العصر الآشوري والبابلي كما أشرنا ، فهذا لا يعني أن نرى أنهم من أصول ملكية من ملوك مدينة الحضر في شمال العراق ، حيث نجد أن ملوك الحيرة وملوك الحضر يحملون لقب واحد وهو (أل نصر) ، حيث جاء في كتابات ملك الحضر سنطروق انه ينتسب إلى (نصرو) ومن هذه الكتابات :"سنطروق ملك العرب بن نصرو سيدي"[149] . ومن الواضح أن أشهر ملوك

---

[148] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 106 .

[149] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 197 .

الحيرة بـ(أل نصر) هي شهرة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام بزمن طويل ، وكما ذكرنا سابقاً في نقاشنا حول المدارس اليهودية في العراق بالتحديد عن مدرسة نهر دعة ، حيث جاء في نص إخباري عنها انه في سنة 570 بالتقويم السلوقي والذي يعادل سنة 259 بالتقويم الميلادي ، إن ملك الحيرة الذي عرف باسم (بابا أل نصر) قد هجم على مدينة نهر دعة وخربها ، فهرب بعض من أحبارها إلى مواضع يهودية أخرى[150] . إضافة إلى ذلك وكما لاحظنا في مملكة الحضر ، بأنها تأثرت بالبرثيين وأثرت فيهم ، فهذا لا يعني إن العرب كانوا من أصول برثية كما أشار بعض الباحثين ، بل في الحقيقة إن البرثيين تبنوا الثقافة الهيلينستية في العصر السلوقي ، عندما امتزجت الثقافة اليونانية بالشرقية ، وبذلك تبنوا الخط الآرامي واشتقوا خطهم الفهلوي منه ، ولهذا أشار (كلوكس) (Glaucus) و(ستيفان البيزنطي) (Stephen of Byzantium) بأن مدينة (Eertha) (الحيرة) والتي تقع على الفرات هي مدينة برثية[151] ، وإضافة إلى ذلك نجد أن أبنية مدينة الحضر تمتاز عن غيرها من الأبنية المعاصرة في مدن الشرق القديم ، بكثرة ما في الحضر من أقواس وعاقدات وحنايا وكذلك بالتصميم الشائع في هذه الأبنية الذي روعي فيه الطراز المعروف لدى العرب الأقدمين بالطراز الحيري ، ويتألف هذا الطراز من إيوان في الوسط على جانبيه عرف واواوين صغيرة (مفردها إيوان) ، والذي لا شك فيه أن أبنية الحضر كانت من ابتكارات أهلها فقد اقتبسوا هذه النواحي البنائية والتصميم المذكور من مخلفات الحضارة العراقية القديمة لاسيما مما كان منها في مدينة آشور التي كانت اقرب المدن القديمة إلى الحضر ، كذلك نجد أن سياسة ملوك الحيرة كانت تشابه سياسة ملوك الحضر ، وهو مساندتهم للفرس ضد الرومان والبيزنطيين ، وكذلك كثرة حروبهم معهم ، وما يزيد من ذلك الاعتقاد هو أن تأسيس الحيرة سياسياً تنسبه المصادر التاريخية إلى عام 268 ميلادي ، أي بعد سقوط مدينة الحضر سياسياً عام 241 ميلادي على يد الساسانيين ، وهذا ما يعني أن هناك نوع من الهجرات حدثت من الحضر إلى الحيرة ، وكذلك انتقال سلالة ملوك الحضر إلى الحيرة ، لذلك يذكر (نواف احمد عبد الرحمن) في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام) أن الباحثين ينسبون السلالة الحاكمة من

---

[150] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 177 .

[151] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 157 .

ملوك الحيرة إلى ملوك الحضر[152] ، حيث نجد في احد النقوش الأثرية مثل نص نقش أم الجمال المؤرخ في عام 270 ميلادي الذي كتب بخط نبطي ونقش اخر باليوناني منسوب إلى (جذيمة الابرش) ملك الحيرة يصف نفسه بأنه (ملك تنوخ) ، وجاء في النقش (الشكل رقم 16) :

القراءة قبل الترجمة :

" دنه نفسو قبر فرء بر سلي ربو جذيمت مملك تنوخ "

القراءة بعد الترجمة :

"ادناه نفسو(هو نفسه) قبر فرُء بن سالّي ربُّ (مُربّي) جُذيمة مُمَلَّكُ (مؤسس مملكة) تنّوخ"[153] .

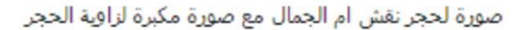
واسم جذيمة لم يكن اسم غريب على عرب العراق ، فقبل ذلك ورد في كتابة حضرية على تمثال الملك الحضري (ولكش) بصيغة (جدم اللات) ، كما جاء في الكتابة التالية :

"تمثال ، ملك العرب ، الذي أقامه له جدم-اللات بن حيي" [154] .

[152] - نواف احمد عبد الرمن ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2015 ، ص 67 .

[153] - هذه القراءة نشرت لاول مرة في نهاية عام 2011 للمؤلف (سعد الدين ابو الحب) وكفصل من فصول كتاب بالانكليزية بعنوان : DeArabizing Arabia: Tracing Western Scholarship on the History of the Arabs and Arabic Language and Script

[154] - فؤاد سفر ، نفس المصدر ، النص رقم 193 .







قراءة المستشرقين بالحروف النبطية	قراءة المستشرقين بالحروف النبطية
ترجمة المستشرقين بالحروف العربية	ترجمة المؤلف بالحروف العربية
دنه نفسو فهرو	دنه نفسو قبر فرء
بر سلي ربو جذيمت	بر سلي ربو جذيمت
ملك دنوخ	مملك تنوخ

الشكل رقم (16)

وقد تحدث الإخباريون عن جذيمة وذكروا انه ملك الحيرة بعد مالك بن فهم أول ملوكها ، وذكروا انه ابن مالك ، ولقب بـ(الأبرش) قيل لبرص به ، وان العرب خشيت مهابته ان تقول الأبرص فقالت (الأبرش) ، والبرش هو بياض في الوجه أو بقعة بيضاء فيه وأخرى من لون اخر[155] ، غير انه له ألقاب أخرى ، فيذكر المسعودي انه لقب بـ(أبو مالك) ، وروى فيه شعراً، ونسب له الإخباريون غزوات وحروب ، وذكروا انه كان يعبد صنمين يقال لهما الضيزنان ، وضعهما في الحيرة وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما ، وأضافوا إليه التنبؤ والكهانة وعبادة

[155] - فاضل الربيعي ، المسيح العربي ، ص 27 .

الأصنام ، وذكروا انه كان ينزل في الانبار ويأتي الحيرة ثم يرجه[156] ، وذكروا أيضا عنه ان ملك مابين الحيرة والانبار وبقة (بكة)[157] وهيت وعين التمر وأطراف البر إلى الغير والقطقطانة وخفية وما والاها ورقة وسائر القرى المجاورة لبادية العرب ، ويقال انه ملك معد وبعض اليمن[158] ، ويقال ان الملكة (الزباء) قتلته أثناء هجومه على الشام ، ويزعم بعض الباحثين إلى ان الزباء هي نفسها زنوبيا ملكة تدمر ، ولكن هذا ما ينقصه الكثير ليتم إثباته ، لأن نقش أم جمال لا يشير إلى ذلك بل أشار إلى ان جذيمة ذهب إلى الشام وتوفي هناك ، وتسلم عمرو بن عدي ابن أخته ملوكية الحيرة من بعده . وفي نقش اخر والذي يسمى بـ(نقش النمارة) (كما في الشكل رقم 17) لأحد ملوك الحيرة الذي يعرف بـ(امرؤ القيس بن عمرو بن عدي) ، حيث نرى ان النقش اخذ اسمه نسبة إلى المدينة التي اكتشف فيها ، في منطقة النمارة على بعد 10 كيلومتر شرقي مدينة السويداء في سوريا ، والذي اكتشفه بعثة الآثار الفرنسية برئاسة (رينيه دوسو) عام 1901 ميلادية ، حيث كان النقش على حجر من البازلت بين أنقاض مبنى مقام على تلة صغيرة ، وحسب الدراسات فإن النقش مؤرخ بالعام 328 ميلادية ، وأنه مكتوب بالخط النبطي على ضريح ملك الحيرة امرؤ القيس بن عمرو ، حيث جاء في النقش :
" هذا قبر امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم ، الذي تقلد التاج ، واخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم ، وهزم مدحج إلى اليوم ، وقاد الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا ، واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ مبلغه إلى اليوم توفي سنة 223 في يوم 7 بكسول " [159] .

---

[156] - د.جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 180 .

[157] - بقة : موضع قرب الحيرة .

[158] - د.جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 181 .

[159] - جرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، القاهرة ، ط3 ، 1939 ، ص 190 .



الشكل رقم (17)

ويظهر ان الحوادث المدونة في هذا النقش قد حدثت بين عامي (325 ميلادية – 328 ميلادية) ، وعلى الرغم من ان الأبحاث الحالية تشير إلى ان النقش يتكلم عن مناطق في اليمن وما تسمى اليوم في جزيرة العرب ، إلا أننا لدينا رأي اخر حول جغرافية هذا النقش ، فمسألة وجوده واكتشافه في الشام يفتح لنا المجال واسع للتفكير حول حقيقة المناطق التي يتحدث عنها النقش ، فلدينا رواية لـ(Malchus) عن هذا امرؤ القيس بن عمرو وحربه على بلاد الشام وانه لم يتجه إلى مناطق الجنوب نهائياً ، حيث جاء في الرواية : "بين الفرس كان ثمة شخص يدعى أمركسس (Amorkesus) من قبيلة نوماليوس (؟) ، ظن أن الإمبراطورية الرومانية أفضل ، أما لأنه لم يلق الاحترام في بلاد فارس أو لسبب اخر ، فغادر بلاد فارس ورحل إلى ذلك الجزء من بلاد العرب المتاخم لفارس ، ومن هناك لم يقم بأي غزوات وهجمات على الرومان ، بل على العرب الذين صادفهم ، فتقدم بالتدريج بانياً قوته من

هؤلاء فاستولى على إحدى الجزر العائدة للرومان تدعى أيوتابي (Iotabe) (في خليج العقبة، جزيرة تيران؟ ، جزيرة فرعون؟ - ز م) ، وإذ قام بطرد جامعي الضرائب الرومان ، حكم الجزيرة بنفسه وجمع ثروة كبيرة من الضرائب ، عندما استولى على القرن الأخرى المجاورة ، أراد أمركسس أن يصبح حليفاً للرومان وزعيماً للعرب تحت الحكم الروماني على العربية الصخرية (Arabia Petrea) ، لذلك أرسل بيتر (بطرس) أسقف قبيلته إلى الإمبراطور الروماني ليو ، ليرى إن كان بإمكانه أن يقنعه ويرتب هذه الأمور ، عندما وصل بيتر وتكلم إلى الإمبراطور ، قبل الإمبراطور ليو مقترحاته ، وأرسل على الفور في طلب أمركسس ليأتي إليه"[160] . وكما نقرأ في الرواية إن هجوم امرؤ القيس بن عمرو كان على مناطق الشام ، وليس على مناطق في الجنوب ، حيث لا يوجد أي نقش يمني مسندي يذكر ذلك ، ولا على ما يبدو أن امرؤ القيس قد استمر بحلفه مع الروم حتى وفاته ، غير إن سبب التحول في التحالفات من الفرس إلى الروم لا يعلم سببه بشكل أكيد ، غير أننا لو ربطنا بين النقش ونص سنجد انه ربما أن النقش يتحدث عن امرؤ القيس في بداية ملكه كان ملكاً عربيا حليفاً للفرس ثم حليفاً للروم ، ولذلك ربما ذكر الفرس والروم في نقشه ، وأن لذكر مدينة (نجران) له أهمية بالغة ، حيث إن هذه المدينة التي تنسب إليها الروايات الإسلامية العربية قصة أصحاب الأخدود ، والتي ذكرت في القرآن في سورة البروج :

" قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ "[161]

حيث تنسب قصة أصحاب الأخدود إلى الملك الحميري (يوسف بن شراحيل) أو كما عرف باسم (ذو نواس) ، وبالرغم من ذلك فقد وأثبتت التنقيبات الأثرية أن حادثة الأخدود لم تحدث في نجران ، وان الربط الكتب والروايات المعاصرة بين الملك الحميري يوسف أسأر يثأر (517م ـ 572م) والشخصية الأسطورية المعروفة في المصادر العربية باسم (ذي نواس) وبين قصة محرقة نجران وبين حادثة الأخدود التي وردت في القرآن هو غير حقيقي ، وتفترض هذه الروايات أن الملك يوسف أسأر هو ذي النواس وأنه أحرق نصارى في نجران ، حيث أن النقوش المسند اليمنية العائدة للملك يوسف أسار لم تدل على انه احرق النصارى في

[160] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 110 .

[161] - القرأن ، سورة البروج ، الاية رقم 4 .

نجران ، بل تدل على أنه مؤمن بالله ، مع ذكر انتصاراته على الأحباش وانه رابط في باب المندب مع القبائل اليمنية التي قاتلت معه وحسب تلك التنقيبات الأثرية في موقع مدينة نجران الحالية ، لم يعثر فيها أي أثار تدل وجود الديانة النصرانية ولم يعثر على أي مبنى يمكن ربطه بكنيسة أو صلبان أو المكان الذي حدثت به قصة محرقة نجران المفترضة ، وجميع النقوش الكتابية التي عثر عليها في نجران الحالية تدل على أن سكانها في تلك الفترة كانوا من عبدة الآلهة الأخرى ، حيث كانوا يعبدون الإله ود والإله عثتر ، والإله عثتر هو من أصول عراقية قديمة نسبة إلى الآلهة عشتار ولكن اليمنيين عبدوه على انه ذكر وليس أنثى ، ومن نفس الفترة المنسوبة لقصة أصحاب الأخدود في القرن السادس الميلادي ، ونتيجة لاضطهاد الإمبراطور البيزنطي يوسطنيان للشعوب التي لا تدين بالمسيحية ومنها السامرة ، قام هؤلاء السامرة الذين وقعوا تحت تأثير الفرس ، بالقيام بثورة ضد المسيحيين البيزنطيين، وقد حفظت لنا بعض المصادر القريبة عن أخبار تلك الثورة ، حيث قام السامرة بتهديم الكثير من المدن وقتلوا عدد كبير من المسيحيين في بلاد الشام ، حيث صدرت أوامر لأحد قادة الجيش البيزنطي ، بالزحف على السامرة ويصحبه جيش كبير مع ملك العرب الغساسنة (الحارث الغساني) الذي وصف بأنه كان (فيلارخ ولاية عرابية) (الشكل رقم 18) التابعة لبيزنطة ، وقاموا بالقضاء على الثورة ، حيث أن الحارث الغساني سبي عشرين ألفاً بين فتى وفتاة ثم باعهم في مناطق أخرى بلاد العرب[162] ، وكذلك يجدر التنبيه إلى أن بعض مدن هذه الولاية العربية تحمل تسميات لمدن عربية معروفة اليوم بالجنوب العربي ... فمثلاً في المقاطعة الخامسة من هذه الولاية والتي تحمل اسم اللجا ، وفي الأبرشية التي حملت اسم عزرا (وهي زرواه القديمة) وذلك إلى الشرق من زرواه ، وجدت قرية حملت اسم (نجران) ، وقد حفظت لنا رقوم بها تذكر بطوناً عربية بأسمائها القبلية[163] . وفي ترتيلة (يوحنا بستاليس) رئيس دير بيت افتونيا في شمال سوريا ، والمؤرخة في عام 583م عن شهداء نجران مكتوبة باللغة الإغريقية ، ترجمت إلى السريانية بواسطة الأسقف بول الرهاوي ، وفي هذه الترتيلة يجسد النص أحداث نجران مع ذكر لاسم الحارث الغساني ، مع ذكر موقع مدينة نجران إلى

---

[162] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي ، ترجمة ، صلاح الدين عثمان هاشم ، ص 27 .

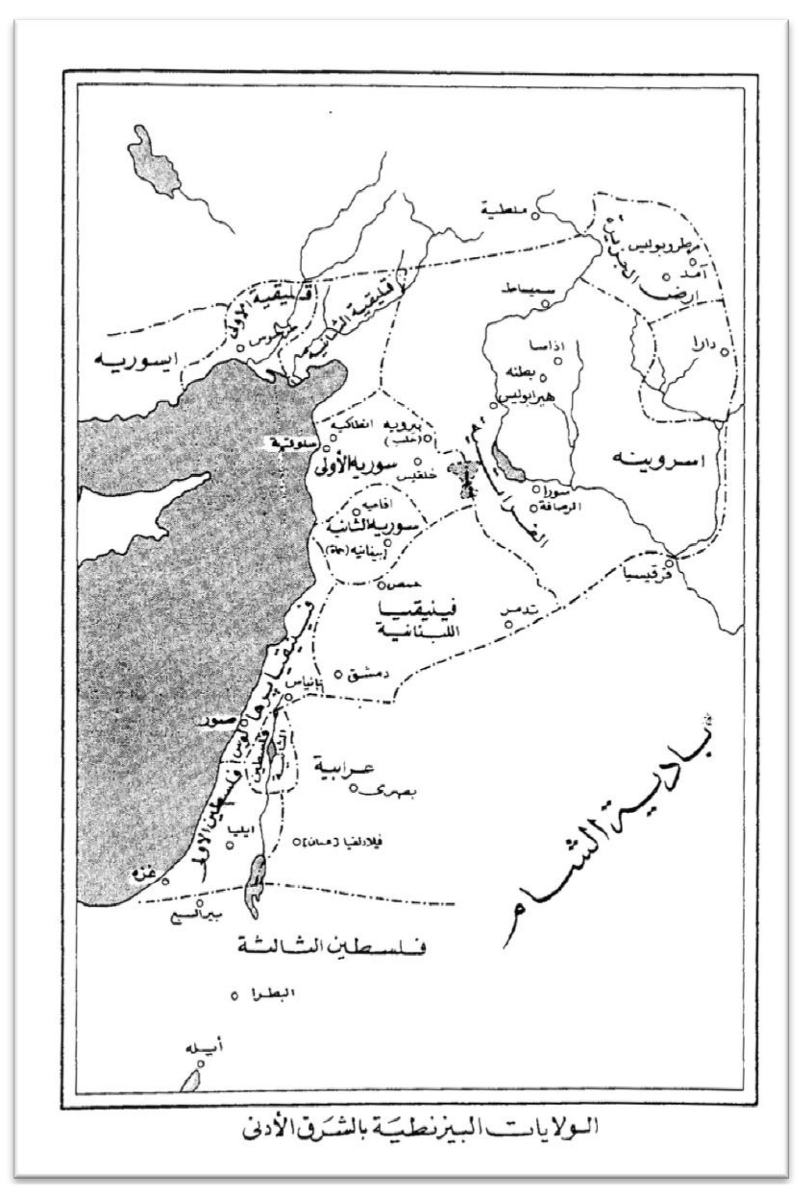
[163] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص272 .

الجنوب من البتراء ، أما في خطاب يعقوب السروجي والموجه إلى الضحايا وأصحابهم ، يرى (كريستيان روبين) أن هذا الخطاب مبهم وغامض من حيث المحتوى ، فهو لا يشير فعلاً إلى نجران ، ولا يذكر اسم الملك المضطهد ولا اسم أي ضحية ولم يحدد المكان ولا الأشخاص ، ويرتكز على النصيحة والموعظة على المستوى الديني ، والدفاع عن الدين[164] . وكذلك نلاحظ أن من خلال الروايات السريانية قصة أصحاب الأخدود قد أخذت حيز كبير عند سكان الحيرة ، وهم أكثر من كتب عنها ، ومنهم (شمعون الارشمي) ، أما ياقوت الحموي فيذكر مدينة نجران أخرى تقع في العراق ، يقال انها على مسافة يومين من الكوفة فيما بينها وبين واسط على الطريق ، ويذكر أن نصارى نجران لما خرجوا سكنوا هذا الموضع وسمي باسم بلدهم[165] .

---

[164] - Robin.C.J. La Persecution Des Chretiens De Najran. P. 26 .

[165] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، الجزء الخامس ، ص 269 .



الشكل رقم (18) ، يوضح موقع ولاية عرابية البيزنطية

وبالعودة إلى الحيرة وملوكها ، فقد وضع الإخباريون العرب صورة كاملة عن معرفتهم بأولئك الملوك ، ولكنها في بعض المواضع تظهر لنا تلك المعرفة بشكل متضارب في تسلسل قوائم هؤلاء ملوك ، غير ان غوستاف روتشتاين أشار إلى ان القائمة التي وضعها (هشام بن

محمد بن السائب الكلبي) والتي نقلها عن أبيه هي القائمة الأدق قياساً بباقي الإخباريون[166] ، ولأنه في تلك الفترة لم يكن هؤلاء العرب يشكلون أهمية للسياسة الإمبراطورية ، لكن عندما سخنت الحرب الباردة في القرن السادس الميلادي أصبحوا أكثر وضوحاً من ذي قبل في الصراع الدائر في ذلك الوقت بين البيزنطيين والساسانيين ، حتى ان الملك الساساني كان أول من عين سيداً أعلى وحيداً على العرب في الأراضي الواقعة تحت سيطرته ، وهو المنذر بن النعمان (505 ميلادية – 553 ميلادية) ، والملقب بـ(المنذر الثالث بن ماء السماء) ، والذي عرف في الروايات العربية بـ(أمرؤ القيس) و(ابن ماء السماء) ، وان لتسمية (ابن ماء السماء) تشابه لفظي مع صيغة اسم (بر سميا) التي عرفها بها ملوك الحضر ، وكذلك ان المنذر هذا هو ابن الأميرة العربية (ماوية بنت جشم) ، أو التي عرفت باسم (ماريا) كما ذكرت بعض الروايات العربية ، حيث ان من الطبيعي ان مارية وماوية وبذلك بقراءة الراء واواً[167] ، أما زوجته فهي هند الكندية وابنائه هم عمرو وقابوس . وهذا المنصب للمنذر هو ما اجبر البيزنطيين على جمع القبائل العربية الموالية لهم ، تحت زعيم واحد وهو الحارث بن جبلة الجفني (529م – 569م) ، حيث تم منحه لقب (الملك) ، بعد ان كان كل الحكام العرب السابقين يدعون هذا اللقب لأنفسهم ادعاء فقط[168] ، واتصف المنذر ملك الحيرة بقوته وعظمته ، وهذا ما تؤكده الروايات المعاصرة ، وجاء في رواية بروكوبيوس في تاريخه عن ذلك: " حكم المنذر ، الذي يشغل منصب الملك ، لوحده كل العرب في فارس ، وكان قادراً على الدوام على القيام بغزواته بكامل جيشه حيثما أراد في المملكة الرومانية ، فلم يكن أي قائد للجيوش الرومانية ممن يسمونهم الدوتشي (Duce) ولا أي قائد للعرب المتحالفين مع الرومان الذين سموا (فيلارخ) (Phylarchs) ، ممكن يسمونهم شيوخ القبائل ، قوياً بما يكفي مع رجاله لأن يقف ضد المنذر ، لأن الجيوش المتركزة في المقاطعات المختلفة لم تكن نداً (على نحو انفرادي) للعدو في المعركة ، لهذا السبب وضع الإمبراطور يوسطنيان تحت أمرة الحارث بين جبلة أكبر عدد من العشائر ، وخلع عليه لقب ملك (Basileus) ، وهو ما لم يحصل لدى

[166] - غوستاف روتشتاين ، فصول من تاريخ اللخميين في الحيرة ، ترجمة د.منذر البكر ، دار الفيحاء للطباة والنشر ، ط1 ، بيروت ، ص 17 .

[167] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 46 .

[168] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 111 .

الرومان من قبل " [169]. وبذلك أصبح الصدام بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية يتمثل بالصدام العربي ، المتمثل بالمناذرة والغساسنة ، فذكرت رواية من ذلك العصر أن المنذر هذا استغل مع الملك الساساني خسرو الأول (551 ميلادية – 577 ميلادية) عدم ذكر العرب في معاهدة الصلح الساسانية البيزنطية وقام بالهجوم على الغساسنة بتلك الحجة ، حيث جاء في رواية (بروكوبيوس) :" تشاور خسرو مع المنذر بخصوص هذه المسألة (خرق المعاهدة مع البيزنطيين) وأمره بتوفير الأسباب للحرب ، وهنا ساق المنذر ضد الحارث تهمة أنه، أي الحارث ، كان يتعدى عليه في مسألة خطوط الحدود ، فدخل في نزاع معه في زمن السلم وبدأ يجتاح بلاد الرومان تحت هذه الذريعة ، وأعلن أنه فيما يتعلق به ، لم يكن يخرق المعاهدة بين الفرس والرومان ، لأن أيا منها لم يشمله فيها ، وكان هذا صحيحاً ، لأنه لم يرد أي ذكر للسراسنة (العرب) في المعاهدات ، بناء على كونهم مشمولين تحت أسمي الفرس والرومان ، في ذلك الوقت كان هذا البلد ، الذي تدعي الحق به قبيلتا السراسنة ، يدعى ستراتا (Strata) ، ويمتد إلى جنوب مدينة تدمر ، لا يوجد فيه مكان تنبت فيه شجرة واحدة أو أي زراعة مفيدة لأراضي الحبوب ، لأنه جاف بشكل زائد بفعل الشمس الحارقة ، لكنه منذور منذ القدم لرعي بعض قطعان الماشية القليلة ، في ذلك الوقت ظن الحارث أن المكان يعود إلى الرومان ، مبرهناً ادعاءه من طريق الاسم الذي طالما أطلقه الجميع عليه ، لأن ستراتا تفيد معنى (الطريق المرصوفة) باللغة اللاتينية ، واستنتج ذلك أيضا من شهادات أناس من أقدم الأزمنة ، على كل ، لم يكن المنذر ميالاً بأي شكل من الأشكال إلى الخلاف حول الاسم ، لكنه أدعى أن الجزية كانت تعطى له منذ القدم مقابل رعي أصحاب القطعان هناك" [170].

على الرغم من ان بروكوبيوس يضع ستراتا جنوب تدمر إلا أن نولدكة يضعها في الأراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربي من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى سرجيوس [171] ، ونشب قتال بينهم ، وكانت هذه الحرب من الأسباب التي أججت الحرب بين الساسانيين

---

[169] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 111 .

[170] - ربرت هيلند ، نفس المصدر ، ص 112 .

[171] - نولدكة ، امراء غسان ، ترجمة : بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، دار الوراق ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 39 .

والبيزنطيين مرة ثانية بعد ان كادت تنطفئ [172] ، غير أنه فيما بعد عادت الحرب بينهم بعد ان أخذت بالتوقف لفترة ، وهذه الحرب لم يتدخل فيها لا الفرس ولا الروم ، حيث قام المنذر بأسر احد ابناء الحارث وقدمه قربان إلى الآلهة العزى ، غير ان المنذر خسر في حربه التالية أمام الحارث[173] .

سرعان ما عاد القتال بينهم مرة أخرى سنة 554 ميلادية ، فقتل المنذر في هذه الحرب ، وجاء بعده لحكم الحيرة هو عمرو بن المنذر ابنه ، والمعروف بـ(عمرو بن هند) ، وكذلك بـ(المحرق ، مضرط الحجارة) ، وعمرو هذا لم تختلف سياسته عن سياسة والده ، حيث كان حليفاً للفرس ضد بيزنطة وعربها ، وقد أغار على الغساسنة في بلاد الشام عام 563 ميلادية أخذاً بثأر أبيه وإخضاع هؤلاء وإجبارهم على دفع الاتاوة ، وعهد إلى أخيه قابوس بمواصلة غزوهم في عام 566 ميلادية و567 ميلادية ، وكانت حجته ان جستنيان كان يدفع له كل سنة مائة رطل من الذهب منذ عقد معاهدة عام 561 ميلادية ، مقابل امتناع ملوك الحيرة عن مهاجمة مناطق الحدود السورية[174] . وجاء في تلك المعاهدة بعد ان كلم خسرو الأول السفير البيزنطي (بطرس) إلى مسألة العطايا التي أرسلت إلى ملك الحيرة عمرو (امبروس) ، فكانت هذه المسألة موضع اهتمام الفرس ، وقد فتح الشاه الموضوع بالطريقة الآتية : " ان عمراً من عربنا ، وقد غضب غير مرة واستهجن وصاح قائلاً بأننا نهمله تماماً عندما ندخل معكم في مفاوضات السلم " [175] . ورد بطرس :" لم يحدث إطلاقا ان تسلم عربكم من الروم أي قدر من الذهب لأدنى سبب أو بأي شرط ، وواقع أن أبا امبروس وهو الاموندروس (المنذر) كان قد أرسل بهدايا إلى سيد الروم الذي قبلها وأرسل له هدايا مماثلة ، غير ان هذا لم يحدث كل عام بل أنه حدث مرة واحدة خلال خمسة أعوام ، وقد راعينا نحن وراعى هذا الاموندروس ردحاً من الزمان ، ومعلوم تماماً ان سيف الاموندروس لن يرتفع ضد دولة الروم ، والآن فإن أخاك وسيدي قد أتخذ في ما أرى قراراً حميداً أيها الملك ، فقد قال ان السلام إذا ما استتب بين الدولتين فأي فائدة أجنيها من حمل رعايا

---

[172] - نولدكة ، نفس المصدر ، ص 50 .

[173] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 53 .

[174] - محمد سهيل طقوش ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النفائس ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص 401 .

[175] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 138 .

الفرس وعبيدهم ليخونوا سيدهم ، ولماذا أرسل لهم بالهدايا وأتسلمها منهم؟ " [176].ولذلك نرى ان مملكة الحيرة في ذلك الوقت كانت دولة قوية وذات أهمية ، حتى وصل الأمر لملوك الفرس الساسانيين في ضمان مصالحهم ، وقد اعترف بطرس بأن حكومة الروم قد أرسلت الهدايا إلى ملوك الحيرة ، ولكنه أعطى انطباعاً بأن الهدايا كانت متبادلة ، وأوضح أنها لم تصبح التزاماً سنوياً وأنها لم تدخل في مواد الاتفاقية ، وذكر ان المنذر أرسل الهدايا إلى الروم من دون ان يعلم الفرس أو يضع شيء في مصلحتهم[177] ، وفي الختام أورد بطرس ملاحظات باسم جستنيان مفادها بوجوب أتباع سياسة جديدة مع العرب ، وبما أن اتفاقية السلام قد قبلتها الحكومتين فإن إعطاء الهدايا للعرب وتسلمها منهم لم يعد ذو جدوى للروم ، لأنها لن تستفيد شيئاً منهم ، لكن خسرو الأول اضطر إلى تعليق المسألة ، تاركاً للخميين حرية تبادل السفارات مع بيزنطة وتبادل الهدايا الذي كان تعبيراً عن حسن النوايا منه تجاه الطرفين[178] ، فأرسل عمرو سفارته إلى بيزنطة ، واستفسر الإمبراطور عن مطلب ملكهم بعد ان أراد شخص واحد منهم ان يكلمهم ، إلا أن سفارة العرب رفضوا ذلك ورأوا أنه من الضروري الحفاظ على التقليد الذي اتبع سابقاً بتقديم جميع الشخصيات إلى الإمبراطور ، والى غير ذلك فإنهم اعتبروا الإمبراطور قد قام بإهانتهم ، ولما عادت السفارة إلى الحيرة ، نقلوا ما جرى لعمرو بن هند فأعطى الإشارة إلى أخيه قابوس بأن يهاجم عرب الروم الذين كانوا بزعامة المنذر بن الحارث الغساني الذي ورث ملوكية الغساسنة من أبيه ، وعلى ما يبدو فإن قابوس كان عامل عمرو على قسم من مملكة الحيرة ، ولعله القسم الغربي منها والأقرب إلى الغساسنة ، ولذلك حدث صدام بين قابوس والمنذر الغساني ذكر في حولية سريانية متأخرة تروي وقائع عام 881 بالتقويم السلوقي والذي يصادف عام 570 ميلادية وانتهى ذلك الصراع بهزيمة قابوس ، حيث تذكر تلك الحولية :" في يوم أربعاء الصعود لهذا العام عرض المنذر القتال وبعون الله تمكن من الغلبة على قابوس وانتصر الصليب " [179] . غير ان عمرو وسع نفوذه إلى ابعد من حدود الحيرة وخاصة في مناطق الجنوب ، حيث قام بالهجوم على

---

[176] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 138 .

[177] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 138 .

[178] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 139 .

[179] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 143 .

تغلب وطي بتحريض من أشخاص آخرين ، كذلك انه قام بغزو بني تميم وقتل منهم الكثير ، وألقى بهم في النار ، فعرف بـ(المحرق) ، والمحرق هو اله عربي عبده عرب العراق من قبيلة بكر بن وائل في موضع السلمان في بادية السماوة (نقرة سلمان) ، حيث كانت تقدم له الأضاحي البشرية المحروقة ، وان عبادته كانت تشبه عبادة الإله يهوه في اليهودية[180] ، وارتبطت في عبادة طقس ديني عرف في الحيرة باسم (المزق) ، حيث يقوم الملك بتوزيع ثروته أو أي شيء من رمزيات سلطته على أفراد القبيلة ، ويبادر إلى كسوتهم من مزق ثيابه تدليلاً على الرغبة الجماعية في الانتقال من العري إلى الكسوة ، والمثير ان هذا الطقس لا يزال مستمراً في العراق مع تعجيل طفيف ، إذ غالباً ما يقوم زوار المراقد في المدن المقدسة ، في بغداد وكربلاء والنجف ، بشراء المزق من قماش بلون اخضر تسمى الواحدة منها (العلك) حيث يجري تقديمها في ختام الزيارة إلى الأولاد والصبيان المنذورين للأئمة ، أو يجري ربك بعضها في شباك الضريح دلالة على رغبة الزائر في الحصول على مراده[181] ، وبذلك نجد ان عمرو بن هند قد قدم بني تميم كأضاحي بشرية إلى هذا الإله ، على الرغم من ان الرواية العربية كانت تذكر انه كان نصراني متأثراً بأمه هند ، وإضافة إلى ذلك فنجد بعض الروايات تذكر ان عمرو بن هند كان مقرباً من قبيلة بكر بن وائل ، وأنه قام بغزواته على الغساسنة بمساعدتهم .

قتل عمرو على يد عمرو بن كلثوم التغلبي عام 570 ميلادية ، بتحريض من أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة عندما حاول عمرو ان يستذلها ، وان يستعملها خادمة لأمه هند في إحدى المناسبات[182] ، وهو نفس العام الذين ولد به النبي محمد والمعروف في المصادر الإسلامية بعام الفيل ، وبذلك تسلم قابوس الملوكية على الحية بشكل رسمي ، خلفاً لعمرو ، غير أنه كان ذو شخصية ضعيفة ، لا يرقى لشغل هذا المنصب كما وصفته المرويات العربية ، وعلى العكس من ذلك نجد ان قابوس خاض عدة حروب وهو ملكاً على الحيرة ، حيث أورد يوحنا الافسوسي في تاريخه بعض التفاصيل عن حرب المنذر الغساني وقابوس ، بعد ان استغل ملوك الحيرة والفرس النزاع الذين نشب بين المنذر الغساني وبيزنطة حين اضطر إلى

---

[180] - فاضل الربيعي ، نفس المصدر ، ص 197 .

[181] - فاضل الربيعي ، نفس المصدر ، ص 199 .

[182] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 401 .

الابتعاد في جوف الصحراء والامتناع عن الدفاع عن حدود بيزنطة ، واغتنم الفرس هذه الفرصة وغزوا الأراضي السورية حتى بلغوا أنطاكية ، غير انه بعد ثلاثة أعوام من ذلك عادت العلاقات بين المنذر الغساني وبين بيزنطة ، وعندها جمع المنذر الغساني كافه جنده وهجم على حيرة النعمان وقتلوا الجند واحرقوا جميع ما فيها عدا بعض الأماكن النصرانية ، واخذوا الغنائم معهم إلى مناطقهم ، ووفقاً للروايات فإن قابوس هو الملك الوحيد الذي مات في الحيرة ، لأن الملوك من قبل قد قتلوا أثناء حروبهم[183] .

بعد موت قابوس كان هناك شبه فوضى عاشتها الحيرة ، فلا يوجد مصدر يتكلم عن تلك الفترة بشكل واضح ، وربما ان الحيرة عانت من فراغ في الملكية في تلك الفترة ، غير ان بعض المصادر أشارت إلى ان خسرو الأول تدخل بنفسه ومن أجل السيطرة على الأوضاع في الحيرة ، قام بوضع شخص يدعى (فيشهرت أو زيد) على ملوكية الحيرة ، واستمرت ملكيته لمدة سنة واحدة فقط ، إلى ان جاء المنذر بم المنذر بن ماء السماء والذي حكم الحيرة من سنة 582م إلى سنة 585م ، وهو شقيق عمرو وقابوس ، غير أنه لم يختلف عن أخوته وأبيه المنذر في سياسته تجاه الغساسنة ، فدخل في معارك ضدهم ، وفي احد المعارك نجح الغساسنة بأسر ابنه امرؤ القيس ، وبقي أسيراً عندهم إلى ان حررته قبيلة بكر بن وائل بعد ان قاموا بالهجوم على بادية الشام ، فأرسل الحارث بعد هذا الهجوم جيشاً إلى الحيرة فنهبها واحرقها[184] .

ترك المنذر أثني عشر ولداً سموا بـ(الاشاهب) لجمالهم ، وأشهرهم الأسود ، وكان المنذر قد أرسل ابنه النعمان إلى عدي بن زيد التميمي وهو رجل من عباد الحيرة ، ليربيه وينشأه نشأة أميرية ، وأرسل ابنه الأسود إلى عدي بن أوس بن مرينا ، وهو من أشراف الحيرة المقدمين عن خسرو الأول ، ولما دنت ساعة وفاته لم يملك أحدا منهم ، وأوصى بهم إياس بن قبيصة الطائي ، وملكه على الحيرة إلى ان يرى هرمز بن خسرو رأيه ، الذي خلف والده خسرو الأول[185] .

[183] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 144 .

[184] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 402 .

[185] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 402 .

بأمر من خسرو الثاني الذي خلف والده ، تسلم النعمان بن المنذر ملوكية الحيرة ، بعد أشهر من وفاة والده ، بناء على نصيحة عدي بن زيد احد كتبة ومترجمي خسرو الثاني ، وفي عهده عاشت الحيرة فترة متقدمة في الترف والنمو الاقتصادي ، غير أنه واجه مشكلة سببت له فقدان حياته وهي تدهور علاقته مع خسرو الثاني ، قيل بسبب سجن النعمان لعدي بن زيد ثم قتله[186] ، بعد ان قام عدي بن أوس بزعزعة مكان عدي بن زيد لدى النعمان ، كذلك بعد ان قام أعداء عدي بن زيد وهم بني بقلية وهم فرع من غسان في الحيرة ، بدس رسالة على لسان عدي بن زيد كتبوا فيها مكر ومؤامرة بالنعمان ، لذلك قام النعمان باستدعاء عدي وسجنه ، حيث علم الملك الفارسي خسرو الثاني بذلك ، عن طريق شقيق عدي وقام على أثر ذلك بإرسال رسولاً وهو (زيد ابن عدي المسجون لدى النعمان) إلى الحيرة عرف به أعداء عدي ، فنصحوا النعمان بقتله قبل وصول الرسول ، وفعل النعمان ذلك بصورة سرية ، غير ان زيد بن عدي أراد ان ينتقم إلى أبيه ، فاستغل حاجة خسرو الثاني إلى زيادة عدد حريمه ، فقام زيد بإخبار خسرو عن جمال الأميرات اللخميات ، بالرغم من أنه يعلم ان العرب لا يزوجون بناتهم إلى الغرباء ، غير ان النعمان رفض ذلك وبقوة ، وغضب خسرو بسبب ذلك فاستدعي النعمان إلى قطيسفون[187] ، وإضافة إلى ذلك فيذكر مصدر سرياني ان أسباب الخلاف بين النعمان وخسرو الثاني تتعدى مسألة رفض النعمان تزويج ابنته من خسرو الثاني فقط ، وإنما بسبب عدم مساعدة النعمان لخسرو في حرب استعادة السلطة من بهرام جوبين في قطيسفون ، ورفضه لرجاء الملك حول الهدية وهي حصان ثمين ، كذلك مسألة الزواج [188] ، غير ان غوستاف روتشتاين يرى أن ان هذه الأسباب غير مقنعة كأسباب لسقوط السلالة اللخمية في الحيرة ، وان السبب الحقيقي هو ان بسبب نهج النعمان الاستقلالي ومحاولته الخروج عن السيطرة الفارسية ، والى ذلك فإن خسرو لم ينجح في السيطرة على النعمان بالقوة ، غير ان النعمان غادر الحيرة والتجئ إلى طي وكان متزوجاً منهم غير أنهم خافوا كسرى ، فانتقل إلى غيرهم من القبائل ولم يجد إلا

---

[186] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 403 .

[187] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 88 .

[188] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 89 .

صدوداً، وتوجه أخيرا إلى منزل هانئ بن مسعود الشيباني ، فأودعه أهله وماله وسلاحه [189] ، ثم سلم نفسه إلى كسرى ، ولا شيء يدل على ان النعمان قام بذلك بصورة طوعية ، فحسب بعض الروايات العربية نجد ان هانئ هو من دفعه إلى ذلك ، غير أنه بحسب رواية سريانية نجد ان رجعة معن من جزيرة دارين وكذلك زوجته ماوية (مارية) هما اللتان دفعتا النعمان لتسليم نفسه إلى كسرى[190] ، فقبض عليه وسجنه في خانقين (شرق العراق) ، وبقي في سجنه حتى أصيب بمرض الطاعون وتوفي ، وفي رواية أخرى ان كسرى سجن النعمان بـ(ساباط المدائن) ثم أمر به فرمي تحت أرجل الفيلة .

يروي الإخباريون العرب ان النعمان اشتهر بالقوة العسكرية التي توفرت له والتي تألفت من كتائب مشهورة منها : الاشاهب والدوسر والوضائع والرهائن ، وغيرها ، وقيل ان بلاطه كان يضاهي بلاط كبار الملوك ، وان الشعراء قد وفدوا إليه ومن بينهم حسان بن ثابت والنابغة الذبياني ، وكذلك قيل أنه كان مقرب من حاتم الطائي[191] .

بعد وفاة النعمان انتهى حكم سلالة المناذرة في الحيرة ، وقام خسرو الثاني بتعيين إياس بن قبيصة الطائي ، ملكاً على الحيرة ، ووضع بجانبه عامل فارسي يدعى (النخيرجان أو النخورجان) ، وربما أنه لقب فقط ، وعلى ما يبدو فإن إياس كان غير مرغوب به من بعض أهل الحيرة ، فحدثت في فترته الحروب بين العرب والفرس ، حيث ثارت القبائل العربية ضدهم ، وتوغل بعضهم بشكل أكبر إلى العمق مع الفرس ، وبذلك حدثت معركة (ذي قار)[192] ، التي انتهت بنصر العرب على حد زعم الرواية العربية ، غير أننا لدينا رأي ثاني حول ذلك وهذا ما سنتكلم عنه في الفصل القادم .

ذكر أسم إياس في بعض الأحيان بصيغة مختصرة (إياس بن قبيصة) غير أنه أحياناً يذكر بشكل مطول ، فذكر أحياناً : (إياس بن قبيصة بن أبي عفراء) ، وأحياناً أخرى : (إياس بن قبيصة بن النعمان بن حية بن سعنة) ، وكان له خال يدعى (حنظلة بن أبي عفراء ب النعمان) ، ويقال أنه كان نصرانياً ، وان بعض الطبر ذكر بأنه إياس كان من عباد الحيرة ،

---

[189] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 403 .

[190] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 90 .

[191] - محمد سهيل طقوس ، نفس المصدر ، ص 404 .

[192] - محمد سهيل طقوش ، نفس المصدر ، ص 405 .

وكان لإياس أخ يدعى قيس بن قبيصة يسكن بلدة عين التمر ، وتذكر الروايات العربية ان إياس توفي في عين التمر[193] . وأسرة قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق لإياس ان عهدت إليه مهام الملوكية في الحيرة بعد وفاة المنذر كما ذكرنا ، وذكرت روايات الإخباريون أنه كان مقرب من خسرو الثاني أنه ساعده حينما هرب من بهرام جوبين ، وأهدى أليه فرساً وجزوراً ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم ، فلما فر ابناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك لمدة ، تذكر خسرو فضل إياس ، ولهذا عينه على ملوكية الحيرة ، غير أنه كان معجب بإياس وبشجاعته ، حتى أن إياس كان يساعده في حروبه ، وأنه استند به في حربه ضد قيصر ، فتعقبه حتى أدركه في موضع (ساتيدما) ، وقتله جنوده ، غير ان قيصر نجا من إياس بصعوبة ، وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصفهاني ان خسرو الثاني كان قد ولى إياس على عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأهداه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات[194] ، غير أن سيرة إياس نجدها متضاربة في الكثير من المواضع ، فلم يصل ألينا من سيرة حكمه سوى بعض الإخباريات البسيطة التي لا تتناسب مع حجم الأحداث التي جرت في عهده إلا ما ذكر عن معركة ذي قار ، وكذلك لم يشير الإخباريون إلى قيامه بغارات على عرب الشام ، مع العلم ان عهده شهد توتر الأوضاع بين الفرس وبيزنطة ، وكأن قصته اقتطعت لشخصيات أخرى . وتذكر الروايات ان الفرس عزلوا إياس على أثر خسارتهم في ذي قار ، وعينوا حاكماً فارسياً يدعى (ازادبه بن ماهان الهمذاني) ، إلا ان هذا الحاكم لم يتمكن من ان يعيد الثقة التي كانت بين المناذرة والفرس ، وفي عهده استقلت القبائل العربية التي ارتبطت بالفرس ومنها (بكر بن وائل) ، إضافة إلى قبائل أخرى ، وهذا ما أجبر الفرس على ان يعيدو أحد ابناء النعمان إلى الحكم في الحيرة ، وهو (المنذر المغرور) ، وقيل ان عرب الحيرة استغلوا الصراع على السلطة عند الفرس فقاموا بعزل ازادبه ونصبوا المنذر المغرور بمكانه ، وأن الأمر أصبح واقع حال على الفرس[195] ، وأما عن عهد المنذر المغرور فحدث الأمر الأعظم وهو ظهور الإسلام في العراق ، وانتهى حكمه بذلك .

---

[193] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص 93 .

[194] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 292 .

[195] - محمد طقوش سهيل ، نفس المصدر ، ص 405 .

عن ديانة الحيرة ، فإنه من الواضح ان سكانها كانوا يعبدون الآلهة المتعددة وكما ذكرتها الروايات العربية ، مثل اللات والعزى والمحرق ، كما وجد أتباع للمانوية والمزدكية في الحيرة وكذلك عدداً من اليهود ، إلا أن اضطهاد بيزنطة للنساطرة في المناطق التي تحت سيطرتهم أجبرتهم إلى الهجرة إلى بلاد العراق والفرس ، فجلبوا معهم تعاليمهم ونشروها ، حيث كانت الحيرة أرضا خصبة لتلك التعاليم بسبب كونها ديناً مضطهد من قبل بيزنطة أعدائهم ، وتذكر المصادر التاريخية ان النعمان بن الشقيقة (403 ميلادية – 431 ميلادية) هو أول من تنصر من ملوك الحيرة ، وأن كان ذلك صحيحاً فنجد ان تنصر هؤلاء الملوك في تلك الفترة لم يكن بشكل مستمر ، حيث كانوا بسهولة يعودون إلى عبادة الآلهة الأخرى ، في حين ان معظم سكان الحيرة انضموا إلى المسيحية مع بداية القرن الخامس ، ويذكر كتاب المجامع الشرقية بعضاً من أساقفتها الذين شاركوا في مجامع الكنيسة الشرقية ومنهم (شمون بن جابر ، يوئيل ، افرام ، نرساي ، شمعون ، أيليا ، وغيرهم) ، بالإضافة إلى بعض الأساقفة الذين كانوا من أصل حيري ، مثل (سبريشوه ، يوحنا الأزرق ، وايشوعداد وخوداهوي) ، ومنذ القرن الخامس الميلادي أصبحت الحيرة مركزاً دينياً هاماً ، بالإضافة إلى كونها مركز تجاري وثقافي للمسيحية ، وكذلك كونها مدينة قوافل إلى مدن أسيا الداخلية ، ومن الحيرة انطلقت النسطورية إلى مناطق شرق الخليج العربي نحو البحرين وعُمان والإمارات اليوم[196] .

وفي الحيرة عقدت مجاميع كنسية لكنيسة المشرق النسطورية مثل مجمع دادايشوع سنة 424 ميلادية ، ودفن فيها عدد من جثالقة المشرق ، مثل (داديشوع وحزقيال وجرجيس وإبراهيم وغيرهم) ، وكذلك شيدت في الحيرة كناس جميلة حسنة البنيان ، مزخرفة بالنقوش والفسيفساء ، ورد ذكر بعضها لدى المؤرخين العرب ، مثل بيعة مار توما وكنيسة الباعوثة وبيعة دير اللج وكنيسة دير هند الكبرى ودير عند الصغرى وغيرهما من الكنائس والأديرة ، وقد كشف التنقيبات الأثرية عن بعض هذه الآثار في الحيرة[197] ، إضافة إلى ان رهبان الحيرة الذين خرجوا منها قاموا ببناء أديرة خارجها مثل الدير الشهير في الموصل (دير

---

[196] - الاب سهيل قاشا ، صفحات من تاريخ المسيحيين العرب قبل الاسلام ، المكتبة البوليسية ، ط1 ، 2005 ، ص 57 .

[197] - الاب سهيل قاشا ، نفس المصدر ، ص 58 .

مار إيليا الحيري)[198] ، والذي دمره تنظيم داعش الإرهابي ، غير ان هذا لا يعني عدم وجود أتباع لليعقوبية في الحيرة ولكنهم كانوا أقلية أسوة بالنسطورية ، وأن أهم حدث ساعد بانتشار النصرانية في الحيرة بشكل خاص وباقي البلاد التي تقع تحت سيطرة الفرس هو قرار الملك الساساني يزدجر الأول (399 ميلادية – 421 ميلادية) الذي وضع حد للاضطهادات التي تعرض لها المسيحيين ، فجاء في قراره :"ففي العام الحادي عشر من حكم يزدجرد ملك الملوك المجيد أسبغ حمايته وسلام على جماعات النصارى ومنح الحق لعبيد الرب كي يحمدوا المسيح علانية في وجودهم وفي موتهم وفي حياتهم " [199] . وبالانتقال إلى مرحلة ما قبل الإسلام بشكل مباشر ، حيث نجد في رواية سريانية حول تنصر النعمان بن المنذر بعد ان كان وثني يعبد العزى ، وجاء فيها :" آنذاك حتى النعمان فيلارخ الاسكينيين الأعداء ، ذلك الوثني الملعون النجس والذي كان يقدم القرابين بيديه لشيطانه ، لم يثلث أن قبل التعميد المقدس وألقى في النار تمثال أفروديت (العزى) المصنوع من الذهب الخالص وأختار حياة الفقر وساق كل من كانوا معه إلى الله "[200] . ويقال ان شمعون أسقف الحيرة هو من قام بتعميده ، وهذه الرواية هي دليل مهم على حدوث ثورة دينية نسطورية في تلك الفترة ، فهذه القصة تعطينا بعض التشابه بين ما قام به النعمان وبين ما قام به النبي محمد بعد دخوله إلى مكة في عام الفتح وبعد ان كسر الأصنام حول الكعبة .

الى ذلك لا يمكن لنا ان ننكر كل تاريخ ما تسمى اليوم بجزيرة العرب ، فقد ظهر هناك السبئيين والحميريين والكنديين وغيرهم ، وانشئوا ممالك قوية كانت ذات أهمية كبيرة في ذلك الوقت ، والى ذلك كانت المصادر الكلاسيكية تشير إلى تلك البلاد باسم (العربية السعيدة) (Arabia Felix) ، والتي كانت تمتد من اليمن جنوباً إلى شمال ما تسمى اليوم بجزيرة العرب في حدودها المتاخمة مع العراق والشام ، حتى إن بنيامين التطيلي في رحلته كان يضع مكة الحالية في ارض اليمن ، لأن التأثير اليمني كان يشمل مكة الحالية أيضا ، وبذلك معظم أراضي السعودية تقع ضمن اليمن تاريخياً وخاصة المناطق الغربية للسعودية ، أما الشرقية منها فكانت امتداد حضاري لحضارات العراق القديم.

---

[198] - الاب سهيل قاشا ، نفس المصدر ، ص 58 .

[199] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 325 .

[200] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 332 .

الفصـــل الثـــاني

الإسلام إثناء حياة النبي محمد

مع القرن السابع الميلادي اهتز العالم بنبأ هزيمة أقوى إمبراطوريتين في تلك الفترة وهي الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية على يد العرب أصحاب الدين الجديد ، وهذا ما تكلمت عنه مصادر ذلك العصر ، وعلى الرغم من ان الروايات العربية والتي المفروض أنها أدق والأصح عن تلك الفترة إلا أننا نراها تختلف عن ما ذكرته الروايات الغير العربية عن تلك الفترة وعن قصة نشوء الإسلام ، حيث ان تلك الروايات العربية تتفق على شيء واحد وهو ان الإسلام جاء من مكة في جزيرة العرب الحالية وان دولة الإسلام قامت في المدينة بعد هجرة المسلمين أليها ، وان محمد بن عبد الله هو صاحب دعوة الإسلام ، وصدقه في البداية القليل من المقربين منه ومن ضمنهم زوجته خديجة بنت خويلد وابن عمه علي ابن أبي طالب وأبو بكر وغيرهم ، وثم ان النبي محمد من المدينة وبعد هجرته يقوم بالغزوات والحروب لنشر الإسلام ، إلى ان يتوفى سنة 632 ميلادية ، فيتسلم أبو بكر الصديق شؤون المسلمين من بعده ، واستمرت خلافته حوالي سنتين منذ عام 11هـ إلى 13هـ ، وكان أبرزها هو حروب الردة وفتوحات بعض مناطق العراق والشام ، وجاء بعده الخليفة الثاني عمر بن الخطاب والذي استمرت خلافته حوالي عشرة سنوات ، شهد خلالها الكثير من الأحداث مثل إكمال لفتوحات العراق والشام ، وفتحه لإيران في الشرق ولمصر وبعض مدن شمال إفريقيا في الغرب ، وكذلك اشتهر بالتنظيمات الإدارية والسياسية ، غير انه قتل في المدينة وهو يصلي بالناس صلاة الفجر في عام 23هـ والمصادف عام 644م ، وجاء بعده عثمان بن عفان وخلف المسمين لمدة 12 سنة منذ عام 23هـ إلى عام 35هـ ، واشتهرت خلافته بجمعه للقرآن وإكمال للفتوحات على بلاد شرق ايران وشمالها وباقي المدن في شمال إفريقيا ، غير انه قتل نتيجة هجوم للمتمردين في المدينة على داره ، وتسلم من بعده علي ابن أبي طالب الخلافة التي دامت خمسة سنوات فقط ، حيث عرفت خلافته بعدم الاستقرار السياسي نتيجة لكثرة الحروب مع المتمردين والمنشقين عنه في البصرة وفي الشام ، وأشهر ما حدث هو نقله عاصمة الخلافة الإسلامية إلى الكوفة ، ومعركة الجمل في البصرة التي تروي الروايات الإسلامية أنها قامت بسبب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، ومعركة صفين

مع جيش معاوية من الشام الذي رفض مبايعته وحادثة التحكيم وظهور الخوارج ، غير ان ابن ملجم ضربه على رأسه وهو يصلي في مسجد الكوفة عام 60هـ ، حتى توفي بعدها بثلاثة أيام .

أن كل تلك الأحداث في التاريخ الإسلامي تروى عند الرواة العرب بشكل متناقض وغير متطابق ، وبشكل يدعونا لوضع الكثير من علامات الاستفهام حولها ، فلا توجد رواية ثابتة عندهم ، وما أن نجد رواية في احد الإخباريون العربي حتى نجد رواية أخرى عند إخباري اخر يتكلم عن نفس الحدث ولكن بشكل مغاير ، ولكن ما يتفق عليه الرواة بشكل عام هو مكان نشوء الإسلام وعن الكيفية التي خرج بها الإسلام من ذلك المكان الذي نشأ فيه، مع العلم إن هذه الرواية المتفق عليها عند المسلمين هناك روايات تناقضها من ناحية الجغرافية الروايات الغير العربية حول نشأة الإسلام وحول المكان الذي نشأ فيه والمكان الذي خرجت منه الفتوحات ، وعلى الرغم من أن تلك الروايات العربية كتبت من تأخير متأخر في العصر العباسي بالتحديد ، إلا أن ذلك لا يعني أن نهمل كل الروايات تلك ، فبعضها يتطابق مع ما نراه حقيقي حول قصة نشأة الإسلام ، وبعضها يتطابق مع ما توفر من دلائل مادية من أثار وعملات .

تقول الرواية العربية للإسلام ان الإسلام نشأ في مكة في وسط ما تسمى بجزيرة العرب ، ولكن لا يوجد ما يؤكد ان مكة هي المدينة نفسها التي جاء منها الإسلام ، أو بالأصل لا يوجد ما يؤكد أن مكة هي مدينة تاريخية ، حيث أنه ما من مصدر قديم خارج التقليد الأدبي الإسلامي يشير إلى مكة الحالية بالاسم ، وعلى ما يبدو فإن أقدم الإشارات هي تلك الموجودة في إحدى النسخ السريانية من سفر ميثوديوس القيامي المنحول ، لكن رغم أن السفر ذاته يعود إلى نهاية القرن السابع ، فالإشارات إلى مكة التي تميز هذه النسخة تبدو على الأرجح ثانوية[201] ، أما الإشارة المسيحية الثانية فترد في نص (التواصل البيزنطي العربي)[202] ، وهو مصدر يرجع إلى بداية حكم هشام بن عبد الملك بن مروان وينتهي بنهاية حكمه ، غير أن هذه الرواية تضع موقع بيت إبراهيم بين اور الكلديين وحران ، والقرآن من ناحية أخرى

---

201 - F. Nau. Révélations et légends. Méthodius. Clément. Andronicus. *Journal asiatique*. 1917. PP. 427, 341 = 437, 440

202 - Continuatio Byzantia Arabica. P. 347

يقدّم إشارة واحدة إلى مكة في سورة الفتح :"وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا "[203] .والتفسيرات الإسلامية لهذه الآية تقول ان المقصود ببطن مكة هو الحديبية ، ولكن بنفس الوقت نجد ان القرآن لا يشير إلى موقعها نهائياً ، غير أنه في سورة أخرى أشار إلى البيت في منطقة أو مدينة ما تدعى (بكة) ، وكما جاء فيها : " إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ "[204].

على الرغم من ان التقليد الإسلامي يحاول الربط بين مكة وبكة ، إلا انه لا يوجد ما يؤكد ذلك ، وغير ذلك أشار البعض إلى كون بكة هي نفسها وادي البكاء الذي ذكر في سفر المزامير ، إلا أنه هو الاخر عليه شك كبير حول مكانه وصحة وجوده ، ويذكر ياقوت الحموي موقع قرب الحيرة يقال له بقة (بكة باللهجة العراقية) ، وبقة هي موضع قريب من الحيرة وقيل أنها حصن على مسافة فرسخين من مدينة هيت ، كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة[205] ، وإضافة إلى ذلك أشار بعض الباحثين العراقيين حديثاً إلى ان بكة هي مدينة اور السومرية وان الزقورة هي المقصود بها (أول البيت) الذي ذكر في سورة ال عمران ، حيث استند هؤلاء إلى كون ان الزقورة تحتوي في بنائها على ما تسمى بالعيون الدامعة ، وهذه العيون يصبح شكلها وكأنها عين تبكي أو تدمع عند هطول الأمطار حيث ان الرواية الإسلامية والتوراتية أشارت إلى كون ان النبي إبراهيم كان من مدينة اور أو من مدينة قريبة عليها ، والآية التالية من سورة ال عمران تحدثت عن مقام إبراهيم ، وجاء في الآية : " فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّه غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ "[206] .

العراقيين اليوم يعتقدون ان مقام إبراهيم موجود قرب الزقورة ، إلا ان هذه الرواية بنيت على أسس دينية فقط ، ولذلك فإن هذه الفرضية تحتاج الكثير لإثباتها ، أما المقام المنسوب لإبراهيم الذين يوجد اليوم في مكة وداخل الحرم ، فهو من اختراع عباسي في عهد

---

[203] - القرآن ، سورة الفتح ، الآية 24 .

[204] - القرآن ، سورة ال عمران ، الآية 96 .

[205] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، الجزء الأول ، 473 .

[206]- القرآن ، سورة ال عمران ، الآية 97 .

الخليفة العباسي المهدي (775م – 785م) ، ولذلك فهو لم يعرف قبل هذا الخليفة. وأشار الباحث الكندي دان غيبسون في كتابه جغرافية القرآن إلى هذه الإشكالية وذكر انه في عام 2002 وفي أثناء زيارته لأحد المؤتمرات في الأردن والذي نظمته جامعة الحسين بن طلال ، أتيحت له فرصة سؤال علماء الآثار من الأردن والسعودية عن السجل التاريخي الآثاري لمكة وما حولها من مدن ، فذكروا له : ان السجل الآثاري لمكة كان في الأساس غير موجود قبل عام 900 ميلادية ، وذكر أنه كان يتوقع منهم ان يدافعوا عن الرأي بأن مكة هي مدينة تاريخية قديمة وكانت مسورة مع منازل وحدائق ومباني عامة معابد ، غير أنهم قالوا له : لم يكن هناك أي شيء من هذا القبيل هناك[207] .

المرويات العربية تذكر ان مكة هي مدينة تجارية وهي مدينة قوافل ، إلا أن الباحثين اليوم لهم رأي اخر في هذا ، وخاصة في كون مكة كانت مركز تجاري في ذلك الوقت ، فنجد ان باتريشيا كرونة تتساءل عن طبيعة التجارة المكية أن وجدت ، فتقول : ما تلك البضائع التي مكنت أهل مكة من الاستحواذ على مكانة تجارية بمثل هذا القدر من الاتساع؟ أن ازدهار تلك الإمبراطورية التجارية غير المتوقع أمر ليس من السهل توضيحه ، ومما لا شك فيه لأنه كانت توجد هناك مراكز تجارية في شبه الجزيرة العربية ازدهرت في مناطق لا يمكن مقارنتها بأراضي مكة الجرداء ، ومنها عدن على سبيل المثال ، التي كانت تستمد أهميتها من موقعها على البحر[208] ، وأشارت أيضا إلى ان موقع مكة لا يسمح لها بأن تكون مدينة قوافل تجارية ، وأن مكة باعتبارها ارض جرداء تذكر : ان المناطق الجرداء لا تتخذ مكاناً لمحطات تجارية ، خصوصاً أن القافلة كان يمكن ان تجد لها منطقة خضراء على مسافة قريبة منها مثل الطائف ، فلماذا أذن تتوقف في مكة ولا تتوقف في الطائف؟ ، وان الطائف كانت يمكن ان تقدم التموين اللازم لتلك القوافل ، ثم ان مكة لا تقع على طريق الطيوب إطلاقاً ، فالذهاب من جنوب العربية إلى سوريا عبر مكة يعني الابتعاد عن الخط الطبيعي لها ، وان طريق البخور كان يبعد عن مكة بمسافة تبلغ حوالي ألف ميل[209] ، إضافة إلى ذلك لا توجد

[207] - Dan. Gibson. Quranic Geography. P 223 .

[208] - باتريشيا كرونة ، تجارة مكة وظهور الاسلام ، ترجمة أمال محمد الروبي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2005 ، ص 38 .

[209] - باتريشيا كرونة ، نفس المصدر ، ص 42 .

أي خريطة تجارية قديمة تذكر مكة وموقعها وأي شيء اخر يتعلق بها ، إلا أننا وفي الفترة التي سبقت ظهور الإسلام نلاحظ مكانة العرب في التجارية الإقليمية في تلك الفترة ولكن بموقعهم ومساكنهم وترحالهم التجاري في الشمال ، والمقصود بهم العرب الذين سكنوا مناطق العراق والشام أو بالأحرى العرب على حدود بيزنطة وإيران ، ففي نص معاهدة الصلح بين البيزنطيين والساسانيين الفرس والتي تكلمنا عنها في الفصل الأول والتي عقدت عام 561م ، وردت إشارات مهمة عن تلك التجارة عند العرب في المعاهدة بالتحديد في المادة الخامسة منها ، حيث حظر على التجار العرب ان ينقلوا السلع خارج نقاط الضرائب ، وحظرت عليهم أيضا وعلى غيرهم من رعايا الدولتين ان يسلكوا طرقاً غير معروفة ، بل حددت لهم الطريق المار بنصيبين ودارا بالذات دون غيرها من الطرق إلا إذا ما حصلوا على أذن بذلك ، وإذا ما جرؤا على نقض هذا القرار بأن داروا سراً حول نقاط الضرائب فسوف تتعقبهم سلطات الحدود لتسلمهم بما يحملون من السلع الشرقية أو الرومية لكل من الطرفين لإنزال العقاب بهم[210] ، وهذه المادة تبين ان العرب أخذوا طرفاً في تلك التجارة العالمية ، وكانت لهم الريادة في هذا الميدان[211] ، حيث ان هذه المعاهدة كانت تخص عرب العراق والشام دون غيرهم.

على الرغم من ان الرواة العرب يرجعون تاريخ مكة إلى ما قبل ميلاد النبي إسماعيل وبناءه للكعبة مع أبيه إبراهيم ، إلا ان هناك إشكالية كبيرة حول ذلك ما ذكرنا سابقاً ، لأننا لا نملك أي مرجع نرجع إليه يذكرها ، ولا أي مورد كتابي ونص مدون من فترة العرب قبل الإسلام وبعده في فترته المبكرة ، وحتى ان الروايات الكلاسيكية والسريانية لم تشير إلى موضع يدعى مكة ، وعلى الرغم من ان الجغرافي بطليموس (Ptolemy) في القرن الثاني الميلادي أشار إلى اسم مدينتين الأولى تدعى (موكا) (Moca) ، والثانية تدعى (ماكورابا) (Macoraba) ، لكن البعض يرى أن تتبع إحداثيات المكانين من كتابات بطليموس ، يرينا أن موكا تقع شمال ما تسمى بجزيرة العرب اليوم قرب البتراء في الأردن (الشكل رقم 19 ، 20) ، بينما ماكورابا تقع في شرق جنوب تلك الجزيرة العربية ناحية عُمان ، أما ما ذهب إليه البعض من ان المعبد الشهير الذي ذكره (تيودور الصقلي) في ارض قبيلة عربية اسمها (Bizomeni) ، وأوضحوا أنها

---

[210] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 136 .

[211] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 137 .

الكعبة في مكة! فهو رأي لا يستند إلى دليل مقبول ومعقول ، فالموضع الذي يقع المعبد فيه هو موضع بعيد عن مكة بعداً كبيراً ، وهو يقع في (حمسى) في المكان المسمى (الروافة) ، وقد كانت في هذه المنطقة وفي المحلات المجاورة لها معابد أخرى كثيرة أشار إليها الكتبة اليونان والرومان ، ولا تزال أثارها باقية[212] ، ومعبد الروافة (الشكل رقم 21) هو معبد وثني عربي يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تبوك بالقرب من ساحل الشرقي للبحر الأحمر ، وشكل بنائه اقرب للمعابد النبطية وخاصة ان هذه المنطقة كانت تابعة للأنباط حيث كانت مدينة مأهولة بالسكان في زمنهم ، ويعود تاريخ إنشائه إلى عام 161م ، على يد الثموديين تخليداً لذكرى الإمبراطورين ماركوس أورليوس أنطونيوس ، ولوسيوس أورليوس فيروس ، وهما الأميران الرومانيان اللذان تم بناء المعبد على شرفهما وأهدي لهما. وكان الأول قد حكم الإمبراطورية الرومانية عام 161م ، أما الثاني فهو القائد الروماني في بلاد سوريا .



الشكل رقم (19) ، يوضح موقع (موكا)

212 - جواد علي ، نفس المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 10 .



الشكل رقم (20) ، معبد الروافة

تتفق الروايات الإسلامية على ان لمكة عدة أسماء منها : (أم القرى ، البلد الأمين ، كوثا ، وغيرها من اسماء) ، إلا ان ذلك لا يتفق مع هو حقيقي ، فمكة ليست قرية ولا تجاروها قرى ، أما بالنسبة لـ(كوثى) ، فكوثى هي مدينة بابلية ، تقع إلى شمال من مدينة بابل التاريخية ، وتعرف اليوم بناحية جبلة ، ورد ذكرها في السجلات الآشورية والبابلية ، كانت مدينة كوثى هي مركز عبادة الإله نركال البابلي زوج الآلهة ارشكيكال (اللات عند العرب) حسب الأساطير البابلية القديمة ، حيث نملك نص من لوح ورد فيه بعض الحكايات الشعبية ، يذكر مدينة كوثى يعود للعام السادس لحكم الملك الآشوري سرجون الثاني أي في سنة 716ق.م ، وهذه بعض مقتطفات النص :" ...عندما ذهب إلى مدينة كوثى (Cutha) ، أخذوه إلى المحكمة عند مطلع الفجر في بوابة الحاكم ..."[213] .

أما عند ياقوت الحموي ، فإنه ينقل رواية عن عدة أشخاص مفادها انه عندما سئل علي ابن أبي طالب عن نسب قريش : " قال : من كان سائلاً عن نسبنا فإننا نبط من

[213213] - دبليو. جي. لامبرت ، أدب الحكمة البابلي ، ترجمة حسان الشهواني ، دار السجى ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 2015 ، ص 193 .

كوثى ، وروي عن ابن الأعرابي أنه قال : سأل رجل علياً أخبرني عن أصلكم معاشر قريش ، فقال : نحن من كوثى ، قال ابن الأعرابي : واختلف الناس في قولي علي عليه السلام ، نحن من كوثى فقال قوم : أراد كوثى السواد التي ولد بها إبراهيم الخليل ، وقال آخرون : أراد بقوله كوثى مكة ، وذلك ان محلة نبي عبد الدار يقال لها كوثى فأراد أننا مكيون من أم القرى مكة ، فقال أبو منصور : والقول هو الأول لقول علي عليه السلام فإننا نبط من كوثى ، ولو أراد كوثى مكة لما قال نبط ، وكوثى العراق هي سرة السواد ، وأراد عليه السلام ان أبانا إبراهيم عليه السلام كان من نبط كوثى وأن نسبنا ينتهي إليه ، ونحو ذلك قال ابن عباس : نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى "[214] .

ان هذه الرواية تحمل بعض الصحة في كون ان الكوثى هي مدينة في العراق ، وان اسم كوثى تم إلحاقه فيما بعد كاسم من اسماء مكة الحالية ، فالرواية واضحة تذكر مع كوثى قوم يقال لهم النبط ، والنبط هؤلاء ليسوا الأنباط في الأردن ، ولا سكان مكة ، بل أنهم سكان العراق قبل الإسلام وبعده والذين ينتسبون إلى بابل الكلدية ، وكانوا يتكلمون السريانية ، حيث أنهم استمروا بالاحتفاظ تسمية الكلد بصيغة (كسد أو كشد) ، وحتى ما بعد الإسلام ، ومثال على ذلك هو الكيميائي وعالم الفلاحة (ابن وحشية النبطي الكشداني) ، والنبط تسمية أطلقها العرب احتقاراً لهم بسبب كونهم يعملون بالفلاحة وزراعة الأراضي ، ولذلك فإن جواب علي ابن أبي طالب هو صريح جداً بأنهم من العراق ، ولو كان ينتسب لمكة لقال ذلك .

وبالنسبة لاسم البلد الأمين ، فهو الاخر لا ينطبق على مكة ، حيث ان من ضمن سياق نص سورة التين ، هناك ذكر للتين والزيتون ومكاناً ما يقال له طور سينين ، حيث جاء في السورة :"وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ "[215] .

وفي سياق هذه الآيات نلاحظ ان هناك قسم بالتين والزيتون وجبل الطور وبالبلد الأمين ، ومكة اليوم ارض غير زراعية لا يزرع فيها لا التين ولا الزيتون ، أما الطور فيعتقد الأغلبية منهم ان طور سيناء الوادي المقدس الذي كلم فيه الله للنبي موسى ، غير ان بعض

---

[214] - ياقوت الحموي ، نفس المصدر ، الجزء الرابع ، ص 488 .

[215] - القرآن ، سورة التين ، الآية 1،2،3 .

الشيعة يقولون ان الوادي المقدس هي كربلاء ، وبذلك فإن البلد الأمين يقع في منطقة ما في بادية العراق والشام .

وفي رواية لمؤرخ سرياني من ايران الغربية من خوزستان في الفترة مابين عام 659م و660م ، ذكر مكان يسمى بـ(قبة إبراهيم) لم يذكر عليها أي تفاصيل من ناحية موقعه ، إلا انه في روايته كما ذكرنا في الفصل السابق كان يتكلم عن مناطق غرب ايران وهي العراق ومناطق السواحل الشرقية للخليج ، وكذلك أنه يشير إلى ان المعبد كان بناء ذو قبة ، أي على الأغلب يقصد به الكعبة ، وكما ذكرنا في الفصل السابق ان الكعبة هي ذات بناء ذو قبة ، لأن صوت العين يدغم فتصبح (كبة أو قبة) ، وبذلك ان الكعبة الحالية هي ذات بناء حديث وليست الكعبة الأصلية التي حج إليها المسلمون الأوائل ، وجاء في روايته :" أما بالنسبة لقبة إبراهيم ، لم نتمكن من اكتشاف ما هو سوى ذلك ، لأن إبراهيم المبارك أصبح غنياً وكبرت ثروته في الممتلكات وأراد ان يبتعد عن حسد الكنعانيين ، وقال انه اختار ان يعيش في أجزاء بعيدة وفسيحة في الصحراء ، ومنذ ان عاش في الخيام ، بنى هذا المكان لعبادة الله وتقديم الأضاحي ، أخذت اسمها الحالي عما كان عليه منذ ان تم الحفاظ على ذاكرة المكان مع أجيال من عرقهم ، في الواقع لم يكن هناك شيء جديد لعبادة العرب هناك ، لأنه يعود إلى العصور القديمة ، في أيامهم الأولى ... "[216] .

وعلى الرغم من ان هذه الرواية لا تضع قبة إبراهيم في فلسطين أو بعض مناطق الشام ، إلا انه في نفس الوقت لا تضعها في مكة الحالية أيضا ، أو ان تكون هي المقصودة ، لأن مكة ارض صخرية جرداء ، ومن الصعوبة جداً ان ينتقل إليها إبراهيم وابنه إسماعيل ، ولكن ان من الواضح ان هذه الرواية تشير بشكل غير مباشر إلى مناطق بادية الشام والعراق، أو بالأحرى مناطق جنوب وغرب العراق او بالاحرى المناطق المحاذية للخليج (في البصرة) ، ويشير إلى ان تلك العبادة ليست جديدة بل تعود إلى العرب القدماء ، حيث لو رجعنا إلى خريطة جغرافية بطليموس (الشكل رقم 19) سنلاحظ ان الصحراء تقع في غرب العراق وجنوب شرق الشام . ثم يكمل الراوي وكما نشرنا هذه الرواية في الفصل الأول من هذا العمل :" ... وأراضي الهاجريين الغنية بالماء وأشجار النخيل والمباني المحصنة ، أراضي (حتا)

[216] - . Chron. Khuzistan, 38-39 [pp. 187-188)

التي تقع على البحر في محيط جزر (قطر) ، غنية بنفس الطريقة ، بل أيضا تحتوي على نباتات مختلفة ، منطقة (مازون) (سلطنة عُمان) تشبه ذلك أيضا ، كما انه تقع على البحر ، تشمل مساحة تزيد على مئة فرسخ ، كذلك (تعود إلى العرب) ، أيضا أراضي (اليمامة) في وسط الصحراء وأراضي (توف) (أراضي الطف في كربلاء) ، مدينة (الحيرة) التي كانت مقر الملك (موندار) (المنذر) ولقبه المحارب الذي كان سادس الملوك الاسماعيليين". حيث أشار الرواي إلى كربلاء باسم أراضي التوف (الطوف ، الطف) ، ونحن لا نعلم ما السبب في تلك التسمية ، لأن التسمية تقارب لفظة الطواف ، والطواف هو أحد الأركان الأساسية في الحج والعمرة ، والمصادر الإسلامية لا تقدم أي رواية مقنعة حول اسم الطف ومعناه ، غير ان وادي الطف هو المكان الذين حدثت به المعركة بين أنصار الإمام الحسين مع جيش يزيد ، حيث استشهد هناك في اليوم العاشر من شهر محرم ، مع العلم ان العراقيين لليوم يطلقون تسمية (يوم الحجة) على اليوم العاشر من محرم .

ان هذه الإشكالية في موقع مكة وتاريخها ، تحيلنا إلى إشكاليات أخرى اكبر مما نتخيل ، وهذه الإشكاليات هي حقيقة تاريخية تلك المدن المحيطة بمكة ، وحقيقة وجود تلك الشخصيات ومكان نشأتها والى أي القبائل تنتمي وأين عاشوا وسكنوا؟ وكيف نشأ الإسلام؟ وكيف أنشأت مكة الحالية ومن أنشأها؟ وأين حدثت حروب الإسلام؟ ومن أين انطلق الفتح العربي؟ وكيف انقسم المسلمين إلى سنة وشيعة؟ وما هو أصل تلك الشخصيات؟ لذلك ففي هذا الفصل سنوضح ما تيسر لنا من توضيحات نراها صائبة ، وبالأدلة والعملات وبمساعدة اللغات الأخرى الغير عربية .

في فترة ما قبل الإسلام كان العالم مشغول ومشتعل في تحديد طبيعة يسوع ، فكان الجدال المسيحي قائماً في مدرسة الرها حول تلك طبيعة ، حيث كان نصارى العراق وإيران يتلقون الثقافة الدينية والفلسفية في هذه المدرسة ، وحينما تولى الأب ايباس (عباس ، إياس) إدارة المدرسة اخذ يبشر بالفكر النسطوري في الشرق ، ولكن بعد وفاته عام 475م طرد رجال الدين النساطرة من الرها بسبب اضطهاد بيزنطة لهم[217] ، هاجر هؤلاء النساطرة إلى بلاد فارس لكونها كانت على صراع مع بيزنطة ، وبالتالي هذا ما يحفظ لهم حياتهم ، وما

[217] - ارثر كريستنسن – تاريخ ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 277 .

يحفظ لهم عقيدتهم وبالتالي نشرها ، ومن هؤلاء المهاجرين القس (برصوما) الذي كان ذو ثقافة عالية وأسلوب منطقي مقنع ، وبسبب ذلك استطاع ان يقنع ويكسب عطف الملك الساساني في قطيسفون في زمن الملك فيروز ، وبذلك سمح له ان ينشر أفكاره في ساليق وقطيسفون مركز المسيحية في العراق ، ثم انتقلت الآراء النسطورية بين السريان في معظم الولايات في العراق في حدياب (اربيل) وبيت غرماني (كركوك) وبيت ارامي ومملكة الحيرة وكشكر (واسط) ، ولهذا ربما ساعد الملك الفارسي في ميله إلى هذه الطائفة على انقسام مسيحي العراق عن مسيحي سوريا (اليعاقبة) ، وليضمن دعمهم ومساعدتهم في المال والرجال وخصوصاً في الحيرة التي كانت في صراع مع الغساسنة في الشام ، وكما ذكرنا بالفصل الاول في المصادر المسيحية في رواية عن الأسقف (مار حودمة) (أسقف تكريت والموصل) ، وتوضح انتشار النصرانية في العراق في القرن السادس الميلادي ، وبالخصوص مناطق الجزيرة منه ، وسكانها من العرب ، كذلك كما تكلمنا ايضاً في الفصل الأول عن تنصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة وتعميده بالاستناد إلى رواية سريانية ، جاء فيها :" آنذاك حتى النعمان فيلارخ الاسكينيين الأعداء ، ذلك الوثني الملعون النجس والذي كان يقدم القرابين بيديه لشيطانه ، لم يلبث أن قبل التعميد المقدس وألقى في النار تمثال أفروديت (العزى) المصنوع من الذهب الخالص وأختار حياة الفقر وساق كل من كانوا معه إلى الله "[218] .

ومن الواضح إن الثورة الدينية قامت بالتحديد العراق ، وامتدت تلك الثورة إلى داخل عمق الدولة والمجتمع الساساني ، فأصبحت اللغة السريانية هي لغة الدين عند العرب والفرس ، بينما احتفظت تلك المجتمعات بلغتهم الأصلية في حياتهم الاعتيادية ، أما من ناحية الدين فقد اصبحت النصرانية هي الديانة الأكثر انتشاراً عند العرب والفرس ، وعند الفرس بقيت الديانة الزرادشتية كديانة رسمية للدولة فقط ، وهكذا فقد احتكر السريان للسلطة الدينية في تلك الفترة ، فقاموا بإدارة شؤون النصرانية فانشئوا الكنائس والأديرة والأبرشيات مثل أبرشية قطيسفون والحيرة والأهواز وبيت كرماي وحدياب وعربايا وبيت قطرايا وإضافة إلى مواقع وأماكن أخرى ، وبذلك وصلت سلطة السريان الدينية إلى الجنوب الشرقي في الخليج إلى (مازونا) ، والتي تعرف اليوم بسلطنة عُمان ، حيث قاموا ببناء

---

[218] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 332 .

الكنائس والأديرة ونشروا تعاليمهم هناك التي لاقت قبولاً عند سكان تلك المناطق ، وعلى ما يبدو ان العرب أرادوا ان يأخذوا الريادة الدينية من السريان ، وخاصة في مناطق جنوب وغرب العراق ، حيث إن ملوك وأميرات الحيرة قاموا ببناء الكنائس والأديرة في تلك المنطق ، وايضاً بدليل أننا وجدنا أناجيل عربية قيل أنها كانت من مصدر سرياني مثل إنجيل برنابا وأنجيل قيافا العربي ، حيث يرجح إن هذين الإنجيلين قد تم تدوينهن في فترة قبل وما بعد الإسلام وبفترات بسيطة جداً ، حيث ذكر في إنجيل قيافا العربي :" ... هو قال إن يسوع تكلم وبالحقيقة عندما كان راقداً في المهد قال لمريم أمه : إنا يسوع ، ابن الله ، الكلمة ، الذي أنجبته ، مثلما أعلى لك الملاك جبرائيل ، وأبي أرسلني لخلاص العالم "[219] .

ومما لا شك به إن الدين الجديد كان ابن بيئته وابن تلك الثقافة التي وجد بها وعليها ، حيث نجد ان الإسلام متأثر بالزرادشتية والمانوية والصابئة المندائية والمسيحية الشرقية وديانات وثقافات قديمة ، وان هذه التأثيرات لا يمكن ان تأتي حتى من الشام نفسه بعد ان أهملنا موقع مكة الحالية في كونها مدينة الإسلام ، بل ان تلك الثقافات كانت موجودة في العراق أو في بقعة أخرى واقعة تحت سيطرة الساسانيين ، مثلاً نجد ان فكرة خاتم الأنبياء كانت معروفة عند أتباع المانوية ، وفكرة الصيام كانت معروفة عند المندائية ، وفكرة الصراط كانت معروفة وموجودة عند أتباع الزرادشتية ، ولذلك فإن تلك المناطق كانت هي أهم مكان متوقع لحدوث ثورة دينية تتيح لهم بالخروج بدين جديد ، يحوي اغلب تلك الأفكار.

إن الإشكالية الأكبر هي عن الموضع الذين جاء منه النبي محمد ، ومثلما أوضحنا فإن الرواية العربية للإسلام تنسبه لمكة ، وان محمد هو تاجر من قبيلة قريش ، وأبيه يدعى عبد الله بن عبد المطلب ، وأمه هي أمنة بنت وهب ، وانه ولد في عام الفيل في 12 ربيع الأول (عند السنة) أو 17 ربيع الأول (عند الشيعة) في الفترة ما بين عامي 570م و571م ، وفي نفس العام حسب ما تذكر نفس الروايات العربية إن أبرهة الحبشي هاجم الكعبة بأفياله وفشل بمحاولته في هدم الكعبة ، وأهم أعمامه هو أبو طالب والزبير والعباس والحمزة وأبو لهب وغيرهم ، وأهم أولاد عمه وأقربهم إليه هو علي ابن أبي طالب ، ومن أشهر صحابته والمقربين

---

[219] - ابراهيم سالم الطرزي ، ابو كرياً العهد الجديد ، ص 115 .

منه هم : أبو بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وغيرهم ، واغلبهم ينتمي إلى قريش حسب ما ذكرته نفس الروايات ، عمل بالتجارة ، وتعرف على امرأة من بني أسد تدعى (خديجة) وعمل معها بالتجارة ، ثم تزوجها وهو بعمر الخامسة والعشرين ، وأولاد وهم : القاسم وعبد الله وإبراهيم ، وبناته هن : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وفي الأربعين من عمره وبينما كان يتعبد في غار حراء هبط عليه الوحي وبلغه بالرسالة وانزل عليه القرآن ، ثم قام بالتبشير بديانته بشكل سري ويقال لمدة ثلاثة سنوات ، حيث إن خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبو بكر وعثمان و غيرهم هم أول من اسلم من مكة وصدقوه ، وبعد مرور ثلاثة سنوات على سرية الدعوة ، تحولت تلك الدعوة إلى دعوة علنية ، ولذلك وقعت مشاكل بينه وبين قريش قبيلته بشكل مباشر ، وبعد إن هاجر المسلمين إلى الحبشة في السنة الثامنة من قبل الهجرة وبعد إن حصلوا على نوع من الطمأنينة هناك أجمعت قريش على قتل النبي محمد ، فطلبت من بني هاشم ان يسلموه لهم إلا أنهم رفضوا ذلك ، وبعد مرور العديد من الأحداث هاجر المسلمين من مكة إلى يثرب ، وهذا ما سبب الخوف عند قريش ، فاجتمعوا في دار الندوة واتفقوا ان يأخذوا من كل قبيلة شاباً ويقتلوا محمد ويتفرق دمه بين القبائل ، إلا ان النبي محمد علم بذلك وأمر علي ان ينام مكانه ثم يلحق به ، وذهب مع أبو بكر إلى غار ثور فدخلاه وضربت العنكبوت على بابه بعش ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه 100 ناقة لمن يرده عليهم ، فخرجت قريش في طلبه حتى وصلوا باب الغار ، فقال بعضهم : " ان عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد" فانصرفوا ، وهاجر معظم المسلمين معهم ثم لحقهم آخرين ، وفي يثرب آخى النبي محمد بين المهاجرين المسلمين والأنصار في دار أنس بن مالك ، والأنصار هم سكان يثرب من قبيلة الأوس والخزرج ، ثم نظم العلاقات بين سكان المدينة المنورة ، وكتب في ذلك كتاباً اصطلح عليه باسم دستور المدينة أو الصحيفة ، ثم خاض عدة معارك وغزوات وكان أهمها هي معركة بدر عام 624م والتي تصادف في السنة الأولى الهجرية ، وانتصر على قريش ، ثم غزوة بن قينقاع ضد يهود يثرب في نفس السنة وانتصر عليهم ، ثم غزوة أحد في العام الثالث للهجرة ، ولكن هذه المرة خسر المسلمين تلك الحرب ، ثم استمرت تلك الحروب مابين السيطرة على يثرب وتحويل أسمها إلى (المدينة المنورة) ومابين القيام بغزوات خارج المدينة ومحاصرة قريش للمدينة في معركة الأحزاب أو كما عرفت بمعركة الخندق وهزيمة قريش في تلك المعركة ، بعد إن كانت فكرة الخندق بإيعاز من

سلمان الفارس ، وإلى صلح الحديبية في العام السادس للهجرة فتح مكة في العام الثامن للهجرة وتكسيره للأصنام حول الكعبة ، وتذكر الروايات العربية إنه في السنة العاشرة للهجرة عزم النبي محمد على أداءه للفريضة الحج لأنه وطيلة تسعة سنوات في المدينة لم يحج إلى الكعبة في مكة ، وهذه الحجة عرفت بـ(حجة الوداع) ، لأنها أول واخر حجة قام بها النبي إلى الكعبة ، وبعد أن أتم طقوس الحج ثم خطب فيهم (خطبة الوداع) ، جاء فيها:" ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح . ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله وأنتم تسألون عني ، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال: اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات"[220] . وفي ذلك الموقف على جبل عرفة ، نزلت الآية القرآنية: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا "[221] .

بينما يؤمن الشيعة ان هذه الآية نزلت في يوم غدير خم في معرض الحديث عن فضائل علي بن أبي طالب ، والى ذلك توفي النبي محمد عام 11هـ والمصادف عام 633م ، حيث دفن في المدينة المنورة في الموضع الذي يعرف اليوم باسم (المسجد النبوي) .

هذه رواية مختصرة لقصة حياة النبي محمد من الرواية الإسلامية ، وعلى الرغم من أنها وقعت في أخطاء كثيرة إلا أنها مهمة في دراسة سيرته بالمقارنة مع ما جاء من مصادر تاريخية أخرى وليست إسلامية ، حيث ان قصة البحث عن سيرة محمد تبدأ من أول رواية تذكره من خارج المصادر الإسلامية ومن الأقدم ، ولأن المصادر الإسلامية تعتبر متأخرة لأنها دونت في عصر أبو جعفر المنصور في العراق إلا إنه في نفس الوقت لا يمكن إن نهمل جميع ما جاء في الرواية العربية عنه ، وأول المعلومات التاريخية التي نمتلكها عن بدايات الدين الجديد واسم (محمد) موجودة في كتب الإخباريات المسيحية ، وهذه المعلومات قريبة جداً

---

[220] - رواه مسلم في صحيحة عن جابر بن عبد الله، رقم:1218.

[221] - القرآن ، سورة المائدة ، الآية 3 .

من حيث الزمن والإحداث إن لم نقل معاصرة لها ، إذ تتوالى بين عامي (640م-750م) ، وقد كان الإخباريون المسيحيون شهوداً على أولى الفتوحات العربية في الشرق الأدنى ومصر ، ومن أوائل هؤلاء الكتاب يمكن إن نذكر توما القسيس الذين تحدث عام 640م عن (طيايي د – مهمت) (Tayaye d-Mhmt) وعن نصرهم على البيزنطيين بالقرب من غزة عام 634م ، حيث جاء في تلك الرواية :" في سنة 945 ، الدورة السبعة ، يوم الجمعة الرابع من شباط / فبراير عام 634م عند الساعة التاسعة ، وقعت معركة بين الرومان وبين (طيايي د – مهمت) (Tayaye d-Mhmt) (عرب محمد أو طائيي محمد) ، فر الرومان هاربين ، تاركين وراءهم البطريق بريردن (Bryrdn) الذي قتله العرب ، وقتل أيضا حوالي (400) قروي فقير من المسيحيين واليهود والسامريين ، لقد دمر العرب الناحية برمتها "[222] .

إن هذه الرواية مهمة في تحديد القصة الحقيقية للإسلام وفي تحديد موطن العرب الفاتحين وموطن النبي محمد ، وعلى الرغم من ان هذه الرواية تؤكد لنا حدوث معارك بين العرب الذين تسميهم الرواية بـ(الطائين أو الطيايي) وبين البيزنطيين ، إلا إن ما يهم في هذه الرواية هو مصطلح (الطيايي أو الطائيين) لأنها ستكون مفتاح لحل لغز الإسلام ، وهذه الرواية ليست الوحيدة التي أشارت إلى كون العرب يعرفون بالطائيين ، بل هناك روايات أخرى عديدة تستعمل هذه التسمية على العرب الفاتحين من مصادر صينية وفارسية ، كذلك نلاحظ ان هذه الرواية لا تشير إلى العرب باسم (مسلمين) أو أي شيء له علاقة بالإسلام ويتعلق به ، وهذا ربما يعني إن المسلمين لم يكونوا يعرفوا تلك التسمية على انفسهم .

ومن الواضح ان القصص الحقيقة لنشوء الإسلام المبكر تم تجاهلها من قبل كتبة الرواية العربية للإسلام ، ومن ضمن ذلك تجاهل الرواة لمصطلح الطائيين أو الطيايي ، حيث كان لتسمية (الطائيين) وما يتفرع منها من تسميات أخرى مثل (تازيغ ، تازي ، طاجيك) مسار طريف يعكس التشعب الذي سارت فيه ما تسمى بالفتوحات ، فكان للطائيين علاقة وثيقة مع السريان في مملكة الحيرة في الخصوص ، فكانوا يعرفون بالتسمية السريانية (الطيايي أو الطيايو) ، وعلى الاغلب ان تسمية الطيايي جاءت من الثقافة السريانية ، أي انها تعبير

---

[222] - غازي عيتاني ، الفتوحات العربية في روايات المغلوبين ، دار الساقي ،بيروت ، ط1 ، 2011 ، ص 91 .

كنسي شرقي للدلالة على الضائعون او الذي كان على النصرانية وقد خرج منها ، وهذا ما يعبر عنه في اللهجة العامية العراقية (تايه او التائه) ، وعلى ما يبدو ان هذه التسمية قد شاعت في الأوساط الفارسية ، بعدما أقام الطيايي علاقات مع العرب اللخميين الذين كانوا يتولون حماية الحدود الغربية للإمبراطورية الساسانية ، ومع تقدم الفتوحات العربية إلى أسيا الوسطى وبداية الصدام مع الإمارات التركية هناك ، استخدمت شعوب تلك المنطقة الخاضعة للتأثر الثقافي الفارسي التسمية التي تعرفها من الفرس عند العرب (الطائيين) ، وشملت بها جميع المسلمين بمن فيهم الموالي من الفرس ، وبالنسبة إلى الشعوب التركية البدوية ، وتحول الاسم إلى (تازيغ) التي باتت تعني الشعوب الفارسية الإيرانية الواقعة تحت حكم الإمارات التركية ، من هناك انتقل الاسم إلى الصين فسمي العرب (تا-شي) (Ta-She) والى التبت حيث سمي العرب (تا-زيغ) (Ta-zig)[223] ، ولكن في نصوص الافستا الجديدة (Young Avesta) الزرادشتية في فصول الأناشيد (يشت) (yashts) ثمة قصة عن بداية الخلق تقول ان (هوشيانغا بارادتا) وهو أول حاكم لطبقات الأرض السبع ، أنجب ولدان هما فغرد وتاز ، ومن تاز جاء التازيون العرب ، ومع تطور اللغة الفارسية في ايران وتبلورها مستقلة أو شبه مستقلة عن اللغة الوسطى التي كانت لغة الساسانيين ، صار الإيرانيين في ما وراء النهر يشكلون ما يشبه قومية احتفظت بالتسمية التي أطلقها جيرانهم عليهم وهي (الطاجيك) نسبة إلى الطائيين ، ولكن بعض المستشرقين اعترضوا على هذا التفسير بقولهم ان للكلمة أصل فارسي يختلف عن ذاك العرب ، وفي روسيا كان يعتقد ان أصل كلمة (تازيغ) التي كانت متداولة بين التتار المسلمين هي كلمة (تاجر) ، وتنقل المصادر الروسية عن أمير شارك في الفتح الروسي لمدينة قازان في القرن السادس عشر قوله إن من بين المدافعين عنها (مجموعة من التازيغ) ويفسر الكلمة بأنهم (تجار)[224] .

وفي رواية المؤرخ الصيني (تو يو)(Yu Tu) في موسوعته (تونغ تين)(Tien Tung) التي قدمها إلى البلاط الإمبراطوري عام (801م) ، عن قصة الأسير الصيني (تو-هوان)(Tu-Huan) الذي وقع أسيراً في أيدي العرب بعد معركة تالس (Talas) بين القوات العربية والصينية عام

---

[223] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 28 .

[224] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 29 .

(751م) ، وبعد ان نقل سجيناً إلى العراق حيث بقي في الكوفة إلى ان سمح له بالعودة إلى الصين عام (762م) ، يحدد هذه المؤرخ موقع بلاد الطائيين (تا-شي) ، ويقول إن بلادهم تقع غرب بلاد فارس ، ويقصد بذلك (العراق) ، وجاء في الرواية :" وخلال فترة حكم (يونغ-هوي)(hui -Yung) من (تانغ) العظمى ، والطائيين أرسلوا سفارة إلى البلاط لتقديم الهدايا ، ويقال إن بلادهم تقع غرب بلاد (بو-سو) (غرب بلاد فارس)..."[225] . ويضيف نفس المؤرخ في نفس الرواية توضيحات عن عاصمة الطائيين ويسميها (يا-شو-لو) ، ويقصد بها (عاقولا)(الكوفة) ، أما الخليفة فيسميه (المؤمن) (Momen) ، أي انه كان يقصد بذلك (أمير المؤمنين) ، وبذلك نجد إنه في هذه الرواية كان يتكلم من تاريخ ما قبل بناء أبو جعفر المنصور لبغداد ، حيث في تلك الإثناء كانت عاصمة أبو جعفر المنصور هي هاشمية الكوفة والتي تقع بين الكوفة والحيرة[226] ، وجاء في الرواية :" يقول تو – هوان) (Tu-Huan) : اسم اخر للعاصمة هو (يا تشو لو) (الكوفة) ويسمى الملك العربية (مؤمن) ، وقع عاصمته في هذا المكان"[227] .

وفي تاريخ الطائيين قبل الإسلام ، نجد ان أول المصادر التي أشارت إلى الطائيين هي المصادر السريانية في القرن الخامس الميلادي أثناء الحرب الفارسية البيزنطية ، حيث نجد انه في تفاصيل تلك الحرب الفارسية البيزنطية في الفترة مابين عامي 421-422م ، كان الملك الساساني (بهرام جور) محاصراً من قبل البيزنطيين في نصيبين لأنه خسر الكثير من قواته في تلك الحروب ، فطلب مساعدة العرب الواقعين ضمن سيطرة مملكته ، وبالفعل جاء ملك الحيرة (المنذر) تلبية لندائه ، غير ان هناك عدة عوامل لم تكن في الحسبان بعد ان اخذ الذعر بقلوب العرب دون سبب فهربوا حين اعتقدوا ان القوات البيزنطية قد أطبقت عليهم ، وبعضهم رمى نفسه في الفرات ، حتى ان سقراط الاسكولي ذكر ان عدد القتلى من العرب وصل إلى 1000 فارس ، وبعد ان سمع البيزنطيين ان هناك تعزيزات فارسية من جنود مدعمين بأفيال مقاتلة ، أشيع الفزع في أنفسهم فاحرقوا الأبراج الخشبية المعمولة للحصار

---

[225] - Robert G. Hoyland. Seeing Islam as Others Saw It: A Survey and Evaluation of Christian, Jewish and Zoroastrian Writings on Early Islam (Studies in Late Antiquity and Early Islam). THE DARWIN PRESS. NEW JERSEY. 1997. P 245 .

[226] - علي أدهم ، أبو جعفر المنصور ، دار الكتاب العربي ، مصر ، 1969 ، ص 132 .

[227] - Robert G. Hoyland. Ibid. P. 246 .

وقفلوا راجعين إلى بلادهم[228] ، أما الأحداث التي أعقبت الحرب فيتعرض لها سقراط الاسكولي بإيجاز شديد ، من ذلك مبارزة اريوبند لأشجع مقاتلي الفرس والكمين الذين نصبه اردبور القائد البيزنطي لسبعة من قواد الفرس ، وكذلك هزيمة العرب الذين تخلفوا على يد القائد فنزيانوس ، ويقف أيضا شاهداً على صعوبة الحفاظ على علاقات السلم بين الدولتين إزاء استمرار غارات العرب ذلك المكتوب الذي أرسله عام 484م الأسقف النسطوري لنصيبين المدعو (برصوما) إلى الجاثليق اقاقي ، وفيه يقول انه لم يستطيع المجيء إلى المجمع المحلي الذي دعا إليه اقاقي بسبب الكوارث تلك التي حلت بالبلاد ، فإلى جانب المجاعة التي شملت ايران في عهد فيروز والتي تؤكدها مصادر أخرى ، انضم عامل اخر هو انقضاض مجموعة من القبائل الجنوبية على منطقة نصيبين ، وقد وصلت تلك المجموعة بأعداد غفيرة ومعها قطعانها فخرجوا ونهبوا قرى التهائم والنجاد ، بل إنهم تجرءوا على نهب الناس وسبيهم والاستيلاء على ماشيتهم من ارض بيزنطة ، عند ذلك جمع البيزنطيين جيشاً كبيراً وتوجهوا به إلى مناطق الحدود يصحبهم العرب الخاضعون لهم ، وقد طالبوا بالتعويضات بحجة إن الطيايي الخاضعين (حرفياً (عبيد" للفرس قد اقتحموا أراضيهم ، عند ذلك ذكرهم القائد الفارسي بأن عرب بيزنطة قد اشتغلوا أيضا بالسلب والنهب ، وقد التزم المرزبان (كردك نهورجان) الهدوء والحكمة ولم يتصرف برعونة ، فاقترح عقد اتفاقية تنص على جمع شيوخ الطيايي واسترداد الغنائم والأسرى منهم ، على ان تسترد في ذات الوقت من عرب بيزنطة الماشية والأسرى الذين أخذوهم على فترات متباينة من بيت جرمي وحدياب (اربيل في العراق) ونينوى ، أي ان تعاد الأولى إلى بيزنطة والثانية إلى الفرس ، وحين يتم التبادل يصبح لزاماً إفراد (حزام من الأرض) على الحدود بن الدولتين حتى لا تتكرر أشياء من هذه الأحداث ، لهذا أمر ملك الفرس بأن يأتي إليها كل من ملك العرب ومرزبان منطقة بيت اراماية ، هذا وقد انتشرت على الحدود قوات من الجيش البيزنطي على رأسهم قائد بيزنطي ومعهم قوات من عرب بيزنطة ، وأثناء عقد الاتفاقية بين الطرفين بين دوكس من البيزنطيين ومرزبان نصيبين من الفرس وأثناء تناولهما للطعام والشراب قامت قوات الطيايي المكونة من 400 فارس على القيام بغارة على القرى النائية التابعة لبيزنطة ، فلما بلغ هذا الخبر مسامع

[228] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 91 .

البيزنطيين والفرس أثناء عقد الاتفاقية كل لهم رد فعل عنيف على الطرفين واشتاط الدوكس غضباً ، حيث اتهم البيزنطيين الطرف الفارسي بتدبير الخطة بمجيئهم إلى نصيبين بغرض التسبب بالأذى لبيزنطة[229] .

ومن هذا يتبين إن غارات العرب الذين ينتمون إلى القبائل الجنوبية والذين قدموا بأعداد كبيرة كانت سبباً في وقوع كارثة بمناطق الحدود البيزنطية التي كانت تعسكر بها القوات البيزنطية ، أما الطيايي المشار إليهم فهم من طيايي الحيرة وكانوا على النصرانية ، وهم الذين كانوا يدينون بالطاعة لملوك الحيرة في الحيرة ، ويدعوهم الأسقف النسطوري برصوما بـ(عبيد الفرس) أي رعاياهم ، غير أنهم بلا شك كانوا تحت السيادة المباشرة لملك الحيرة آنذاك وهو (الأسود بن المنذر) ، أما القائد البيزنطي الذي وصل إلى مناطق الحدود بجيشه بصحبة حلفاؤه العرب طالب بتعويضات عما حدث من نهب للماشية وسبي للأهالي ، أما المرزبان فقد طرح عليهم الرأي بتبادل الغنائم ولأسرى والاهتمام بتخطيط الحدود بين الدولتين ، ولهذا اصدر ملك الفرس أمر إلى ملك الحيرة والى مرزبان بيت اراماية بالتوجه إلى المنطقة[230] .

إن تفاصيل هذه الحرب تضعنا أمام واقع حتمي وهو إن الطائيين كانوا يسكنون بالقرب من الحيرة ، أو ربما مناطق غرب الحيرة ، بدليل ان الكثير من المصادر السريانية عندما كانت تشير إلى مدينة الحيرة فتذكرها بصيغة (حيرتا د.طيايي) ، وهذا يعني إن الطائيين كانوا داخلين بشكل فعال في مجتمع الحيرة قبل الإسلام ، إضافة إلى ذلك يوجد ترابط بين الطائيين وبين قريش من تلك الفترة ، على الرغم من تجاهل نصوص العصر الإسلامي المبكر وخاصة السريانية منها لذكر اسم القبيلة التي ينتمي إليها النبي محمد وهي (قريش) واكتفاءهم بذكر مصطلحات معينة مثل (الطيايي أو الاسماعيليين أو حتى الهاجريون) ، حيث إنه ومن نفس التاريخ نملك رواية نقلها العراقي (الفونس منكانا) عن اللاهوتي السرياني (نرساي) ، والتي تعود إلى القرن الخامس أيضا ولكنها حدثت بعد إحداث الحرب الفارسية البيزنطية عن هجوم لابناء هاجر كما يسميهم اللاهوتي نرساي على بيت عربايا ، حيث ذكر

[229] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 91 .

[230] - نينا فكتورفنا ييغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 91 .

إن الهجوم كان قاسياً وإنه كان في شدته وهوله أقسى من فتك الحيوانات الضارية بالإنسان، وقد ترك ألماً شديداً وخسائر كبيرة في تلك المنطقة ، وذكر إن أشد أولئك المهاجمين الهاجرين في القسوة والغلظة هم (قريش)[231] ، وهذا ما يعني إن قريش كانت موجودة أراضي العراق في القرن الخامس ، وهي كانت من ضمن الطيايي ، حيث جاء في الرواية :" كانت غارة ابناء هاجر أكثر قسوة حتى من المجاعة والضربة التي كانت أكثر ألم من المرض ، ... ، وربما هناك علاج لسم الأفعى ولكن ليس لهم ، دعونا نلوم دائماً الميول الكريهة لابناء هاجر ، ولا سيما شعب قريش الذين هم مثل الحيوانات "[232] .

أما عن ديانة الطيايي ، فتذكر رواية سريانية تتكلم عن تنصر أهل العراق وخاصة منهم الطيايي والكوفيين (العاقوليين) والتنوخيين (اللخميين) ، منهم ، حيث إن هؤلاء كانوا غيورين على عقيدتهم لدرجة أنهم يضحون بأنفسهم في سبيل تلك العقيدة ، وجاء في تلك الرواية :" اتصفوا بالغيرة والحسم في عقيدتهم الصحيحة ، وإنه في كل مرة تعرضت فيها الكنيسة المقدسة للاضطهاد كانوا دائماً على استعداد للدفاع عنها باوراحهم ، خاصة قبائلهم المختارة والكثيرة العدد ، وهم : عقولاية (الكوفيين) وتنوخاية (اللخميين) وطيايي"[233]. حيث إن عقولاية هم الكوفيين سكان مدينة الكوفة قبل الإسلام ، لأن مدينة الكوفة كانت تعرف باسم (عاقولا) في المصادر المسيحية ، أما في المصادر الفارسية فعرفت باسم (اكولا) ، وبالنسبة لتنوخ فهي النواة الرئيسية لقبائل لخم التي تجمعت حول مدينتي الحيرة والانبار ، ويرد ذكر التنوخيين في أيام العرب حيث قيلت فيهم الأشعار ، وهذه القبائل نفسها كانت تدخل ضمن رعية جرجيس المونوفيزي (أسقف العرب) ، حيث تحمل إحدى رسائله عنواناً يصفه بأنه أسقف (تنوخ وطي وعاقولا)[234] ، حيث ان هذه القبائل الثلاث شكلت الجزء الاهم من قريش بعد الإسلام ، وإن ما يؤكد أن قريش سكنت العراق هو نقش العقلة اليمني (الشكل رقم 21) ، الذي وجد في حضرموت في اليمن ، والذي يؤرخ إلى الفترة مابين عامي

---

[231] - جواد علي ، تاريخ العرب في الإسلام ، ص 49 .

[232] - A. Mingana and A.S. lewis , leaves from three ancient Qurans, Cambridge. 1914. P.XIII. A. Mingana. Narsai homiliae et Carmina 1905. Vol. PP. 115

[233] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 330 .

[234] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 331 .

(270م – 278م) حيث ذكر فيه اسم قبيلة (قريش) بصيغة (قرشتن) (Qrashtn) جاءوا ضيوفاً إلى الملك الحضرمي (العزيلط) مع ضيوف آخرين تدمريين وكلدانيين ذكروا بالنقش بصيغة (كسد) ومن الهند ، وكان وفد قريش يتألف من نساء فقط وعددهن (14) امرأة ، وأسمائهن مألوفة مثل (رباب ، نضيرة ، صديقة ، داليا ، سودة ، ملحمة)[235] ، واختلفت أراء الباحثين حول مناسبة هذا النقش ، فمنهم من يقول إنه كانت بسبب التجارة ، ومنهم من قال إن هؤلاء الوفود ذهبوا إلى حضرموت في اليمن حتى يشاركوا في مرام تتويج الملك (العزيلط) ، مع التذكير إن الوفد الهندي لم يكن من الهند الحالية بل من بلاد الأهواز ، لأن الأهواز في المصادر السريانية هي (بلاد انديكا)(بلاد الهند) ، أما العرب فقد أطلقوا عليها اسم (الهند) ، وربما لهذا نجد إن اسم (هند) شاع عند العرب قبل الإسلام .



الشكل رقم (21) ، نقش العقلة

[235] - باتريشيا كرونة ، نفس المصدر ، س 290 .

وورد في المصادر السريانية اسم مدينة في العراق اختلف حول موضعها بالتحديد ، وذكرت باسم (مركبثا د.طيايي) (مركبتا د.طيايي) ، حيث في هذه المدينة عقد مجمع الجاثليق مارداد يشوع عام 424م[236] ، وإليها اعتزل داديشوع بعد ان استقال من منصبه من رأس سلطة كنيسة المشرق ، حيث ان المطران ادي شير اشار إلى أنها مدينة الحيرة لكونها كانت تتمتع باستقلالية شبه تامة[237] ، إلا ان بعض الباحثين أشاروا ان المقصود بمركبتا هي مدينة (مبركتة) التي تقع قرب ماهوز (سلوقيه وقطيسفون) ، ومبركتة هي مدينة كانت تتبع الكنيسة الشرقية ، وفيها تم دفن القديس سرجيوس الذي أعدمه الملك الساساني خسرو الثاني عام 615م نتيجة تحريض من طبيب القصر الساساني (جبريل سنجار) ، بعد إن اتهمه بسب الملك وشتمه والخروج عن الدين ، وفي هذه المدينة ضربت العملات الأموية بعد الإسلام في عهد الحاكم الأموي (هشام بن عبد الملك)(105هـ - 125هـ / 724م – 743م) وللفترة التي تعود إلى مابين عامي (107هـ -120هـ) ، وكان اسمها يكتب على العملات بصيغة (مبركة) ، والتي تعني (المباركة) ، وأول عملة ضربت في هذه المدينة كانت في عام (107هـ) (725م) (كما في الشكل رقم 22) :



الشكل رقم (22) ، عملة مدينة مبركة (المدينة المباركة)

---

[236] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 362 .

[237] - ادي شير ، تاريخ كلدو وأثور ، 2007 ، ج2 ، ص 145 .

<u>شرح العملة :</u>

عملة عربية خالصة

نوع العملة : درهم

ضربت هذه العملة في عهد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك

دار الضرب : مبركة

سنة الضرب : 107هـ / 725م

وجه العملة عليه كتابات عربية وهي : لا اله إلا الله وحده لا شريك له / بسم الله ، ضرب هذا الدرهم بالمبركة سن سبع ومئة .

ظهر العملة : عليه كتابات بالعربية وهي : الكتابة التي في الوسط : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .

الكتابة التي في الهامش : محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

واستمر الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك بضرب عملاته في (مبركة) ، وهذا ما يدل على أنها كانت مدينة ذات أهمية كبيرة للمسلمين في عهده ، ولها مكانة كبيرة في العهد ما قبل الإسلام أيضا وخاصة عند الطائيين وباقي العرب ، حيث نجد إن ضرب العملات في هذه المدينة كان في الأعوام (108هـ ، 109هـ ، 110هـ ، 117هـ ، 118هـ ، 119هـ ، 120هـ).



الشكل رقم (23) ، لعملة ضربت في مدينة (مبركة) من عهد الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك ، تعود إلى عام (108هـ/726م) .

إضافة إلى ذلك نجد إن الرواية العربية للإسلام قد أهملت دور الطائيين في الإسلام، حيث تعمدوا إلى إخفاء دورهم تحت تسمية قريش ، ولكن الطبري يحتفظ برواية توضح ذكره للطائيين ، حيث ان الانتشار والاتساع لمشتقات كلمة (طائي) من الكتابات السريانية إلى الكتابات الصينية جعلها تجد طريقها لتعود إلى العرب ، فينقل هو على سبيل المثال في روايته لأصل الأسرة البرمكية صاحبة الشأن الكبير في البلاط العباسي ، عن امرأة فارسية سباها العرب في بلخ ، وتوجهها بالحديث إلى العربي الذي أسرها (عبد الله بن مسلم) وقالت له "يا تازي" ، وكما في الرواية التالية :" يا تازي (طائي) ، إني قد علقت منك ، وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى ان يحلق به ما في بطنها .... إلى نهاية الرواية"[238] .

وعلى ما يبدو فإن الطبري قام بإخفاء دور الطائيين في الإسلام في باقي روايته ، حيث يروي لويس ماسينيون في كتابه الذي وضعه قبل أكثر من 100 سنة والذي عنوانه (خطط الكوفة وشرح خريطتها) ان مدينة البصرة قسمت إلى خمسة أقسام ، بينما الكوفة في الثلاثين سنة على تأسيسها قسمت إلى سبعة أقسام ، ذكر الرواة منها 6 فقط ، لأنهم حذفوا القسم السابع منها ، وهو القسم السابع والذي يخص الطائيين ، ويستمر بتعداد هذه الأقسام إلى ان يصل إلى القسم السابع وهو قسم الطائيين . فيذكر عن هذا القسم : "طي قبيلة قل شأنها بعد ان كان اسمها يطلق على العرب مطلقاً باللغة الآرامية ومنها إلى الفارسية ثم الارمينية والصينية ، حيث ان اسم هذا القسم لم يرد في المصادر كافة بالرغم من وجود سهم لهذه القبيلة في الغنائم والفيء منذ البداية ، ومع أنها كانت في معركة صفين تشكل فيلقاً مستقلاً "[239] .

في خلاصة ما ذكر عن الطائيين نلاحظ ان الإسلام كديانة جاء من الطائيين ولأن الروايات السريانية كما في رواية ايشوعهاب الحديابي كانت تميز بين الطائيين والعرب ، ولذلك يجب الرجوع إلى تاريخ العراق ما قبل الإسلام بمدة وجيزة ، حيث نلاحظ ان العرب المقصود بهم هم المناذرة ولكن كانوا نساطرة وباقين على النسطورية ، أما الطائيين فهم أصحاب الدين الجديد ، وإن النبي محمد ظهر بينهم ، وقبل ظهور الإسلام كديانة كانت الأحداث في

---

[238] - الطبري ، تاريخ الطبري ، دار المعارف ، ط2 ، مصر ، ج6، ص 425 .

[239] - حولية الكوفة ، تصدر عن امانة مسجد الكوفة ، العدد الرابع ، 2014 ، ص 178 .

العراق مشتعلة مابين مقتل ملك الحيرة (النعمان بن المنذر) ومابين ظهور شخصية جديدة في الحيرة قلبت كل الموازين في تلك الفترة ، والمقصود به (إياس بن قبيصة الطائي) ، ولفهم موضوع إياس لابد ان نعيد ما كتبناه عنه في الفصل الأول من الكتاب : "إياس هو ملك الحيرة بعد النعمان بن المنذر، وضع الساسانيين بجانبه عامل فارسي يدعى (النخيرجان أو النخورجان) ، وربما أنه لقب فقط ، وعلى ما يبدو فإن إياس كان غير مرغوب به من بعض أهل الحيرة ، فحدثت في فترته الحروب بين العرب والفرس ، حيث ثارت القبائل العربية ضد إياس والفرس ، وتوغل بعضهم بشكل أكبر إلى العمق مع الفرس ، وبذلك حدثت معركة (ذي قار) ، التي انتهت بنصر العرب على حد زعم الرواية العربية ، غير أننا لدينا رأي ثاني حول ذلك وهذا ما سنتكلم عنه في الفصل القادم .

ذكر أسم إياس في بعض الأحيان بصيغة مختصرة (إياس بن قبيصة) غير انه أحياناً يذكر بشكل مطول ، فذكر أحياناً : (إياس بن قبيصة بن أبي عفراء) ، وأحياناً أخرى : (إياس بن قبيصة بن النعمان بن حية بن سعنة) ، وكان له خال يدعى (حنظلة بن أبي عفراء ب النعمان) ، ويقال أنه كان نصرانياً ، والطبري ذكر بأن إياس كان من عباد الحيرة ، وكان لإياس أخ يدعى قيس بن قبيصة يسكن بلدة عين التمر، وتذكر الروايات العربية ان إياس توفي في عين التمر.

وأسرة قبيصة من الأسر المعروفة في الحيرة ، وقد سبق لإياس ان عهدت إليه مهام الملوكية في الحيرة بعد وفاة المنذر والد النعمان كما ذكرنا ، وذكرت روايات الإخباريون أنه كان مقرب من خسرو الثاني ، حيث قام إياس بمساعدته حينما هرب من بهرام جوبين ، وأهدى أليه فرساً وجزوراً ولأنه عاونه في نزاعه مع الروم ، فلما فر ابناء النعمان بعد مقتل والدهم ، وتشتت شمل البيت المالك لمدة ، تذكر خسرو فضل إياس ولهذا عينه على ملوكية الحيرة ، غير أنه كان معجب بإياس وبشجاعته ، حتى أن إياس كان يساعده في حروبه ، وأنه استند به في حربه ضد قيصر، فتعقبه حتى أدركه في موضع (ساتيدما) ، وقتل جنوده ، غير ان قيصر نجا من إياس بصعوبة ، وفي رواية ذكرها أبو الفرج الأصفهاني ان خسرو الثاني كان قد ولى إياس على عين التمر وما والاها من الحيرة ، وأهداه ثلاثين قرية على شاطئ

الفرات[240] ، غير أن سيرة إياس نجدها متضاربة في الكثير من المواضع ، فلم يصل إلينا من سيرة حكمه سوى بعض الإخباريات البسيطة التي لا تتناسب مع حجم الأحداث التي جرت في عهده إلا ما ذكر عن معركة ذي قار ، وكذلك لم يشير الإخباريون إلى قيامه بغارات على عرب الشام ، مع العلم ان عهده شهد توتر الأوضاع بين الفرس وبيزنطة ، وكأن قصته اقتطعت لشخصيات أخرى ، وتذكر الروايات ان الفرس عزلوا إياس على أثر خسارتهم في ذي قار ، وعينوا حاكماً فارسياً يدعى (ازادبه بن ماهان الهمذاني ")[241] .

إن الإشكالية في سيرة إياس هي في اسمه وفي كونه طائي يحكم جزء من العراق ، جاء منه الإسلام ، وفي اجزاء من سيرته ، حاول الرواة العرب إخفاء سيرته الحقيقية لأغراض السياسة والسلطة وخاصة في العصر العباسي الذي تبنى أفكار العصر الأموي في عهد عبد الملك بن مروان عن الإسلام ، حيث إن قصة إياس تحمل الكثير من الأسرار التي سنفهم منها قصة الإسلام ، وقصة نشوء الإسلام واشكاليات ما تسمى بالفتوحات التي شارك فيها النبي محمد ، بل كانت بأمره وبقيادته .

و بلا شك ان شخصية (إياس بن قبيصة) أخذت عند العراقيين بعد ديني وروحاني أكثر مما هو سياسي ، فاسم إياس (ياس) يكن له العراقيون اليوم قدسية لا مثيل لها ، فمنه اشتق اسم (علي) ومنه اشتق اسم (ايباس)(عباس) ، ونسبة لأسمه أطلق العراقيون اسم (ياس) على اسم نبتة مباركة في اعتقادهم تصاحبهم في الطقوس الدينية وفي النذور ، ولتوضيح ذلك سنوضح هذا الاشتقاق بثلاثة نقاط :

فمثلما معروف ان العراقيون يميلون إلى الاعتقاد بأن اسم (إيليا) هو نفسه اسم (علي) ، وهذا تاريخياً ولغوياً صحيح ولا يمكن الشك به ، فاسم (إياس) بالأصل هو (إيلياس) ولكن اسقط صوت (ل) لفظياً لضعفه وعند ذلك يصبح لدينا صيغة اسم (إيياس) وعندما يتلاقى حرفين متشابهين يدمجان بحرف واحد مع فتصبح لدينا صيغة (إياس) ، وبالرجوع إلى صيغة (علي) واشتقاقه من صيغة (إيلياس) ، فيحذف صوت الـ(س) ذو التأثيرات اليونانية ، فيبقى لدينا (إيليا) ، وبلغات الشرق القديم مثل الاكدية لا يوجد صوت (ع) بل يعبر عنه

---

[240] - جواد علي ، نفس المصدر ، الجزء الثالث ، ص 292 .

[241] - الفصل الاول من هذا الكتاب ، ص 79 .

بصوت (أ) ولذلك عند ترجمة صيغة (إيليا) إلى العربية يكون اسم (إيليا) بصيغة (عيليا) وبحذف صوت الـ(ي) الأول لضعفه لفظياً تكون لدينا صيغة (علي) ، والخلاصة من ذلك إن اسم (علي) هو ترجمة لاسم (إياس) ، لأن العرب عند التعريف في عهد عبد الملك كانوا يترجمون حتى الأسماء .

الخلاصة : ان اسم (ايلياس ، إيليا ، إياس ، ياس ، علي ، عباس) هي اسماء واحدة ، ولكن عند لفظها بلغات مختلفة سيحدث اختلاف وتبديل بالأصوات وبالتالي اختلافها لفظياً مع مراعاة لطريقة نطقها ، ولكن لو نرجع للقرآن سنجد ذكر لاسم (إياس) ، ففي سورة (يس) والتي يسميها المسلمين اليوم (ياسين) نجد إن اسم إياس ذكه بصيغة سريانية ، حيث إن صوت (أ) يسقط في الكثير من الكلمات ، ومثال على ذلك نجد إن المسلمين اليوم يكتبون (بسم) بينما (باسم) هي الصحيحة لفظياً ، والسبب في ذلك أنه في اللغة السريانية صوت الألف يسقط ، وهذا ما ينطبق أيضا على كلمة (يس) أو (إياس) ، ونجد إن الله في السورة هذه يخاطب شخص يدعى (يس) ويخبره بأنه مرسل :"يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ، نزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ، لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ"[242] .وفي نفس السورة نجد ذكر لفئة من سكان الحيرة عرفوا بالعباد ، حيث جاء فيها :"يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون"[243] .

عشرات المرات تكررت كلمة (عباد أو العباد) في القرآن ، ولكن الاعتقاد السائد أنها كلمة تخص كل مؤمن بالله على وجه الأرض ، ولكن لكون القرآن في بداية أمره لم يكن يحتوي على التشكيل في فترته المبكرة ، لذا نفترض إن المقصود بهذه الكلمة هي فئة خاصة ولم تشمل كل مؤمن بالله ، وعلى أثر ذلك فمن هم العباد؟؟

العباد هم فئة كبيرة من سكان الحيرة قبل الإسلام ، فحسب سليم مطر في أطلس العراق المرحلة الآرامية المسيحية : ان العراقيون الأوائل سكنوا الحيرة وبعد ان اعتنقوا المسيحية أطلق عليهم تسمية (العباد) وتعني بالآرامية (المؤمنين) ، وكانت لغتهم السائدة هي الآرامية[244] ، حسب صادق المخزومي في كتابه الإسلام والمسيحية سوسيولوجيا العصور

[242] - القرأن ، سورة يس، الاية 1-2-3-4-5-6 .

[243] - القرأن ، سورة يس ، الاية 30 .

[244] - سليم مطر ، اطلس العراق ، الفصل الثاني ، المرحلة الارامية – المسيحية ، ص 101 .

التأسيسية : هم الذين سكنوا رقعة الحيرة فابتنوا بها ، وبحسب معظم الإخباريين أنهم كانوا نصارى (يقصد بهم النساطرة وليس الابيونية) وعلى رأي : أنهم قبائل شي من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية والنسبة إليهم عبادي ، وبالمحصلة ان كلمة " العباد " أطلقت في الأصل على من تنصر من أهل الحيرة لميزوهم عن غيرهم من سكان المدينة من الوثنيين[245] ، حيث إن كنيسة الحيرة مارست نشاطها بعزم ونتج عن ذلك تحول الكثير من عرب المدينة إلى النصرانية وهم الذين عرفوا بالعباد ، غير إن المصادر الأخرى تذكر عن العباد بأنهم عرب من قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية في الحيرة فسموا بالعباد ، وجاءت هذه التسمية لكونهم عبدوا الله وكانوا من الزهاد والعباد انقطعوا في الصوامع والأديرة، ومن ينتسب إليهم يقال لهم (عبادي) ، وقيل سموا بهذا الاسم لأن أكثر أسمائهم كانت (عبد الله ، عبد المسيح ، عبد يسوع وغيرها) ، فلما دخلوا على كسرى وكانت أسماؤهم كلها تبدأ بعبد فقال لهم انتم عباد كلكم فسموا بالعباد[246] ، غير ان بعض المصادر الأخرى تذكر أنهم سموا بالعباد لأنهم قاتلوا سابور الأكبر (142-272م) واتخذوا شعاراً لهم " يا ال عبد) فسموا بالعباد ، وان لهؤلاء العباد كانوا متحضرين وعاشوا حياة التمدن والاستقرار وكان لهم مقام وشأن في تاريخ العراق قبل الإسلام وبعده لما لهم من معارف وعلوم شتى وفهم للعديد من اللغات لذلك اتخذهم الفرس مترجمين لهم في البلاط.

وحسب جورج شحاتة في كتاب المسيحية والحضارة العربية : ان العباد هم أول من استخدم الخط العربي في مدارسهم ، على الرغم من أنهم اخذوا الخط من أهل الانبار[247] ، ولليوم العباد يسكنون العراق ومعروفين اليوم كقبيلة على الرغم من أنهم ليسوا بقبيلة ، بعد وضعت لهم انساب في العصر العباسي . وان القرآن هو أفضل دليل على إن لإثبات إن (يس) هو الياس وياسين ، ففي سورة الصافات نقرأ :" وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ، أَتَدْعُونَ بَعْلا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ، اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ، اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ، إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ، وَتَرَكْنَا

---

[245] - صادق المخزومي ، الاسلام والمسيحية سوسيولوجيا العصور التأسيسة ، الرافدين ، لبنان/كندا ، ط1 ، 2016 ، ص 55 .

[246] - يوسف رزق الله غنيمة ، الحيرة المدينة والمملكة العربية ، مطبعة دنكور ، بغداد ، 1936 ، ص 16 .

[247] - الاب جورج شحاتة قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 55 .

عَلَيْـهِ فِي الأخـرين ، سَـلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِـينَ ، إِنَّـا كَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِـنِينَ ، إِنَّـهُ مِـنْ عِبَادِنَـا الْمُؤْمِنِينَ"[248] .

في هذه الآيات القرآنية نجد صيغة أخرى لاسم (الياس) وهي (ياسين) أو (ال ياسين)، وحسب الرواة والمفسرين المسلمين إن (الياس) المذكور في هذه الآية احد أنبياء اليهودية ، وإضافة إلى ذلك فيذكر ابن كثير إن إلياس والياسين أسمين لرجل واحد فالعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها[249] ، حيث ان المسلمين يعتقدون إن اسم (يس)(ياسين) هي من اسماء النبي محمد ، وهذه هي إشارة واضحة لكون (اياس) هو النبي محمد وفي نفس الوقت هو علي ابن أبي طالب وهي من القرآن .

إن معرفتنا لطريقة ترجمة اسم اياس إلى علي تفتح لنا الأفق لإسرار الإسلام وتجعلنا نعثر على الحلقة المفقودة في قصة نشوءه ، حيث انه ليس من الغرابة والصدفة إن تحكم كل من مدن الحيرة والكوفة وعين التمر من شخص يدعى اياس (علي) في فترة ما قبل الإسلام، ثم بعد فترة زمنية وبعد الإسلام تحكم من قبل شخصية إسلامية تدعى (علي) ، وان هذا لا يمكن إن نفسره إلا إن الشخصيتين هي شخصية واحدة وليست منفصلتين ، وان اياس بن قبيصة الطائي هو علي ابن أبي طالب ، حيث تذكر رواية سريانية تعود إلى عام 680م إن معاوية دخل في معاهدة سلام مع الإمبراطور البيزنطي كونستانس ، وبدأ بحرب مع علي ابن أبي طالب أمير الحيرة في صفين ، حيث ذكر علي بلقبه (أبو تراب) ، وجاء في تلك الرواية :" كما إنه (مكسيموس) ذهب إلى القسطنطينية في الوقت الذي جعل معاوية السلام مع الإمبراطور كونستانس ، بعد إن بدأ حرباً مع أبو تراب ، الأمير من الحيرة في صفين وهزمه"[250] .

كذلك تذكر رواية مارونية تعود لما بعد منتصف القرن السابع الميلادي (حوالي 669م-670م) مجهولة المؤلف وقريبة على الأحداث في تلك الفترة ، إن علي ابن أبي طالب كان أميراً للحيرة (إي ملكاً على الحيرة) ، وانه كان في نزاع مع معاوية ، وضرب على رأسه وهو يصلي في الحيرة ، وجاء في تلك الرواية :" وقد قتل معاوية ابن شقيقته حذيفة ، وقتل علي

---

[248] - القرآن ، سورة الصافات ، رقم الاية 123 الى 132 .

[249] - ابن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 1990 ، ج1 ، ص 339 .

[250] - جرجس الرشعيني ، الحياة السريانية لمكسيموس ، ترجمة بروك ، ص 313 .

أثناء الصلاة في الحيرة ، وذهب معاوية إلى الحيرة ، وحصل على ولاء كل قوات الطيايي هناك"[251] .

إن هذه الروايتين تتفقان مع ما جاء في الروايات العربية عن قصة مقتل علي ابن أبي طالب ولقبه (أبو تراب) وتختلفان في كون علي أميراً للحيرة أم كونه خليفة رابع للمسلمين، وتذهب المصادر الإسلامية إلى كون (أبو تراب) هو احد ألقاب علي ابن أبي طالب إضافة إلى ألقاب أخرى منها (أو السبطين وأبو الريحانتين) ، وان لقب أبو تراب كان أحب الكنى إليه وانه كان يسر إذا نودي به ، حيث روي عن ان النبي محمد رأى علي نائم متمرغاً في البوغاء (التراب الناعم) فقال : "اجلس ، أبا تراب ، فجلس " ، وفي رواية عن عمار بن ياسر قال : " كنت إنا وعلي رفيقين في غزوة ذات العشيرة ، فلما نزلها رسول الله (ص) وأقام بها ، رأينا ناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل ، فقال لي علي : يا أبا اليقظان ، هل لك إن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ ، فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة ، ثم غشينا النوم ، فانطلقت إنا وعلي فاضطجعنا في صور (النخيل الصغار) من النخل في دقعاء (التراب الدقيق على وجه الأرض) من التراب فنمنا ، فو الله ما أهبنا إلا رسول الله (ص) يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء ، فيومئذ قال رسول الله لعلي : (يا أبا تراب) ، لما يرى عليه التراب ، وفي رواية أخرى إن النبي جاء وعلي نائم في التراب ، قال النبي : إن أحق أسمائك أبو تراب ، أنت أبو تراب"[252] .وكذلك نجد إن اسم اياس بن قبيصة الطائي لا يخلوا من هذه التسمية ، وهذا احد أهم الدلائل على كون علي ابن أبي طالب هو نفسه اياس بن قبيصة الطائي ، حيث ان كلمة (قبيصة) عند العرب تعني (التراب) ، فحسب اللغوي اليمني نشوان بن سعيد الحميري في مؤلفه (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) والمتوفي عام (573هـ) إن كلمة قبيصة تعني (التراب المجموعة وهي من اسماء الرجال)[253] ، وعند جبران مسعود في مؤلفه (الرائد معجم لغوي عصري) نجد إن كلمة (القبيص) تعني (التراب

---

[251] - التاريخ الأصغير ، Chronica minora ، الجزء الثاني ، ص 69-70 .

[252]- محمد الريشهي ، موسوعة الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، المجلد الاول ، ص 81-82.

[253] - نشوان بن سعيد الحميري ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، المجلد الاول ، ج8 ، ص 5353 .

المجموع) وان كلمة (القبيصة) تعني (التراب المجموع ، الحصى)[254] ، ولذلك نجد إن اياس بن قبيصة كان يحمل هذه التسمية أيضا ، والأمر لا يتوقف عند اياس وعلي بل أيضا على كون النبي محمد هو نفسه اياس ، إضافة إلى كون النبي محمد هو شخصية من الطائيين كما في اياس ، فتذكر الروايات العربية إن قريش كانت تنسب النبي إلى أبي كبشة ، فيقولون : قال ابن أبي كبشة ، وفعل ابن أبي كبشة ، ويذكر الرواة أنهم إنما دعوه بذلك لأن وهب بن عبد مناف جد النبي (أبا أمه أمنة) كان يكنى (أبا كبشة) ، وان عمرو بن زيد بن لبيد النجاري كان يكنى أبا كبشة كذلك ، وعمرو هذا هو جد عبد المطلب ، وكان وجز بن غالب بن عامر بن الحارث بن عبد العزى بن رفاعة حاضن رسول الله يكنى أبا كبشة كذلك ، وامرأته حليمة بنت الحارث ، وذكر بعض ألرواة إن أبا كبشة كان قد استخف بالحرم وأهله ، في فعلة فعلها ، فكانت قريش تقول للنبي (ص) : " فعل ابن أبي كبشة كذا" ، يشبهونه إذا خالف دينهم ، وذكر إنا أبا كبشة كان قد عبد الشعرى ، وكان أول من عبدها ، ولم تكن قريش تعبدها ، وبذلك خالف قريشاً ، فقالت قريش ذلك للرسول لما خالفها في عقيدتها ، تذكره بأنه لم يكن أول من خالفها ، وانه خالفها كما سبق ان خالفها ابن أبي كبشة من قبله[255] ، و قيل ان أبو سفيان يوم فتح مكة وقف في بعض المضايق وعساكر (ص) تمر عليه: "لقد أمر أمر ابن أبي كبشة" . وان تسمية (كبشة) هي نفسها (قبيصة) ، وربما ان العرب حرفوا كلمة (قبيصة) إلى (كبشة) احتقاراً للنبي لأنه خالف عقيدتهم ، أو لأنهم كانوا على خلاف اكبر من ذلك ، حيث توجد لليوم مدينة في غرب العراق تدعى (كبيسة) وينتمي الأغلبية من سكانها لها فيدعون بقبيلة (كبيسة)(كبيسيين) في العراق وفي سوريا يدعون بالـ(قبيسة)(قبيسيين) ، وعلى الرغم من إن النسابة يذهبون إلى إن قبيسة ليست هي كبيسة ، إلا إننا لا نرى في ذلك إي مشكلة ، حيث ان النسابة نفسهم يرجعون القبيسة إلى شخص يدعى (ياس) ومن الواضح انه هو اياس بين قبيصة الطائي نفسه ، أما بالنسبة لقبيلة كبيسة في العراق ، فمن داخل هذه القبيلة لليوم توجد قبائل لليوم تنتسب إلى قبيلة طي ومنها (البو حيدر والدريعات) ، وهذا ما يؤكد هذه الرواية ، أما بالنسبة لمدينة كبيسة ، فهي تقع اليوم في

---

[254] - جبران مسعود ، الرائد معجم لغوي عصري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص 619-620 .

[255] - جواد علي ، نفس المصدر ، ص 111 .

محافظة الانبار في غرب العراق ، وهي من جملة تلك المناطق التي كانت تحت سيطرة اياس بن قبيصة الطائي ، لأن حكم اياس كانت يمتد حتى تلك المناطق ، وكان الكبيسيين في تلك الفترة يعملون في التجارة وكان لمكانتهم التجارية أهمية بسبب كونهم تجاراً ووسطاء في بلاد العرب ، ويتاجرون في كل مكان في بلاد العرب ما عداء كبيسة ذاتها[256] .

إضافة إلى ذلك فإن الرواية العربية للإسلام لا تهمل تواجد قريش في العراق ، حيث دخلت قريش في حلف عربي عرف بـ(الأحلاف) في الحيرة ، وقيل أنهم من ولد عبد الله الأعرج بن عبد شمس بن عبد مناف ، إلا إن قريش نكرت ذلك فيما بعد ، والأحلاف هو حلف عربي قبلي عرفوا بالعراق وبالتحديد في الحيرة ، وكانوا يدينون بالولاء لسلطة ملوك الحيرة واعترافهم بسلطة وسيادة ملوك الحيرة عليهم ، وبما إن اياس بن قبيصة الطائي أصبح ملكاً للحيرة فهذا يعني إن اياس تزعم الأحلاف ، كذلك نجد إن لفظة (الأحلاف) تقارب لفظياً لفظة (الإيلاف) التي وردت في سورة قريش ، ولأن المصطلحين يعطيان نفس المعنى ، والإيلاف هو اله عربي قديم عبده العرب في بادية السماوة جنوب العراق وهو اله التجارة والألفة والأمان الصحراوي ، وعرف في بادية العراق باسم (سلمن أو سلمان) وموضعه لليوم يعرف بـ(نقرة أو نكرة سلمان) ، وهو لا يبعد كثيراً عن البصرة ومسجدها ، ومعروف عند العراقيين اليوم كسجن اتخذته القوات البريطانية ثم الحكومة الملكية العراقية ، والإله سلمان هو نفسه (الإله إيلاف) ، حيث تذكر الروايات إن نوفل بن عبد مناف القريشي كان قد اخذ عهود الإيلاف من ملوك العراق الفرس والمناذرة وإنه كان يصل إلى العراق من منطقة السلمان في بداية السماوة في جنوب العراق ، ومن خلاصة ما ذكر نجد إن هناك تشابه وتماثل بين ثلاث شخصيات هم (اياس بن قبيصة الطائي والنبي محمد وعلي ابن أبي طالب) ، لهذا فهم شخصية واحدة ، كذلك إن قريش هي حلف خرج من الطيايي (الطائيين) في العراق .

إن مسألة وجود الطيايي في العراق اصبحت واضحة جداً بما ذكرناه ، ولكن الإشكالية هي في كون إن بعض الروايات كانت قد ميزت بين الطيايي وبين العرب ، وان هذا التمييز لا يعني إن الطيايي ليسوا عرب ، بل من الثابت هم عرب ، بدليل اقتران تسمية

---

[256] - باتريشيا كرونة ، نفس المصدر ، ص 275 .

(المهغرايي أو الهاجريون) مع تسمية الطيايي في الروايات السريانية ، غير ان هذا التمييز كان لأسباب سياسية ودينية ، فنحن نعلم ان السلالة اللخمية العربية انتهت بعد أن قتل الفرس للنعمان بن المنذر ، وان من حكم بعد النعمان هو اياس بن قبيصة الطائي ، ولذلك فإن الطائيين هم ليسوا اللخميين ، وإضافة إلى ذلك فإن الطائيين كانوا أصحاب عقيدة جديدة لا تؤمن بصلب يسوع على عكس العرب اللخميين الذين بقوا على عقديتهم النسطورية والذين يؤمنون بفكرة الصلب والعذاب ، ففي رسالة من حدود منتصف القرن السابع الميلادي للمطران مار ايشوعياب الحديابي الثالث المولود في إمارة حدياب عام 658م والذي أصبح أسقفا على الموصل في عام 628م ومطراناً على اربيل والموصل فيما بعد ، والمرسلة إلى الأسقف شمعون (أسقف اردشير وبيت قطرايا وانديكا (بلاد الهند جنوب شرق العراق والتي تعرف اليوم بالأهواز" ، ويذكر هذا المطران أمور مهمة عن بدايات ظهور الإسلام في العراق ، حيث يصف الطيايي بالهراطقة وإنهم لا يعترفون بقصة فداء المسيح ويميزهم عن العرب بشكل واضح ، وكذلك لا ترد كلمة مسلمين أو إي شيء يتعلق بكلمة الإسلام عنهم ، وجاء في تلك الرواية :" ان الهراطقة يخدعونك عندما يقولون إن ما يحدث يكون بأمر العرب ، والحقيقة إن الأمر ليس كذلك ، بالنسبة للـ(الطيايي المهاغري) فهم لا يؤيدون فكرة أولئك الذين يقولون إن الله رب الكون قد عانى و مات ، وإذا كان من قبيل الصدفة ان يساعدوهم لأي سبب من الأسباب فإذا كنت مهتم على الإطلاق فيمكنك إعلام (المهاغري) وإقناعهم بهذه المسالة (قصة الفداء) ، كما ينبغي ان تكون ، إخوتي أنجزوا كل شيء بحكمة و أعطِ ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله "[257] .وفي تكملة المراسلات بين المطران ايشوعياب الحديابي الثالث والأسقف شمعون يرد ذكر اسم المنطقة التي ظهر منها شخص يسميه الغاوي ، وكذلك يصف معاملة العرب للمسيحيين ، وجاء في تلك التكملة :" أنتم فقط من دون جميع شعوب الأرض مبتعدون عن الجميع ، وبسبب هذا الابتعاد ظهر الإثم بوضوح بينكم ، وهذا الغاوي الذي قام بإغوائكم وقلع كنائسكم من جذورها ، قد ظهر بيننا في البداية بالقرب من رادان ، حيث الحنيفين (المقصود بهم الوثنيين) أكثر عددا من المسيحيين ، علي الرغم من ذلك و يرجع الفضل للمسيحيين في عدم إتباع الوثنيين لهذا الغاوي ، بل تم طرده ملحقاً

[257] - . Robert G. Hoyland. Ibid. P.179

بالعار ، ليس فقط انه فشل في إلغاء الكنائس من جذورها بل تم استئصاله ، أما منطقتك من بلاد فارس فقد استقبلتموه ، وفعل مع الوثنيين والمسيحيين كما يحلو له ، وكان الوثنيين راضون ومطيعين والمسيحيين غير مبالون وصامتون ، أما بالنسبة للعرب الذين أعطاهم الرب السلطة على أنحاء العالم فأنتم تعلمون جيداً كيف يتعاملون معنا ، ليس لأنهم لا يعارضون المسيحية فقط ولكنهم يمجدون عقيدتنا ويحترمون القديسين والرهبان ، ويساعدون الكنائس والأديرة ، ولماذا المرونيين (يقصد بهم المازونيين ، ومازونا هي سلطة عُمان) يرفضون عقيدة العرب بحجة أنهم متمسكون بعقيدتهم؟ في حين إن المرونيين أنفسهم يعترفون إن العرب لم يجبروهم على التخلي عن عقيدتهم بل سألوهم فقط أن يعطوا نصف ممتلكاتهم في مقابل الاحتفاظ بإيمانهم ، ولكنهم تركوا إيمانهم وهو باقي لهم واحتفظوا بنصف ثرواتهم الزائلة "[258].

إن هذه الرواية الثانية تحكي لنا قصة ظهور شخص أطلق عليه المطران مار ايشوعياب تسمية (الغاوي) من مدينة يسميها بـ(رادان) ، وقال إن هذا الغاوي قد ظهر بينهم، وإن تم طرده بعد إن فشل في محاولته لاستمالة الكنيسة الشرقية لصالح عقيدته الجديدة، وبما إن المطران ايشوعياب وكأنه يدخل بمعاتبة شمعون أسقف اردشير لأن هذا الغاوي استطاع إغوائهم ، وبالتالي دخلوا في بدعته ، ولذلك إنه على إن الأغلب إن هذا الغاوي فحسب ما ذكرت هذه الرواية قد اتجه إلى منطقة ما جنوب أو غرب العراق ، ومن هناك بدأ دعوته ، وهذه الرواية هي أفضل دليل على إن صاحب هذه العقيدة الجديدة ظهر بين الطائيين وفي العراق ، وبشكل واضح فالمقصود بهذا الغاوي هو (النبي محمد) ، أما بالنسبة لمنطقة رادان التي ظهر منها النبي محمد حسب رواية ايشوعياب الحديابي ، فحسب كتاب (كلدو اثور) للمطران ادي شير يذكر رادان ضمن عدد من المدن الدينية النسطورية التي تتبع الكنيسة الشرقية في المدائن ، فيقول ان رادان تقع بين نهر رادان وديالى ومن أشهر مدنها (حالا)[259] ، أما في (موسوعة المدن والمواقع في العراق) لبشير يوسف فرنسيس ، فيذكر ان رادان هي مدينة قديمة جداً وتقع على نهر رادان والذي عرف حديثاً باسم (نهر العظيم) ،

---

[258] - . Robert G. Hoyland. Ibid. P.181

[259] - ادي شير ، نفس المصدر ، ص 11 .

حيث كان البابليون والآشوريين يطلقون عليه اسم (رادانو) أما الآراميون فعرفوه باسم (رادان) والعرب عرفوه باسم (راذان)[260] ، وفي كتاب تاريخ الكنيسة الشرقية لـ(الأب ألبير أبونا) ان الجاثليق مار ابا الكبير والذي قام بدور هام وكبير في تاريخ الكنيسة الشرقية ولد في رادان عام 490م ، والتي تقع في جنوبي جبال حمرين على الشاطئ الشرقي من دجلة بين نهري ديالى والعظيم (يقصد به نهر رادان)[261] ، وإضافة إلى ما ذكر فإن هذه الرواية تصف العرب بأنهم يمجدون العقيدة المسيحية وهذا يعني أنهم كانوا معتنقين المسيحية على عكس الطيايي الذي جاءوا بعقيدة جديدة تختلف عن عقيدة العرب المسيحيين حول طبيعة يسوع سواء بشرية أم إلهية وكذلك حول قصة الصلب والفداء ، ولذلك فإن هذه الرواية تأخذنا مباشرة إلى الحرب بين الطائيين والفرس من جهة وبين العرب من أتباع اللخميين ملوك الحيرة وحلفائهم من قبيلة بكر بن وائل من جهة ثانية في معركة ذي قار ، حيث إن هذه المعركة مهمة جداً في تحديد مسار العقيدة الجديدة التي اعتقد بها الطيايي وكذلك مسار العرب الذين بقوا على مسيحيتهم ثم تحولوا لاتباع العقيدة الجديدة .



الشكل رقم (24) ، يوضح موقع مدينة رادان

---

[260] - بشير يوسف فرنسيس ، موسوعة المدن والمواقع في العراق ، اصدارات اي-كتب ، لندن ، 2017 ، ج2 ، ص 702 .

[261] - الاب البير ابونا ، تاريخ الكنيسة الشرقية ، ط2 ، بغداد ، 1985 ، ج1 ، ص 145 .

ويحفظ لنا الأدب المسيحي مجموعة من مراسلات وعهود بين ايشوعياب وبين النبي محمد وعمر بن الخطاب ، إلا إن تلك المراسلات ليست ذات قيمة تاريخية ، لأنها متأخرة ، مثلاً يذكر ماري بن سليمان في أخبار فطاركة كرسي المشرق والذي كتبه في القرن الحادي عشر ميلادي :" إن ايشوعياب كان يكاتب صاحب شريعة الإسلام ويهدي إليه ويسأله الوصاية برعيته فأجابه إلى ذلك ، وكتب إلى أصحابه كتباً بليغة مؤكدة ويره صاحب الشريعة عليه السلام ببركان فيه عدة من الإبل وثياب عدنية ، وتأدى ذلك إلى ملك الفرس فأنكر على الفطرك فعله ومكاتبته وخاصة عند ورود هداياه فداراه إلى إن سلم منه ، وعاش إلى أيام عمر بن الخطاب عليه السلم فكتب له كتاباً مؤكداً بالحفظ والحيطة وإن لا يؤخذ من إخوانه وخدمه الجزية وأشياعه أيضا "[262].

إن سبب معركة ذي قار كما ذكر الإخباريون التي حدثت عام 624م بين الفرس وأتباعهم من الطيايي من جهة ضد العرب بقيادة بكر بن وائل وأنصار اللخميين من جهة أخرى كانت بسبب مطالبة خسرو الثاني لهانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود احد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان بتسليم الودائع التي أودعها النعمان بن المنذر لديه إليه ، ولما رفض هانئ ذلك غضب خسرو فبعث الهامرز التستري وهو مرزبانه الكبير وكان معسكره في القطقطانة ، والى جلابزين وكان معسكره في بارق ، وكذلك كتب خسرو إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين الذي استعمله خسرو على سفوان بأن يرافق اياس بن قبيصة الطائي، ويقال إن هانئ بن مسعود هو خال اياس بن قبيصة وإن أم اياس تدعى (امامة بنت مسعود) فهذا يعني إن اياس بن قبيصة كان قريب لهانئ بن قبيصة[263] ، وذي قار هي ما لبكر بن وائل قرب الكوفة بينها وبين واسط ، والى ذلك جاء الفرس ومعهم الفيلة عليها فرقة الأساورة ، والعرب بقيادة الطائيين ، فشكلوا حلفاً من تغلب ونمر وإياد وقضاعة وكانوا تحت قيادة اياس ومعه كتائب الشهباء والدوسر ، أما العرب بقيادة هانئ بن قبيصة والمثنى بن حارث الشيباني وحنظلة بن ثعلبة بن سيار العجيلي فكانوا أيضا حلفاً مكوناً من بني شيبان وذهل وتيم وتميم بقيادة بكر بن وائل ، فحدثت المعركة قرب بئر ذي قار وانهزم الفرس

---

[262] - ماري بن سليمان ، اخبار فطاركة كرسي المشرق ، كتاب المجدل ، ص 62 .

[263] ابو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، دار احياء التراب العربي ، ج24 ، ص 229 .

وحلفائهم[264] ، وكسروا كسرة هائلة وقتل أكثرهم وفيهم الهامرز وجلابزين ، وانتصر العرب على الفرس ، ويوم ذي قار لم يكن يوماً واحداً ، أي إن معركة ذي قار لم تكن معركة واحدة بل عدة معارك وقعت قبلها وختمت بـ(ذي قار) ، حيث كانت المعركة الفاصلة فنسبت المعارك إلى هذا المكان ، وحسب ابو الفرج الأصفهاني فإن تاريخ المعركة هو العام الثاني للهجرية أي عام 624م[265] ، وتذكر الروايات إن قبيلة إياد كانت قد اتفقت سراً مع قبيلة بكر على الهرب ، وأثناء المعركة هربت بالفعل بينما كان الطائيين بقيادة اياس يقاتلون قبيلة بكر ، فاضطربت صفوفهم[266] ، ويقال إن لحنظله بنت يقال لها (مارية) كانت معه في المعركة[267] ، ويتداول الإخباريون إن هناك معركة أخرى اسمها (ذي قار) أيضا ، حدثت بين العرب والفرس وانتصر فيها العرب أيضا[268] .

هناك إشارة سريانية لمعركة ذي قار من القرن التاسع الميلادي وردت في (وقائع سرت) لمؤلف مجهول مكتوب بالعربية ويتكلم عن التاريخ الكنسي ، وبعض الباحثين يعتقدون إن مؤلفه شخص من البصرة يدعى (شنودة) ، وجاء في الرواية :"عندما قام خسرو الثاني بتسميم النعمان بن المنذر ملك العرب وابنه ، عن طريق الحيلة ، فإن العرب في إمبراطوريتي الفرس والرومان كفوا عن الولاء لهم ، وتفرقوا ، ويتصرفون حسب أهوائهم ... لذلك أصبحوا أقوياء وتسببوا بالكثير من الأذى في المقاطعات ، وظلوا هكذا حتى ظهور المشرع المسلم "[269] .

إن حكاية معركة ذي قار تربطنا بحكاية عدة معارك خاضها المسلمون مثل معركة بدر ومعركة أحد التي خاضها المسلمون في عهد النبي محمد وكذلك معركة الجمل التي خاضها المسلمون في عهد خلافة علي ، وكذلك لها علاقة بحروب الردة التي كان منفذها خالد بن الوليد في خلافة ابو بكر وبعد موت النبي محمد كما تقول الرواية الإسلامية ،

---

[264] - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جامعة بغداد ،ج3 ، ص 293.

[265] - ابو الفرج الاصفهاني ، نفس المصد ، ص 232 .

[266] - جواد علي ، نفس المصدر، ص 297 .

[267] - جواد علي ، نفس المصدر، ص 297 .

[268] - جواد علي ، نفس المصدر، ص 298 .

[269] - - ربرت هيلند ، تاريخ العرب ، ترجمة عدنان حسن ، شركة قدمس ، الطبعة الاولى ، دمشق ، 2010 ، ص 55.

والتشابه لا يتمثل بتشابه وتماثل الأحداث وإنما أيضا بتشابه قصص الشخصيات التي كان لها الدور الأبرز والمحوري في هذه المعارك ، وكل ذلك سنتكلم عنه بالتفصيل ، وقبل إن نوضح بالنسبة للتماثل بين معركة ذي قار ومعركة أحد ، لابد من ذكر الإشكالية التي وضعتها الروايات العربية حول شخصية اياس بن قبيصة الطائي من ناحية المدة الزمنية لحكمه في العراق ، فالروايات العربية لا تتفق على مدة محددة لحكم اياس في الحيرة ، فبعضهم من قال إنه حكم (9 أشهر) وبعضهم من قال إنه حكم (9 سنوات) ، وبعضهم وضع أكثر من ذلك ، ولكن حسب الأصفهاني كما ذكرنا فإن اياس في عام (624م) كان مازال ملكاً على الحيرة ، وأكثر من ذلك نجد إن اياس في الرواية الإسلامية يكون من ضمن الوفد المفاوض الذي شكله وجهاء الحيرة للتفاوض مع المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارث الشيباني عام 12هـ والمصادف في الفترة مابين عامي (634م – 635م) .

وبالعودة لموضوع التماثل بين معركة ذي قار ومعركة بدر ، في البداية نجد إن المعركتين حدثتا في نفس السنة وهو عام (12هـ) والمصادف عام (624م) ، حيث كانت معركة ذي قار بين العرب والفرس من جهة وبين العرب وحلفائهم من جهة أخرى بينما نجد معركة بدر كانت بين المسلمين من جهة وبين قريش وحلفائهم العرب ، إن معركة ذي قار حدثت بالقرب من ماء لبكر بن وائل بينما معركة بدر حدثت بالقرب من ماء بين مكة والمدينة ، وشعار العرب في ذي قار كان : (يا محمد يا منصور) ، وشعار المسلمين في معركة بدر كان : (يا منصور أمت) ويقال (يا منصور أمت)[270] بتكرار (أمت) مرتين ، حيث ان المراد بـ(أمت) هي للدعاء بالموت على الاعداء ، ويذكر الشيخ صالح بن عواد المغامسي روايته عن موقع يقال له بدر يقع في البصرة بالقرب من سفوان ، ومثلما معلوم إن سفوان يقع في البصرة ، وجاء في ذلك :" فأما بدر الصغرى فقد كانت على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، جاء رجل يقال له كرز الفهري فأغار على سرح المدينة فتبعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى وادي يقال له وادي صفوان قريب من بدر ، النبي عليه الصلاة والسلام لما أغار كرز الفهري على سرح

[270] - الشيخ الكليني ، الكافي ، دار الكتب الاسلامية ، ج5 ، ص 47 .

المدينة تبع كرزاً هذا إلى وادي قريب من بدر يسمى وادي صفوان ، فهذه عند بعض أهل السير تُسمَّى بدر الصغرى "[271] .

وعلى الرغم من الرواة العرب يقولون إن بدر الصغرى ليست هي بدر الكبرى ، إلا أننا لا نجد أي اختلاف بينهما ، وكذلك لا نجد أي إشارة إلى كون سفوان (صفوان) في الحجاز أو بين مكة والمدينة ، ولا يمكننا إلا اعتبار بدر الصغرى هي جزء مكمل من بدر الكبرى ، لأن معركة بدر ربما كانت على عدة أيام ، فهي أولا وأخيرا تشير إلى موقع بدر وهو قرب البصرة ، وكذلك كما ذكرنا إن خسرو الثاني كتب إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين الذي استعمله خسرو على سفوان بأن يرافق اياس بن قبيصة الطائي ، ونلاحظ أيضا إن معركة ذي قار كانت تشمل البصرة أيضا ، وهناك رواية غريبة أيضا لكنها لا تخلوا من الأهمية ، حيث تذكر الروايات العربية إن النبي محمد بعد الانتهاء من معركة بدر وسماعه لخبر انتصار العرب في ذي قار قال : (هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نصروا)[272] ، ونحن لا نعلم ما السبب في قوله لهذه العبارة ، وما السبب في استخدام العرب في معركة ذي قار شعار (يا محمد يا منصور) ، إلا بكون هذه الروايات تدل على النبي محمد كان قريب من موقع الأحداث وإنه كان قد شارك بها ، وعلى الرغم من إنه من المفروض إن يكون اياس هو النبي محمد وهو علي ابن أبي طالب وإنه من المفروض إن لا يقول ذلك لو كان هو مشارك ضد العرب! ولكن هناك رواية أخرى تجيب على هذه الإشكالية وهو في تبدل موقف خسرو الثاني من اياس بن قبيصة الطائي ، حيث إن خسرو الثاني كان قد أرسل إلى مال اياس ليأخذه ورفض الطائيين ذلك ، وحتى إن أراد إن يدخل معهم بحرب ، ولكنه أرسل لهم كتاب كضمان سلامة لهم من إن يبطش بهم ، غير إن الطائيين رفضوا ذلك أيضا[273] ، وعلى ما يبدو فان اياس كان قد غير موقفه من خسرو ، لعدة أسباب منها سبب قرابته من قبيلة بكر بن وائل حيث كانوا هم أخواله كما ذكرنا ، وكذلك التدخل الفارسي بحكمه ، كذلك ظهور المشاكل بين خسرو وبين القائد شهرباراز الذي كان مقرباً من اياس ، فالروايات الإسلامية تذكر ان الجنرال الفارسي شهرباراز كان يخاطب بني شيبان ويهددهم ، فلو نرجع

---

[271] - صالح بن عواد المغامسي ، الأيام النظرة والسيرة العطرة لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، ج1 ، ص 85 .

[272] - الطبري ، نفس المصدر ، ج2 ، ص 193 .

[273] - جواد علي ، نفس المصدر ، ج3 ، ص 299 .

لرواية معركة ذي قار نجد ان بني شيبان شاركوا بها بقوة ضد اياس بن قبيصة الطائي ، فيذكر (سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث) في (أطلس الفتوحات الإسلامية) نص رسالة القائد الفارسي شهرباراز إلى المثنى بن حارث الشيباني في إحدى المعارك في بابل ، فيقول له : "من شهرباراز إلى المثنى إني قد بعثت إليك جنداً من أرذل أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم ".فيرد المثنى على الرسالة ويقول له : "من المثنى إلى شهرباراز ، إنما أنت احد رجلين ، إما باغ فذلك شر لك وخير لنا ، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك ، وإما الذي يدلنا عليه فإنكم إنما اضطررتهم إليه ، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير"[274] . هذه الرسائل نسبت إلى شهرباراز والمثنى بن حارث الشيباني ، ونسبت إلى فترة ما تسمى بالفتوحات الإسلامية ، على الرغم من انه من المفترض ان شهرباراز كان مقتول قبل الفتوحات بخمس سنوات لأنه قتل عام 630م في مدينة قطيسفون وعلى اعتبار ان فتح العراق تم في الفترة مابين عامي 634-635م ، ولذلك ان هذه الرسائل كانت من معركة ذي قار ، وليست لمعركة أخرى .

إما عن علاقة معركة ذي قار بمعركة أحد ، فنلاحظ ظهور احد قيادات قريش في معركة احد يقال له خالد بن الوليد ، حيث إن هذا خالد كان في وقتها يقاتل ضد المسلمين في تلك المعركة ، ولهذه الشخصية تشكل اشكالية كبيرة في احداث المعركتين وكذلك تشكل حلقة وصل بينهما ، فأحداث تلك المعركة كما ترويها المصادر الاسلامية كانت برسم خطة الدفاع لدى المسلمين ، بعد ان اختار النبي محمد مجموعة من الرماة ، عددهم خمسون رامياً ، وسلم القيادة لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري ، وأمرهم بأن يتمركزوا على جبل يقع على الضفة الشمالية ، وقد سمي هذا الجبل بعد ذلك باسم (جبل الرماة) ، حيث قال النبي لقائدهم : (انضح الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك ، لا نؤتين من قبلك) ، وقال للرماة : (احموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا) ، ثم بدأت المعركة واستطاع المسلمون تحقيق الانتصار في بداية الأمر ، بحيث كان شعارهم في معركة أحد قولهم على لسان واحد : (أمت ، أمت) ، وظلت السيطرة للمسلمين ، حيث أخذ بعدها العرب بالانسحاب والفرار ،

[274] - سامي عبد الله المغلوث ، اطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ص117.

وعندما رأى الرماة إن المسلمون انتصروا ، أخذ الرماة ينادون بعضهم ويقولون : (الغنيمة ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون؟) ، ولكن قائدهم حاول تذكيرهم بأوامر النبي بعدم التحرك من مكانهم ، فتركوا مواقعهم ونزلوا لأخذ الغنائم ، عند ذلك أصبحت ظهور المسلمين مكشوفة للعرب ، واستغل خالد بن الوليد هذا الموقف ، حيث كان خالد بن الوليد ، قد أعطى أوامره باللحاق بظهور المسلمين ، والالتفاف حول الجبل الذي كان يقف عليه الرماة ، وتمت الإحاطة بالمسلمين من الأمام والخلف ، حاول النبي إنقاذ الموقف بتنبيه الجيش الذي تم تطويقه ، إلا ان العرب تنبهوا لذلك ، وحصل ارتباك داخل صفوف المسلمين ، وسمعوا إن الرسول قد مات ، فانهارت معنوياتهم ، ولكن بعدها عرفوا بأن النبي على قيد الحياة ، فكان القتال حول النبي محتدماً ، اجتمع الصحابة حوله واستطاعوا النجاة بالنبي وبأنفسهم ، وخسرو المعركة .

إن هذه القصة تذكرنا بقصة ودور قبيلة إياد في معركة ذي قار ، فقصة نزول الرماة من الجبل في معركة أحد كانت تمثل دور الخيانة لجيش المسلمين ، حيث نجد إن قبيلة إياد كانت قد اتفقت مع قبيلة بكر بن وائل بعد إن أرسلوا لها رسولاً فقالوا لهم : أي الأمرين أعجب إليكم؟ إن نطير تحت ليلتنا فنذهب أو نقيم ونفر حين تلاقوا القوم؟؟ ، فأجابت قبيلة بكر قبيلة إياد : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم ، وبالفعل وأثناء المعركة هربت بالفعل قبيلة اياد بينما كان الطائيين بقيادة اياس يقاتلون قبيلة بكر ، فاضطربت صفوفهم .

اما في شخصية خالد بن الوليد ، حيث انه في الحقيقة نجد إن اسم (خالد بن الوليد) قد جاء من تأثيرات فارسية وسريانية ، حيث ان اللفظ الفارسي للاسم العربي (حارث) هو (خالد، خالت) نظراً لعدم وجود بعض الحروف في اسم الحارث في اللغة الفهلوية الفارسية الوسطى ، وذلك لأن اغلب كتاب السيرة هم فرس وليسوا عرب لذلك كانوا يلفظون اسم (حارث) بصيغة (خالد) ، وحتى ان هذا الخطأ اشيع وأصبح من المسلمات . حيث ان صوت (الراء) يستبدل عند اللفظ الفهلوي الفارسي بصوت (اللام) كما في اسم (الزبير) الذي يلفظ عند الفرس بصيغة (الزبيل) ، وكما في الاستبدال بين صوتي (الباء والفاء) أيضا والذي يحدث بين الفهلوية والعربية ، أما صوت (الثاء) فهو غير موجود في الفهلوية لذلك يستبدل بصوت (التاء) ، لذلك ان اللفظ الفهلوي لصيغة اسم (حارث) هو (كالت أو خالت) (كما في

الشكل رقم 25) . مثلاً يذكر الطبري قصة ترجع لما قبل الإسلام بعشرات السنين عن الصراع بين ملوك الحيرة والغساسنة ، ويذكر اسم الملك الغساني (حارث بن جبلة) بصيغة (خالد بن جبلة) ، حتى إن أكثر الباحثين اعتقدوا إن الطبري قد اخطأ في الاسم ، بل في الحقيقة إن الطبري نقل تلك الرواية عن مصدر فهلوي ، ويقول الطبري عن تلك الحرب وعن صراع ملوك الحيرة والحارث بن جبلة ملك الغساسنة : " وكان فيما ذكر بين كسرى انو شروان وبين يوسطنيان ملك موادعه وهدنة فوقع رجل من العرب كان ملكه يوسطنيان على عرب الشام يقال له (خالد بن جبلة) وبين رجل من لخم كان ملكه كسرى على مابين عُمان والبحري واليمامة والطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان....."[275] .

وبذلك أصبح من شبه المؤكد ان اسم (حارث) في العربية هو (خالت أو كالد) في الفهلوية إلى ان حرف عند التعريب مرة ثانية فأصبح بصيغة (خالد) ، أما بالنسبة للمقطع الثاني من خالد بن الوليد وهو (الوليد) ، حيث إن اسم (الوليد) هي تعريب من كلمة أرامية وهي (بكرا)(بكر) ، وكلمة (بكر) لها عدة صيغ بالآرامية ولكنها تعطينا معنى واحد ، ومنها : (ܒܘܟܪܐ ، ܒܟܪܐ ، ܒܟܝܪܐ ، وغيرها) ، أما معانيها فمنها : (الأول ، الصغير ، بكر ، بداية الشيء ، الجديد ، الحديث ، المبتدئ ، وغيرها) ، أما معنى اسم الوليد في العربية فهو : (المولود حديثاً ، المولود حين يولد ، المولود حتى أسبوعه الأول) ، وبالاستناد إلى ذلك فإن معنى اسم خالد بن الوليد هو (الحارث بن بكر ، أو الحارث بن بكرا) .

---

[275] - نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا ، نفس المصدر ، ص 116 .

لو كتبنا اسمي (حارث) و(خالد)
في الفهلوية الفارسية الوسطى

الشكل رقم (25) ، يوضح طريقة اسمي (حارث) و(خالد) في الفهلوية

إن اقرب شخصية لاسم الحارث بن بكرا (خالد بن الوليد) هي شخصية (المثنى بن حارث الشيباني) ، وعلى اعتبار إن قبيلة بني شيبان هي إحدى قبائل بكر بن وائل ، فأصبح من الواضح لنا هو إن المثنى بن حارث الشيباني هو اما ابن خالد بن الوليد (حارث بن بكرا) او هو نفسه خالد بن الوليد ، حيث نجد هناك تماثل بين الشخصيتين بشكل واضح ، فمثلاً ان المثنى بن حارث الشيباني يخرج على اياس بن قبيصة الطائي في موقعة ذي قار عام 624م ، وفي نفس العام يخرج خالد بن الوليد على النبي محمد في معركة بدر عام 624م ثم يخرج عليه في معركة أحد في الفترة مابين عامي 624-625م ، وقصة انتصار خالد على النبي محمد والمسلمين ، كما انتصر المثنى بن حارث الشيباني على اياس في موقعة ذي قار كما تقول الروايات كما ذكرنا ، إضافة إلى ذلك تذكر المصادر الاسلامية انه في يوم فتح الحيرة بعد ان حاصرها المسلمون جرت مفاوضات بين خالد بن الوليد ومعه المثنى بن حارث الشيباني وبين اياس بن قبيصة الطائي إضافة إلى عدة أشخاص من وجهاء الحيرة ، وبذلك نلاحظ ان خالد بن الوليد والمثنى بن حارث هم الشخصين الوحيدين الذين اصطدموا بإياس بن قبيصة الطائي ، كذلك نجد ان خالد والمثنى كانوا مقربين من ابو بكر ، حيث نلاحظ وكما تذكر المرويات ان المثنى قد اسلم بشكل غامض ، وأصبح من اشد المتشددين للإسلام ، فقيل انه

ذهب إلى المدينة المنورة يطلب من ابو بكر الصديق ان يسمح له بمهاجمة الفرس وأهل السواد في العراق ، وأذن له ذلك ، وثم طلب منه المدد فأرسل له خالد بن الوليد ، حتى انه أصبح من المقربين لخالد بن الوليد ، ويوم ما أمر ابو بكر الصديق لخالد إن يذهب إلى الشام بقي المثنى في الحيرة ليحكم العراق ، وهذه الروايات تؤكد إن المثنى بن حارث الشيباني كان على علاقة بشخصية خالد بن الوليد (الحارث بن بكرا) كما ذكرنا .

أما بالنسبة للعلاقة والتماثل بين معركتي ذي قار والجمل ، فعلى الرغم من حدوث المعركتين في تاريخين مختلفين ، حيث إن معركة ذي قار حدثت عام 624م كما ذكرنا وإن معركة الجمل حدثت عام 656م ، إلا إن التماثل لا يمكن إن يختفي من هاتين المعركتين ، فمعركة ذي قار حدثت بين القبائل العربية حسب الرواية الإسلامية بين قبائل بكر وشيبان وقبائل أخرى وبين باقي القبائل العربية بقيادة اياس بن قبيصة الطائي وبمساندة الفرس ، بعد ان قام الفرس بقتل حاكم الحيرة النعمان بن المنذر ومطالبة العرب بالثأر له من الفرس، أما معركة الجمل فحدثت في البصرة بين العرب الموالين لعثمان بن عفان بقيادة عائشة بنت ابو بكر وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين العرب الموالين لعلي ابن أبي طالب ومعهم فرق من الجيش الفارسي المعروفة الأساورة ، بعد ان طالب العرب بالثأر والاقتصاص من قتلة عثمان بن عفان وكان طلبهم هذا موجه إلى علي ابن أبي طالب ، فنجد ان اسم (بكر بن وائل) وبالخصوص (بكر أو بكرا كما في صيغته الآرامية) هو نفسه اسم البصرة عند تعريبه من الفهلوية الفارسية ، وهذه اللفظة مهمة لإيضاح هذا التماثل بالإحداث ، حيث ان اللفظ الفارسي لاسم مدينة البصرة هو (بكرا) أو (بجرا) وهو نفسه الآرامي ، وفي بعض الأحيان (بكلا/بجلا) لأن صوت الراء واللام في الفارسية هو صوت وحرف واحد ، حيث ان اسم مدينة البصرة في العملات العربية الساسانية ظهر بصيغة (بكرا) ، كما في هذه العملة (الشكل رقم 26) التي ضربها عبيد الله بن زياد والي البصرة في العهد حكم يزيد بن معاوية:



الشكل رقم (26)

<u>شرح العملة :</u>

عملة عربية ساسانية

نوع العملة : درهم

ضربت هذه العملة في عهد عبيد الله بن زياد والي البصرة

دار الضرب : البصرة (بكرا ، BCRA)

سنة الضرب : غير واضحة ، يعتقد سنة 683م

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني ، وفي الهامش تظهر عبارة عربية وهي : (بسم الله).

ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي ، وبجانبه مدينة الضرب (بكرا) ، وسنة الضرب .

كذلك في عملة أخرى لعبيد الله بن زياد (الشكل رقم 27) ، نلاحظ إن اسم البصرة يظهر بصيغة (بكرا) مرة ثانية :



الشكل رقم (27)

<u>شرح العملة :</u>

عملة عربية ساسانية

نوع العملة : درهم

ضربت هذه العملة في عهد عبيد الله بن زياد والي البصرة

دار الضرب : البصرة (بكرا ، BCRA)

سنة الضرب : 60هـ ، 682م

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني ، وفي الهامش تظهر عبارة عربية وهي : (بسم الله) .

ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي ، وبجانبه مدينة الضرب (بكرا) ، وسنة الضرب .

وإن ما يؤكد إن المقصود بـ(بكرا) وانها قبيلة (بكر بن وائل) ، هو ظهور اسم (البكرية) في العملات بشكل واضح ، كما في عملة (مقاتل بن مسمع) (الشكل رقم 28) :



الشكل رقم (28)

شرح العملة :

عملة عربية ساسانية

نوع العملة : درهم

ضربت هذه العملة لمقاتل بن مسمع احد قيادات قبيلة بكر بن وائل في البصرة

دار الضرب : بيشابور في ايران

سنة الضرب : 73هـ ، 695م

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني ، وفي الهامش تظهر عبارة عربية وهي : (بسم الله) ، وكذلك (البكرية) وهي إشارة واضحة لقبيلة بكر بن وائل التي ينتمي إليها مقاتل بن مسمع وإشارة أخرى ومهمة إلى مدينة البصرة .

ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي ، وبجانبه مدينة الضرب (بيشابور) ، وسنة الضرب .

ومقاتل بن مسمع البكري احد شخصيات قبيلة بكر بن وائل من مدينة البصرة وشقيق مالك بن مسمع البكري ، كان مشهور بالفروسية ، نجد له ذكر في كتاب انساب الأشراف للبلاذري ، ففي خبر قدوم مصعب بن الزبير إلى الكوفة لمحاربة المختار الثقفي كان معه شخصيات من المدينة كقيادات مع جيشه ، وكان على ميمنة المختار الثقفي سليمان بن يزيد الكندي وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الهمداني ، وكان على شرطته يومئذ عبد الله بن

قراد الخثعمي ، أما بالنسبة لمصعب بن الزبير فكان على ميمنته المهلب بن أبي صفرة وعلى ميسرته عمر بن عبيد الله بن معمر ، وعلى الخيل عباد بن حصين ، وعلى الرجال (مقاتل بن مسمع) ، وعلى بكر بن وائل (مالك بن مسمع)[276] ، ولما استقر عبد الملك بالكوفة بعد قتل مصعب بعث على البصرة خالد بن عبد الله وكان المهلب يحارب الأزارقة فولاه على خراج الأهواز وبعث أخاه عبد العزيز بن عبد الله إلى قتال الخوارج ومعه مقاتل بن مسمع وأتت الخوارج من ناحية كرمان إلى داربجرد وبعث قطري بن الفجاءة صالح بن مخراق في تسعمائة فاستقبل عبد العزيز ليلا على غير تعبية فانهزم وقتل مقاتل بن مسمع وأسرت بنت النذر بن الجارود إمرأة عبد العزيز فقتلها الخوارج ، وفي كتاب الكامل في اللغة للمبرد يظه مقاتل بن مسمع زعيماً لقبيلة بكر بن وائل في البصرة[277] .ولذلك ان المقصود بقبائل بكر بن وائل هم سكان مدينة البصرة ، حيث ان من عادات وتقاليد أهل العراق قبل الإسلام وبعده هو الانتساب بأسماء المدن مثل (الخطيب البغدادي ، الحسن البصري (البكري) ، حنين بن إسحاق الحيري ، ابو رائطة التكريتي ، وغيرهم) ، ولذلك إن المقصود بـ(البكري) هو (البصري)، وهناك نقطة أخرى يجب الوقوف عندها وهي ان عائشة بنت ابو بكر تظهر في البصرة لقيادة الجيش ضد علي ابن أبي طالب ، وخاصة أننا لو لاحظنا أيضا أنها بنت ابو بكر الصديق ، وهذا ما يحيلنا إلى اعتبار إن شخصية ابو بكر كان هو زعيم قبيلة بكر بن وائل في معركة ذي قار ، حيث ان العراقيين لليوم يطلقون على الزعماء واصحاب الشأن في بعض الاحيان تسمية (ابو) تلحق باسم الفئة التي يقودها ، أي مثلاً زعيم قبيلة الشمر (ابو الشمر) وهكذا في ثقافتهم الشعبية ، والى غير ذلك لو عدنا إلى أحداث معركة ذي قار سنجد ان بنت احد زعامات قبيلة بكر كانت موجودة في المعركة وهي مارية بنت حنظلة بن ثعلبة العجيلي. ونلاحظ عند تتبع الرواية التاريخية ، ان كسرى قد تحالف مع بعض الترك لمحاربة بيزنطة ، وكذلك ان هرقل إثناء تقدمه باتجاه قطيسفون داخل العراق ، وجد ان هناك فرقة تركية كانت تقاتل معه ، وبعد هذه الأحداث وأثناء حكم الزبيل (عبد الله بن الزبير) وهو قائد تركي كما سنتكلم عنه لاحقاً في الفصل القادم ، وأثناء التأسيس لدولته نلاحظ انه أعطى مدينة

---

[276] - البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق :الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركاي ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، ج1 ، ص 2697 – 2698.

[277] - المبرد ، الكامل في اللغة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، ج3 ، ص 253 .

البصرة لأخيه (مصعب بن الزبير) وكانت مقراً لحكمه للعراق وهي معقل الزبيريين ، ويظهر عبد الله بن الزبير وأخيه مصعب كأولاد لأسماء بنت ابو بكر شقيقة عائشة حسب السردية الإسلامية ، أي ان البصرة كانت مركز للبكريين والزبيريين ، وهذا ما يفسر كون مدينة البصرة كانت معروفة بالولاء لعثمان بن عفان على عكس الكوفة التي كانت معروفة بالولاء لعلي ابن أبي طالب ، وهي نفس المدينة التي قاتلت من اجل النعمان بن المنذر في ذي قار ، والبصرة كانت مركزاً لفرقة الأساورة الفارسية التي شاركت في معركة ذي قار وكذلك في واقعة الطف في كربلاء ، بينما عرف هؤلاء الأساورة في مدينة الكوفة بتسمية (الحمر أو الفرقة الحمراء) .

ان تسمية الجمل عليها إشكالية من ناحية تفسير الرواية لهذه التسمية ، حيث تعزوا الرواية سبب هذه التسمية الى ان عائشة بنت أبو بكر كانت تركب على ظهر الجمل ، ولهذا سميت بمعركة الجمل ، وهنا هي الإشكالية بحد ذاتها ، لأن المعركة حدثت بالقرب من جبل في سفوان في البصرة يعرف اليوم بجبل سنام ، نسبة الى سنام الجبل ، حيث انه يشبهه بالشكل لو نظرنا إليه كما في الشكل رقم (29) ، ولهذا ربما سميت هذه المعركة بمعركة الجمل .



الشكل رقم (29) ويظهر به جبل سنام في البصرة

وبالخلاصة عن هذه المعارك نجد إن كل هذه المعارك متماثلة بالشخصيات والاحداث ، وربما إن لم تكن هي معركة واحدة ستكون هي معارك متفرقة تجمعت في حرب واحدة ، حيث كان للعرب في حروبهم أيام ، وليس يوم واحد ، وفي كل يوم كان هناك قائد جديد ، وحتى الرواية العربية عن معركة ذي قار تقر بأن معركة ذي قار كانت على عدة أيام وليس يوم واحد ، كذلك الحال للمعارك ما قبل الإسلام بين المناذرة والغساسنة ، وحتى بعد الإسلام ، مثلاً في معركة صفين تذكر الروايات العربية أنها استمرت لمدة تسعة أيام وحتى انتهت بقصة التحكيم ، اما عند الحديبية وفتح مكة نلاحظ حدوث صلح بين طرفين وضعته الرواية العربية على إنه صلحين مختلفين وفي تاريخين مختلفين إلا أننا نرى إن هذا الاختلاف هو غير صحيح ، بسبب طبيعة الأحداث ، وهذين الصلحين هما (صلح الحديبية وصلح الحيرة) ، وصلح الحديبية قام بين قريش والمسلمين ، ويؤرخ صلح الحديبية إلى الفترة مابين عامي (627م – 628م) ، أما صلح الحيرة فكان في عام (633م) ، حيث إن صلح الحديبية كان المسلمين وحلفائهم من خزاعة وغيرهم بقيادة النبي محمد من جهة وبين قريش وحلفائها من قبيلة بكر من جهة أخرى ، أما صلح الحيرة فكان بين اياس بن قبيصة الطائي وحلفائه من جهة وبين خالد بن الوليد (الحارث بن بكرا) وحلفائه مثل المثنى بن حارث الشيباني وغيره، إضافة إلى ذلك إن العلاقة بين خزاعة وبكر كانت متأزمة منذ غابر الأزمان ، فأضحت كل واحدة في أمن من الأخرى ، ولكن إن قبيلة بكر هاجمت قبيلة خزاعة ليلاً ، وهم على ماء يقال له الوتير ، وحدث بينهم قتال ، ولما وصل الخبر للنبي محمد طلب من أتباعه بالاستعداد لفتح مكة ، أما في الشطر الثاني من الموضوع وعلى الرغم من إن الرواية العربية لا تضع أي اختراق لصلح الحيرة كما في صلح الحديبية ، وبسبب كون إن الصلحين هما بالأساس صلح واحد ، هنا يجب إن نفترض إن قبيلة بكر بن وائل هم من نقضت صلح الحيرة مع اياس ، ولذلك فإن اياس طلب من أتباعه الاستعداد للدخول عسكرياً إلى مناطق بكر (البصرة) والسيطرة عليهم ، فيذكر ابن منظور إنه في يوم فتح مكة رواية جاء فيها :" وفي حديث أبي سفيان وهرقل : لقد أمر ابن أبي كبشة ، يعني رسول الله (ص) أصله أن أبا كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان وعبد الشعرى فسمى المشركون سيدنا رسول الله (ص) ابن أبي كبشة لخلافه إياهم إلى عبادة الله تعالى ، تشبيها به ، كما خالفهم أبو كبشة إلى عبادة الشعرى ، معناه أنه خالفنا كما خالفنا ابن أبي كبشة ، وقال آخرون : أبو كبشة كنية

وهب بن عبد مناف جد سيدنا رسول الله (ص) من قبل أمه فنسب إليه ، لأنه كان نزع إليه في الشبه ، وقيل : إنما قيل له ابن أبي كبشة ، لأن أبا كبشة كان زوج المرأة التي أرضعته (ص) "[278] .

إن رواية ابن منظور تؤكد لنا إن اياس استطاع إن يهزم قبيلة بكر في تلك الفترة والتي صنفت في الرواية الإسلامية كسنة فتح مكة يوم 8هـ ، حيث نجد إن ابو سفيان يصف النبي محمد بـ(ابن أبي كبشة) ، وهذا التحريف لاسم قبيصة ربما هو كاحتقار منهم لاسم (قبيصة)(قبيسة) ، اذا لم يكن يلفظ هكذا عندهم ، وعن الإمام الذهبي في تاريخ مكة يقال إن النبي محمد يوم فتح مكة دخل الكعبة وأمر بمحو كل التماثيل إلا صورة للنبي عيسى وامه مريم :" لما كان يوم الفتح دخل رسول الله (ص) إلى البيت ، فأمر بثوب فبل بماء وأمر بطمس تلك الصور ، ووضع كفيه على صورة عيسى وأمه وقال : امحوا الجميع إلا ما تحت يدي"[279] .

نجد إن هذه الرواية كانت تتحدث دخول النبي محمد للكعبة ، ولأن بكر بن وائل وحلفائها كانوا على النصرانية ولم يدخلوا الإسلام في تلك الفترة ، ونجد في رواية أخرى لابن هشام عن مخاطبة النبي لمعشر قريش يوم فتح مكة ، وفي هذه الرواية نجد عفو النبي عن قريش ، وعلى ما يبدو إن اياس قد عفى عن قبيلة بكر بن وائل التي دخلت تحت سيطرته ، لأننا نعرف إن اشخاص من بكر بن وائل بقوا موجودين على ساحة تلك الأحدث وبقوا على نصرانيتهم قبل ان يتحولوا لاتباع الدين الجديد ، حيث إن ان الراوية تعبر عن استسلامهم له ، وجاء في هذه الرواية :" يا معشر قريش ، ما ترون إني فاعل فيكم؟ ، قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فانتم الطلقاء "[280] .

من جانب أخر نلاحظ إنه بعد معركة الجمل دخل علي ابن أبي طالب للبصرة حيث قام بزيارة المسجد ، وهذا ما يشبه حدث فتح الكعبة ودخول النبي محمد للكعبة ، حيث اسلمت قريش ، مثلما اسلمت بكر بن وائل لاياس بن قبيصة الطائي ، وتنسب الرواية الاسلامية إن هذا المسجد قد انشأ بعد الاسلام ، الا إن اهميته لا تشير الى ذلك ابداً ، وعلى

---

[278] - ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، م6 ، ص 338 .

[279] - الذهبي ، تاريخ الإسلام ، تحقيق : د.عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ج2 ، ص 72 .

[280] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 2009 ، ص 549.

اعتبار إن نفس الروايات اشارت الى كونه ثالث مسجد في الاسلام ، فهذا يعني إنه الاول من وجه نظرناً ، لأنه اقدم من الكعبة الحالية واقدم من مسجد المدينة ، بسبب كون إن مكة والمدينة هي مدن استحدثت فيما بعد ، وعن اهميته وتاريخيته ، فقد قيل انه دمر بالحريق الكبير الذي اصاب البصرة وأعيد بنائه من اللبن والطين من ثم تم أعادة بناءه في خلافة عمر بن عبد العزيز ثم تدمر في عهد الدولة العباسية جراء الفيضان الكبير الذي أصاب مدينة البصرة وتضاءلت أهميته بعد انتقال معظم أهل البصرة من الموقع القديم إلى الموقع الجديد ، ولقد شهد هذا المسجد مراحل مهمة من تأريخ الإسلام والمسلمين وتأريخ العراق ، ومنها زيارة علي بن ابي طالب له بعد موقعة الجمل كما ذكرنا وهو يماثل دخول النبي محمد للكعبة في عام الفتح ، وخطبة زياد بن أبيه التي سميت بالبتراء ، وكذلك مجزرة الحجاج التي راح ضحيتها المئات من البصريين ، و ثورة الزنج ، ويعتبر أول مدرسة للفقه ، والحديث النبوي الشريف ثم علم الأصول والفلسفة ، ودرس فيه عبد الله بن عباس المسمى بحبر الأمة، والحسن البصري ، وواصل بن عطاء ، ومنه ظهر المعتزلة ، وفيه أول دعوة لاعتماد العقل كطريق لاستنباط الأحكام الشرعية ، كذلك حتى لو راجعنا رواية مؤرخ خوزستان عن القبة يقدسها العرب ، سنلاحظ ان الرواية كانت من موقع قريب ومباشر للبصرة ، والا من غير المعقول إن يصف رواية من موقع بعيد وبوصف يكاد يكون تام ، اما ابن بطوطة فيذكر عن هذا المسجد اثناء ذهابه الى البصرة :" عند قدومي عليها على نحو ميلين منها بناء عالياً ، مثل الحصن ، فسألت عنه فقيل لي هو مسجد علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكانت البصرة من اتساع الحطة وانفساح بحيث كان هذا المسجد في وسطها ، وبينه الان وبينها ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك ، فهو متوسط بينهما ... وهم يصلون الجمعة في مسجد أمير المؤمنين علي ، رضي الله عنه ، الذي ذكرته ثم يسد فلا يأتونه الا في الجمعة ... وهذا المسجد من أحسن المساجد وصحنه متناهي الانفساح مفروش بالحصباء الحمراء التي يؤتى بها من وادي السباع ، وفيه المصحف الكريم الذي كان عثمان ، رضي لله عنه ، يقرأ فيه لما قتل ، وأثر تغييره الدم في الورقة التي كان فيها قوله تعالى ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، وشهدت مرة بهذا المسجد صلاة الجمعة ، فلما قام الخطيب به الى الخطبة وسردها لحن فيها لحناً كثيراً جلياً ، فعجبت من أمره ، وذكرت ذلك للقاضي حجة الدين ، فقال لي : إن هذا البلد لم يبقى به من يعرف شيئاً من علم النحو ، ...

ولهذا المسجد سبع صوامع احداها الصومعة التي تتحرك بزعمهم عند ذكر علي ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، صعدت إليها من أعلى سطح المسجد ومعي بعض أهل البصرة ، فوجدت في ركن من أركانها مقبض خشب مسمراً فيها كأنه مقبض مملس البناء ، فجعل الرجل الذي كان معي يده في ذلك المقبض فتحركت الصومعة ، فجعلت انا يدي في المقبض، وقلت له وانا اقول : بحق رأس أبي بكر خليفة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تحركي ، وهززت المقبض ، فتحركت الصومعة ، فعجبوا لذلك "[281] .

إن رواية ابن بطوطة هي مهمة نظراً لقدسية هذا المسجد عند اهل البصرة ، فهي لا تختلف عن رواية مؤرخ خوزستان الذي ذكر القبة من موقع قريب عن البصرة ، وكذلك إن وجود هذا المسجد في منطقة كانت تعرف كمعقل مهم للزبيريين ، وهذا ما يشير الى انها كانت تعني الكثير للزبيريين ، وان الكعبة (القبة) الحقيقية هي نفسها ما تعرف اليوم بمسجد خطوة الامام علي ابن أبي طالب ، وكذلك يوجد اليوم في مكة جبل يعرف بـ(قيقعان) بالقرب من الكعبة ، عرف بهذا الاسم حسب السرديات الاسلامية لتقعقع السلاح به في حرب جرهم مع قطورا وهما يومئذ اهل مكة فكانت جرهم بأعلى مكة وقيقعان وملكهم مضاض بن عمرو، وكانت قطورا بأسفل مكة وأجيادين وملكهم السميدع[282] ، الا إن الحقيقة تذكر إن هذا الجبل يقع بالاهواز في ايران اليوم من جهة البصرة بالقرب من مسجد البصرة ، فتذكر الروايات الاسلامية إنه عام 45هـ / 656م قام والي البصرة زياد بن عبيد ببناء المسجد بناءاً محكماً بالآجر والجص وسقفه بالساج وقطع سواريه من جبل قيقعان في الأهواز وبنى له مجنبات كما أدخلت عليه توسعات في ولاية عبيد الله بن زياد عام 54هـ / 673م ، حيث أخذ يطوف حوله (طوف) وينظر الى البناء ثم قال لمن معه من أهل البصرة الذين كانوا يطوفون معه : "أترون خللاً" ، فقالوا له : "ما نعلم بناء أحكم منه" ، فقال : "بلى هذه الأساطين التي على كل واحدة منها اربعة عقود لو كانت اغلظ من سائر الأساطين" ، وروي عن يونس بن حبيب النحوي ، قال : "لم يؤت من تلك الأساطين فقط تصديع ولا عيب" ، وقال : " حارثة بن بدر الغداني ، ويقال بل قال ذلك البعيث المجاشعي :

---

[281] - رحلة ابن بطوطة ، دار الفكر ، الصفحة 185 وما بعدها .

[282] - البلاذري ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ص379 .

بني زياد لذكر الله مصنعه من الحجارة لم تعمل من الطين

لو لا تعاون أيدي الإنس ترفعها إذاً لقلنا من أعمال الشياطين[283].

كذلك عندما ولى عبد الله بن الزبير البصرة لابنه حمزة ابن عبد الله بن الزبير فخرج إلى الأهواز ، فلما رأى جبلها قال : كأنه قيقعان[284] ، ومن جبل قيقعان في الاهواز تحسب أساطين مسجد البصرة[285] ، ويرد قيقعان في شعر لابن الاعرابي ، جاء فيه :

لا ترجعن الى الاخواز ثانية وقيقعان الذي في جانب السوق

ونهر بط الذي امسى يؤرقني فيه البعوض بلسب غير تشفيق[286].

وكذلك جعل صفته المقدمة خمس سواري وبنى منارته بالحجارة ، وهو اول من عمل المقصودة ونقل دار الإمارة الى قبلة المسجد ، وكان بناؤه إياها لبن وطين حتى بناها صالح بن عبد الرحمن السجستاني مولى بن تميم في ولايته خراج العراق لسليمان بن عبد الملك بالآجر والجص وزاد فيه عبيد الله بن زياد ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى ، لما بنى زياد المسجد أتى بسواريه من جبل الأهواز وكان الذي تولى أمرها وقطعها هو الحجاج بن عتيك الثقفي وابنه[287].

ويذكر الشيخ أبي العباس احمد القلقشندي ان الجهة من الكعبة الحالية من الركن الأسود الى باب الكعبة تمثل القبلة لأهل البصرة والاهواز وفارس واصفهان وكرمان وسجستان وشمال بلاد الصين[288] ، لذلك عند وضع الحجر الاسود في مكانه الحالي وضع باتجاه القبلة القديمة ، وكذلك لو عدنا لموضوع الأيلاف وهو أيلاف قريش سنلاحظ إن الإله أيلاف (الإله سلمان) وهو إله الأمان والسلامة الصحراوي وهو إله تجاري ايضاً ، ومعبده الذي يقع اليوم في بادية السماوة في جنوب العراق ، لا يبعد كثيراً عن مسجد البصرة .

---

[283] - البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق : د.عمر انيس الطباع ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، 1987 ، ص484-485 .

[284] - البلاذري ، فتوح البلدان ، نفس المصدر ، ، ص540 .

[285] - البلاذري ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ص380 .

[286] - البلاذري ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ج2 ، ص404 .

[287] - ، فتوح البلدان ، نفس المصدر ، 485 .

[288] - الشيخ أبي العباس القلقشندي ، صبح الأعشى في كتاب الإنشا ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، 1914 ، ج4 ، ص252 .

وبالعودة للحديبية ، فلا توجد منطقة تاريخية بالحجاز تدعى بالحديبية ، ولكن بالمقابل هناك منطقة في العراق تدعى (حدياب) ، وهذه المنطقة شهدت اخر معركة فاصلة بين الفرس والبيزنطيين في الفترة مابين عامي 627م – 628م ، وانتصر فيها البيزنطيين على الفرس ، فكانت سبب رئيسي في خضوع الفرس إلى الصلح مع بيزنطة ، والى ذلك إن الرواية الإسلامية تشير إلى إنه في نفس العام حدث صلح الحديبية بين المسلمين وقريش عام 6هـ والمصادف عام 628م ، لذا في الحقيقة إن صلح الحديبية هي عبارة عن تشكيلة عباسية ظهرت في عهد أبو جعفر المنصور .

بعد تلك الإحداث نلاحظ تغير كبير في مسألة ظهور القيادات الإسلامية ، فقبل فتح مكة كانت القيادات في الحروب دائماً ما تظهر وتكون من الشخصيات التي كانت على عداء مع علي ابن أبي طالب ، ولكن بعد فتح مكة كانت القيادة في الحروب لشخصيات كانت مقربة من علي ، مثلاً في معركة مؤتة احد قادتها هو جعفر بن أبي طالب وزيد بن الحارث ، كذلك في معركة اوطاس التي قادها ابو عامر الاشعري عم ابو موسى الاشعري الذي قاتل مع علي في معركة صفين ، والذي اشتهر بقصة التحكيم ، كذلك في معركة الطائف (غزوة الطائف) حيث كان سلمان الفارسي هو الشخصية المحورية فيها .

وبالنسبة لمعركة مؤتة نلاحظ إن طبيعة هذه المعركة لا تختلف عن طبيعة المعارك التي كانت تحدث بين المناذرة في الحيرة والغساسنة في الشام ، ولكن هناك شك حول حدوثها، لأن الفرس بدخولهم إلى الشام في الفترة ما بين عامي (614م – 615م) يفترض انهم قضوا على سلالة الغساسنة التي كانت في حرب دائمة مع العرب التابعين للفرس ، وفي حدود عام 630م على الرغم من عقد الصلح بين الفرس الساسانيين وبيزنطة إلا إن القوات الفارسية بقيت في الشام في تلك الفترة ، وإن كانت حقاً الغزوة هي حقيقية فيجب إن تكون وقعت على ارض سيطر عليها الفرس ، إن لم تكن حدثت بعد ذلك ، وبفترة زمنية بسيطة ، بعد إن أعادت بيزنطة نشر حامياتها في الشام أي بعد عام 630م ، كذلك إن الروايات العربية كانت تستمر بذكر اسماء ملوك أسطوريين لبني غسان في فترة الوجود الفارسي في الشام ، وحسب نولدكة إن ملوك بني غسان مثل (شراحيل بن جبلة) الذي يمثل شخصية محورية في معركة مؤتة في الرواية العربية للإسلام ، كذلك (عمرو بن جبلة ، وجبلة الحارث)، حيث إن الغساسنة أصابهم الضعف وهربوا من بلاد الشام وعند نولدكة إن اخر

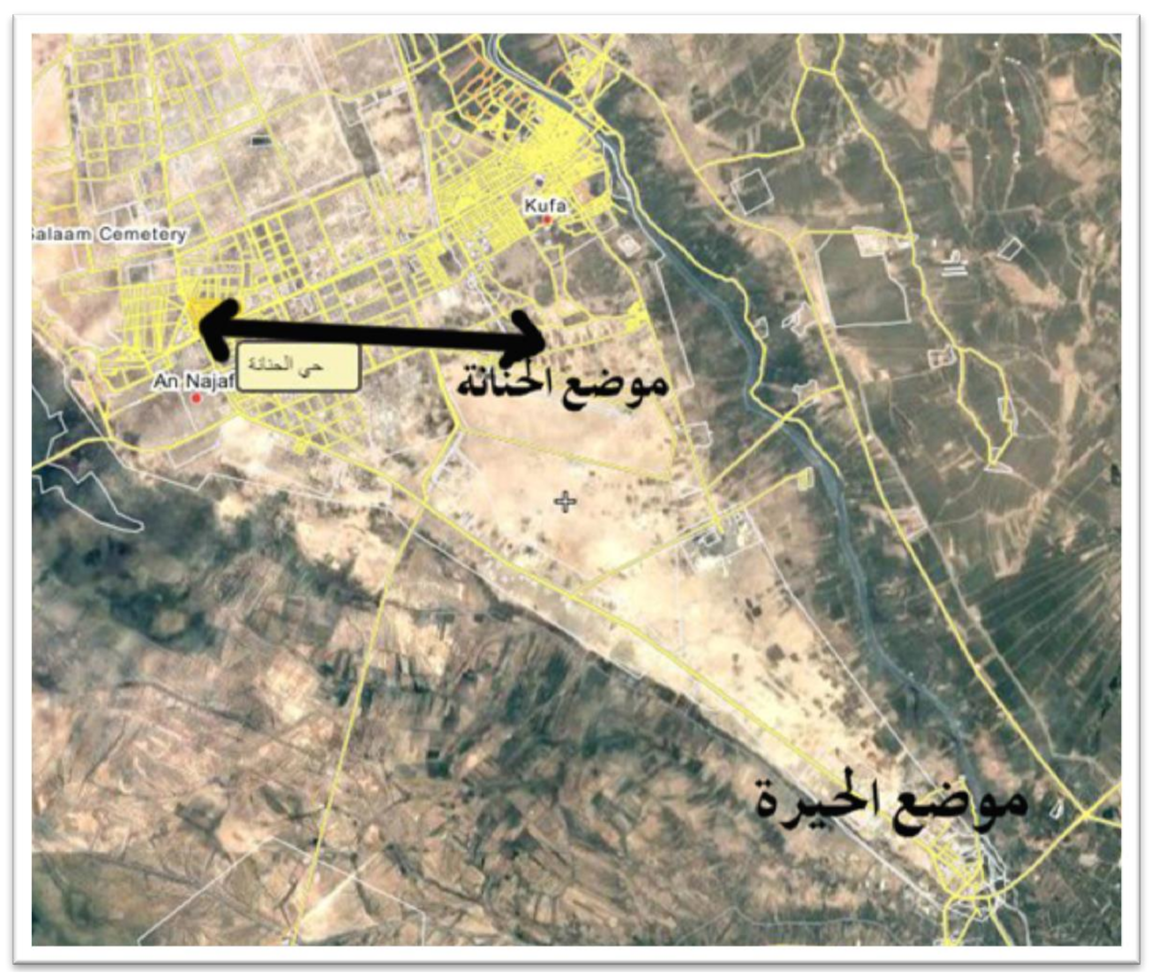
حاكم لهم قبل الدخول الفارسي للشام هو (حجر بن نعمان) في عام 614م ، وبعد زوال الفرس عاد الغساسنة للشام بزعامة (جبلة بن الأيهم) عام 635م[289] ، بذلك فإن جبلة بن الأيهم هو اخر ملوك الغساسنة في الشام .

بعد انتهاء النبي محمد (اياس/علي) من موضوع العرب وسيطرته عليهم ، تفرغ لموضوع الدخول للعاصمة الساسانية (قطيسفون) ، وأول تلك المعارك كانت معركة حنين التي حدثت عام (8هـ) ، حيث إن الإشكالية حول هذه المعركة هو انها ليست من رواية متأخرة فقط بل لا يوجد موقع في السعودية يحمل هذه التسمية ، ولكن لو بحثنا في جغرافية العراق ومن موقع قريب للحيرة سنجد في شمالها هناك بلدة تسمى (الحنانة أو حنانا) وهي على الأقرب صيغة أرامية للتسمية ، عند تفخيم (الإلف) مثل كلمة قديس بالعربية هي قديشا بالارامية ، ولذلك فإن الأصل من (الحنانة) هي (الحنان) ، ومن الحنان هي حنين ، لليوم في الحنانة يقع مسجد كبير ، له مكانة كبيرة عند العراقيين اليوم ، واسمه جاء من الحنين ، وهو مسجد الحنانة ، فهم يعتقدون ان اسم الحنانة جاء أيضاً من (الحنين) ولكن يضعون لها تفسير اخر غير التفسير اللغوي ، ويعتمدون في ذلك على رواية مفادها أن سبايا الحسين مرت بموضع الثوية ، وان بني امية عبثوا برأس الحسين ورؤوس أصحابه في هذا الموضع ، فحنت الأرض جزعاً بأن سمع عليه صوت حنين ، وحن السبي أيضاً مما صنع بالرؤوس ، ولذا عرف بمسجد الحنانة ، غير انه هناك رأي اخر يقول أن الكلمة (أي الحنانة) مشتقة من لفظة حنا ، وحنا هو دير نصراني قديم من أديرة الحيرة وكان في موضع المسجد عينه وتطورت اللفظة من حنا إلى حنانة بمرور الزمن ، ويقال ان دير حنا قد بناه المنذر الأول بن النعمان الأول الذي حكم بين (418م – 462م) ، وكان ديراً عظيماً في أيامه ، وكان بها موضع يقال له الثوية ، حيث إن هذه الثوية هي سجن لملوك الحيرة استخدموه لسجن معارضيهم وأعدائهم ، ويقال ان هذه الثوية تضم قبر أبي موسى الاشعرى ، ابن اخ أبو عامر الاشعري قائد حملة المسلمين في غزوة اوطاس (معركة الطاق أو طاق كسرى) ، بعد قلب صوت (س) إلى (ق) ضد قبيلة هوازن في نفس عام غزوة حنين ،

[289] - نولدكة ، امراء غسان ، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، دار الوراق ، بيروت ، الطبعة الاولى ، 2009 ، ص 92 .

وبذلك ان الحنانة (حنين) تقع بين الحيرة وقطيسفون (ثقيف) تماماً كما هو الموضع الذي رسمته الرواية الإسلامية لموقع حنين وهو بين مكة والطائف ، والتماثل الاخر الذي نلاحظه هو ان غزوة حنين كانت بعد صلح الحديبية بسنتين إي عام 630م ، وكذلك في هذا العام دخلت المعارضة إلى مدينة قطيسفون وقتلوا الجنرال الفارسي شهرباراز الذي أخذ الملك لنفسه إي بعد سنتين على عقد الصلح بين الفرس والبيزنطيين عام 628م وهو نفس عام صلح الحديبية .

اما بالنسبة لاسم حنين في المصادر العراقية الإسلامية نلاحظه انه ورد بالكثير من اسماء الأعلام وخاصة تلك التي تتعلق بالحيرة ، مثلاً اسم الطبيب (حنين بن إسحاق العبادي) فهو كان طبيب في العصر العباسي وهو من اهالي الحيرة وولد فيها ، وكذلك (حنين بن بلوع) وهو مغني من الحيرة أيضا ويقال انه من عباد الحيرة .



الشكل رقم (30) ، موضع الحنانة

أما بالنسبة لمعارك اوطاس والطائف ، نجد ان ثقيف هو اسم مدينة تقع اطلالها اليوم في بغداد وهي مدينة (قطيسفون) العاصمة الادارية للساسانيين (الشتوية) ، فالموضوع هو تحريف لغوي ، حيث ان العرب كانوا يقلبون صوت (س) إلى (ق) في بعض المواضع ، مثلاً كلمة (قورش) هي سيروس (اسم ملك اخيميني فارسي) ، وكلمة (موريقي) هي موريس (اسم امبراطور بيزنطي) ، أما بالنسبة لاشتقاق كلمة (ثقيف) من كلمة (قطيسفون) ، ان اسم مدينة قطيسفون الذي كتب على العملات الساسانية الفارسية جاء بصيغة (تسيفون) ، صوت (ت) يقلب إلى (ث) ، وكذلك صوت (س) يقلب إلى (ق) ، أما صوت (ن) فإنه لا يلفظ عند التعريب ، وهذا ما شاع عند التعريب من اللغة الفارسية القديمة ، وبذلك نحصل على

تعريب لكلمة (تسيفون) وهي (ثقيف) ، وكذلك لو استخدمنا الحروف الفهلوية الفارسية لهذا الغرض وكما في الصورة ادناه .

في الرواية الإسلامية نلاحظ انه في عام 630م حدثت معركة اوطاس ، ولو دققنا في كلمة اوطاس وبعد ان علمنا ان (س) يقلب إلى (ق) نلاحظ ان الكلمة تصبح (اوطاق) وهي اشارة واضحة لمعلم (طاق) أو (طاق كسرى) الموجود في (قطيسفون) ، ومع الملاحظة أيضا ان غزوة اوطاس سبقت غزوة الطائف باشهر فقط ،لأنها أيضاً وقعت عام 630م ، ونفس الرواية الإسلامية تذكر ان ثقيف هم من الطائف ولذلك فإن معركتي الطائف واوطاس هما معركة واحدة ، واوطاس حسب الرواية الإسلامية وادي يقع بين حنين والطائف ، كذلك نجد ان معركة الطائف كانت بين المسلمين وقبيلة ثقيف وبين هوازن الذين اصطدموا مع المسلمين في معركة حنين أيضا في عام 630م ، وهوازن هي اقرب لاسم منطقة مما هو اسم قبيلة ، فهي تقع اليوم جنوب شرق العراق وداخل الحدود الادارية لايران الحالية وتسمى اليوم بالاهواز ، وهوازن أو هوازان هو لفظ فارسي وليس عربي ووردت هذه المنطقة كمدينة ضربت بها العملات الساسانية ، كذلك ايضاً نجد ان لسلمان الفارسي دور مهم في معركة الطائف ، ونجد ان المسلمين قد فرضوا حصار على الطائف وان سلمان الفارسي يأتي للمسلمين بمنجنيق لضرب حصن الطائف به ، كذلك إن قصة حصار الطائف (اوطاس / اوطاق / طاق كسرى /قطيسقون/ تسيفون / ثقيف / المدائن) موجودة في رواية معاصرة للاحداث لمؤرخ سرياني مجهول من ايران الغربية (الاهواز) يتحدث فيه عن حصار العرب لمدينة قطيسفون ولكنه يعرض تلك الأحداث أثناء حكم يزدجرد الثالث أي بعد مقتل شهرباراز ، وجاء في تلك الرواية :" رفع الله ضدهم ابناء إسماعيل وعددهم كالرمل على شاطئ البحر ، وكان زعيمهم يدعى مدارانا محمد (mhmd) ، لا جدران ولا بوابات ولا دروع صمدت امامهم ، وسيطروا على كامل ارض الفرس ، أرسل يزدجرد ضدهم عدد لا يحصى من الجنود ، ولكن العرب واجهوهم جميعاً وقتلوا رستم ، اغلق يزدجرد نفسه في جدران ماهوز (قطيسفون أو المدائن جنوب شرق بغداد) ، وهرب إلى بيت هوزاي وموناي (الاهواز) ، حيث انهى حياته ، لقد سيطر العرب على ماهوز وجميع الاراضي ، كما جاءوا إلى الاراضي البيزنطية ونهبوا ودمروا المنطقة السورية باكملها ، هرقل الملك البيزنطي بعث جيوش ضدهم ، ولكن العرب قتلوا أكثر من 100000 منهم ، وعندما رأى الكاثوليك ايشوعياب إن مدينة ماهوز قد

دمرت من قبل العرب وإنهم نقلوا بوابتها إلى اكولا (الكوفة) وإن أولئك بقوا الذين بقوا كانوا يهدرون من الجوع ، غادر وأقام في بيت كرمي في بلدة كركا (كركوك في العراق) "[290] .

ومن خلال رواية هذا المؤرخ نجد إنه يتكلم عن احدث معركتي اوطاس والطائف ، فهناك حصار وبالتأكيد الحصار يصاحبه جوع ، حتى إن الرواية الإسلامية تؤكد إن المسلمين قاموا بحرق النخيل والاشجار في الطائف وهذا ربما ما سبب الجوع لهم ، والاهم من ذلك إن هذه الرواية تؤكد إن النبي محمد (اياس/علي) كان على قيد الحياة يوم دخوله لقطيسفون وهذا ما ينطبق على قصة معركتي اوطاس والطائف ، غير ان الرواية الإسلامية تنسب فتح قطيسفون إلى عهد عمر بن الخطاب .

إن دور سلمان الفارسي في معركة الطائف التي تذكرها الرواية الإسلامية هو يماثل دور شهرباراز في دخوله لمدينة قطيسفون ، حيث إن هذا القائد الفارسي هو من أعظم قادة الجيش الفارسي الساساني على مر تاريخه ، الذي استطاع إن يهزم الجيش البيزنطي في عدة معارك ، ويدك أسوار القسطنطينية ، وهذا الجنرال الفارسي شهرباراز هو نفسه الذي اخذ الصليب (صليب صلبوت) من القدس عام 615م واحتفظ به ، ولكنه كان على عداء خفي مع الشاه الفارسي (خسرو) ، وكما يروي (ارثر كريستنس في كتابه تاريخ ايران في عهد الساسانيين) نقلاً عن المصادر العربية ان خسرو أرسل إلى شهرباراز اثناء محاربته لملك الروم ثلاثة كتب ظهر منها نية القتل ، فامتنع عن الحضور إليه ويقال انه عقد اتفاقية مع هرقل ملك بيزنطة ، وبذلك رسم له الطريق إلى النهروان ، فدعا خسرو رجلاً نصرانياً كان جد خسرو انقذ جده من القتل أيام مزدك ، وكان من اصحابه الذين استجابوا له ، فأرسل خسرو هذا النصراني إلى شهرباراز بعصا مجوفة فيها رسالة كلف بها شهرباراز بحرق دار هرقل وقتله المقاتلة وسبي الذرية ونهب الأموال ، فمضى النصراني ، ولما عبر النهروان سمع أجراس الكنائس تدق فعز عليه إن يعين ملك الفرس على هرقل المسيحي ، ولم يوصل رسالته ، فغضب خسرو من شهرباراز وحسبه إنه قد خانه[291] ، إلا ان شهرباراز كان يعلم ان خسرو اتهمه بالخيانة ، وبعد فترة قتل خسرو على يد احد ابناءه (قباد الثاني) عام 628م ، ونصب

---

[290] - Robert G. Hoyland. Ibid. P.186 .

[291] - ارثر كريستنس ، تاريخ ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص 435-436 .

نفسه كملك على الفرس في نفس العام ، ولكنه توفي بعد ستة اشهر من ذلك ويقال انه توفي مسموماً أو بسبب اصابته بالطاعون الذي ضرب المنطقة[292] ، فتولى اردشير الثالث العرش الفارسي ، وكان طفلاً ولذلك نصب عليه شخص يقال له مهاذر وكان الوصي الحقيقي له ، غير ان شهرباراز قد أبى ذلك ورفض ان يخضع لأوامر احد من اكفائه ، وزحف بجيشه على قطيسفون ، حيث عاونه عظيمان من عظماء الدولة (هما نيو – خسرو رئيس حرس الملك ونامدار كشسب قائد نيمروز) ، ودخل شهرباراز بجنده المدينة وقتل الملك (اردشير الثالث) الذي لم يكن قد حكم غير سنة ونصف السنة ، وقام شهرباراز يتنصيب نفسه ملكاً في قطيسفون بالرغم من انه لم يكن من الأسرة الحاكمة ، ثم أخرج شخص يدعى (شمطا) من السجن وصلبه على باب كنيسة مجاورة لاملاك أسرة هذا المسيحي ، وذلك لأنه كان قد أهان بنت الجنرال شهرباراز قبل ذلك ، وبعد ذلك خرجت معارضة من كتبية الأساورة الفارسية ، وقتل الجنرال شهرباراز على يد هذه المعارضة من جنود وقادة الحرس الملكي[293] .

إن حادثة دخول القائد الفارسي شهرباراز إلى قطيسفون كانت في نفس الفترة التي دخل فيها المسلمون إلى الطائف بعد حصارهم لها وبعد إن لعب سلمان الفارسي دوراً مهماً في تلك المعركة ، ونلاحظ إن الرواية الإسلامية أيضا تقول إن سلمان كان قد تولى حكم المدائن (قطيسفون) من عهد عمر إلى عهد عثمان ، وهذا ما يماثل قصة حكم شهرباراز من قطيسفون ، كذلك إن المسلمين يعتقدون لليوم إن سلمان الفارسي دفن في قطيسفون ولليوم يوجد له ضريح فيها ، بينما نجد ان شهرباراز أيضا قد قتل في قطيسفون .

اضافة إلى ذلك كما ذكرنا سابقاً في هذا الفصل إن شهرباراز كان مقرباً من اياس والاحداث التاريخية تؤكد ذلك ، فيذكر (سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث) في (أطلس الفتوحات الإسلامية) نص رسالة القائد الفارسي شهرباراز إلى المثنى بن حارث الشيباني في إحدى المعارك في بابل ، فيقول له : "من شهرباراز إلى المثنى إني قد بعثت إليك جنداً من أرذل أهل فارس ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم ". فيرد المثنى على الرسالة ويقول له : "من المثنى إلى شهرباراز ، إنما أنت احد رجلين ، أما باغ فذلك شر لك وخير لنا ،

[292] - ارثر كريستنس ، نفس المصدر ، ص 478 .

[293] - ارثر كريستنس ، نفس المصدر ، ص 479 .

فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وفي الناس الملوك ، وإما الذي يدلنا عليه فأنكم إنما اضطررتهم إليه ، فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير"[294] . ومثلما نعلم فإن المثنى بن حارث كان قد دخل بحروب ضد اياس ، ولهذا نجد أن شهرباراز كان يقف مع طرف اياس ضد المثنى ، مع العلم أن هذه الرسالة تنسب إلى إحدى معارك الفتوحات في بابل ، إلا إنه من المفترض أن شهرباراز يجب أن يكون مقتول في وقت الفتوحات، فتذكر المصادر التاريخية أن شهرباراز عندما دخل إلى قطيسفون واخذ الحكم ، تزوج من ابنة كسرى (بوراندخت) ، وبعد إن قتل شهرباراز على يد المعارضة تسلمت بوراندخت الحكم في قطيسفون ، وتذكر المصادر الإسلامية إنه لما بلغ النبي محمد أن أهل فارس ملكوا عليهم بوراندخت بنت خسرو قال: لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة[295] ، وإن هذه الرواية تؤكد إن النبي محمد (اياس/علي) كان من المقربين من شهرباراز ، وإن هذا القول ما هو إلا نتيجة غضبه على الفرس بعد ان عارضوا شهرباراز في الحكم وقتلوه ، وكذلك نجد إن المصادر التاريخية تذكر عن فترة جيش شهرباراز إلى الشام كانت معه قوات عربية ، وبلا شك إن هذه القوات كانت من عرب العراق بقيادة اياس (محمد/علي) .



الشكل رقم (31) عملة القائد الفارسي شهرباراز (سلمان الفارسي)

---

[294] - سامي عبد الله المغلوث ، اطلس الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ص 117.

[295] - المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص 102 .



الشكل رقم (32) عملة بوراندخت

ولذلك فإن قصة شهرباراز وانقسام الفرس بين مؤيد له ورافض له من اتباع خسرو يوضح لنا سبب انقسام الفرس ببداية اسلامهم بين مؤيد للإسلام وبين رافض له ، فاتباع شهرباراز كانوا قد اتبعوا إياس ، ومن رفضه فهم كانوا من المعارضة التي كانت تدين بالولاء لملوك الساسانيين السابقين قبل شهرباراز ، وهم من الأساورة الذي خرجوا على الحسين بن علي في كربلاء والذين عرفوا بالحمراء .

اما بالنسبة لمعركة الاحزاب ، ففي وصف للجيش الفارسي في بداية القرن السابع الميلادي (فترة نشوء الاسلام) في كتاب الاستراتيجية المنسوب للإمبراطور البيزنطي موريس (582م- 602م) ، يذكر فيه ان الفرس اذلاء يطيعون حكامهم بدافع الخوف وفي الحرب يفضون الاسلوب المنظم على الشجاعة المندفعة ويفضلون ان يعسكروا داخل التحصينات ، وعندما يقترب وقت المعركة يحيطون أنفسهم بخندق وسياج من مواد حادة ، وفي مواجهة الرماح يحبون اختيار ارض منكسرة ويستخدمون النشاب لكسر هجوم العدو ، ويحبون تأجيل المعركة لاسيما اذا عرفوا ان خصومهم جاهزون للقتال[296]

[296] - هيو كينيدي ، الفتوح العربية الكبرى ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم ، المركز القومية للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2008 ، ص149 .

في الرواية الاسلامية بالتحديد في واقعة الاحزاب (معركة الخندق عام هجرية) ، بعد ان علم المسلمين ان الاحزاب كانوا في وضع الاستعداد للهجوم على المسلمين ، فشرع النبي محمد في اتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة ، ودعا إلى اجتماع عاجل حضره كبار قادة جيش المسلمين من المهاجرين والأنصار، بحث فيه معهم هذا الموقف ، واشار سلمان الفارسي على النبي محمدٍ بحفر خندق ، قال سلمان : "يا رسول الله، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوفنا الخيل ، خندقنا علينا ، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟" ، واعجب رأي سلمان المسلمين. وقال المهاجرون يوم الخندق: "سلمان منا" ، وقالت الأنصار: "سلمان منا" ، فقال النبي محمد : "سلمان منا أهل البيت" ، ومن المعلوم ان كلمة "خندق" دخلت إلى اللّغة العربية من خلال الفارسية الوسطى (الفهلوية) وأصلها كلمة "كندک" والتي تحمل نفس المعنى وهو الحفير حول المكان.

ان تلك الإشكاليات حول المعارك والغزوات تحيلنا إلى مشكلة أخرى وهو مكان وتاريخ حروب الردة ، فالرواية الإسلامية تضعها في الفترة ما بعد موت النبي ، وفي عهد خلافة ابو بكر وبطلها خالد بن الوليد ، إلا ان تلك الأحداث يمكن قراءتها من تاريخ اخر غير التاريخ الذي كتبه المسلمون الذي وضع ليناسب موقع مكة الحالية ، حيث يذكر غوستاف روتشتاين إن صراعاً قاسياً حدث بين قبيلتي بكر بن وائل وقبيلة تميم في العراق بعد مقتل النعمان بن المنذر[297] ، لكن في المصادر الإسلامية في أحداث ذي قار نجد إن قبليتي بكر وبني تميم كانوا في حلف واحد ضد اياس بن قبيصة الطائي ، وعلى ما يبدو إن ما عبرت عنه المصادر الإسلامية بردة قبيلة بني تميم ارتدت عن الإسلام هو انضمام قبيلة تميم إلى اياس بن قبيصة وتركهم لقبيلة بكر بن وائل ، وإنه ليس ارتداد عن الإسلام بل هو انضمام للدين الجديد وتركهم لقبيلة بكر وائل النصرانية ، ولذلك نجد ان بعض الروايات تذكر ان خالد بن الوليد (الحارث بن بكرا) قتل مالك بن نويرة واغتصب زوجته لأنه كان من الموالي لعلي ابن أبي طالب ، ونحن نجد إن هذه الرواية صحيحة بالاستناد إلى ما نأتي به من براهين ، وعلى اعتبار ان اياس هو علي ، فتذكر المصادر الإسلامية إن لبني تميم يوم لهم من أيام

[297] - غوستاف روتشتاين ، فصول من تاريخ اللخميين في الحيرة ، ترجمة د.منذر البكر ، دار الفيحاء للطباة والنشر ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ص 87 .

العرب يدعى (يوم الطخفة) الذي هجم فيه بني يربوع من بني تميم على عساكر النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، ويقال ان طخفة هو موضع ماء على الطريق بين البصرة ومكة ، حيث كان بني يربوع من تميم اكثر الناس إغارة على أهل العراق ، فأصلحهم المناذرة على ان يعطوهم الردافة (الوزارة) بشرط ان يكفوا غاراتهم على العراق ، ولذلك استمروا بالردافة يتوارثونها صغيراً عن كبيراً ، ولما جاء النعمان بن المنذر منعها عنهم ، فأرسل النعمان بن المنذر جيشاً كبيراً ، كان بقيادة قابوس بن النعمان وحسان بن المنذر ، فساروا إلى بني تميم في طخفة وحدثت بينهم معركة انتهت بانتصار بني تميم وأسروا حسان بن المنذر وقابوس النعمان ، فأرسلوا للنعمان شهاب التميمي ليخبره بما جرى ، فطلب النعمان من شهاب ان يطلقوا سراح قادته ويعيد لهم الوزارة ، وبذلك عادت الوزارة لبني يربوع من تميم ، والردافة هي الوزارة في مملكة الحيرة ، حيث كان الرديف يجلس على يمين الملك ، وقال مالك بن نويرة عن هذا اليوم وانتصارهم على المناذرة :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما	رأى القوم منه الموت والخيل تلجب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه	جران من الهندي ابيض مقضب
طلبنا بها انا مداريك نيلها	اذا طلب الشأو البعيد المغرب

مالك بن نويرة كان احد قادة بني يربوع من تميم ، وكان هو الوزير من قومه لدى المناذرة ، وبذلك ان بني يربوع كانوا موجودين في العراق مع المناذرة ، فتذكر المصادر التاريخية الإسلامية شخصية من بني يربوع يدعى (المنهال بن عصمة الرياحي اليربوعي التميمي) كان فارساً وادرك الاسلام وشهد عين التمر ومر بمالك بن نويرة وقد قتل وقام بتكفينه !! ، والرواية الإسلامية تذكر ان خالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة وطبخ رأسه وتزوج من زوجة مالك في نفس اليوم (ام تميم أو ليلى بن سنان) ، بحجة إنه أرتد عن الإسلام ، ولكنه في الحقيقة هو دخل ضمن تحالفات المسلمين ولم يخرج منه ، اضافة إلى ذلك تم اتهام مالك بن نويرة بأنه كان على علاقة بـ(سجاح التميمي) زوجة مسيلمة الكذاب والتي ادعت النبوة كما ذكر ، ويقال إن سجاح عاشت في البصرة او في الكوفة وهناك تابت واعتنقت الاسلام بعد مقتل مالك بن نويرة ومسيلمة ، أما لو انتقلنا إلى واقعة صفين وقصة التحكيم وظهور الخوارج في تلك الفترة ، سنجد ان بني تميم كانوا ضمن جيش علي بن أبي

طالب (اياس) ضد معاوية ، ولكن بعد حدوث واقعة التحكيم ، وظهور ردة فعل معاكسة بين اتباع علي ، قام بني تميم باستغلال تلك الاحداث والانشقاق عن جيش علي حتى عرفوا بـ(الخوارج) ، لذلك شكل بني تميم الأغلبية من الخوارج ، حتى ظهروا بشعارهم (لا حكم إلا لله).

حقيقة الهجرة النبوية.

الإشكالية الأخرى هي إشكالية الهجرة التي تتكلم عنها المصادر الإسلامية ، فتذكر تلك المصادر إنه بعد إن قامت قريش بالتضييق على المسلمين ، أضطر المسلمين للهجرة إلى المدينة المنورة (يثرب) ، وهناك انشأ المسلمين دولتهم وهناك عرفوا بالمهاجرين للتمييز بينهم وبين الأنصار من الأوس والخزرج من سكان يثرب ، ان هذه الهجرة لا دليل ولا شيء يؤكد حدوثها ، بل بالحقيقة لا دليل على وجود يهودي في المدينة ، فإشكالية موقع الحالية تتيح لنا البحث عن هجرة أخرى في تلك الفترة ولها علاقة بنشوء الدين الجديد ، حيث لاحظنا هناك هجرة حدثت في تلك الفترة ، ولكن هذه الهجرة كانت إلى مواقع المسلمين ومدنهم التي سيطروا عليها وليس المسلمين من هاجروا ، أي يعني ان الهجرة كانت إلى النبي محمد والمسلمين ، فيذكر المؤرخ الأرميني سيبيوس الذي قام بكتابة تاريخ حروب هرقل في رواية تعود للقرن لمنتصف القرن السابع الميلادي عن هجرة يهود الرها إلى أراضي العرب ، فيذكر إنه بعد خروج الجيش الفارسي من الرها ، قام هرقل بإخبار هؤلاء اليهود بأن يجدوا لهم أرضاً أخرى وان يعيشوا فيها ، أي إنه قام بطردهم ، حيث خرج هؤلاء إلى بلاد العرب ، وهناك التقوا بشخص كان تاجر اسمه (مهميت) :"... اثنا عشر شعباً تمثل كل قبائل اليهود تجمعوا في مدينة الرها ، عندما رأوا أن القوات الفارسية قد غادرت مغادرة المدينة بسلام ، أغلقت البوابات وحصنت نفسها ، ورفضوا دخول قوات القوات البيزنطية ، وهكذا أعطى هرقل إمبراطور البيزنطيين ، أمر محاصرته . عندها أدرك اليهود أنهم لا يستطيعون مقاومته عسكريا ، فوعدوا بإحلال السلام ، وفتحوا أبواب المدينة ، وذهبوا أمامه ، وهرقل أمر بأن عليهم الذهاب والبقاء في مكان خاص بهم ، فذهبوا ، وأخذوا الطريق عبر الصحراء إلى تاشكستان (Tachkastan) (يقصد بلاد الطائيين (طاجي ، تاشي" إلى ابناء إسماعيل ، اليهود دعوا العرب إلى مساعدتهم وأطلعوهم على العلاقة التي لديهم من خلال كتب العهد القديم ، وعلى الرغم من أن العرب كانوا مقتنعين بعلاقتهم الوثيقة ، إلا أنهم لم يتمكنوا من التوصل

إلى توافق في الآراء من جمهورهم ، لأنهم انقسموا من بعضهم البعض إلى الدين ، كان هنالك في ذلك الوقت اسماعيلي اسمه مهميت ، وكان يعمل تاجراً ، لقد قدم لهم نفسه ، كما لو أن الله أمره بذلك ، كبشير، كطريق إلى الحقيقة ، وعلمهم كيف يعرفون إله إبراهيم ، لأنه كان مطلعاً على قصة موسى وملماً بها للغاية ، ولأن الأمر جاء من العلى ، فقد توحدوا كلهم تحت سلطة رجل واحد ، في ظل شرع واحد ، وعادوا إلى الإله الحي الذي كشف ذاته لأبيهم إبراهيم ، بعد أن هجروا عباداتهم ، حرم عليهم مهميت أكل أي حيوان ميت ، شرب الخمر، الكذب أو الزنا ، لكنه أضاف: "لقد وعد الله بهذه الأرض لإبراهيم ونسله من بعده إلى الأبد ، لقد عمل بحسب وعده [الله] حين أحب إسرائيل ، والآن أنتم ، أنتم ابناء إبراهيم ، وعبركم ينجز الله الوعد الذي أعطاه لإبراهيم ونسله ، أحبوا فقط إله إبراهيم ، اذهبوا وخذوا بلدكم التي أعطاها الرب لأبيكم إبراهيم ، فما من أحد سيقدر على مقاومتكم ، لأن الله معكم" ، ثم اجتمعوا كلهم من حويلة إلى شور التي تجاه مصر ، لقد خرجوا من صحراء فاران مقسمين إلى اثني عشر سبطاً وفق سلالات آبائهم ، وبين قبائلهم الاثنتي عشرة قسّموا الاثني عشر ألف إسرائيلي ، ألف ألف لكل قبيلة ، وذلك لهدايتهم إلى أرض إسرائيل ، وانطلقوا ، مخيماً بعد مخيم ، وفق نظام آبائهم : نبايوت ، قيدار، أدبئيل ، مبسام ، مشماع، دومة ، مسا ، حدار، تيما ، يطور ، نافيش وقدمة ، هؤلاء هم أسباط إسماعيل... وجاء كل من بقي من شعوب بني إسرائيل لينضم إليهم ، حتى شكّلوا جيشاً عظيماً ، ثم أرسلوا بسفير إلى امبراطور اليونان ، ليقول له: "لقد أعطى الله هذه الأرض إرثاً لأبينا إبراهيم ونسله من بعده ، ونحن ابناء إبراهيم ، وأنت أخذت بلدنا بما فيه الكفاية ، تخل عنها بسلام، وسوف لن نغزو بلادك ، وإلا فسوف نسترد ما أخذت ونزيد عليه". "[298] .

و على الرغم من ان رواية سيبيوس هي تقريباً من فترة معاصرة لأنها دونت من زمن قريب للفتوحات إلا ان بعض الباحثين أشاروا إلى ان سيبيوس قد دون تاريخه عن العرب بعدما نقله عن لسان الجنود الهاربين من المعارك مع العرب ، ولكن نجد ان هناك رواية أخرى عن هذه الهجرة ليهود الرها إلى بلاد العرب ، ولكن هذه الهجرة تضع موقع بلاد العرب بالذين كانوا تحت سيطرة الفرس ، إي العرب في العراق ، وحتى ان سيبيوس كان قد ذكر إلى

---

[298] - Sebeos. Sebeos' History. chapter 30-31.

بلاد الطائيين مما يشير الى العراق ، وهذه الرواية هي رواية المؤرخ السرياني ميخائيل السرياني ، وعلى الرغم من انها متأخرة ، إلا انها منطقية واقرب للحقيقة ، لأنه من المنطقي ان يهرب اليهود إلى بلاد الفرس أعداء بيزنطة والذين كانوا في حرب معهم ، فلو هرب اليهود إلى سيناء أو إلى البتراء أو إي منطقة خارج حدود بلاد فارس في تلك الفترة فهذا يعني انهم يذهبون إلى منطقة تقع تحت الفاعلية بيزنطية أيضا ، ولذا فمن الطبيعي والمنطقي ان يهرب هؤلاء اليهود إلى بلاد الفرس وبالتحديد العرب الذين كانوا تحت سيطرة الفرس وهم (عرب العراق في العراق) ، الأمر الاخر هو ان ميخائيل السرياني بطريرك أنطاكية ، كان من ثقافة سريانية ، وكذلك ان الرها كانت مدينة ذات ثقافة سريانية على عكس سيبيوس الأرميني ، وجاء في تلك الرواية :" ... حدثت هزة عنيفة ، اعقبتها اشارة في السماء ، وهي ظهور ما يشبه الحربة قادمة من الجنوب نحو الشمال ، وظلت ثلاثين يوماً ، واعتقد الكثيرون بأنها دلالة على مجيء العرب ، في هذه الفترة اصدر هرقل ملك الروم أوامر بوجوب اقتبال جميع اليهود الذين في مملكته العماد فتنصروا وهرب قسم منهم من مناطق الروم ، وجاءوا إلى الرها ، ولما ضيق عليهم الخناق هربوا إلى بلاد فارس ، في حين ان كثيرين منهم اقتبلوا المعمودية وتنصروا"[299] .

ان رواية ميخائيل الكبير هي اقرب للحقيقة كما ذكرنا ، لأننا نجد أيضا صدى لها في القرآن لرواية سيبيوس بعد إن أخرجهم هرقل من مناطقهم ، فتذكر الآية القرآنية:"فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ، بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ "[300] .

وإضافة إلى ذلك نجد العديد من الآيات القرآنية التي تتطابق مع رواية سيبيوس عن تعريف النبي محمد لليهود عن النبي إبراهيم وعن اله إبراهيم ، وعن العهد الذي جرى بينهم، وعن تحريمه لبعض الأطعمة ، حيث جاء في الآية القرآنية :" قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى

[299] - ترجمة : مارغريغوريوس صليبا شمعون ، ج2 ، ص 306 .

[300] - القرآن ، سورة ال عمران ، الآية رقم 196 .

كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ، هَا أَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُون "[301] .

" قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ "[302] .

" كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ "[303] .

اضافة إلى ذلك فإن هناك واقعة حقيقية حدثت اثناء الحرب البيزنطية الفارسية وهي ان اليهود والعرب قد ساندوا الفرس في حربهم على بيزنطة في الشام ، حيث كانت هناك جهود ساسانية يهودية عربية مشتركة في الوصول إلى القدس بالتحديد ، حيث هاجم الفرس بقيادة شهربارازومعهم اليهود فلسطين واحتلوا قيسارية وانضم إليهم شخص يهودي يدعى (بنيامين) وكان من طبرية وهو الذي قام بتجنيد وتسليح جنود يهود إضافيين من طبرية والناصرة والمدن الجبلية في الجليل ، وتقدموا معاً باتجاه القدس ولاحقاً انضم إليهم اليهود في الأجزاء الجنوبية للبلاد ودعمتهم جماعات من العرب ، حيث ارسل شهربارازعام 614م من مقره في قيسارية إلى أهل بيت المقدس يدعوهم إلى الاستسلام والتسليم على ان ينعموا بالسلام والرخاء ، فخضع أهل المدينة واستسلموا بعد ان قدموا هدايا كثيرة للقائد الفارسي وللأمراء الفرس ، وغادر شهربارازالمدينة بعد ان وضع فيها حامية لحراستها ، ولكن بعد عدة شهور ثار أهل المدينة على الحامية الفارسية وقتلوهم ، ثم أغلقوا باب المدينة ، وحدث قتال

---

[301] - القران ، سورة ال عمران ، الآية رقم 64 إلى 69 .

[302] - القران ، سورة ال عمران ، الآية رقم 84 .

[303] - القران ، سورة ال عمران ، الآية رقم 93 .

بين النصارى واليهود وأباد فيه النصارى كل اليهود الذين كانوا يقفون إلى جانب الفرس ، ولذلك عاد شهرباراز وشرع في حصار المدينة بعد ان فشلت خطة الاستيلاء السلمي عليها ، ونصب معداته الحربية وأقام المنجنيق وبدأ الحصار ، (الرواية هنا تتحدث عن نفس الأسلوب الحربي الذي اتبعه سلمان الفارسي والمسلمين في حصار الطائف) ، وخلال فترة الحصار التي استمرت 20 يوماً ضربت المدينة دون توقف ورغم مقاومة أهلها إلا ان الفرس استطاعوا حفر سراديب أسفل الأسوار ودعموها بالخشب وأشعلوها بالنيران فانهارت الأسوار ودخل الفرس إلى المدينة ، وبذلك نجحت هذه القوات المشتركة (الفارسية اليهودية العربية) في السيطرة على القدس عام 614م ، والمصادر اليهودية تقول ان اليهودي نحميا بن هوشيل كان حاكماً للقدس وان تخلي الجيش الساساني عن المنطقة بسبب حملة الشاه الفارسي خسرو على بيزنطة ، هي خيانة لهم ، وان هذا القائد نحميا تم قتله على يد نصارى القدس قبل ان يحتلها الفرس بقيادة شهرباراز ، وان هذه الوقائع التاريخية تفسر لنا سبب اختيار يهود الرها لبلاد الفرس والعراق كموطن لجوء وهجرة لهم .

إن رواية سيبيوس عن اليهود المهاجرين من الرها إلى بلاد العرب ، تماثل قصة إسلامية تعرف بالمصادر العربية بـ(بيعة الرضوان) ، التي حدثت في شهر ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة الموافق شهر فبراير سنة 628م في منطقة الحديبية ، حيث بايع فيها الصحابة النبي محمد على قتال قريش وان لا يفروا حتى الموت ، بسبب ما أشيع من ان عثمان بن عفان قد قتلته قريش حين أرسله النبي محمد إليهم للمفاوضة ، عندما منعتهم قريش من دخول مكة وكانوا قد قدموا للعمرة لا للقتال ، فلما بلغ المسلمين إشاعة مقتل عثمان قال لهم النبي محمد : لا نبرح حتى نناجز القوم ، ودعا المسلمين للبيعة فبايعوا ، حيث إن تفاصيل سيبيوس تتطابق مع تفاصيل قصة بيعة الرضوان ، وخاصة ان سيبيوس يقول ان البعض من العرب لم يتقبلوا فكرة اليهود عن قرابتهم ، وان العرب انقسموا بين بعضهم البعض ، لذا نرى ذلك تم وصفهم بالمخلفين والأعراب في القرآن في سورة الفتح :

"سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"[304] .

ثم في أية أخرى يعاد ذكر المخلفون والإعراب ، ولكن هذه المرة يتحدث فيه عن معركة ضد قوم أشداء :

"قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا"[305] .

وفي نفس السورة يتحدث القرآن عن بيعة تحت الشجرة ، وهذه البيعة هي بيعة اليهود للنبي محمد :"إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[306] ،

"لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"[307] .

إن تسمية (المهاجرين) التي عرفت في التقليد الإسلامي ، لم تكن بسبب هجرة مزعومة ، فلا وجود لهجرة من مكة إلى المدينة كما ذكرنا ، بل إن هذه التسمية جاءت من بتأثيرات سريانية من ذاك العهد ، فعرف العرب عندهم بـ(المهجراي أو الهاجريين) ، والذي يبدو أن اليهود والمسيحيين في العراق والشام قد أطلقوه على المسلمين لتعريفهم نسبة إلى نسبهم الممتد إلى هاجر، زوجة النبي إبراهيم ، أم إسماعيل جد العرب .

وعن التقويم الهجري ، فنحن لا نملك إي معلومة عن تقويم يدعى بالهجري خارج المصادر الإسلامية ، فالرواية تقول إنه يعود لعام الهجرة إلى المدينة سنة 622م ، وأول من عمل به هو عمر بن الخطاب عام 17هـ بعد ان كتب ابو موسى الاشعري إلى عمر واخبره بأن الكتب التي يرسلها ليس لها تاريخ ولا يعرف على أيهما يعمل ، حتى استعان عمر بشخص فارسي يلقب بالهرمزان (حاكم الاهواز) ، فاخبره عن الطريقة التي يؤرخ بها الفرس تاريخهم ،

---

[304] - القرآن ، سورة الفتح ، الاية رقم 11.

[305] - القرآن ، سورة الفتح ، الاية رقم 16 .

[306] - القرآن ، سورة الفتح ، الاية رقم 10 .

[307] - القرآن ، سورة الفتح ، الاية رقم 18 .

حيث تذكر المصادر إن عمر هو من اختار التاريخ ليكون من بداية الهجرة ، ويقال إن كلمة (مؤرخ) هي تعريب لكلمة (ماه روز) إي (الشهر واليوم) بالفارسية ، ومنها اشتق لفظ (تاريخ)[308] ، وكان الفرس يكتبون ويدونون تاريخهم بالنسبة لملوكهم ، وهذا ما أوضحته العملات الساسانية ، إي مثلاً كان يكتب التاريخ على النحو التالي : السنة الثالثة عشر لحكم خسرو الثاني ، وهكذا ، واستمد الفرس هذه الفكرة من العراقيين القدماء ، لأنهم أول من استخدم هذه الطريقة .

كذلك لا يوجد دليل على كون إن النبي محمد استخدم هذا التقويم الحالي والمعروف بالتقويم الهجري ، فحتى العملات الإسلامية المبكرة كانت تؤرخ بالنسبة لحكم الملوك الفرس ، وان أول اشارة إلى تقويم عربي بعد الاسلام كان في بردية عربية يونانية من عهد الحاكم الأموي معاوية بن أبي سفيان ، وتعود هذه البردية إلى عام 54هـ ، ولكنها لا تشير إلى إي عام هجري في النص العربي ، غير إن النص اليوناني في هذه البردية كان يشير إلى كونه تقويم عربي فقط ، إي المقصود به بالنسبة لحكم العرب ، كما في الفكرة التي كانت سائدة عند الفرس عن التقويم ولكن العرب جعلوها بالنسبة لبداية حكمهم وليس لبداية حكم حاكم معين ، جاء في البردية (الشكل رقم 33) :

<u>النص العربي :</u>

" عبد الله معاوية أمير المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

(....) الحرث بن عبد الله إلى أهل نصتان

(من) كورة غزة من اقليم الخلوص

فاعطوا عبر عدي بن خلد من بني

(سعد بن م)لك رزق ذ(ي) القعد(ة) و

(ذي الحجة وشهر)ي ربيع

(سبعين م)دي (ق)مح ومثله زيتاً و

---

[308] - عبد الرفيع حقيقيت ، دور الايرانيين في تاريخ الحضارة العالمية ، ترجمة : علاء عبد العزيز السباعي ، المركز القومي للترجمة ، ط1 ، 2012 ، ص 248 .

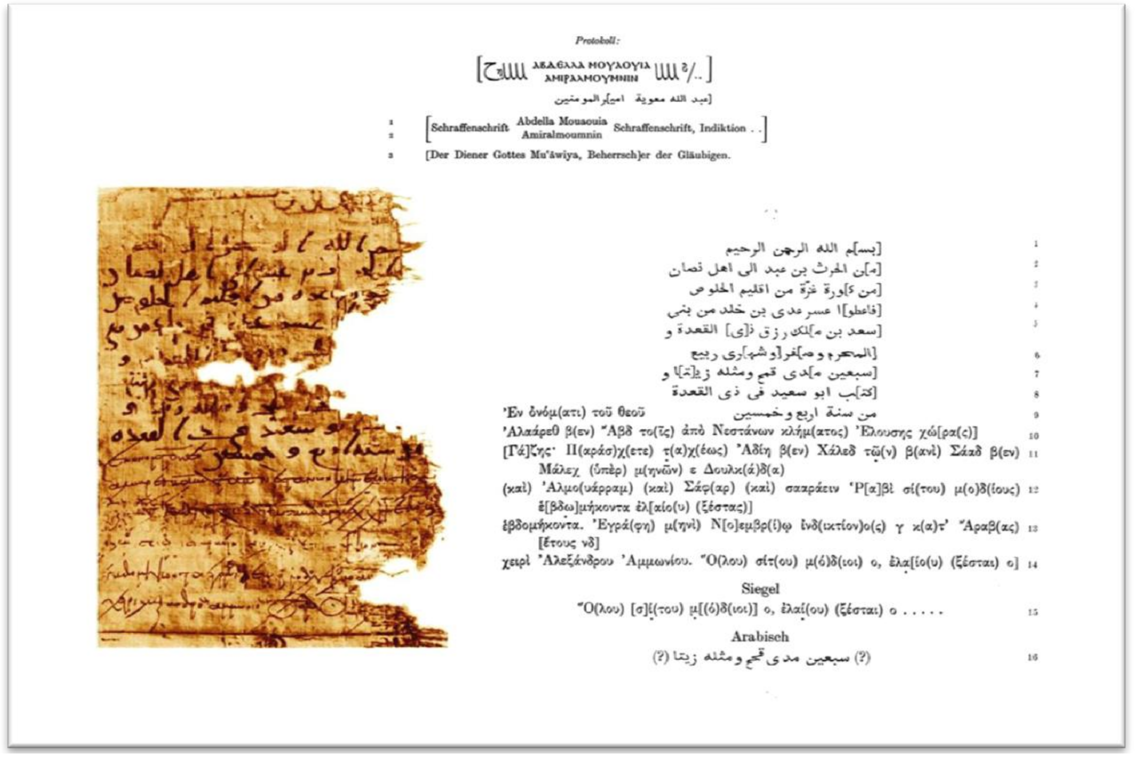
(كتب) ابو سعيد في ذ(ي) القعد(ة)

من سنة اربع وخمسين

فجمعته سبعين مدي قمح ومثله زيتاً"

<u>ترجمة النص اليوناني :</u>

"من الحارث بن عدي إلى أهل نيسانا في اقليم الخلوص من كورة غزة ، ادفعوا بسرعة لعادل؟ بن خالد من بني سعد بن مالك عن خمسة اشهر ، ذي القعدة؟ والمحرم وصفر والربيعين سبعين مداً قمحاً وسبعين قسطاً زيتاً ، كتب في شهر نوفمبر من الاندقتيون الثالث سنة 45 للعرب بيد الكسندر بن امونيوس ، المجموع 70 مدي قمح ، و70 قسط زيت" .


Protokoll:

[ΑΒΔΕΛΛΑ ΜΟΥΑΟΥΙΑ ΑΜΙΡΑΛΜΟΥΜΝΙΝ]

[عبد الله معوية امي]ر المومنين

1-2 [Schraffenschrift Abdella Mouaouia Amiralmoumnin Schraffenschrift, Indiktion . .]

3 [Der Diener Gottes Mu'āwiya, Beherrsch]er der Gläubigen.

1 [بسـ]ـم الله الرحمن الرحيم

2 [م]ن الحرث بن عبد الى اهل نصان

3 [من ك]ورة غزة من اقليم الخلوص

4 [فاعطو]ا عسر عدى بن خلد من بني

5 [سعد بن م]لك رزق ذ[ى] القعدة و

6 [المحرم و صـ]ـفر [و شهـ]ـرى ربيع

7 [سبعين م]دى قمح ومثله ز[يـ]ـتا و

8 [كتـ]ـب ابو سعيد فى ذى القعدة

9 ’Εν ὀνόμ(ατι) τοῦ θεοῦ — من سنة اربع وخمسين

10 ’Αλαάρεθ β(εν) ῎Αβδ το(ῖς) ἀπὸ Νεστάνων κλήμ(ατος) ’Ελουσης χώ[ρα(ς)]

11 [Γά]ζης· Π(αράσ)χ(ετε) τ(α)χ(έως) ’Αδίη β(εν) Χάλεδ τῶ(ν) β(ανὶ) Σάαδ β(εν) Μάλεχ (ὑπὲρ) μ(ηνῶν) ε Δουλκ(ά)δ(α)

12 (καὶ) ’Αλμο(υάρραμ) (καὶ) Σάφ(αρ) (καὶ) σααράειν ‘Ρ[α]βὶ σί(του) μ(ο)δ(ίους) ἑ[βδω]μήκοντα ἐλ[αίο(υ) (ξέστας)]

13 ἑβδομήκοντα. ’Εγρά(φη) μ(ηνὶ) Ν[ο]εμβρ(ί)ῳ ἰνδ(ικτίον)ο(ς) γ κ(α)τ’ ῎Αραβ(ας) [ἔτους νδ]

14 χειρὶ ’Αλεξάνδρου ’Αμμωνίου. ῞Ο(λου) σίτ(ου) μ(ό)δ(ιοι) ο, ἐλα[ίο(υ) (ξέσται) ο]

Siegel

15 ῞Ο(λου) [σ]ί(του) μ[(ό)δ(ιοι)] ο, ἐλαί(ου) (ξέσται) ο . . . . .

Arabisch

16 (?) سبعين مدى قمح ومثله زيتا (?)

الشكل رقم (33)

إن وجود كلمة (بالنسبة للعرب) (ابو بالأحرى لحكم العرب) ، هي اشارة صريحة لكون إن التقويم الهجري ما هو إلا تقويم عربي بدأ مع حكم العرب واستقلالهم ، ولكن الإشكالية هنا هي بكون العرب من إي فاعلية استقلوا وكيف استقلوا وأين ومتى ؟؟ ، ومثلما

ذكرنا إن التقويم العربي يبدأ منذ عام 622م ، حيث في تلك الفترة كان كل الشرق الأوسط ومصر بيد الفرس الساسانيين ، وفي نفس هذا العام بدأ هرقل بأخذ المبادرة من الفرس وتحقيق عدة انتصارات عليهم ، ولكن هناك نقطة مهم واهم من كل ما ذكر ، فهذا التاريخ (622م) يسبق معركة ذي قار بسنتين ، وهذا يعني إن القبائل التي خرجت ضد الفرس في ذي قار كانت قد استقلت عن الفرس ، ولكن لا يوجد دليل على إن المسلمين الأوائل في عهد النبي محمد كانوا قد استخدموا هذا التقويم ، ولذلك فإن معاوية هو أول من استخدم هذا التقويم نسبة إلى استقلال قبائل بكر بن وائل وحلفائهم وأتباعهم من المناذرة عن الدولة الفارسية .

إن الإشكالية التي وقع بها التقويم العربي (الهجري) هي حذف النسيء ، حتى أصبح منه تقويماً غير عملياً ، لا يستند إليه بالتاريخ ، فحتى إن الأغلبية الكبرى من الدول الإسلامية اليوم تعتمد على التقويم الميلادي لأنه اصح وأفضل من ناحية تحديد المواعيد ، وحتى نفهم ما هو النسيء ، لابد إن نعلم إن السنة القمرية المؤلفة من اثني عشر شهراً تتأخر عن السنة الشمسية المتماشية مع مواسم السنة الفصلية بمقدار (11,2242) يوماً من كل سنة ، حيث في التقويم عند البابليين كانوا يضيفون شهر كبيس غير معدود بن الأشهر كل 32 شهراً قمرياً وهذا الشهر يدعى بـ(النسيء) ، لأنه يأتي متأخراً بعد 32 شهراً ليعدل الفرق بين التقويم الشمسي والتقويم القمري ، حيث ان حذف شهر النسيء جعل من اشهر السنة العربية لا تتطابق مع معانيها ووقتها وانها كانت تصادق مواسم فصلية من السنة ، إي انها كانت شهور ثابتة لا تتبدل مع كل سنة ، ولا ينقص التقويم كل سنة ، وكما يلي :
من المفيد أن يعلم الباحث عن الحقيقة من المسلمين ، معاني أسماء تلك الأشهر التي وردت في القواميس العربية وحسب استخدامها في اللهجات المختلفة للقبائل العربية :
1- محرم : للأعلام أن الأشهر الحرم قد بدأت ، هذه التسمية لتأكيد على بداية الأشهر الحرم الأربعة التي حرم فيها الله القتال وصيد البر ، علماً أن اسم ذلك الشهر كان يدعى قبل الاسلام بـ(صفر أول) ، وهو يتراوح دوما بين شهري كانون ثاني وشباط ، والدليل من القرآن في سورة المائدة :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو

انتِقَامٍ ، أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ "[309] .

2- صفر : كان يلفظ بتشديد الفاء المفتوحة ، للإعلام أن في هذا الشهر يصفر الفرق بين طول الليل والنهار لتساويهما ، علما أن اسمه كان قبل الإسلام صفر ثاني ، للتمييز عن صفر أول ، وهو يتراوح دوما بين شهري شباط وآذار .

3- ربيع أول : للإعلام أن هذا الشهر هو شهر بداية الربيع ، دلالة على أن هذا الشهر يصادف قدومه بداية موسم تفتح الزهور من فصل الربيع ، الذي يقابل عادة شهر نيسان في التقويم الغربي ، وهو يتراوح دوما بين شهري آذار ونيسان .

4- ربيع ثاني : إذا تأخر موسم تفتح الزهور إلى هذا الشهر تكون إشارة للعادين بأن الموسم قد تأخر نتيجة انزياح التقويم بمقدار شهر كامل ليضاف بعدها شهر التقويم (النسيء) كي يعود فصل الربيع في شهر ربيع أول من السنة القادمة ، الذي يقابل عادة شهر أيار ، علما أن هذا الشهر يتراوح دوما بين شهري نيسان وأيار .

5- جماد أول : دلالة أن هذا الشهر يصادف قدومه بداية جماد الحبوب في سنابلها كتبشير لبداية موسم الحصاد الذي يصادف عادة في شهر حزيران .

6- جماد ثاني : إذا تأخر موسم الحصاد إلى هذا الشهر تكون إشارة للعادين بأن موسم الحصاد قد تأخر نتيجة انزياح التقويم بمقدار شهر قمري كامل ليضاف شهر التقويم (النسيء) ، كي يعود فصل أول الحصاد من السنة القادمة ، في شهر جماد أول، علماً أن هذا الشهر يتراوح دوما بين شهري حزيران وتموز.

7- رجب : يقال في العربية رجب (مع تشديد الجيم) الشيء بمعنى عظمه ، هذا وقد كان العرب في الجاهلية يعظمون هذا الشهر ، علماً أن هذا الشهر يتراوح دوما بين شهري تموز وآب .

8- شعبان : للإعلام عن تشعب البدو (الأعراب) في البادية طلباً للماء من أجل أنعامهم بعد فصل الصيف الذي أستنفذ أكثر مياه فصل الشتاء ، علما أن هذا الشهر يتراوح دوما بين شهري آب وأيلول .

---

[309] - القران ، سورة المائدة ، الآية رقم 95-96 .

9- رمضان : للإعلام عن أول مطر يهطل بعد الصيف في بداية فصل الخريف بالنسبة لهم شمال خط الاستواء وبداية فصل الربيع جنوباً ، أما على خط الاستواء فيكون بداية فصل الحر (الرمض) بالنسبة لسكان المناطق الإستوائية وشهر رمضان يصادف عادة شهر أيلول من فصل الخريف ، حيث يتساوى طول الليل مع طول النهار في العالم كله ماعدا منطقتي القطبين بينما في الصيف والشتاء يصبح الفرق أعظميا ويتراوح دوما بين شهري أيلول وتشرين أول .

10. شوال : سمي بهذا الاسم لأن العرب لاحظت أن الناقة تشول بذنبها بحثا عن الذكر في ذلك الشهر دليلا على دخول موسم تزاوج النوق مع الجمال فيقولون : شولت الناقة ، ليفيدوا أن ذلك الموسم قد دخل ، ويتراوح دوما بين شهري تشرين أول وتشرين ثاني .

11- ذو القعدة : سميت كذلك دلالة على دخول فصل الشتاء المعروف بشدة رياحها حيث كان الأعراب يقعدون في ذلك الشهر ولا يرحلون ، لصعوبة نصب الخيام فيها ، ويتراوح دوما بين شهري تشرين ثاني وكانون أول .

12- ذو الحجة : نسبة إلى موسم الحج ، ويتراوح دوما بين شهري كانون أول وكانون ثاني .

استند المسلمين إلى تفسيرهم الحالي إلى سورة التوبة الآية رقم (37) بحذف النسيء ، بينما إن هذه الآية لا تؤيد حذف النسيء ولا تدعوا له أبدا ، لذا سنضع فواصل بين العبارات لتسهيل فهم الآية فهما منطقيا منطلقا من حقيقة مبدئية تقول أن الزيادة في الكفر لم يكن من استخدام شهر التقويم : النسيء ، بل كانت لما يقوم به الذين كفروا من عملية إضلال للمؤمنين بتغيير طول فترة الأشهر الحرم من عام إلى عام اخر : "إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِؤُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"[310] .

علما أن التغيير في التشكيل قد حصل في الكلمتين التاليتين من تلك الآية:

(إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا...) حيث قرئوا كلمة زيادة ، بتنوين اخرها بالضمة ، لتكون إقراراً بأن استخدام شهر التقويم (النسيء) هو زيادة في الكفر، بينما ان تركناها كما هي في المصحف الأثري الموجود في اسطنبول ، بدون تشكيل ، عندها يمكن

[310] - القران ، سورة التوبة ، الآية رقم 37 .

لعلماء اللغة والدين تصحيح تشكيلها حسب مقاصد الآية ، وذلك بتنوين اخر تلك الكلمة: "زيادة" بالفتحة المنونة بدلاً عن الضمة المنونة ، عندها تصبح عبارة : "زيادة في الكفر" جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب .

كذلك كلمة : يضل ، التي شكلت في المصاحف التي نسخت في دمشق عن الأصل مبنية للمجهول ، أي بضم الياء وفتح الضاد ، وهذا يعني أن فاعل الضلالة في الأرض مجهول ، بينما ان أعدنا تشكيلها بكسر الضاد ، (كما جاءت في قراءة ورش ، الشكل رقم (34" عندها يصبح فاعل الإضلال في تلك الجملة من تلك الآية هم: الذين كفروا ، لذلك نجد ان القرآن يعترض على ما قام به العرب منذ عام 622م ، الذين يصفهم بالكفرة ، وهذا يعني أن المقصود بهم هم القبائل والأحلاف العربية من قبائل بكر بن وائل وحلفائهم الذين خرجوا واستقلوا عام 622م ، وهم الذين خرجوا ضد اياس عام 624م ، ولا يقصد به اتباع الدين الجديد .

الشكل رقم (34) الآية حسب قراءة ورش

إشكالية الخلفاء الراشدين.

تكلمنا عن شخصية ابو بكر في هذا الفصل وعن علاقته بقبيلة بكر بن وائل ، وعن دوره في معركة ذي قار ، حيث ان ابو بكر لو كان شخصية حقيقية فيجب إن يكون شخصية

من مدينة البصرة ، أو بالأحرى زعيماً لقبيلة بكر بن وائل التي سكنت البصرة ، وان السبب في تلك التسمية هو ان العراقيين لليوم يطلقون على زعماء القبائل تسمية (أبو) تلحق باسم القبيلة ، او عند ذكر رئيس دولة يقولون (ابو الدولة الفلانية) وهكذا ، لذلك ان كلمة (أبو) عندهم هي بمقام معنى (رب البيت) الذي ترادفه كلمة (أبو) مثلاً ، أي بمعنى أنه المسؤول والشخص الأول عليهم ، وهذا ما يعني إنه بحكم التقليد في ثقافتهم الشعبية ، ويوجد ما يؤكد صحة ذلك ، فيذكر الرحالة (ابن بطوطة) في رحلته إلى البصرة ، إنه شاهد قبر ابو بكر الصديق في مدينة البصرة حيث جاء في روايته عن ذكر المشاهد في البصرة : "فمنها مشهد طلحة بن عبيد الله احد العشرة ، رضي الله عنهم ، وهو بداخل المدينة ، وعليه قبة ومسجد وزاوية الطعام للوارد والصادر ، وأهل البصرة يعظمونه تعظيماً شديداً وحق له . ومنها مشهد الزبير بن العوام حواري رسول الله (ص) وابن عمته ، رضي الله عنهما ، وهو بخارج البصرة ولا قبة عليه ، وله مسجد وزاوية فيها الطعام لابناء السبيل . ومنها قبر حليمة السعدية ام رسول الله (ص) ، من الرضاعة ، رضي الله عنها ، والى جانبها قبر ابنها رضيع رسول الله (ص) . ومنها قبر أبي بكرة صاحب رسول الله (ص) ، وعليه قبة ، وعلى ست أميال منها بقرب وادي السباع قبر أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) ، ولا سبيل لزيارته إلا في جمع كثيف لكثرة السباع وعدم العمران . ومنها قبر الحسن بن أبي الحسن البصري سيد التابعين ، رضي الله عنه ، ومنها قبر محمد بن سيرين ، رضي الله عنه ، ...."[311] .

إن هذه رواية ابن بطوطة تؤكد لنا ان أتباع أبو بكر الصديق ، كانوا من البصرة ، وان تسمية أبو بكر الصديق بصيغة (أبو بكرا) تتوافق مع ما ذهبنا إليه بالاعتقاد بأن اسمه آرامي لفظياً بصيغة (بكرا) ، وهذا ما يعني ايضاً ان اسم مدينة البصرة جاء من صيغة (بكرا) كما ذكرنا ، ولكن بعد التعريب في عهد عبد الملك عرب اسم (بكرا) إلى (بصرة) ، وان هذا ايضاً يفسر لنا سبب ظهور عائشة في البصرة ضد علي في الجمل وكذلك سبب تواجد المقربين من ابو بكر في البصرة ، وهذا ايضاً ما يفسر ايضاً سبب كون البصرة كانت تدين بالولاء لعثمان ضد علي .

---

[311] - رحلة ابن بطوطة ، دار الفكر ، ص 187- 188 .

ما يمكن ملاحظته ايضاً هو ان جزء مهم من سيرة أبو بكر الصديق هي نتاج اسقاط من سيرة شخصية أخرى ، وهذه الشخصية هي طلحة بن عبيد الله ، حيث ان التماثل بين الشخصيتين هي بكونهما من نفس المدينة وهي البصرة ، وكذلك ان الشخصيتين يشتركان بنفس اللقب والنسب القبلي ، حيث ان أبو بكر نسبه ينتهي بـ(التيمي القرشي) ، كذلك بالنسبة لطلحة الذي ينتهي نسبه بـ(التيمي القرشي) ، التماثل الاخر هو ان لشخصيتين لديهم بنت تدعى (عائشة) ، وزوج عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هو مصعب بن الزبير شقيق عبد الله بن الزبير ، وان مصعب هو والي البصرة الذي قتله الحجاج ، حتى ان الرواية الإسلامية الحالية لا تهمل العلاقة بينهم ، حيث ان طلحة هو زوج ام كلثوم بنت أبو بكر ، وإلى غير ذلك وبينما لا توجد أي عملة لأبو بكر ولا يوجد أي نص معاصر يؤكد وجوده ، نجد ان العملات لطلحة عددها بالعشرات ، كما في الشكل رقم (35) ، حيث ضربت هذه العملة عام 64هـ في مدينة (سجستان) في ايران ، ويظهر اسم طلحة في وجه العملة في الهامش بصيغة (طلحة لله) ، واستمر الضرب لعملة الى طلحة على الرغم من ان الرواية الإسلامية تقول انه قتل بعد ان رماه مروان بن الحكم بسهم وقتله كما عند الإمام الذهبي : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال : رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم ، فوقع في ركبته ، فما زال ينسح حتى مات ، وقال: ان مروان رمى طلحة بسهم فقتله ، ثم التفت إلى أبان ، فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك[312] .

[312] الحافظ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ج1 ، ص 35 - 36 .



الشكل رقم (35)

وبالنسبة لـ(عمر بن الخطاب) ، وبالاستناد إلى ذكرنا نستطيع ان نضع سيرته على انها أشبه بعنصر مفاجأة بالنسبة للرواية الإسلامية ولروايتنا هذه ، حيث ان دوره كان ضعيف قياساً بدور محمد (علي) وأبو بكر وخالد بن الوليد وغيرهم ، ولا توجد عملة ضربت باسمه على الرغم من ان الرواية الإسلامية تصفه كخليفة للمسلمين او أمير للمؤمنين ، ولكن هناك إشارة واحدة له في المصادر الغير الإسلامية بالتحديد في مخطوطة تعود للقديس مار جبريل أسقف طور عبدين في تركيا اليوم تتكلم عن تاريخ عام 648م ولكنها دونت في القرن الثامن الميلادي يوم ما كانت الرواية الإسلامية الحالية معروفة بشكل عام ، حيث جاء في هذه المخطوطة ان عمر بن الخطاب كان حاكم محلي للجزيرة الفراتية (الجزيرة العربية) ولم يكن خليفة للمسلمين بشكل عام ، حيث طلب هذا القديس من عمر إعفاء المسيحيين من الجزية ، ووافق عمر على ذلك ، وجاء في الرواية : "ذهب هذا اللورد جبريل إلى الحاكم (أهيد شولتانا) من ابناء هاجر ، الذي كان عمر بن خطاب ، في مدينة جزيرتا (الجزيرة الفراتية) ، استقبله (عمر) بفرح كبير ، وبعد أيام قليلة قدم الرجل المبارك التماس إلى هذا الحاكم وتلقى توقيعه على القوانين والقوانين والأوامر والحظر والأحكام المتعلقة بالمسيحيين والكنائس والأديرة ، وإلى الكهنة والشمامسة أنهم لا يعطون ضريبة ، والرهبان أن يتم

تحريرهم من أي ضريبة (ماداتا) ، أيضا أن الناقوس الخشبي لا ينبغي أن يكون محظور وأنهم قد يرددون تراتيلهم قبل حمل النعش عندما يخرج من المنزل ليتم الدفن ، جنبا إلى جنب مع العديد من [غيرها] التقاليد ، وكان هذا الحاكم سعيد بمجيء الرجل المبارك إليه ، وعاد هذا الرجل المبارك إلى الدير بفرح عظيم "[313]. فلو صحت هذه المخطوطة بأنها تتكلم عن شخصية حقيقية ، فإنها لا تدل على شيء إلا كون أن عمر لم يكن خليفة للمسلمين أو أمير مؤمنين أو ذو شأن كبير ، بل كان مجرد حاكم على جزيرة تقع حدودها اليوم بين العراق وتركيا وسوريا ، اما بالنسبة لاسم (عمر) وأصله ، نجد ان بعض اللغات الشرقية مثل (الأكادية بفرعيها البابلي والأشوري) لا تحتوي على صوت (ع) لذلك يستبدل بصوت اخر وعلى الأغلب بصوت (أ) ، ولذلك فإن مصدر كلمتي (عمرو ، عمر أو حتى عمار) هي اللغات الشرقية القديمة ، بعد ان يستبدل صوت (أ) بصوت (ع) في اللغة العربية ، مع العلم ان كلمة (مار) بالاكدية تعني (ابن) ، بينما (مار) بالسريانية اليوم تعني (سيد) ، ويطلقها أتباع الكنيسة الشرقية على القديسين والشخصيات الدينية ، وتستخدم ايضاً في اللهجات الشرقية مثل العراقية وحتى المصرية للإشارة إلى الزوجة بصيغة (مرتي) بالعامية العراقية ، (مراتي) بالعامية المصرية ، ويقصد بها (سيدتي) أو (سيدة) ، لذلك ان اسم (عمر) لو يرجع إلى أصله فإنه يعني (السيد) .

وكما الحال بالنسبة لأبو بكر وطلحة بن عبيد الله نلاحظ ايضاً ان سيرة الحاكم الاموي عمر بن العزيز تم اسقاطها على سيرة شخصية عمر بن الخطاب ، والتي على الاكثر انها وهمية ، والتماثل لا يقف عند تشابه الاسماء ، حيث نجد ان عمر بن عبد العزيز يلقب بـ(عمر الثاني)[314] ، اضافة الى ذلك فإن عمر بن الخطاب هو جد عمر بن عبد العزيز ، حيث ان امه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، اضافة الى ذلك فإن الشخصيتين عرفتا بالعدل ورد المظالم كما تذكر الرواية الإسلامية ، وغير هذا فإن اغلب عملات عمر بن عبد العزيز ضربت في البصرة كما في الشكل رقم (36) ، والتي ضربت في الفترة مابين عامي 99هـ - 101هـ ، في مدينة البصرة :

---

[313] - Robert G. Hoyland. Ibid. P. 123 .

[314] - محمد عبد الحي محمد شعبان ، التاريخ الاسلامي تفسير جديد ، جامعة كامردج ، المملكة المتحدة ، ج1 ، ص 122 .



الشكل رقم (36)

اما بالنسبة لشخصية عثمان بن عفان ، فهي شخصية حقيقية ولكنها بإخراج الرواة المسلمين ، وانها بالحقيقة شخصية عرفت قبل الإسلام ، وهذه الشخصية كما أوضحنا هي شخصية (النعمان بن المنذر) ملك الحيرة ، حيث ان العلاقة بينهما ترتبط بقصة قتل الفرس للنعمان بن المنذر وحدوث معركة ذي قار بين العرب الذين انشقوا عن السلطة الفارسية في العراق وعن سلطة الحيرة وبين الفرس وملك الحيرة اياس بن قبيصة الطائي (النبي محمد/علي) والحلفاء من باقي القبائل العربية ، وهي تشابه قصة وسبب معركة الجمل بين العرب بقيادة عائشة وطلحة والزبير ضد علي في البصرة ، وفي نفس الإشكالية عن عثمان هي ظهور شخصية كانت مرابطة لعثمان حسب الروايات الإسلامية ، وهذه الشخصية هي شخصية حمران بن ابان ، فحسب الحافظ الذهبي إن حمران هو فقيه ، كان مولى عثمان كان من سبي عين التمر ابتاعه عثمان من المسيب بن نجبة حدث عن عثمان ومعاوية وهو قليل الحديث ، روى عنه عطاء بن يزيد الليثي وعروة زيد بن أسلم وبيان بن بشر وبكير بن الأشج ومعاذ بن عبد الرحمن وآخرون قال صالح بن كيسان كان ممن سباه خالد من عين التمر ، وقال مصعب الزبيري إنما هو حمران بن أبان فقال بنوه ابن ابان وقال ابن سعد نزل البصرة وادعى ولده أنه من النمر بن قاسط قال قتادة كان حمران يصلي خلف عثمان فإذا

أخطأ فتح عليه ، وعن الزهري ان حمران كان يأذن على عثمان ، وقيل كان كاتب عثمان وكان وافر الحرمة عند عبد الملك وتوفي سنة نيف وثمانين وسيأتي أبان ولد عثمان وأخوه عمر بن عثمان[315] ، اما عند ابن منظور فإن حمران هو من عين التمر ، ويقال ان اسم أبيه هو (أبي) ، كان للمسيب بن نجبة فابتاعه من عثمان بن عفان فاعتقه فهو مولى عثمان ، وكان عثمان بعثه إلى الكوفة ليسأل عن عاملها فكذبه وأخرجه من جواره فنزل البصرة[316] ، وغير ذلك نجده ينقل الاحاديث على لسان عثمان ، فمثلاً يذكر ابن منظور عن أبو صخرة جامع بن شداد : سمعت حمران بن أبان يحدث أبا بردة في مسجد البصرة ، وانا قائم معه ، انه سمع عثمان يحدث عن النبي (ص) قال : من أتم الوضوء كما أمر الله تعالى فالصلوات الخمس كفارات لما بينهن[317] ، من الغرابة ان نجد شخصية فارسية مقربة من عثمان بن عفان ، وأيضاً من الغرابة ان نجد ان تلك الشخصية كانت تنقل الاحاديث عن عثمان وحتى إنه كان يصحح له صلاته ، ومن الغرابة ايضاً ان يكون حمران مقرب من بني أمية ، حيث بعد ان قتل مصعب بن الزبير خرج حمران بن ابان ودعا إلى بيعة عبد الملك بن مروان[318] ، ولربما ان تقارب حمران من عثمان ومن بني أمية يحمل في طياته الغاز كثيرة ، وحتى ان العملات في العهد الأموي كانت تحمل اسم حمران بن ابان ، حيث نجد في عملة (الشكل رقم (37)) ، والتي تعود لعام 72هـ ظهور اسم (حمران بن ابان) في هامش هذه العملة :

[315] - الحافظ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ج4 ، ص 182 – 183 .

[316] - ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ج7 ، ص 253 .

[317] - ابن منظور ، نفس المصدر ، ج7 ، ص 253 .

[318] - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : د.اكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ص 269 .



الشكل رقم (37)

<u>شرح العملة :</u>

- عملة عربية ساسانية
- نوع العملة : درهم
- هذه العملة تحمل اسم حمران بن ابان بصيغة (حمر بر ابان) ، مع العلم إن كلمة (بر) هي كلمة سريانية وتعني (ابن)
- دار الضرب : اردشير كورا
- سنة الضرب : 72هـ / 692م
- وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني
- ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي ، وبجانبه مدينة الضرب (اردشير كورا)، وسنة الضرب .



الشكل رقم (38) عملة أخرى لحمران بن ابان محفوظة في احد المتاحف في ايران ، تعود للعام 791م .

ليست العملات والسيرة الإسلامية فقط هي من تضعنا أمام إشكالية العلاقة بين عثمان وحمران، بل حتى اسم (ابان) وعلاقته باسم (عفان) ، وكما ذكرنا سابقاً في اكثر من مرة ان صوت (ع) غير موجود في بعض اللغات الشرقية مثل الاكدية (بفرعها البابلي والآشوري) ويعوض بصوت (أ) ، غير انه موجود في اللغة العربية ، كذلك إن صوت (ف) يقلب في أحيان كثيرة إلى (ب) ، على الرغم من انه موجود في اللغة العربية ، لذلك إن اسم (ابان) يصبح (عفان) .، ويا ترى ماذا كان يربط حمران بعثمان ؟؟

إن اسم حمران أو حمر يرتبط بـ(حمران الكوفة) ، وهم بقايا الجيش الفارسي المهزوم ، يقال انهم انشقوا عن الجيش الفارسي في معاركه ضد العرب ، وفي تاريخهم يتكلم ياقوت الحموي في فتوح البلدان عنهم : "حدثني ابو مسعود الكوفي ، عن بعض الكوفيين قال : سمعت مسعر بن كدام تحدث قال : كان مع رستم يوم القادسية أربعة ألاف يسمون جند شاهنشاه فاستأمنوا إن ينزلوا حيث أحبوا ، ويحالفوا من أحبوا ، ويفرض لهم في العطاء ، فأعطوا الذي سألوه ، وحالفوا زهرة ابن حوية السعدي من بنى تميم ، وأنزلهم سعد بحيث اختاروا، وفرض لهم في ألف ألف ، وكان لهم نقيب منهم يقال له ديلم ، فقيل حمراء ديلم ، ثم إن زياداً سير بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم يدعون الفرس ، وسير منهم قوماً إلى البصرة فادخلوا في الأساورة الذين منها ، قال ابو مسعود والعرب تسمي العجم

(الحمراء)،ويقولون جئت من حمراء ديلم كقولهم جئت من جهينة وأشباه ذلك ، قال ابو مسعود وسمعت من يذكر إن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بإزاء الديلم ، فلما غشيهم المسلمون بقزوين اسلموا على مثل ما اسلم عليه اساورة البصرة ، واتوا الكوفة فأقاموا بها . وحدثني المدائني قال كان ابرويز وجه إلى الديلم فتى بأربعة الإلف ، وكانوا خدمه وخاصته ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم فلما قتل وانهزم المجوس اعتزلوا وقالوا ما نحن كهؤلاء ، ولا لنا ملجأ ، وأثرنا عندهم غير جميل والرأي لنا إن ندخل معهم في دينهم ، فنغز بهم فاعتزلوا ، فقال سعد ما لهؤلاء ، فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم فاخبروه بخبرهم وقالوا : ندخل في دينكم ، فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فاسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد وشهدوا فتح جلولاء ، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين"[319] . وحسب جرجي زيدان فإن هؤلاء عرفوا في مدينة الكوفة باسم (الحمراء أو الحمران) ، وفي البصرة باسم (الأساورة)[320] ، حيث إن الأساورة جماعات كبيرة ينتسبون إلى سباه الأساوري ، وكان سباه هذا احد قادة يزدجرد ، وقد رأى هو واصحابه ما تم على أيدي العرب من فتوحات ، ومال اله أمر الفرس من هزائم أمام العرب ، فكتب إلى أبي موسى الاشعري والي البصرة ، يخبره بعزمه وعزم اصحابه على الدخول إلى الإسلام بشروط اشترطها على أبي موسى الاشعري ، الذي رفضها ، لكنه خضع لأمر عمر بن الخطاب فقبلها ورضوا هم ان يقاتلوا عدو الإسلام وان يضمن لهم أبو موسى المساعدة حتى من المسلمين لو اعتدى المسلمون عليهم ، وان يكونوا أحراراً في البصرة وحالفوا بني تميم ، وان الأساورة كانوا جالية سكنت في المناطق الساحلية من الخليج العربي والبحر العربي قبل الإسلام ، ومنهم جماعة اعتنقت الإسلام ، والأساورة جمع أسوار ومعناها في اللغة السنسكريتية (ممتطي الجواد) وكان الأساورة خليطاً من طوائف عدة وشكلت منهم فرقة فرسان في الجيش الساساني وبينهم فرسان هنود ، وكانت مدينة الابلة في البصرة اكبر مركز لتجمعهم ، وكانوا يمارسون الحكم في كثير من الاصقاع ممثلين عن الفرس ، وقد رحب العرب بانضمامهم إلى صفوفهم ، لأنهم قوة عسكرية كانوا بأمس الحاجة لخدماتها ومعونتها ، وقد كون الأساورة في البصرة وحدة يبلغ

---

[319] - البلاذري ، فتوح البلدان ، نفسه المصدر ، ص 393-394 .

[320] - جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مؤسسة الهنداوي ، القاهرة ، 2012 ، ج4 ، ص 34 .

افرادها حوالي الفين وخمسمائة ، وازداد عددهم بما أنضم إليهم من الجنود الساسانيين والأصفهانيين الهاربين ، اما عند سفيان ياسين إبراهيم فان الأساورة هاجروا من سواحل الهند الغربية إلى العديد من مناطق المشرق العربي بعد ان استخدمهم الفرس كمقاتلين في الجيش الساساني[321] ، ولم تكن الأساورة لا تتألف من الفرس والهنود فقط ، بل حتى العنصر التركي ايضاً ، وعلى الرغم من إن الرواية الإسلامية تقول إن الأساورة قاتلوا إلى جانب اياس في معركة ذي قار إلا أننا لا نرى ذلك صحيحاً ، في كونهم لم يشكلوا حلفاً لإياس في تلك الفترة ، وإلا لماذا يحالفون العرب من بني أمية؟؟

ان الاعتقاد الأمثل لذلك هو إن الأساورة ربما هم كانوا يمثلون دور قبيلة إياد في معركة ذي قار ، والذين هم من خانوا إياس اثناء المعركة مع قبيلة بكر بن وائل ، وإلا لماذا يظهرون في البصرة مع العلم انهم كانوا تحت قيادة الجيش الفارسي ، وهناك أمر اخر هو إن صلة القرابة بين الزبير بن العوام زوج اسماء بنت ابو بكر ووالد مصعب وعبد الله بن الزبير ، وحقيقتهم لا تشير إلى كونهم عرب ، بل هم ترك ، كانوا من ضمن الأساورة وحلفاء للعرب الذين قاتلوا اياس ، ولم يكونوا من أتباع الدين الجديد بل كانوا على النصرانية ، حيث ان اسم الزبير هو اسم تركي ولم يكن اسم عربي أبدا ، وهذا ما سيتم شرحه لاحقاً ، ولذا نرى ان الحمراء أو الأساورة هي حليفة للعرب ولبني أمية العرب فيما بعد ، وهذا ما يفسر لنا خروجهم ضد الحسين بن علي في معركة الطف ، وكذلك في كونهم كانوا قادة شرطة عبيد الله بن زياد والي البصرة في عهد الحاكم الأموي يزيد إن معاوية ، وبالعودة لموضوع حمران وعلاقته بعثمان ، فإنه ليس من المعقول إن يكون لعثمان بن عفان ابن اسمه (ابان بن عثمان بن عفان) .

اما بالنسبة لشخصية علي ابن أبي طالب ، فتكلمنا عنها مسبقاً في هذا الفصل ، وذكرنا إنه هو نفسه النبي محمد وهو نفسه اياس بن قبيصة الطائي ملك الحيرة ، وذكرنا عدة دلائل تؤكد ذلك بالاعتماد على الروايات والبحوث وبالاعتماد على القرآن نفسه ، ولكن ربما يعتقد البعض إن هذا لا يكفي للقول بأن محمد هو نفسه علي ، وان البعض يحتاج لمعرفة المزيد حتى يستطيع إن يصل لدرجة الإقناع ، وهذا الشيء مؤكد ، لذلك سنعرض

---

[321] - سفيان ياسين ابراهيم ، الهند في المصادر البلدانية ، دار المعتز ، ط1 ، 2017 ، ص 43 .

عملتين نادرتين تعودان لفترة خلافة علي ابن أبي طالب تؤكدان ما نتجه نحن إليه ، حيث ان هاتين العملتين ضربتا باسم النبي محمد!! إي ان العملة في خلافة علي ابن أبي طالب كانت تضرب باسم النبي محمد ، وهذا ما يؤكد لنا ان علي والنبي محمد هم شخصية واحدة :

العملة الأولى (الشكل رقم (39)[322] :



الشكل رقم (39)

شرح العملة :

عملة ساسانية عربية ضربت عام 659م (38-39 هـ)

مدينة الضرب : كرمان (ايران)

هذه العملة ضربت في فترة خلافة علي ابن أبي طالب ، يظهر على العملة اسم محمد مرتين على وجه العملة ، مرة في الوسط في محل اسم الحاكم الساساني في وسط الوجه الأمامي للعملة ، وكتب الاسم بالفهلوية بصيغة (mhmt) ، وهذا ما يعني إن من يحكم في تلك الفترة هو النبي محمد (علي/اياس) ، ومرة أخرى يظهر في الهامش ، ولكن هذه المرة كتب بالعربية (محمد) ، حيث تعتبر هذه العملة هي أول عملة يظهر عليها اسم النبي محمد .

---

322 - Karl-Heinz Ohlig, Gerd-R. Puin. Die dunklen Anfänge: neue Forschungen zur Entstehung und frühen Geschichte des Islam. P.66 .

العملة الثانية [323] :



الشكل رقم (40) شكل توضيحي لعملة ظهر بها اسم محمد كاسم حاكم

شرح العملة :

ثاني عملة إسلامية تحمل اسم النبي محمد

ضربت في عام 40 هجرية (659م – 660م)

دار الضرب : زرنج (افغانستان)

يظهر اسم النبي محمد مكتوب بالفهلوية في وجهة العملة محل اسم الملوك الساسانيين بصيغة (محمت).

وفي ظهر العملة في الهامش تظهر كلمة (بركة) مكتوبة بالعربية .

إن هاتين العملتين هي دليل مهم على كون ان النبي محمد كان على قيد الحياة إلى عام 660م ، وان ضرب العملة باسمه هو دليل مهم على كونه كان يحكم تلك المناطق وهو نفسه علي ، اما بالنسبة لكلمة (بركة) التي جاءت كتقليد وعادة عرف بها أهل الحيرة قبل الاسلام وبعده وخاصة (النصارى) منهم ، حيث ظهرت كلمة (بركة) بالخط الكوفي القديم في العملات الساسانية العربية ، وفي لوح رخامي عثر عليه مؤخراً في الحيرة ، وأشار اغلب الباحثين إلى ان العملات الساسانية العربية التي ظهرت عليها كلمة (بركة) قد ضربت في فترة الإسلام المبكر بالتحديد في فترة عثمان بن عفان وخاصة العملات التي ضربت في العراق ،

---

323 - John Walker. A Catalogue of the Arab-Sassnian Coins. Britisch Museum London. 1941. P. 124

وتعتبر هي أول الإشارات لتعريب العملة من الفهلوية الفارسية إلى العربية ، في حين ان البعثات التنقيبية في الحيرة عثرت على اللوح المذكور أعلاه في الحيرة (الشكل رقم 41) والتي كانت تابعة للإدارة الساسانية الفارسية ومن تاريخ مقارب لتاريخ العملة الساسانية المذكورة، وهذا اللوح احتوى ايضاً على كلمة (بركة) وهي من جملة نص عربي دون بالخط الكوفي القديم وكما يلي :" بركة من "+(علامة صليب) الله ، او يمكن كتابته كما يلي : بركة من + الله" ثم في النص الاخر من اللوح كتب : " غفر الله لعبد المسيح"[324] .



الشكل رقم (41)

وهذا اللوح رخامي عثر عليه في الحيرة ، ويحتوي على كلمة (بركة) والصليب في الجملة الأولى رسم بطريقة توحي انه جسد على هيأة بشرية تجاوزت الطابع المعتاد في شكل الصلبان عندما جعل لكل طرف من أطرافه شعبتان متوازيتان كأنما الناظر إليها يشعر بأنها

[324] - نصير الكعبي ، لوح الكتابة المسيحية – العربية ، مجلة الكوفة ، السنة 3 ، العدد 1 ، 2014 .

تمثل أطراف الإنسان العليا والسفلى ، ويناقش الدكتور نصير الكعبي في بحث نشر له في مجلة الكوفة الجامعية إشكالية كلمة (بركة) في اللوح المذكور ويشير إلى ان لهذه اللفظة دلالة في المجال الديني وان لها تاريخ طويل من الاستعمالات والدلالات اللاهوتية والتقوية في الفكر الديني المسيحي ، تتعدى حدودها الإنجيل إلى التوراة ، ويبدو انها لازمة من لوزام المتعمدين او الاتقياء في المسيحية ، فللبركة حضور مميز في الثقافة الشعبية والنخبوية والدينية ، تتعمق أهميتها لكونها تمثل اخر حركة مرئية للسيد المسيح على الأرض ، عندما رفع يده مودعاً بركته للكنيسة بحسب الاعتقاد المسيحي ، وتحمل البركة معاني عديدة في الكتاب المقدس فهي بمعنى الهدية من إنسان إلى اخر ، او انها تأتي في إطار ديني تكون ممنوحة من قبل الله للمحتاجين ، ليس على المستوى المادي فقط وإنما الروحي ايضاً ، وهناك بركات تصدر من الإباء او رحالات الدين ولاسيما في أوقات رحيلهم ، فهم يستمطرون على أتباعهم وابنائهم شابيب الرحمة والقوة والخصوبة ، وهناك نوع من البركة مختص بيسوع ، فهو بعد الرب مصدر الحياة ، ولديه القدر على ان يبارك وبركته فعالة اكثر من إي بركة أخرى ، ففي الإنجيل تلتقي حركتا البركة والنعمة التي تنزل والشكر الذي يتصاعد في يسوع ، فليس من شيء يجاري هذه البركة .

ويبدو ان كلمة (بركة) الواردة في اللوح يشملها المعنى الأخير لوجود قرينة رمزية وهي الصليب ، فالعبارة تعني من وجهة أخرى (بركة من مسيح الله) وهي بهذا المعنى تقترب كثيراً من اصطلاح (افخارستيا) والذي يعني (البركة والشكر) وهي تحيل إلى العمل الذي أسسه يسوع عشية صلبه ، كما انها تعبر عن حمد لعجائب الله بل عن شكره على الخير الذي يحصل عليه البشر من العجائب ، فبهذا الحاسم أسبغ يسوع على أطعمة بسيطة القيمة الأبدية القائمة على موته الفدائي ، وهو عمل يعد قوام الدين وجوه تدبيره ألخلاصي ، ففي تقديم يسوع نفسه الذي تحول إلى الافحارستيا إنما تحقق الإنسانية كلها ، ومعها الكون الذي يحيط بها عودتها إلى الأب ، وفي الحقيقة فأنه عن طريق الافخارستيا تتوثق الصلة بين يسوع وبين المؤمن ، ويكون ذلك طريقاً للعبور من العالم القديم إلى العالم الجديد الذي سلكه يسوع[325] .

---

[325] - نصير الكعبي ، لوح الكتابة المسيحية – العربية ، مجلة الكوفة ، السنة 3 ، العدد 1 ، 2014 .



الشكل رقم (42) لعملتين من عامين مختلفين يحملان كلمة (البركة)

إن الإشارة الأخرى لكون إن (النبي محمد/علي/اياس) هم شخصية واحدة ، هي رسالة نقلها المؤرخ الأرميني ليفون عن الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث والتي أرسلها إلى الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز ، يخبره إن القرآن هو من كتابات ابو تراب وسلمان الفارسي ، وهذه إشارة إلى كون إن (علي/اياس) لهم علاقة مباشرة بكتاب القران كعلاقة النبي محمد بالقران ، حيث جاء في الرواية : " لقد كان (يا عمر) أبو تراب وسلمان الفارسي هم من ألفوا هذا الفرقان ، على الرغم من الشائعات السائدة بينكم ان الرب قد أنزله من السماء ... وبالنسبة لكتابك فلقد أكدتم لنا بالفعل إنه مزيف والجميع يعرف ما فعله الحجاج ، الذي وليته أنت حاكم على فارس ، إن لديه رجال يجمعون كتبك القديمة ويستبدلونها بأخرى ، قد ألفها بنفسه وفقاً لهواه ونشرها في جميع أنحاء دولتك ، وكان من السهل القيام بمثل

هذه المهمة بين أناس يتحدثون لغة واحدة ، ورغم هذا التدمير الذي قام به (الحجاج) ، نجا بعض من ألأعمال القليلة لأبو تراب ، لأن الحجاج لا يمكنه أن يجعلها تختفي تماماً "[326] .

الفتوحات العربية المبكرة في الروايات غير العربية.

ان إشكالية هذه الفتوحات تكمن في ان الروايات الإسلامية تتغنى في فتوحات العراق، ولكن في الحقيقة هناك إشكالية كبيرة في هذه الفتوحات بالتحديد ، حيث ان الرواية الإسلامية وكما ذكرنا في الفصل الأول تعتبر ان مدن الكوفة والبصرة هي مدن أنشأت بعد دخول الإسلام للعراق ، غير ان هذه الرواية غير صحيحة لأن المصادر السريانية كانت قد ذكرت مدينة اسمها (عاقولا) قبل الإسلام ، وعاقولا هي الكوفة في تلك المصادر ، وعاقولا نسبة إلى العاقول وهو نبات ترعاه الإبل ، وكان الناس منهم يقول عن هذا الموضوع عاقولا ومنهم من يقول كوبا ، وبين (كوبا دملا) بالسريانية وبين عاقول تشابه في الأصول[327] ، وينقل فؤاد يوسف قزانجي عن الشيخ جعفر ال محبوبة إن الكوفة كان يقال لها عاقولا ، وعن التاريخ السعردي لمؤلف سرياني مجهول ان الكوفة كانت تسمى عاقولا ، وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية الذي نشره بطرس عزيز ان الكوفة كان يقال لها كوبا إي الشوكة ، وفي دليل الراغبين إن كوبا بمعنى عاقول[328] ، ويعتقد ان الملك البرثي ولكش الأول الذي عاش في القرن الأول الميلادي هو من انشأ مدينة (عاقولا)[329] ، ويضيف فؤاد يوسف نقلاً عن الباحث أديب أنور قائلاً : كان في الكوفة أسقفان احدهما نسطوري والاخر يعقوبي ، وكان يسكنان في دار الروم لأن نصارى الكوفة يسمونها عاقولا بالسريانية[330] ، اضافة إلى ذلك ورد ذكر الكوفة في رواية مؤرخ سرياني مجهول من خوزستان في ايران الغربية ، حيث ذكر اسم الكوفة بصيغة (اكولا) في روايته عن فتح العرب لمدينة قطيسفون[331] ، وعلى الرغم من ان الرواية العربية تضع إنشاء الكوفة بعد فتح المدائن (قطيسفون) إلا ان هذه الرواية تؤكد ان الكوفة

---

[326] - Arthur Jeffery, Ghevond's Text Of The Correspondence Between 'Umar II and Leo III, 1944, Harvard Theological Review, Harvard University Press, Cambridge, Mass., p. 298.

[327] - فؤاد يوسف قزانجي ، اصول الثقافة السريانية في بلاد ما بين النهرين ، دار دجلة ، بغداد ، 2010 ، ص 83 .

[328] - فؤاد يوسف قزانجي ، نفس المصدر ، ص 83 .

[329] - فؤاد يوسف قزانجي ، نفس المصدر ، ص 82 .

[330] فؤاد يوسف قزانجي ، نفس المصدر ، ص 82 .

[331] - راجع الصفحة 50 من هذا الفصل .

هي المدينة التي انطلقت منها الفتوحات إلى ايران ، كذلك عثر في الكوفة على بقايا أديرة نصرانية ، وهذا ما فتح المجال لأكثر الباحثين بالقول إلى ان الكوفة أنشأت على مدينة عاقولا، إلا إننا نتفق مع ما قيل ونرى إن عاقولا هي نفسها الكوفة ولم يحدث بها إي تغيير، بل ان قصة الإسلام وتبديل موطن نشأته اجبرا الرواة العرب على القول إن الكوفة هي مدينة حديثة . ونعيد ذكر رواية مؤرخ خوزستان عن فتح العرب لقطيسفون من اجل توضيح الموضوع بشكل اكبر: "رفع الله ضدهم ابناء إسماعيل وعددهم كالرمل على شاطئ البحر، وكان زعيمهم يدعى مدابرانا محمد (mhmd) ، لا جدران ولا بوابات ولا دروع صمدت امامهم ، وسيطروا على كامل ارض الفرس ، ارسل يزدجرد ضدهم عدد لا يحصى من الجنود ، ولكن العرب واجهوهم جميعاً وقتلوا رستم ، اغلق يزدجرد نفسه في جدران ماهوز (قطيسفون او المدائن جنوب شرق بغداد) ، وهرب إلى بيت هوزاي ومونـاي ، حيث انهى حياته ، لقد سيطر العرب على ماهوز وجميع الاراضي ، كما جاءوا إلى الاراضي البيزنطية ونهبوا ودمروا المنطقة السورية باكملها ، هرقل الملك البيزنطي بعث جيوش ضدهم ، ولكن العرب قتلوا اكثر من 100000 منهم ، وعندما رأى الكاثوليك ايشوعياب إن مدينة ماهوز قد دمرت من قبل العرب وإنهم نقلوا بوابتها إلى اكولا (الكوفة) وإن أولئك بقوا الذين بقوا كانوا يهدرون من الجوع ، غادر وأقام في بيت كرمي في بلدة كركا (كركوك في العراق) " .

إن هذه الرواية تشير بشكل مباشر إلى ان معركة فتح المدائن حدثت ومدينة الكوفة كانت موجودة ، لأن الرواية الإسلامية الحالية تقول ان العرب فتحوا المدائن سنة 16هـ وان الكوفة أنشأت سنة 17هـ ، وهذا يعني ان الكوفة كانت منطلق تلك الفتوحات على بلاد فارس وبلاد الشام ، مع العلم لا يمكن اعتبار ان قطيسفون وما يحيطها من مدن هي مدن فارسية ، لأنه حتى في اقوي وأفضل فترات الدولة الساسانية في العراق كانت تلك المدن ذات أغلبية آرامية وذات ثقافة آرامية وإلا لماذا انتشرت النسطورية في العمق الفارسي وكيف اصبحت اللغة الآرامية هي لغة جميع سكان تلك المناطق ، حيث كانت أراضي العراق هي مصدر الدخل القومي للدولة الساسانية كما كانت مصر بالنسبة لبيزنطة .

اضافة الى ذلك ان الإشكالية الأكبر في فتوحات العرب لايران هي ضعف التدوين الفارسي في مرحلة ما قبل الإسلام وبعده او ما يشبه بالصمت الفارسي عن تلك الاحداث ، فثمة شح في المصادر التاريخية الفارسية والمكتوب منها بالخصوص ، وهذه الحالة امتدت ما

يزيد عن 200 عام أطلق عليها المؤرخ الإيراني المعاصر (عبد الحسين زارينكوب) تسمية (قرنان من السكوت) ، او (دو قرن سكوت) بالفارسية ، حيث لم ينته الصمت الفارسي إلا مع بداية تدوين الأدب المتراكم في الذاكرة الشعبية والمحفوظ شفهياً الذي وصل ذروته مع الفردوسي وتحفته (الشهنامة) التي وان كانت لا تندرج في إطار المراجع التاريخية بالمعنى الصارم للكلمة ، إلا انها تعطي صورة واضحة عن وجهة نظر شرائح واسعة من الإيرانيين حيال العرب والترك، وأحوال ايران في ظل الإسلام ، خصوصاً في الجزء الذي يتناول فيه (الملوك الجدد) من الأسرة الساسانية[332] .

وللحديث اكثر عن الصدام الفارسي العربي في العراق ، يتحدث المؤرخ السرياني ميخائيل الكبير عن عسكرة العرب في مدينة عاقولا ، وجمع يزدجرد ملك الفرس جيشاً وأرساله لملاقاة العرب ، وعسكرتهم على ساحل الفرات بالقرب من عاقولا ، بعد ان برسل لهم جاسوساً من الحيرة ، لكن بروك يشير إلى ان صورة الجاسوس الذي يلتقي جندياً من الأعداء مأخوذة من قصة لقاء هوميروس مع صياديين اركاديين ، لكن هوميروس لم ينجح في فك طلاسم اللغز بخلاف ما فعله جاسوس الحيرة[333] ، وهذا يعني ان القصة أسطورة وربما من اختراع ميخائيل نفسه ، :" ارسل الفرس احد ابناء الحيرة ليتجسس عليهم (على العرب)، ولما اقترب منهم فكر في نفسه وقال : سأعرف من جواب من يلاقيني أولا لمن سيكون النصر ، فصادف بدوياً جالساً يتغوط ويأكل خبزاً ويفلي قميصه ن فكلم الحيري البدوي قائلاً: ماذا تفعل؟ فاجاب : كما ترى فإني ادخل جديداً واخرج عتيقاً واقتل اعدائي ، فتألم الحيري وقال في نفسه : ان شعباً جديداً سيدخل ، ويخرج الشعب القديم ويقتل الفرس ، فعاد وقص الأمر على الفرس وقال : لقد وجدتم شعباً حافياً وعارياً وضعيفاً ، لكنهم شجعان، وكشف للقائد ما رآه وما فكر فيه ، ولما التقى الجيشان هزم الفرس فطاردهم حتى قطيسفون على دجلة وهرب "[334] .

وحشد الفرس قواتهم لخوض معركة فاصلة مع العرب ، حيث تم جمع الجيوش الفارسية من كافة أنحاء البلاد ، وفي عام 642م اصطدم الجيشان في معركة نهاوند قرب

---

[332] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 138 .

[333] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 143 .

[334] - تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، نفس المصدر ، ص 315 .

مدينة همدان الحالية ، وانتصر العرب مرة ثانية وانتهت المقاومة الفارسية وحلت محلها سلسلة من اشتباكات أقل أهمية ، اضافة إلى عدد من المعاهدات مع الحكام المحليين[335] ، ويتحدث مصدر زرادشتي ان العرب احرقوا ونهبوا بيوت البسطاء واملاك السادة اثناء تقدمهم ، في حين ان العديد من الروايات الأخرى لا تتحدث عن دمار واسع ألحقه العرب اثناء الفتوحات ، ويوضح باحث ايراني معاصر ان أكثرية المواقع التي تعرضت إلى الدمار هي مراكز عسكرية هاجمها العرب للاستيلاء عليها في حين ان التجمعات السكنية والتي كانت تضم عائلات الموظفين الفرس كانت تقع في ضواحي المراكز تلك[336] .

وفي رواية المؤرخ الأرميني سيبيوس عن تلك الفترة ، يذكر المرحلة التي بها ضعفت الدولة الساسانية وانقسامها إلى ثلاثة أقسام ، ومحاولة الفرس مقاومة العرب ، غير انهم لم يستطيعوا ذلك :" في تلك الفترة مملكة ايران اصبحت ضعيفة ، جيشهم كان منقسم إلى ثلاثة أقسام ، عندها تجمعت قوات الاسماعيليين في الشرق ، وحاصروا قطيسفون ، حيث يقيم ملك ايران هناك ، قوات من ارض ميديا ، تجمع حوالي 80000 مسلح تحت قيادة رستم وعارضوا العرب في معركة ، بعدها ترك العرب المدينة وعبروا إلى الجانب الاخر من نهر دجلة ، كذلك عبر الإيرانيون النهر ولحقوا بهم ، ولم يتوقفوا حتى وصل حدودهم في قرية تسمى (Hertichan) ، واستمروا في اللحاق بهم ، ثم توجهوا وخيموا في سهل ، كان الحاضرون موشيه واميكونيان ابن داويت قائد ارمينيا مع 30000 رجل مسلح ، وأيضا الأمير غريغور سيد سيونيك مع 1000 رجل ، الإيرانيون والعرب هاجم بعضهم بعضاً ، فهربت القوات الإيرانية ، ولكن العرب لحقوا بهم ، وقتلوهم بالسيف ، وقتل جميع القادة الرئيسيين وكذلك القائد رستم ن وقتلوا موشيج واثنان من ابناء أخته ، كذلك غريغور سيد سيونيك مع أبنه ، بعض القوات الإيرانية هربت وتوجهت إلى أرضهم ، بقية القوات الإيرانية تجمعت في أذربيجان في مكان واحد وجعلوا (Xorhoxazat) قائداً عليهم ، بعدها أسرعوا إلى قطيسفون واخذوا خزينة المدينة ، سكان المدينة وملكهم ثم سارعوا بالعودة إلى أذربيجان ، ولكن بمجرد ان غادروا جاء الجيش الاسماعيلي بشكل غير متوقع عليهم ، وانتابهم الرعب ،

---

[335] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، 143 .

[336] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، 143 .

فتخلوا عن الخزينة وسكان المدينة ، وهربوا ، وهرب ملكهم ايضاً ليلتقوا بالقوات الجنوبية ، واخذ العرب الخزينة وسكان المدن وعادوا إلى قطيسفون ، ونهبوا البلد بأكمله "[337] .

وتقدم سجلات سلالة تانغ (Tang) التي حكمت الصين بين القرنين السابع والتاسع مادة غنية عن التحركات العربية على الجبهات الشرقية ، مع العلم ان أكثرية هذه السجلات لم تخضع للتدقيق النقدي وللمقارنة اللازمة مع المعلومات الواردة من المصادر الأخرى ، لكنها تقدم نظرة إلى أحداث ايران من زاوية مختلفة جداً عن السرديات المعروفة وتضع انهيار الدولة الساسانية في مسار الحروب التي كانت تخوضها ضد الغزاة الأتراك الآتين من الشرق والذين شكلوا عدواً مشتركاً للصين ولإيران في الفترة السابقة من حكم العرب[338] ، وتشير تلك السجلات إلى إنه في نهاية حقبة سلالة سوي (Soei) (581م – 618م) اجتاح خاقان الترك والذين تسميهم المصادر الصينية (تو-كيو)(Tou-kiue) تشي-هو (جابغو)(Che-hou – Jabgou) لايران ودمروها ، وقتل الملك كو-سا-هو (Kou-sa-ho) خسرو الثاني الذي قتله ابنه شيرويه ، والذين حكم باسم قباذ بحسب المصادر المختلفة ، وتولى ابنه تشي-لي (Che-li) (شيرويه) العرش ، وبعد موت تشي-لي لم يعد الفرس يريدون إن يكونوا أتباعا للترك ، فاستولوا على العرش وأعلنوا ابنة (كو-سا-هو) ملكة (بوراندخت) ، فقتلها الترك كذلك ، وكان ابن تشي لي (شيروي) لاجئاً في تلك الأثناء في بلاد فو-لين (Fou-lin) (سوريا) ، وذهب إليه أناس من المملكة واتوا به وأجلسوه على العرش ، وكان هذا (إي-تا-تشي)(اردشير الثالث)، وبموته استولى على السلطة (إي-سي-سي)(I-se-se)(يزجرد الثالث) ، وفي العام الثاني عشر من (دورة) تشنغ-كوان (Tcheng-koan) (عام 638م) ارسل السفير مو-سا-بان (Mo-sa-pan) لتقديم الاحترام إلى البلاط الامبراطوري الصيني وجلب الجزية ، وحمل معه ايضاً حيوان (جو-تو) (Jou-to) حياً ، ولهذا الحيوان شكل جرذ ولونه اخضر زاهٍ ، ويبلغ طوله تسع بوصات ، ويجيد سحب الجرذان من جحورها ، ولم يدم حكم إي-سي-سي (يزدجرد الثالث) طويلاً ، وطرده كبار رجال البلاط ، وهرب إلى تو-هو-لو (Tou-ho-lo) (طخارستان) ، ولكن في منتصف الطريق هاجمه التا-شي (Ta-che) (الطائيون) وقتلوه[339] .

---

[337] - Sebeos. Sebeos' History. chapter 30 .

[338] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 144 .

[339] غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 144 - 145 .

وعلى الرغم من ان هذه الرواية تقدم تسلسل جيد للملوك الساسانيين من السلالة الساسانية إلا ان بعض الاحداث غير صحيحة ، لأن مقتل خسرو الثاني وجلوس ابنه شيرويه محله جاء في إطار هزيمة الفرس في حربهم مع بيزنطة ، بحسب ما تجمع عليه المصادر الأخرى ، ولكن بالمقابل لا يمكن ان ننكر إن الفرس قد خاضوا حروباً ضد الترك ، وكذلك لا يمكن إن ننكر دور الترك في حلفهم مع بيزنطة ضد الفرس في الحرب الفارسية البيزنطية ، ولكن بالمقابل لا يمكن لنا ان نفهم من هذه الرواية سبب وجود يزدجرد في سوريا التي كانت في تلك الفترة بيد بيزنطة بعد ان انسحب الفرس منها ، بل إنه كان في تلك الفترة في مدينة اصطخر ، ولعل إحدى الفرضيات لتوضيح تلك الرواية هو إن المؤرخين الصينيين قد خلطوا في ظروف الاقتتال بين الأمراء الساسانيين إي بين مجيء يزدجرد من سوريا وعودة الجنرال شهرباراز الذي كان موجود في سوريا بعد مقتل خسرو الثاني ، والذي استولى على العاصمة قطيسفون بعد مقتل شيرويه ، اضافة إلى ذلك ان أحداث مقتل يزدجرد الثالث تقدم هذه الرواية بشكل عابر ، حيث إنه تعرض للقتل على أيدي مجموعة من الطائيين بعدما ذهب إلى المناطق الشرقية للإمبراطورية الساسانية إلى طخارستان بعد ان طرده رجال البلاط من منصبه[340] ، ولو كانت هذه الرواية صحيحة فكيف يهرب يزدجرد الثالث إلى منطقة قريبة من النفوذ التركي وخاصة ان الترك هم من دمروا دولتهم حسب تلك الرواية؟؟ وعلى ما يبدو ان هذه الرواية كانت قد اهملت فترة حكم الجنرال شهرباراز في قطيسفون قبل إن تقتله المعارضة الفارسية .

وفي الفصول الستة الاخيرة من (البونداهيشن) (Bundahishan) او كتاب الخلق ، والتي يعتقد انها أضيفت إلى المتن مراجعة لتاريخ السلالة الكيانية ، يحمل الفصل الثالث والثلاثين عنواناً وهو (عن الأهوال التي أصابت ايران ألفية بعد ألفية) ، ويعتقد ان أقدم نسخة منه تعود إلى أواخر القرن السابع ، بينما النسخة المحدثة تعود إلى القرن التاسع الميلادي ، ويحتوي على المقطع التالي :"عندما انتقلت السيادة إلى يزدجرد ، حكم عشرين عاماً ، ثم دخل العرب لايران بأعداد عظيمة ، لم تحداهم يزدجرد في معركة ، بل رحل إلى خراسان وتركستان وطلب المساعدة بالخيل والرجال ، وقتلوه هناك ، ومضى ابن يزدجرد إلى

---

[340] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 145 .

الهند وجلب جيشاً وجنداً ، ولقي مصرعه قبل الوصول إلى خراسان ، ودمر الجيش والجند وبقيت ايران مع العرب ، ونشروا ناموسهم ودينهم ، وحلوا الروابط التي أنشأها القدماء واضعفوا الدين المزدي ، وادخلوا غسيل المادة الملوثة ودفنها واكلها ، ومنذ بداية الخليقة حتى اليوم هذا ما حل شراً أسوء من ذلك (الذي جاءوا به) وبسبب أفعالهم الشريرة اتخذ الحزن والكرب والنواح منازل (في ايران) ، وبسبب ناموسه لأشوه وايماتهم الإثم حل الوباء والفاقة وغيرهما من الشرير، وقد قيل في الدين القويم ان النهاية ستحل بحكمهم الملعون"[341] .

وبالخلاصة عن فتح العراق وإيران ، فنحن لا نملك إي رواية عن فتح مناطق الكوفة والبصرة وعين التمر على الرغم من انها مدن كانت موجودة ، وبالمقابل نملك فقط روايات عن فتح المدائن والاجزء الشمالية من العراق وكذلك فتوحات الأجزاء الشرقية منه في الدولة الساسانية والأجزاء الغربية منه في بلاد الشام ، وهذا يعني إن تلك المناطق في العراق تملك الأرجحية لتكون المناطق التي انطلقت منها الفتوحات إلى ايران وبلاد الشام ، وما يؤكد ذلك هي رواية من تاريخ فريدغر عن الفتوحات العربية والتي تعود لمنتصف القرن السابع الميلادي ، حيث ان تاريخ فريدغر يعد مصدراً اولي لتاريخ الإمبراطورية الكارولنجية في بلاد الغال ، وان بلاد الغال هو الاسم الروماني بلاد شمال إيطاليا وفرنسا وبلجيكا ، وجاء في تلك الرواية :"الهاجريون والذين يطلق عليهم ايضاً (السراسنة) ... الناس المختونين الذين عاشوا فترة من الزمن أسفل بلاد القوقاز على ضفاف بحر قزوين في بلد يعرف باسم اركوليا (العراق) ، ازدادت اعدادهم ، حملوا السلاح اخيراً والقوا انفسهم على مقاطعات الإمبراطور هرقل الذي ارسل جيش للاحتفاظ بالمقاطعات ، وفي المعركة التي تلت ذلك كان السراسنة المنتصرين وقطعوا المهزوم إلى أشلاء ، ويقال ان السراسنة قتلوا في هذه المعركة اكثر من 150,000 رجل ، ثم أرسلوا نائباً إلى هرقل مع عرض ان يرسل لهم غنائم المعركة ، لكنه لم يقبل شيئاً بسبب رغبته في الانتقام من السراسنة "[342] .

---

[341] - غازي عيتاني ، نفس المصدر، ص 148 .

[342] - Robert G. Hoyland. Ibid. P. 246.

ان هذه الرواية تشير إلى بلد يدعى (اركوليا) انطلق منها الهاجريون في فتوحاتهم في بلاد الشام ، وربما بسبب بعد المسافة والزمن بين مؤرخ النص وبين الاحداث قال انها تقع جنوب القوقاز ، وعلى الرغم من ان العراق يقع اليوم جنوب القوقاز جغرافياً ، إلا إن هناك شك حول تعبيره الذين يصف اركوليا على ضفاف بحر قزوين ، وعلى الرغم من ذلك فالعراق تاريخياً كان اقليم تابع للدولة الساسانية ، قبل الإسلام ، وكان أوسع من العراق الحالي لأن بعض أجزاءه اليوم تابعة إدارياً لايران من الشرق ، اما من الغرب فبعض أجزاءه تقع اليوم في سوريا .

حيث اختلفت أراء الباحثين حول مصدر تسمية العراق ، بعضهم من قال انه اسم فارسي ويعني الاراضي المنخفضة ، وآخرين قالوا انه اسم قديم نسبة إلى مدينة اوروك السومرية التي تعني (المستوطن) ، ومنهم من قال انه اسم عربي ويعني شاطئ البحر ، غير إن الأقرب للحقيقة هو إن اسم العراق شاع في العهد الساساني من تأثيرات عراقية قديمة ، ولذلك يمكن ان نوفق بين كونه من أصل عراقي قديم ولكنه شاع على عموم تلك البلاد خلال العهد الساساني ، ولذلك من الخطأ الاعتقاد ان مدينة اوروك او بالأحرى كل المدن السومرية كانت قد خلت من سكانها السومريين ، وفي الحقيقة هي ان الزعامة السياسية للسومريين وذهبت للبابليين ، وهذا لا يعني ان مدن سومر كانت قد خلت من سكانها الاصلاء مثل اوروك ونيبور واريدو وغيرها ، بل بقيت مدن مسكونة .

وفي القرن الثاني قبل الميلاد استطاع البارثيين من السيطرة على بلاد الرافدين بعد حروب مع السلوقيين ، وتبنوا ثقافة بلاد الرافدين في تلك الفترة فاشتقوا خطهم الفهلوي من الخط الارامي وجعلوا من المعابد الهيلينستية كمعابد لهم مثل معبد كاريوس (الشكل رقم 42) في مدينة اوروك الذي يعتقد انه انشأ في الفترة السلوقية على العراق ، واتخذوا من مدينة سلوقية عاصمة لهم قبل ان يبنوا مدينة قطيسفون (المدائن) بالقرب من سلوقية .

في تلك الفترة جعل البارثيين من مدينة اوروك مركز ديني مهم لديهم ، فعبدوا الاله كاريوس فيها ، وعلى ما يبدو انهم صحفوا تسمية اوروك إلى (اراك) (عراق) والتي تعني عندهم (الاراضي المنخفضة) ، وما يؤكد ذلك هو ان تسمية عراق كانت تشمل اوروك ايضاً وهي ارض منخفضة ، والاهم من ذلك هو استمرار العوائل الارستقراطية البارثية بالعيش في

سواد العراق قبل الاسلام مثل عائلة النبي ماني وعائلة القائد البارثي فستام المقرب من خسرو الثاني .

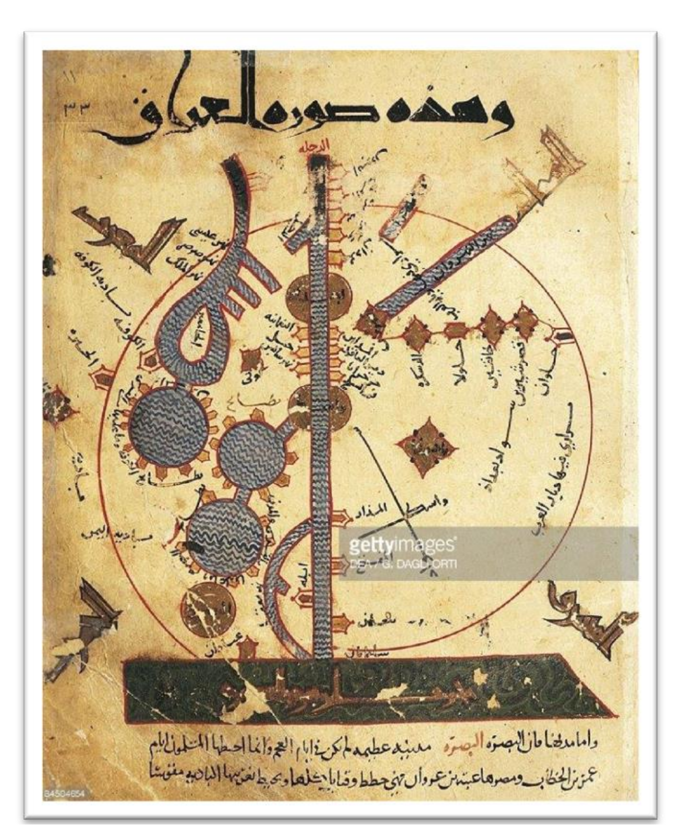


الشكل رقم (43) معبد الاله البرثي (كاريوس) في مدينة اوروك جنوب العراق

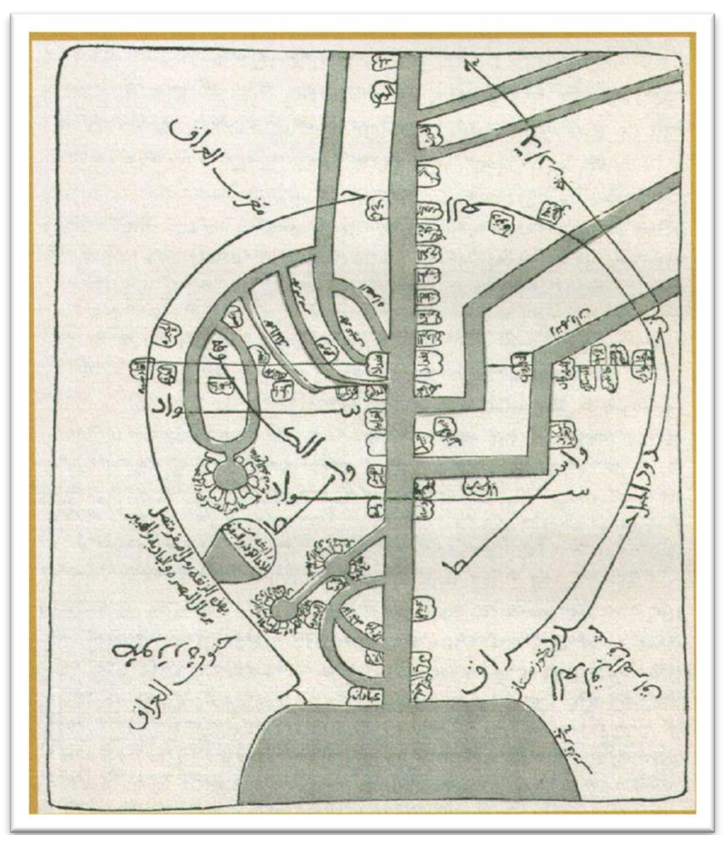
اما عند مار افرام السرياني في تعليقه على سفر التكوين في القرن الرابع :
"ان نمرود حكم (ارك) التي هي اورهي"[343] . وإنه يقصد بـ(اورهي) هي مدينة (الرها) ، غير إن الإشكالية التي وضعها أباء الكنيسة هو انهم نقلوا اسماء مدن العراق إلى جنوب تركيا ، ومنهم مار افرام ، فعلى الرغم من ان التوراة بنصوص صريحة تذكر ان نمرود كان من منطقة ما من العراق ، إلا ان الأتراك وآباء الكنيسة يقولون انه من الرها ، ولذلك فإن المقصود باسم (ارك) هو العراق او اوروك السومرية ، اما اورهي فهي مدينة اور السومرية ، ومثلما معروف لنا إن مدينة اور هي مدينة تاريخية قديمة يرجع عهدها إلى عهد السومريين ، ولذلك فأن اسم مدينة (اورهي ، الرها) جاء من تسمية مدينة (اور السومرية) ، ولهذا فأن العراق تاريخياً حدوده مابين الموصل شمالاً إلى عبادان جنوباً ، ومن الانبار والجزيرة الفراتية في الشمال الغربي إلى حلوان في الشرق ، ففي خريطة قديمة للاصطخري ولابن حوقل (الشكل رقم 44 ، 45) في القرن العاشر الميلادي ، فإنهم يضعون حلوان وقصر شيرين ضمن حدود العراق .

---

[343] - ج.ب. سيغال ، الرها المدينة المباركة ، ترجمة : يوسف ابراهيم جبرا ، دار الرها ، حلب ، ط1 ، 1988 ، ص 3 .



الشكل رقم (44) صورة العراق للاصطخري



الشكل رقم (45) صورة العراق لابن حوقل

ولـذلك إن الفتوحـات العربيـة إلى بـلاد الشـام كانـت قـد انطلقـت مـن العـراق ، واول رواية تكلمت عن تلك الفتوحات خارج المصادر الإسلامية هي رواية القسيس توما عام 640م، والـذي كتبها وهـو يتحـدث عـن احـداث عـام 634م ، وكمـا ذكرناهـا سـابقاً : " في عـام 635م ، قـام العـرب بغـزو سـوريا كلهـا وذهبـوا إلى بـلاد فـارس وقـاموا بغزوهـا ايضـاً ، وقـد صعـد العـرب جبل ماردين وقتلوا العديد من الرهبان هناك في أديرة قيدر وبناتا ، توفي هناك الرجل المبارك شـمعون ، حـارس القيـدر شـقيق تومـاس الكـاهن "[344] . وفي روايـة مـن نفـس المصـدر ذكرناهـا سـابقاً : "في سـنة 945 ، الـدورة السـبعة ، يـوم الجمعـة الرابـع مـن شـباط / فبراير عـام 634م عنـد السـاعة التاسـعة ، وقعـت معركـة بـين الرومـان وبـين (طيـايي د – مهمـت) (-Tayaye d Mhmt) (عرب محمد او طائي محمد) ، فـر الرومـان هـاربين ، تـاركين وراءهـم البطـريق بريردن

[344] - Robert G. Hoyland. Ibid. P. 119 .

(Bryrdn) الذي قتله العرب ، وقتل ايضاً حوالي 4000 قوي فقير من المسيحيين واليهود والسامريين ، لقد دمر العرب الناحية برمتها "[345] . وكذلك جاء في مخطوطة سريانية من القرن السادس الميلادي أضيف عليها بعض الإدخالات ، وهذه تحتوي على إنجيلين لتوما ومارك ، ان الإدخالات على هذه المخطوطة كانت تشمل بعض احداث الفتوحات العربية في الفترة مابين عامي 635م – 636م ، حيث إن احداث هذه الرواية هي اقرب لأحداث معركة اليرموك ، وجاء فيها : "في كانون الثاني/يناير، أخذ شعب حمص الكلمة لحياتهم ، ودمرت العديد من القرى بقتل عرب محمد ، وقتل العديد من الناس وأخذوا أسرى من الجليل حتى بيت ... في السادس والعشرين من شهر أيار/مايو ساكيلارا (Saqilara) ذهب من محيط حمص والرومان طاردوهم . في العاشر من أغسطس فر الرومان من محيط دمشق وقتل العديد من الناس ، حوالي 10000 شخص . وفي مطلع العام جاء الرومان ، في العشرين من أغسطس في السنة تسعة وتسعمائة وسبعة وأربعين هناك تجمعوا في غابيثا (الجابية) العديد من الرومان ، وكثير من الناس من الرومان قتلوا ، حوالي 50000 شخص "

ولو عدنا إلى تاريخ فريدغر ، سنجد إنه يتكلم ايضاً في رواية أحداثها اقرب إلى احداث معركة اليرموك ، حيث كان العرب بقيادة خالد بن الوليد كما تقول الرواية الإسلامية ، وخالد في حينها كان قادم من العراق ، وهذا ما يشير إلى إن القوات العربية كانت قادمة من العراق ، وجاء في الرواية : " ومن خلالهم قاموا بتجنيد 150000 من المحاربين المرتزقة لمحاربة السراسنة ، وكان الأخير، تحت قيادة اثنين ، بقوة قوامها حوالي 200000 مقاتل ، وكانت كل من القوتين تخيمان بالقرب من بعضهما البعض ، وكانا مستعدين للبدأ في الصباح التالي ، ولكن خلال تلك ليلة أصيب جيش هرقل من قبل سيف الله : 52000 من رجاله توفوا خلال نومهم ، و في اليوم التالي في لحظة الأنضمام إلى المعركة ، رأى رجاله ان جزء كبير جدا من قوتهم قد سقطت بقوة إلهية ، ولذلك فإنهم لم يعودوا يتجرؤون على السراسنة ، و تراجعوا (فروا) جميعاً من حيث جاءوا ، وشرع السراسنة ، كما عادتهم في تدمير مقاطعات الإمبراطورية التي استولوا عليها "[346] .

[345] - راجع صفحة 14 من هذا الفصل .

[346] - Robert G. Hoyland. Ibid. P. 219 .

اما عن معركة مؤتة فهي تأتي من تاريخ متأخر في المصادر غير الإسلامية ، حيث ان أول من ذكرها هو المؤرخ البيزنطي ثيوفانس (Theophanes) المولود الذي عاش في القرن الثامن الميلادي ، حيث ذكر في تاريخه المسمى بـ(The Chronicle of Theophanes) احداث معركة مؤتة ، وفي كتابه هذا قد جمع المخطوطات اللاتينية والعربية واليونانية لجمع معلوماته ، يذكر في كتابه: "عين محمد وفاته اربعة أمراء ليقاتلوا أولئك العرب الذين تنصروا ، وتقدم الأمراء إلى قرية موشيا (Mouchea) التي كان يتمركز فيها ضابط بيزنطي برتبة فيكاريوس (Vicaruis) (هي رتبة صغيرة في الهيكلية العسكرية البيزنطية) يدعى ثيودور ، وعزم على مهاجمة العرب عندما يقدمون الأضاحي إلى أوثانهم ، وقد علم ثيودور بذلك من قرشي كان يتلقى منه المال ، فجمع الجنود في الصحراء ، وعندما أكد له العربي اليوم والساعة التي يريدون إن يشنوا هجومهم فيها ، هاجمهم في قرية تدعى موثوس (Mothous) ، وقتل ثلاثة أمراء والقسم الأكبر من الجيش ، أمير واحد يدعى شالد (خالد بن الوليد) ويلقبونه (سيف الله) فر"[347] .

ان هذه الرواية لا يمكن الأخذ بها كرواية مسلم بها ، لأنها لم تكتب من تاريخ معاصر بل كتبت من تاريخ متأخر ، يوم ما كانت الرواية الإسلامية مكتملة في الحيرة وبغداد ، وان السبب في كتابة ذلك هو من اجل كسب شرعية اكثر من ناحية الرواية ، والى ذلك وخلافاً لحرب بيزنطة ضد الساسانيين ، يرى المؤرخ كايغي إنه لم يكن للدين دور حاسم في تعبئة مشاعر الجنود البيزنطيين وسكان المناطق الخاضعة لهم اثناء التقدم العربي ، ولئن كانت استعادة الصليب الذين استولى عليه الفرس قد وضعت كمهمة مقدسة اثناء حروب هرقل ضد الفرس والخطب الغارقة في الورع الديني التي ألقاها الإمبراطور لتحفيز جيشه قبل المعارك ضد هؤلاء ، فإن خسارة الصليب ذاته بل المدينة التي صلب المسيح على إحدى تلالها لم تدفع الإمبراطورية إلى شحن عواطف سكانها وجنودها لمواجهة الغزو العربي على غرار ما فعلته اثناء التصدي للفرس ، وعلى الرغم من النجاح في إخراج صليب (صلبوت) او الصليب الحقيقي من فلسطين ، اضافة إلى مقتنيات الكنائس ونقلها بحراً إلى القسطنطينية بمبادرة من البطريرك صفرونيوس ، في حين يقول ثيوفانيوس ان هرقل اصطحب معه

[347] - غازي عيتاني ، نفس المصدر، ص 92 .

خشبة الصليب عند خروجه يائساً من سوريا ، قبل سقوط القدس بيد العرب ، إلا ان المصادر اليونانية المعاصرة لا تحدد تاريخه بدقة ، واسم الخليفة عمر بن الخطاب لا يظهر فيها البتة[348] . وكذلك ينبغي ان نلاحظ ايضاً ان الكتب السريانية المعاصرة للحدث تبدو صامتة بخصوصه، بل يبدو وكأن اورشليم سقطت في أيدي زعيم قبيلة غير معروف ، ومن دون ان يعتبر التاريخ حدثاً كبيراً ، مع الأخذ بالاعتبار هنا مسألة استخدام ثيوفانيوس لمراجع سريانية متأثرة بالروايات العربية ، حيث لت اللقاء بين عمر بن الخطاب والبطريرك صفرونيوس تحف بتاريخيته شكوك تستند إلى غياب البرهان على حصوله[349] ، حيث جاء ذلك في رواية ميخائيل السرياني : "وصل الخليفة عمر إلى فلسطين فاستقبله صفرونيوس أسقف القدس وتحدث إليه عن البلاد ، فكتب له عهداً على إن لا يسكن يهودي في القدس ، فلما دخل عمر القدس ، أمر ببناء مسجد في موقع هيكل سليمان ن وإذ رأى صفرونيوس ثياباً رثة على عمر ، عرض عليه ثياباً ومئزراً والتمس منه قبولها فأبى ، لأن اعتاد على إن لا يأخذ شيئاً من احد وكان يقول : لا ينبغي على المرء إن يأخذ شيئاً من اخر لم يعطه الله إياه، لأن الله يعطي لكل إنسان ما يريده وإذا طمع ليأخذ من رفيقه يكون قد تصرف ضد مشيئة الله . وكان عمر بن الخطاب موضع الثناء في مثل هذه التصرفات ، فالمسلمون يروون عنه الكثير من هذا القبيل، والحق يقال : إنه كان عادلاً وغير جشع ، بحيث إنه لم يأخذ شيئاً لنفسه مما غنم من أموال وكنوز الفرس الروم بعد السيطرة عليهم ، حتى ولا ما يغير به بساطة ثيابه ، وكان يضع عباءته لدى ركوبه الجمل ، وإذا ما جلس او نام كانت الأرض مقعدة وسريره ، ولما ألح عليه الأسقف ، أجاب : حيث انك التمست مني ، ونظراً إلى كرامتك لدي فسوف استعير الثياب التي جلبتها لألبسها ريثما تغسل ثيابي وسأعيد إليك ثيابك لدى إعادة ثيابي وهكذا فعل "[350] . وقبل ان يكمل العرب دخولهم لسوريا وفلسطين ، ترك هرقل إنطاكية التي توقف فيها منتحباً امام اساقفتها عائداً إلى القسطنطينية وهو يردد عبارة : سوزة سورة ، وهي كلمة وداع لارض الشام وبلادها ، وتأويها : كوني بسلام يا سوريا ، والحكاية ذاتها موجودة عند الطبري الذي يقول : " عن عبادة وخالد ، إن هرقل كان كلما

---

[348] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 96-97 .

[349] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 97 .

[350] - تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، نفس المصدر ، ص320 .

حج بيت المقدس فخلف سوريا ، وضعت في ارض الروم الفت فقال : عليك السلام يا سوريا تسلم مودي لم يقضِ منك وطره ، وهو عائد ، فلما توجه المسلمون نحو حمص عمر الماء ، فنزل الرهاء ، فلم طلع أهل الكوفة وفتح قنسرين وقتل ميناس ، ونظر نحو سوريا وقال : عليك السلام يا سوريا ، سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبدا إلا خائفاً ، حتى يولد المولود المشئوم ، ويا ليته لا يولد! ما احلي فعله وأمر عاقبته على الروم! "[351] .

اما عن دور اليهود وحالهم في الفتوحات ، نلاحظ حسب رواية سيبيوس كما ذكرناها إن هناك تقارب يهودي عربي تجاه مسألة الأرض المقدسة ، ولكن ما لا يمكن إنكاره هو ظهور فئات معارض للعرب ، إي يعني أن اليهود كانوا قد انقسموا في تلك الفترة مابين مؤيد للعرب وما بين رافض لهم ، ففي تعالم يعقوب (Docatrina Jacobi) وهو عبارة عن رسالة يونانية معادية لليهود سبّبها الاضطهاد الهرقلي(2). إنها موجودة على شكل حوار بين اليهود الموجودين في قرطاجة عام 634م ، لكن من المحتمل أيضاً أنها كتبت في فلسطين قبيل ذلك التاريخ او بعيده بسنوات قليلة ، وفي إحدى نقاط الجدل يشار إلى حوادث تجري آنئذ في فلسطين وذلك على شكل رسالة من يهودي فلسطيني ، اسمه إبراهيم :

لقد ظهر نبي كاذب بين

السراسنة ... إنهم يقولون

إن النبي الذي ظهر مقبل

مع السراسنة ، وهو يعلن عن

قدوم advent المسوح الذي

سيأتي [tou erkhomennou Eleimmenou kei Khristou]

فذهبت أنا إبراهيم إلى

رجل عجوز مطلع للغاية على الأسفار

المقدسة وأحلت إليه المسألة .

وسألته : ما رأيك، أيها السيد والمعلم ، بالنبي الذي ظهر بين السراسنة؟

---

[351] - الطبري ، نفس المصدر ، ج3 ، ص603 .

أجـاب ، وهـو يتـأوه للغايـة: إنـه دجـال. وهـل يـأتي الأنبيـاء بسـيف ومركبـة حربيـة؟ إن هـذه الأحـداث اليـوم هي حقـاً أعمـال فـوضى... لكـن اذهـب ، يـا سـيد إبراهيم ، واسـتعلم عـن النبي الـذي ظهر ، وهكذا قمت أنا ، إبراهيم ، بتحرياتي وأخبرني أولئك الـذين التقوه ليس ثمـة من حقيقـة يمكـن أن توجـد عنـد النبي المزعـوم ، سـوى إراقـة الـدماء، إمـا مـا تقولـه حـول امتلاكـه لمفاتيح الجنة ، فهو أمر غير قابل للتصديق"[352] .

غير ان المؤرخ الأرميني سيبيوس وكما ذكرنا فقد ذكر في تاريخه أن اليهود الهاربين من بطش هرقل كان قد تحالفوا مع العرب بقيادة محمد ، واتجهوا بحروبهم مع اليهود إلى الأرض المقدسة ، حتى نجاحهم بذلك ، ويكمل سيبيوس روايته عن الدور اليهودي في تلك الاحداث في روايـة عرضـناها سـابقاً في الفصـل الأول من هـذا الكتـاب : " الآن سـوف أتكلـم عـن مـؤامرة اليهـود المتمـردين ، الـذين وجـدوا الـدعم مـن الهـاجرين لوقـت قصـير وخططـوا لبنـاء معبـد (هيكل) سليمان ، عند تحديد المكان الذي يسمى قدس الأقداس ، شيدوا (المعبد مع قاعدة، ليكـون بمثابـة مكـان للصـلاة ، إلا أن الإسـماعيليين حسـدوا (اليهـود) وطـردوهم مـن المكـان ، وسموا نفس المبنى بمكانهم الخاص للصلاة (بني اليهود) بنو معبدهم للعبادة ، في مكان اخر ، بعـد ذلـك جـاءوا بخطـة شـريرة ، وأرادوا مـلأ اورشـليم بالـدم مـن النهايـة إلى النهايـة ، و لإبـادة جميع المسيحيين في اورشليم ، الآن حدث وان ذهب شخص نبيل اسماعيلي وتوجه للعبادة في مكـانهم الخـاص للصـلاة ، واجـه ثلاثـة مـن الرجـال اليهـود الرئيسـيين ، الـذين قتلـوا للتـو خنزيـرين ووضـعوه في مكـان الصـلاة ، جـرى الـدم أسـفل الجـدار على أرضـية البنـاء ، وحالمـا شـاهدهم الرجل ، توقـف وقـال شـيئاً لهـم ، أجابوه وغـادروا ن دخـل الرجل فـوراً إلى الـداخل للصـلاة ، رأى الشـر (النظـر) ، واسـتدار بسـرعة للامسـاك بالرجـال ، عنـدما لـم يـتمكن مـن العثـور علـيهم ، بقـي صـامتاً وتوجـه إلى مكانـه ، بعـدها العديـد مـن العـرب دخلـوا المكـان ورأوا الشـر ، ونشـروا مرثـاة في ارجـاء المدينـة ، اليهـود اخبروا الامير بـأن المسـيحيين دنسـوا مكـانهم للصلاة ، أصدر الامير أمراً بجمع جميع المسيحيين معاً ، كما أرادوا إن يقتلوهم بالسيف ، جاء الرجل وخاطبهم : لماذا نشرتم الكثير من الدم بحقد؟ أمر جميع اليهود بالتجمع وسأشير لذلك المذنب ، حالما تجمعوا ومشى الرجل بينهم ، تعرف على الرجال الثلاثة اللذين واجههم

[352] - باتريشيا كرونة ، مايكل كوك ، الهاجريون ، ترجمة نبيل فياض ، ط1 ، 1999 ، ص9 .

سابقاً ، ممسكاً بهم ، ربطوهم العرب بقوة إلى إن كشفوا المؤامرة ، وبسبب تواجد أميرهم بين اليهود ، أمر الامير العربي بأن المتورطين بالمؤامرة يجب إن يقتلوا ، وسمح للبقية من اليهود إن يعودوا إلى أماكنهم "[353].

وبالانتقال إلى فتوحات مصر ، تذكر الروايات العربية ان العرب بعد ان سيطروا على الشام بأكمله ، بدؤوا يفكرون بالدخول لمصر ، من اجل إبعاد الخطر البيزنطي عنهم ، حيث إن تلك الجيوش الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب انطلقت بقيادة قائد غامض وعليه إشكاليات كبيرة واقصد به (عمرو بن العاص) ، وكانت مصر في تلك الفترة في حالة يرثى لها بسبب ما جرى لها من الحرب الفارسية البيزنطية وكذلك بسبب سياسة البيزنطيين في آخر سنين حكم هرقل من انحلال داخل المعسكرات البيزنطية وتناحر القادة فيما بينهم ، وكذلك مرض هرقل وصراع زوجته الثانية نيابة عن ابنها ضد الابن الأكبر لهرقل من زوجته الأولى ، والى غيرها من الأسباب .

ان أهم الروايات عن فتوحات مصر هي روايات المؤرخ القبطي (يوحنا النقيوسي) الذي عاش في أواخر القرن السابع الميلادي وبداية القرن الثامن الميلادي ، حيث إن تلك الروايات كان قد سجلها في مخطوطات حاملة لاسمه ، تتكون من (122 باباً)[354] ، حيث كان احد أهم اثنين من الأساقفة في مصر ، وعين في عهد البابا يوحنا الثالث رئيساً لأساقفة مصر السفلة ، ثم المسئول عن تدبير أديرة وادي هبيب ، لكن الإشكالية في مخطوطاته ، إنه كتب مخطوطاته باللغة القبطية ، ثم ترجمت إلى اليونانية والعربية والإثيوبية ، والنسخة الوحيدة المتبقية منها هي النسخة الإثيوبية والمحفوظة في مكتبة الكنيسة في إثيوبيا[355] ، حتى ترجمت فيما بعد ، وان الإشكالية في روايات يوحنا المعروفة اليوم ، هي على ما يبدو قد ترجمت بنسختها الإثيوبية حتى تواكب ما كان شائع في تلك الفترة ، مثلاً يذكر اسم عمرو ، ولا نعرف بالتحديد من هو هذا عمرو ، وكذلك نلاحظ إن تلك الروايات كانت متخبطة بوصف العرب ، حيث مرة يسميهم بـ(الاسماعيليين) ومرة يسميهم (المسلمين) ، ولأن كلمة

---

[353] - Sebeos. Ibid. chapter 31 .

[354] - سناء المصري ، هوامش الفتح العربي لمصر ، ص 137 .

[355] - سناء المصري ، نفس المصدر ، ص139 .

(مسلمين) لم تكن معروفة في تلك الفترة لأنها ظهرت في عهد عبد الملك بن مروان ، وهذا ما يعني إن النسخة الإثيوبية قد تأثرت بالرواية العربية .

تبدأ رواية يوحنا النيقوسي عن دخول الاسماعيليين لمصر وذبحهم للبيزنطيين بدون رحمة (القائد البيزنطي ثيودوسيوس وجنوده) ، ثم أدخلوهم البهنسة وذبح كل الأهالي وملاحقة القائد يوحنا إلى أبويت ، وتصاعد المجازر خصوصاً في الفيوم التي فر منها القائد البيزنطي (دومنتانوس) ، وعند هذه المرحلة تبدأ الإشارات إلى بدايات تعاون المصريين مع العرب ، وتبدأ أعمال عمرو بن العاص بالظهور حيث يجرد القادة الرومان من ممتلكاتهم بعد اعتقالهم ويضاعف الضرائب على الفلاحين ويأمرهم بتزويد خيوله بالعلف ، ويقول ويوحنا إن عمرو ارتكب ما لا يحصى من أعمال العنف ، فدب الذعر بين سكان مصر الذين هربوا صوف الإسكندرية تاركين أموالهم وقطعانهم ، وقام المسلمون بمساعدة من "المصريين الذين تركوا إيمانهم وتبعوا إيمان هذا المخلوق الكريه (عمرو) بالاستيلاء على كل ممتلكات المسيحيين الهاربين وأعلنوا أن خدم المسيح هم أعداء الله"[356] ، حيث تابع المسلمون سيرهم بحرقهم للمدن وبسلبهم الأهالي في طريقهم إلى الإسكندرية ، وعندما لمسوا ضعف الرومان وعدائية الشعب للإمبراطور هرقل بسبب ضعف البيزنطيين وعدائية الشعب لهرقل بسبب الاضطهاد الذين أنزله بكل ارض مصر لإيمانها الأرثوذكسي وتعيين قيرس بطريركاً خلقدونياً عليها ، أصبحوا اكثر جرأة وأقوى في الحرب ، ولدى وصولهم إلى انطينوي رفض حاكمها تحصين المدينة وجمع ممتلكات المدينة وهرب إلى الإسكندرية خشية مواجهة مصير الفيوم ، فاستسلم كل السكان ودفعوا الجزية ، ثم قتل المسلمون جميع الجنود البيزنطيين الذين واجهوهم ، وسيطروا على عدد من الحصون وعززوا حصارهم على حصن بابلون[357] ، حيث إن قيرس كان قصد القسطنطينية في تلك الأثناء للبحث مع هرقل في كيفية مواجهة الهجوم العربي على مصر ، حيث قام هرقل بنفيه بسبب سوء إدارة الدفاع عن مصر ثم عفا عنه ، وعند عودته ، ضاعف قيرس اضطهاد المصريين ، وفي غضون ذلك استسلم حصن بابلون[358] ، واستمر العرب بزحفهم حيث استولوا على عدد كبير من المراكب والسفن وأرغموا

---

[356] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص120 .

[357] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص121 .

[358] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص121 .

القائد دومنتانوس على القرار إلى الإسكندرية والتخلي عن جنوده الذين راحوا يقفزون إلى النهر بعدما طاردهم العرب ، فوصل العرب إلى ناكيوس وارتكبوا هناك مجزرة ، وحسب يوحنا النيقوسي وصف تلك الحادثة بـ(لم يظهروا فيها رحمة لأحد) ، ويتابع يوحنا سرد احدث دخول العرب لمصر ، ويصل إلى الاتفاقية بين عمرو (الذي كان من عرق همجي على حسب وصفه) مع قيرس الذي يموت كمداً بسبب الصراع على السلطة في البلاط الامبراطوري بعد موت هرقل[359] ، وإن اقتراب العرب من الإسكندرية دفع أثرياء المدينة إلى مغادرتها والتوجه إلى جزر الدلتا خشية خسارتهم أموالهم بسبب الجزية ، وتخلي القائد ثيودور عن المدينة وغادرها مع جنوده ، ثم دخلها العرب واستقبلهم الأهالي باحترام وسط حالة من الأسى واضطراب كبير ، حيث يذكر ايضاً إن العرب عندما دخلوها لم يرتكبوا إي أعمال سلب ضد الكنائس بل زادوا الضرائب عليها ، حتى باع المصريين أولادهم لدفع الضريبة ، وراحت أعداد من المصريين تنضم إلى المسلمين بعد إعلان تحولهم إلى الدين الجديد ، ومن بينهم رئيس دير سيناء الخلقيدوني الذي قام باضطهاد المسيحيين بعد إسلامه[360] .

اما الأسقف القبطي المصري (سايروس بن المقفع) الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، والذي كتب تاريخه بعنوان (تاريخ البطاركة) بعد إن جمعه من وثائق الكنيسة القبطية وأديرتها ، فتكلم عن الفتوحات العربية لمصر ، وقال :" لما هرقل ملك الأرض أقام الولاة في كل موضع وأنفذ والياً إلى ارض مصر يدعى قيرس ليكون بطركاً ووالياً معاً ، فلما وصل إلى الإسكندرية أعلم الأي بنيامين (بطريرك الكنيسة القبطية) ملاك الرب به وأمره إن يهرب فقال له الملاك : اهرب أنت ومن معك ها هنا لأن شدائد عظيمة تنزل عليكم لكن تعز ، فما يقيم هذا الجهاد إلا عشر سنين واكتب إلى جميع الأساقفة الذين في كرسيك ليختفوا حتى يجوز غضب الرب ، فدبر بنامين المقاتل بقوة ربنا يسوع المسيح حال البيعة (الكنيسة) ورتبها ، وتقدم إلى الكهنة والشعب وأوصاهم بالتمسك بالأمانة المستقيمة حتى الموت ، ثم كتب إلى ساير (سائر) أساقفة كورة مصر بأن يختفوا من قدام التجربة الآتية (...) ثم إنه

---

[359] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص122 .

[360] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص122 .

خرج من الأديرة بوادي هبيب ومضى إلى الصعيد وأقام مخفياً هناك في دير صغير في البرية إلى كمال عشر سنين ، كما قال له ملاك الرب وهي السنين (السنون) التي كان فيها هرقل والمقوقس مسلطين على ديار مصر ، ولعظم البلاء والضيق والعذاب الذين أنزله بالأرتدكسين لكي يدخلوا في الأمانة الخلقدونية ضل جماعة منهم لا يحصى عددها ، قوم منهم بالعذاب وقوم بالهدايا والتشريف وقوم بالسؤال والخداع (...) ، وفي تلك الايام رأى هرقل مناماً وقيل إنه ستأتي عليك امة مختونة وتغلبك وتملك الأرض فظن هرقل انهم اليهود فأمر إن تعمد جميع اليهود والسامرة في جميع الكور التي تحت سلطانه"[361] .

ثم يتابع ساويروس : " إنه من بعد ايام بسيرة ثار جل من العرب من نواحي القبلة من مكة ونواحيها اسمه محمد فرد عباد الاوثان إلى معرفة الله وحده ، وإن يقولوا إن محمداً رسوله ، وكانت امته مختونة بالجسد لا بالناموس وصلوا إلى الجهة القبلية مشرقين إلى موضع يسمونه الكعبة ، وملك محمد دمشق والشام وعبر الأردن وسادها ، وكان الرب يخذل جيش الروم امامة لجل أمانتهم الفاسدة والحروب التي حلت بهم لجل مجمع خلدونية من الإباء الأولين ، فلما رأى هرقل ذلك جمع جميع جيشه من مصدر إلى حدود أسوان ، ومكث يدفع القطيعة (الجزية) التي سال حتى يقررها على نفسه وعلى جميع جيوشه ثلاث سنين للمسلمين ، وكانوا يسمون المقرر البقط ، أي إنه بقط رؤوسهم ، إلى إن دفع لهم معظم ماله ومات كثير من الناس من التعب الذي كانوا يقاسونه"[362] .

ثم يقول : " ولما تمت عشر سنين من مملكة هرقل والمقوقس وهو يطلب بنيامين البطرك وهو هارب منه من مكان إلى مكان مختفياً في البيع الحصينة ، أنفذ ملك المسلمين (عمر بن الخطاب) سرية مع أمير من اصحابه يسمى (عمرو بن العاص) ... ، فنزل عسكر الإسلام إلى مصر بقوة عظيمة في اليوم السادس من يونيو من شهور الروم ، وكان الأمير عمرو قد هدم الحصن واحرق المراكب بالنار وأذل الروم وملك بعض البلاد وكان مجيئه للبرية ، فأخذوا الخيل للجبل حتى وصلوا إلى قصر مبني بالحجارة بين الصعيد والريف يسمى بابلون ، فضربوا خيامهم هناك حتى ترتبوا لمقاتلة الروم ومحاربتهم ، ثم أنهم سموا ذلك

[361] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص 116 .

[362] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص117 .

الموضع أعنى القصر بلغتهم (الفسطاط) وهو اسمه الآن ، وبعد قتالهم تلت دفعات غلب المسلمون الروم ، فلما رأى يسا المدينة هذه الأمور مضيا إلى عمرو وأخوا الأمان على المدينة لئلا تنهب ، وهذه العهد الذي أعطاهم إياه محمد رئيسهم سموه الناموس (العهد) يقول فيه : كورة مصر ومدينتها تستقر مع أهلها (متى) دفع الخراج لكم وإن تعهد لسلطانكم عاهدوهم ولا تظلموهم ، ومن لا يرضى بذلك انهبوهم أسروهم ، فلذلك امسكوا أيدهم عن الكورة وأهلها وأهلكوا جنس الروم وبطرقهم المسمى ماريانوس ، ومن سلم منهم هربوا إلى اسكندرية وأغلقوا أبوابها عليهم وتحصنوا فيها ... وبعد إن ملك عمرو لمصر بثلاث سنين ملك المسلمون الإسكندرية وهدموا سورها واحرقوا بيعاً كثيرة بالنار وبيعة مار مرقس التي هي مبنية على البحر ، حيث كان جسده هناك ... ولما ملك عمرو الإسكندرية ورتب أمورها خاف الكافر والي الإسكندرية ،)وهو كان واليها وبطركها من قبل إن الروم) من إن يقتله عمرو فمص خاتماً مسموماً فمات لوقته "[363] .

ويتابع ساويروس قائلاً : " اما سانوتيوس الدوكس المؤمن ، فإنه عرف عمرا سبب (اختفاء) الأب المجاهد بنامين البطرك وأنه هارب من الروم خوفاً منهم ، فكتب عمرو بن العاص إلى أعمال مصر كتاباً يقول فيه : الموضع الذي فيه بنامين بطرك النصارى القبط له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر أمنا مطمئناً ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته ، فلما سمع القديس بنيامين هذا عاد إلى الإسكندرية بفرح عظيم بعد غيبه ثلاثة عشر سنة ، منها عشر سنين لهرقل الرومي الكافر ، وثلاث سنين قبل إن يفتح المسلمون الإسكندرية..."[364] .

ويضيف ايضاً :" لما ظهر فرح الشعب وكل المدينة واعلموا بمجيئه سانوتيوس الدوكس المؤمن بالمسيح الذي كان قرر مع الأمر عمرو حضوره وأخذ له منه الأمان ، فمضى لذلك الأمير وعرفه بوصوله ، فأمر بإحضاره بكرامة وإعزاز ، فلما رآه أكرمه وقال لأصحابه وخواصه : إن في جميع الكور التي ملكناها ما رأيت رجل لله يشبه هذا ، وكان الأب بنامين حسن المنظر جداً جيد الكلام بسكون ووقار ، ثم التفت عمرو إليه وقال له : جميع بيعك ورجال اضبطهم ودبر أحوالهم وإذا أنت صليب علي حتى أمضى إلى المغرب والخمس مدن

---

[363] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص117-118 .

[364] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص118 .

(بنتابولس - برقة) واملكها مثل مصر ، وأعود إليك سالماً بسرعة فعلت لك كل ما تطلبه مني، فدعا له القديس بنيامين وأورد له كلاماً أعجبه هو والحاضرين عنده فيه وعظ وربح كثير لمن يسمعه وأوحى إليه بأشياء وانصرف من عنده مكرماً مبجلاً "[365] .

اما فتوحات مصر عند ميخائيل السرياني الكبير ، فيذكر إن عدم استمرار دفع المصريين للجزية هي سبب دخول العرب لمصر ، وجاء في تلك الرواية :" لدى دخول عمر خليفة المسلمين إلى مصر ، استقبله قورا أسقف الإسكندرية ، وعرض عليه دفع مبلغ مائتين ألف دينار سنوياً ، لقاء عدم دخول المسلمين لمصر ، فوافق وعاد ، غير ان بعضهم رفع شكوى إلى هرقل ضد الأسقف على اعتبار إنه يعطي أموال مصر إلى العرب دون إن يكون هناك إكراه ، وحيث إن تفكير الروم قد سقم ، لذا كتب هرقل إلى قورا إن يرفع يده عن أدار مصر ، وأرسل شخصاً أرمينيا يدعى مانوئيل ليدير شؤون مصر ، ولما جاء وفد المسلمين لاستلام المال ، وجدوا مانوئيل مع جيش الروم في الفسطاط ، فاعادهم فارغين قائلاً لم : انا لست قورا ، فذاك لم يرتدِ سلاحاً بل قميصاً ، لذا سلم إليكم مصر ، اما انا فمتقلد سلاحاً كما ترون ، فعاد الوفد واخبر عمر ، فدخل حينذاك مصر وهزم مانوئيل وهرب إلى الإسكندرية صحبة القلة الذين نجوا ، فسيطر المسلمون على مصر ، فكتب هرقل إلى الأسقف ليخرج المسلمين من مصر إن أمكن بإعطائهم أضعاف ما اشترط معهم سابقاً من المال ، فجاء قورا إلى معسكر المسلمين وبرر ساحته امام عمر ، والتمس منه قبول المال ، فاجاب عمر : لا أنفذ رغبتك / فطالما سيطرنا على البلاد ، فلن نتركها بعد ، وبهذا يكون عمر قد طرد قورا فعاد كئيباً "[366] .

ويضيف ايضاً :" روي عن البطريرك الأرثوذكسي بنيامين ، إنه سلم مصر للمسلمين ، واستسلم الأقباط للاسكندريين نظراً إلى اضطهاد الخلقدونيين إياهم ، ويروي عن قورس البطريرك الخلقيدوني إنه كان يحتذي بإحدى قدميه حذاء احمر ، وبأخرى نعلاً خاصاً بالرهبان ، ليظهر وكأن له سلطان ديني ومدني ، وطرد البطريرك بنامين الذي وعد المسلمين بتسلم الإسكندرية اذا طردوا قورس ، وأعادوا إليه الكنائس ، فتعهدوا له بذلك ، فعاد

---

[365] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص118 .

[366] - تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، نفس المصدر ، ص319 .

وأوعز إلى جماعته بتسلم الإسكندرية للمسلمين (الطائيين) ، فلما علم قورس بذلك ، جمع كل أنية الذهب والفضة من الكنائس وتسلل إلى سفينته وهرب إلى القسطنطينية ، فرجع بنيامين إلى كنائسه ، ومن ذلك الحين وحتى اليوم لم يستطع الخلقدونيين من إجراء اي نجاح لا في الإسكندرية ولا في مصر ، ولا إن يسكنوا هناك سوى القلة منهم ، وسيطر الأرثوذكسيون على الكنائس والأديرة حتى يومنا هذا .. في هذه الفترة ، اشتهر بالعلوم الدينية والمدنية ساويرا سابوخت اسقف قنسرين ، ومتى اسقف حلب "[367] .

اما بالنسبة لإشكالية شخصية وغموض عمرو بن العاص ، فهناك عدة فرضيات حول شخصيته منها انه هو نفسه الحكم بن أبي العاص والد مروان بن الحكم وربما هو ايضاً نفسه مروان بن الحكم ، فالحكم بن أبي العاص عند الإمام الذهبي هو الحكم بن أبي العاص ابن أمية الأموي ابن عم أبي سفيان يكنى أبا مروان من مسلمة الفتح وله أدنى نصيب من الصحبة ، قيل نفاه النبي محمد إلى الطائف لكونه حكاه في مشيته وفي بعض حركاته فسبه وطرده ، فنزل بوادي وج ، ونقم جماعة على عثمان بن عفان لكونه عطف على عمه الحكم وآواه وأقدمه المدينة ووصله بمئة ألف ، ويروى في سبه أحاديث وعن النبي محمد قال : "مالي أريت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة" ، رواه العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ، وفي الباب أحاديث قال الشعبي : " سمعت ابن الزبير يقول ورب هذه الكعبة إن الحكم ابن أبي العاص وولده ملعونون على لسان النبي محمد محمد" ، وقد كان للحكم عشرون ابنا وثمانية بنات وقيل كان يفشي سر رسول الله فأبعده لذلك مات سنة إحدى وثلاثين هجرية[368] . ظهرت عملاته من عهد معاوية بن أبي سفيان ، وكانت جميعها من ضرب مدن ايران مثل نارماشير ونهر تيرى وبرمقباذ وغيرها ، وللفترة من عام 53هـ الى عام 58هـ ، كما في الشكل رقم (46 ، 47)

---

[367] - تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، نفس المصدر ، ص328 .

[368] - الحافظ الذهبي ، نفس المصدر السابق ، ج2 ، ص109 .



الشكل رقم (46)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

دار الضرب : نرماشير (ايران)

سنة الضرب : 56هـ

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني وبجانبه من اليمني اسم (الحكم بن العاص) ، وفي الهامش تظهر عبارة (بسم الله رب الحكم) .

ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .



الشكل رقم (47)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

دار الضرب : نهر تيرى (ايران)

سنة الضرب : 56هـ

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني وبجانبه من اليمين اسم (الحكم بن العاص) ، وفي الهامش تظهر عبارة (الله رب الحكم) .

ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .

ان تسمية او لقب (الحكم) ، الذي ورد في العملتين اعلاه ، يأخذنا الى حادثة التحكيم بعد معركة صفين والتي جرت بين عمرو بن العاص وبين أبو موسى الاشعري ، حيث ان هذه التسمية واقصد بها (الحكم) وحادثة (التحكيم) ارتبطتن ايضاً بقصة الخوارج وشعارهم (لا حكم الا لله) ، وعلى ما يبدو ان الحكم بن أبي العاص هو نفسه عمرو بن العاص ، وربما ان الحكم هو لقب لعمرو بن العاص ، حيث ان الإشكالية الأخرى هي عدم ظهور اي عملة باسم مروان بن الحكم والذي من المفترض انه حسب الرواية الإسلامية هو ابن الحكم بن أبي العاص ، وان كل العملات من عهده كانت تضرب باسماء ولاة اخرين ، اما

بالنسبة لاسم مروان الذي ظهر في عملات عبد الملك بن مروان ، نلاحظ ان اسم مروان هو قريب لفظياً من اسم (عمرو) حيث ان اسم مروان ممكن ان يكون متأثر باللفظ الفارسي الذي يضيف (ان) في نهاية الكلمة في الكثير من الحالات ، ولذلك فإن اسم (عمرو) هو نفسه اسم (مرو) ، واسم (عمرو) كما اشرنا هو اسم شرقي جاء من صيغة (مار) والتي تعني ابن بالاكدية البابلية والاشورية وتعني سيد بالآرامية .

والإشكالية الأخرى في قصة الحكم بن أبي العاص هو ان الرواية الإسلامية تنسب وفاته لعام 31هـ ، ولكن لعام 58هـ كانت العملات تضرب باسمه ، حيث ان من المفترض كان قد عاصر النبي محمد حسب الرواية ، ولم يعاصر فترة خلافة علي ابن أبي طالب ، ولكن ان العملات تشير إلى انه قد عاصر فترة خلافة علي ابن أبي طالب ، وهذا ما يزيد من ارجحية فرضية ان النبي محمد وعلي ابن أبي طالب هم شخصية واحدة ، فكل ما يذكر عنه هو إنه ذكر من روايات متأخرة كما ذكرنا سابقاً ، ولا يوجد مصدر روائي يذكره من تاريخ معاصر ، ولكن لو أعدنا رسم خريطة تحرك الجيوش الإسلامية لما تسمى بالفتوحات الإسلامية لوجدناها نفس خريطة تحرك الجيوش الساسانية ، حيث انطلقت تلك الجيوش من العراق باتجاه الشام وبعض مناطق بيزنطة ثم مصر ، وخاصة ان الفارق الزمن بين الوقائع التاريخية للغزو الساساني بقيادة شهرباراز و شهر-ألان-بوزان للشام ومصر وبين الفتوحات العربية لشام ومصر والتي دخلوها بقيادة عمرو بن العاص لا يتجاوز العشرين سنة ، وبعد ان دخل الفرس إلى مصر بقيادة شهرباراز قاموا بتعيين حاكم عسكري على مصر يدعى (شهر-ألان-يوازن) وكان مقر حكمه هي مدينة الفيوم ، عانت مصر من كوارث إدارية في البداية إلا ان الإدارة الفارسية استطاعت ان تتلافى ذلك لأنهم احتفظوا بالهيكل الإداري البيزنطي الذي كان على مصر ، وعند المقارنة بين الشخصيتين أي بين (شهر-الان-يوزان) و(عمرو بن العاص) نجد هناك الكثير من التشابه بينهم :

- ان الضابط الفارسي (شهر-الان-يوزان) قد عين حاكم عسكري على مصر بعد ان دخلها الساسانيين بعد إن انتصروا على البيزنطيين ، اما عمرو بن العاص فهو الحاكم العربي لمصر بعد ان دخلها المسلمين بعد هزيمتهم للبيزنطيين .

- عامل الفرس سكان مصر بقسوة ، حيث يذكر ساويروس بن المقفع في تاريخه عن بطاركة الإسكندرية ان الوالي الفارسي (شهر-الان-يوزان) أمر كل رجل من مدينة الإسكندرية ممن

تتراوح أعمارهم من بين 18-50 سنة ان يخرجوا ليأخذوا عشرين ديناراً وعندما اجتمع شباب المدينة ورجالها ، كتب أسماءهم وهم يظنون أنهم سيأخذون العطية التي وعدهم بها ، ولكن عند خروجهم أمر جيشه ان يحيط بهم ويقتلهم جميعاً ويقال بلغ عددهم 8000 شخص ، اما المؤرخ يوحنا النيقوي فيذكر عن الحاكم الجديد(عمرو بن العاص) كما ذكرنا : (أرتكب مالا يحصى من أعمال العنف ، فدب الذعر بين سكان مصر الذين هربوا صوب الإسكندرية تاركين أموالهم وقطعانهم وقام الهاجريون "بمساعدة من المصريين الذين تركوا إيمانهم واتبعوا إيمان هذا المخلوق الكريه بالاستيلاء علي كل ممتلكات المسيحيين الهاربين وأعلنوا ان خدم المسيح هم أعداء الله " .

- مثلما ذكرنا أعلاه بأنه بعد ان حل الخراب بمصر بعد دخول الساسانيين لها ، عادت مصر إلى الاستقرار في عهد (شهر-الان-يوزان) ، وهذا ما حدث ايضاً لمصر بعد دخول العرب لها ، ففي رواية عن البطريرك بنيامين بطريرك الإسكندرية والذي ولد بعد هذه الاحداث بعدة سنين التفت له امبروس (بنيامين) وقال له: "لما ظهر فرح الشعب وكل المدينة واعلموا بمجيئه سانوتيوس الدوكس المؤمن بالمسيح الذي كان قرر مع الأمر عمرو حضوره وأخذ له منه الأمان ، فمضى لذلك الأمير وعرفه بوصوله ، فأمر بإحضاره بكرامة وإعزاز ، فلما رآه أكرمه وقال لأصحابه وخواصه : إن في جميع الكور التي ملكناها ما رأيت رجل لله يشبه هذا ، وكان الأب بنامين حسن المنظر جداً جيد الكلام بسكون ووقار ، ثم التفت عمرو إليه وقال له : جميع بيعك ورجال اضبطهم ودبر أحوالهم وإذا آنت صليب علي حتى أمضى إلى المغرب والخمس مدن (بنتابولس - برقة) واملكها مثل مصر ، وأعود إليك سالماً بسرعة فعلت لك كل ما تطلبه مني ، فدعا له القديس بنيامين وأورد له كلاماً أعجبه هو والحاضرين عنده فيه وعظ وربح كثير لمن يسمعه وأوحى إليه بأشياء وانصرف من عنده مكرماً مبجلاً"[369] .

- الأمر الاخر هو ان امبروس او كما عرف بـ(عمرو بن العاص) سار على نهج القائد الفارسي (شهر-الان-يوزان) ، من ناحية الضرائب والمعاملات التجارية ، فهو من عرف بالمصادر اليونانية باسم (ساهر الانيوزان) ، حيث ان اسمه في الفارسية (شهر-الان-يوزان) هو اسم شرفي فقط ، حيث ذكر هذا القائد الفارسي في برديات يونانية من مصر ونشرت تلك

---

[369] - راجع الصفحة 97 من هذا الفصل عن رواية ساويروس بن المقفع .

البرديات في عدة مصادر[370] ، وتكلمت تلك البرديات والتي عددها ثلاثة عن المعاملات التجارية والشحن والتعامل بالذهب ، ولكن بعد ان حدث التمرد من شهربارازعلى خسرو الثاني عام 626م لم نعد نعرف أي ذكر للضابط الفارسي (شهر-الان-يوزان) بهذا الاسم ، فاختفى كل اثر له ولم يعرف في أي صف وقف (شهر-الان-يوزان) ، هل مع خسر الثاني ام مع شهربارازالمتمرد على السلطة .

- ان اختفاء (شهر-الان-يوزان) فجأة في عام 626م لا يمكن تفسيره إلا انه قد تغير لقبه إلى لقب يوناني وهو (امبروس) لأنهم أصبحوا من الداعمين لهرقل ضد الدولة الساسانية ، حيث نجد في برديات يونانية غامضة نوعاً ما يظهر الحاكم على مصر يدعى (امبروس) وهو يمارس نفس الأعمال التي مارسها من قبل (شهر-الان-يوزان) من معاملات تجارية وغيرها ، مثلاً نجد ذكر لامبروس في بردية يونانية تعود لعام 663م و43 هجرية والتي في الشكل رقم (48) ، ما يلي : "أنا فيلوثاؤس زعيم القرية ، (بروتوكوميتس) ، نجل الراحل حوري ، الرجل الذي من أشمون ، أقسم بالرب القدير ورفاه امبروس أن لا أترك رجلاً في كل القرية من سن أربعة عشر عاماً فما فوق إلا وأخذ منهم الجزية تقرباً لعبادتك ، وانا يوستوس كاتب القرية أقسم بالله ورفاه امبروس أن لا أترك رجلاً في كل القرية من سن أربعة عشر عاماً فما فوق إلا وأخذ منهم الجزية تقرباً لعبادتك ".وفي بردية أخرى : "أنا فيلوثاؤس ومعي أشعيا زعماء القرية ومعنا أباتير الكاهن نحن الرجال من أشمون نقسم بالرب ورفاه امبروس أن لا نترك رجلاً في كل القرية من سن أربعة عشر عاماً فما فوق إلا وأخذنا منهم الجزية ، وإذا كنتم قد أنجبتم أي ذرية لا نعلم عنها سوف نأخذهم في بيوتنا ، إمضاء فيلوثاؤس زعيم القرية هو موافق إمضاء أشعيا هو موافق إمضاء أباتير الكاهن المتواضع وأنا موافق " . حيث إن تلك المخطوطات غامضة لأنها تبدأ بالصليب وفي منتصفها ونهايتها تحمل الصليب ويقسمون بالرب ورفاه امبروس أن يأخذوا الجزية ومن الواضح إنهم أتباع عمرو(امبروس) ومسيحيين فبالتأكيد لن يكونوا بهذا الحماس والولاء لشخص يكفرهم ويأخذ منهم جزية مما يدل على

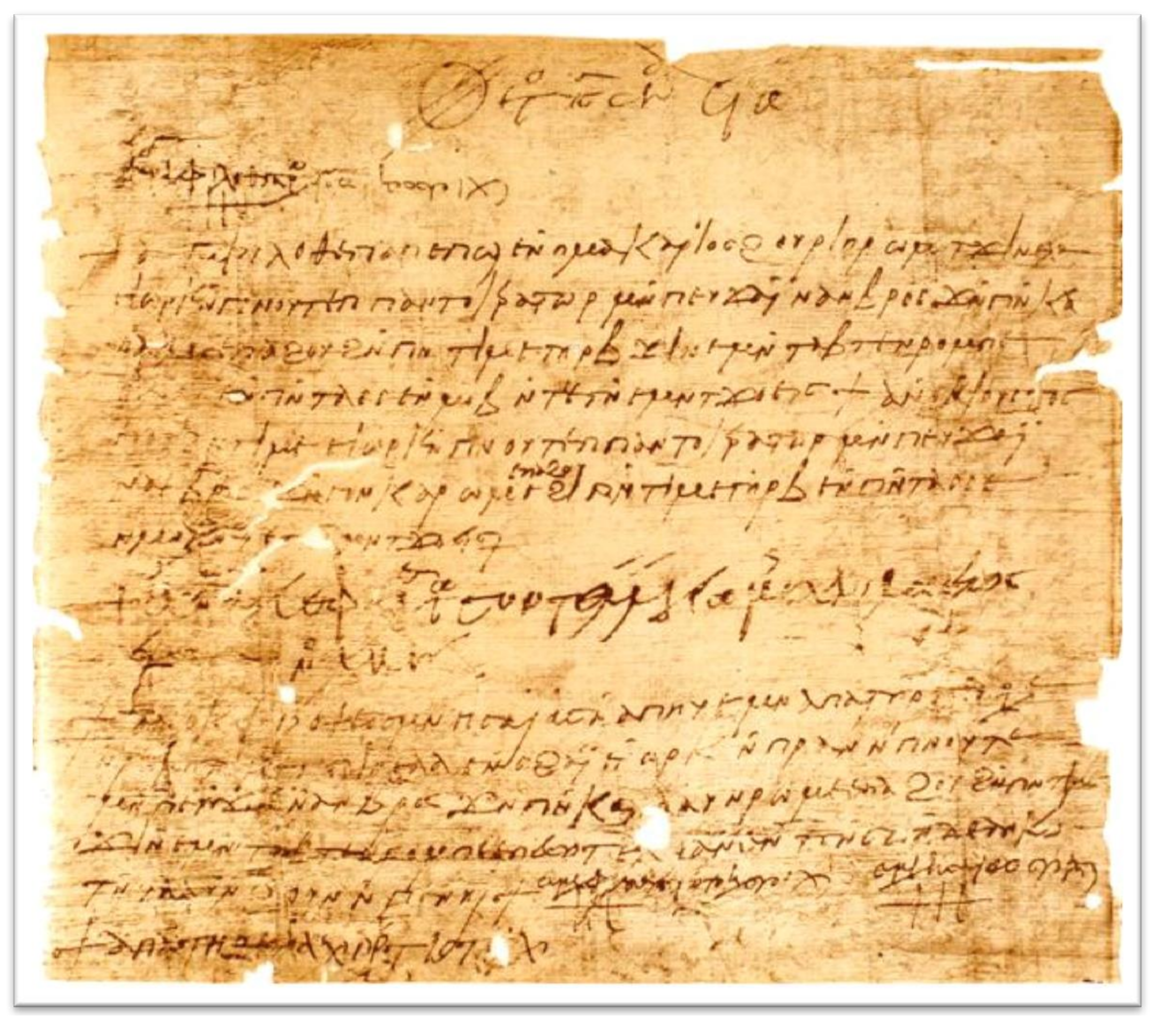
[370] Petra M. Sijpesteijn. Alexander T. Schubert. Documents and the History of the Early Islamic World. P.27-28 .-

مسيحية (امبروس) ، وهذه النقطة بالتحديد تقربنا من صحة افتراضنا بأن امبروس هو نفسه (شهر-الان-يوزان) وهو الذي دعم نيكتاس ابن شهرباراز الذي أصبح حليفاً لهرقل .

- ان تسمية (امبروس) لا يقصد بها تصحيف يوناني لاسم (عمرو بن العاص) ، لأنها هي فقط تعريب لاسم (امبروس) ، بدليل انه في نص المعاهد البيزنطية الفارسية في القرن السادس الميلادي ورد اسم (امبروس الاموندوروس) بالإشارة إلى (عمرو بن المنذر ملك الحيرة المعروف بعمرو بن هند) وهذا يعني ان اسم امبروس لا يعني (عمرو بن العاص) لأنه لو كان يعني ذلك لكان عمرو بن هند يعرف باسم (عمرو بن العاص) ، الحقيقة هي ان كلمة امبروس هي كلمة يونانية وتعني (الخالد) ولذلك على الأرجح قد اتخذ من هذه الكلمة لقباً للضابط الفارسي (شهر-الان-يوزان) بعد ان أصبح حليفاً لبيزنطة مع نيكتاس ابن شهرباراز ، لكن المسلمين فيما بعد لم يعرفوا حقيقة هذه التسمية فعربوه إلى (عمرو بن العاص) .

- الإشكالية الأخرى في اسم (شهر-الان-يوزان) هو ان السريان عندما يلفظون اسم (اياس) يلفظوه بصيغة (يواز) ، ومثلما تكلمنا سابقاً عن اسم اياس فأنه من اسماء الله في الحضارات القديمة نسبة إلى الصيغة الاكدية القديمة (ايلو) او (إيليا) والتي تعني الاله ، ولذا فهي تعني (يوزان) بالفهلوية ، وكذلك هي (هوازن ، الاهواز) ، وربما إن (شهر-الان-يوزان) كان من الاهواز ؟؟ وهذه مجرد فرضية نقترحها .

- ان انقلاب (شهر-الان-يوزان) جاء نتيجة تحالفه مع معاوية ضد (اياس/علي/النبي محمد) في صفين ، لأن اياس كان قد خاض حرباً ضد هوازن في الاهواز ، كذلك نتيجة بقاء (شهر-الان-يوزان) على ديانته المسيحية (من اتباع الكنيسة الشرقية) ، إي انقلابه على (اياس/علي/النبي محمد) كان لسبب ديني اكثر مما هو سياسي ، بدليل ان (امبروس/شهر-الان-يوزان) احتفظ بديانته وهذا ما ترجحه البرديات من فترة تواجد (امبروس) في مصر ، وإن تحالفه مع بيزنطة هو كان بسبب اتخاذه موقفاً مضاداً من (اياس/علي/النبي محمد) ، ولهذا فهو حليفاً لمعاوية في حرب صفين .



الشكل رقم (48)

ديانة العرب الفاتحين

بعض الباحثين طرح عدة إشكاليات عن ديانة العرب الفاتحين ، فلا دليل يوجد على انهم كانوا أصحاب دين جديد على حد زعمهم ، فالروايات السريانية او بالأحرى المعاصرة لم تتكلم عن ديانتهم بشكل جيد ولم تذكر إنه كانوا مسلمين ، بل ركزت على احداث المعارك وعلى معاملة الطيايي (العرب) لهم ، حيث إن مصطلح (الإسلام) جاء في عهد عبد الملك بن مروان ، ولذلك اعتقدوا إن الإسلام هو صناعة عبد الملك بن مروان ، ونحن بدورنا لا ننكر دور عبد الملك بن مروان أبدا ، ولكن من غير الممكن نسب نشوء الدين له ، لأنه وكما عرفنا

إن محمد كان موجود وإن رواية ايشوعياب الحديابي كانت تتكلم عن شخص مهرطق ظهر بينهم في منطقة داران في العراق ، اضافة إلى روايات أخرى ذكرت محمد بالاسم ، وحسب وضحنا ان الإسلام نشأ من الطيايي والعرب ، أي إنه جمع بين فئتين من العرب هما الطيايي الذين نشأ الإسلام بينهم وبين العرب الوافدين الجدد للدين والذين يمثلون دور (قبيلة بكر بن وائل ف معركة ذي قار والمؤيدين للملوك المناذرة قبل إن يهزم اياس) ودور (قريش في مكة قبل إن يتحولوا إلى مسلمين) ، ولذا فإن قبائل بكر بعد ان هزمهم إياس كانوا قد أعلنوا دخولهم للدين الجديد من ناحية شكلية فقط ، لأنهم ظاهرياً كانوا يقولون انهم من اتباع الدين الجديد ولكن باطنياً هم نصارى ، وهذا ما يمكن تمثيله عند بني أمية وانشقاقه عن علي قبل إن يخوض ضده حرب صفين ، حيث إنه لا يوجد دليل على كون معاوية كان مسلم او بالأحرى لا يوجد دليل على كون بني أمية قبل عبد الملك كانوا من اتباع الدين الجديد ، كذلك هذا ما أكدته رواية ايشوعياب الحديابي حول ان العرب كانوا يساعدون المسيحيين ويعطفون علهم ، بينما الطيايي كان لهم موقف مغاير للعرب تجاه المسيحية .

ولتوضيح هذه الانشقاق الخفي في ديانة العرب (الإسلام) في عهد المسلمين الأوائل والذي أصبح فيما بعد يمثل الانشقاق الإسلامي المعروف اليوم بـ(الشيعي – السني) ، يروي ميخائيل السرياني رواية عن قائد من جيش العرب الفاتحين يدعى (عمرو بن سعد) ، قد أمر بترجمة الإنجيل إلى العربية بعد ان منع وجود الصلبان في خارج الكنائس ، وهذا النص نقلاً عن المؤرخ المذكور :" في هذه الفترة عقد مرطوريوس أسقف رومية مجمعاً في رومية حضره 109 أساقفة حرم فيه الملك هرقل وسرجي وقورس وبولس ، وكل من لا يعترف بطبيعيتين وفعلين وإرادتين وصورتين للمسيح ، بحسب معتقد لاون ... في هذه الفترة ، منع عمرو بن سعد أمير العرب (المسلمين) وجود صلبان خارج الكنائس وأمر بمحو صورها من الحيطان ، وان عمرو هذا هو الذي استدعى بطريرك يوحنا ، فلما دخل إليه بدأ يتفوه بكلمات غريبة عن روح الكتب ، ووجه إليه أسئلة سخيفة ، فأجابه البطريرك على جميعها استناداً إلى العهدين القديم والجديد ، ومن براهين طبيعية ، فاندهش عمرو من شجاعته وغزارة علمه ، كل ما يدل على ان المسيح ابن الله ، وكلمة المعمودية والصليب ، فاستعان الطوباوي بالله وقال : حاشاي ان احذف حرفاً واحداً او سطراً من الإنجيل ، حتى ولئن اخترقتني كل نبال وسهام جيشك ، وتجاه هذا الصمود ، سمح له ان يفعل ما يشاء ، فجمع الأساقفة

واستدعى جماعة من التنوخيين والطائيين (الكوفيين) الفقهاء باللغتين العربية والسريانية ، وأمرهم بترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية ، وعرض ما يترجمونه على المفسرين وهكذا عرب الإنجيل وقدم للأمير"[371] . حيث إن هذه الرواية تتحدث عن وصف لجدل بين بطريرك مسيحي وقائد عربي والذي قد يكون حدث عام 644م ، يبدو الأمير وكأنه لا يرفض مكانة يسوع المسيانية ولا يؤكدها ايضاً ، اي إنه كان أشبه بالمتردد من هذه الناحية ، وربما خوفاً من باقي العرب الذين كانوا من اتباع اياس منذ البداية ، والباحثة في التاريخ الإسلامي باتريشيا كرونة تقول ان الرواية تعود لعام 644م ، وان (عمرو بن سعد) هذا المقصود به هو (عمير بن سعد الانصاري) حاكم مدينة حمص ومناطق أخرى بحسب رواية للطبري في تاريخه[372] ، إلا أننا نرجح إن هذا القائد هو (عمر بن سعد بن أبي وقاص) ، فهو من الكوفة على الرغم من ان الرواية الإسلامية تنسبه للمدينة المنورة ، ولحسم الجدل حول ذلك فهو من سكنة الكوفة وهذا ما تتفق عليه الرواية الإسلامية ايضاً ، وعند الروايات الإسلامية وبالخصوص منها الشيعية ، انه قام بالتحريض ضد مسلم بن عقيل مبعوث (الحسين بن علي بن أبي طالب) إلى الكوفة ، وهو احد القيادات الجيش الأموي الذي شارك في واقعة الطف في كربلاء ، بينما الروايات السنية تذكر ان عمر بن سعد خرج لمقاتلة الحسين مكرهاً لأنه بالبداية رفض طلب ابن زياد والي البصرة (بكرا) ووالي الكوفة ، ولكن عبيد الله ابن زياد هدده بنقله إلى مكان اخر اذا لم يخرج لقتال الحسين بن علي . وفي أبكر الكتابات الرؤيوية الأخروية السريانية في العصور الإسلامية ، المنحول إلى أفرام يشير إلى العرب (الهاجريون) كانت تمسك بعهد ابراهيم ، وكذلك كما وضحنا سابقاً في رواية مؤرخ خوزستان من القرن السابع التي اشارت إلى ممارسة العرب الدينية ، لا ترى امراً غير عادي عبادة العرب (الطيايي) عند قبة ابراهيم في إشارة إلى الكعبة ، لأنهم استمروا يفعلون ذلك منذ القدم اجلالاً لأبي أمتهم (إسماعيل) ، كذلك يصف يوحنا فينك ديانة الهاجريون وصفاً مباشراً ، فيقول : إن الهاجريون يعبدون الله الواحد بحسب العهد القديم ، وإنهم يتبعون تعاليم محمد ، الذي أصبح معلمهم (مهديهم ، مهديانا) ، الذي شرع عقوبة الموت على كل من يخالف تعاليمه ،

[371] - تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير ، نفس المصدر ، ص327 .

[372] - باتريشيا كرونة ، مايكل كوك ، نفس المصدر ، ص24 .

مع العلم إنه ما من مصدر سرياني يصف الهاجريون بأنهم يهود ، ولكن يفهموهم بأنهم موحدون لله على شاكلة يهودية[373] .

[373] - جبرئيل سعيد رينولدز، القرآن في محيطه التاريخي ، ترجمة: سعد الله السعدي ، منشورات الجمل ، بيروت-بغداد ، ط1 ، 2012 ، ص325 .

الفصل الثالث

الإسلام بعد النبي محمد

تؤرخ الروايات العربية لوفاة النبي محمد عام 632م ، وتضع من بعده اربعة خلفاء كما أوضحنا هم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي أبن أبي طالب ، وكما توصلنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب إلى ان أبو بكر لو كان شخصية حقيقية فيجب أن يكون زعيم قبيلة بكر بن وائل التي خرجت ضد اياس بن قبيصة الطائي (النبي محمد/علي) في معركة ذي قار عام 624م ، وجزء من شخصيته قد اقتطعت من سيرة طلحة بن عبيد الله ، اما بالنسبة لعمر بن الخطاب فلا توجد رواية معاصرة تذكره ، وكل الروايات التي ذكرته تعتبر متأخرة او كما تسمى عند الباحثين بـ(المنحولة) ، وان جزء من سيرته هي بالأصل كانت قد أخذت من سيرة الحاكم الأموي عمر بن عبد العزيز ، وبالنسبة لعثمان بن عفان فشخصيته تقارب شخصية النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي قتله الفرس ، وكذلك ربما له علاقة بحمران بن ابان (حمران بن عفان) ، اما الخليفة الرابع فهو علي ابن أبي طالب وكما ذكرنا ان علي هو نفسه النبي محمد وهو نفسه إياس بن قبيصة الطائي ملك الحيرة بعد النعمان بن المنذر ، حيث ان هذا التشابه لا يمكن ان يكون بسبب كونه من تاريخ متقارب وكذلك بسبب كون الشخصيات عاشت نفس الاحداث ، لذا يصبح ان الحاكم العربي الذي حكم بعد النبي محمد (اياس/علي) هو معاوية بن أبي سفيان .

وفي رواية صينية للمؤرخ تو يو ، عن تولي معاوية لحكم الشام ، حيث نجد ان توليته للشام كان بتكليف من النبي محمد (علي/اياس) وليس من قبل عثمان ، فجاء في تلك الرواية ان ملك الطائيين الذي يدعى (هان مي مو مو ني) أرسل عام 651م موفداً إلى البلاط الصيني يحمل الهدايا ، وأعلن في الوقت نفسه في رسالة أن البيت الطائي الذي يحكم منذ ثلاثة وأربعين عاماً قد مر عليه ثلاثة ملوك ، وان الطائيين أخضعوا كل ممالك غرب أسيا ، وبعثوا قائدهم الميداني الذي يدعى مو يي (Mo-yi) ليحاصر عاصمة فولين (بيزنطة ومن ضمنها سوريا) ، ووافق ين يو (Yin Yo) الذي فاوض في سبيل السلام على حصول الطائيين على جزية سنوية من الذهب والحرير من فولين (بيزنطة)[374] ، حيث نجد ان هذه الرواية

[374] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص170 .

تتحدث عن الفترة المنسوبة لعثمان بن عفان ، ولكن يذكر اسمه بصيغة (هان مي مو مو ني)، وهذه الصيغة لا تقارب لفظة اسم عثمان ، بل انها تشير إلى (محمد) ، وانها تقارب الصيغة الأخرى لاسم محمد الذي ذكر في الروايات الصينية (مو هو مو) ، وبما ان محمد هو نفسه علي/اياس فهذا يعني ان علي هو من أعطى لمعاوية ولاية الشام ، قبل ان يخرج عليه.

ينسب معاوية إلى بني أمية ، وفي الرواية الإسلامية هو (معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية) ، ولاه عثمان بن عفان بلاد الشام اثناء خلافته ، وبعد موت عثمان بن عفان سنة 35هـ نادى بأخذ الثأر من قتلة عثمان بن عفان وحرض على قتالهم ، وقبل ذلك وقعت موقعة الجمل حيث كانت عائشة في جيش يقاتل للقصاص من قتلة عثمان بن عفان وكان معها طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وكانوا قد خرجوا جميعا لأخذ الثأر من قتلة عثمان بن عفان ، وبعد موقعة الجمل قاد معاوية جيشاً ضد علي بن أبي طالب وكانت موقعة صفين التي انتهت بالتحكيم ، وبعد مقتل علي أبن أبي طالب تولى الحسن بن علي الخلافة فدخل معاوية في صراع مع الحسن وحاربه ، فما كان من الحسن إلا أن حقن دماء المسلمين وأقام عهداً مع معاوية لحقن دماء المسلمين ، وبموجب ذلك العهد تسلم معاوية الحكم فأصبح خليفة المسلمين في دمشق عاصمة دولة الخلافة الإسلامية .

ان الروايات الإسلامية لا تعطينا تاريخ صحيح حول معاوية وعن قصة استلامه للحكم ، بعكس ما هو مكتوب في الروايات الأخرى الغير عربية ، حيث لا يوجد دليل على كونه من اتباع الدين الجديد ، ولا يوجد دليل على كونه من الشام ، بل انه وافد عليهم ، ولا يوجد دليل على كونه كان ينتمي لبني أمية ، بل بالأحرى ان مصطلح بني أمية ظهر في العصر العباسي للإشارة إلى حكام الذين سبقوا حكم بني العباسي ، وتلك الاشكالية وضعت الباحثين للافتراض في كون ان بني أمية من أصول رومية او من أصول فارسية او حتى أرمينية ، غير ان في الحقيقة تاريخ بني أمية لا يخرج عن إطار كونهم عرب من العراق ، ينتسبون او يقربون بعلاقة ما من المناذرة ، ولإثبات ذلك سنشرحه بعدة نقاط :

- في اكثر من مرة ذكرنا ان عثمان بن عفان هو نفسه النعمان بن المنذر، حيث ان نسب عثمان هو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية . اما معاوية كما ذكرنا ايضاً ينتسب إلى (أمية) ، وهذا ما يجعل فرضية انهم كانوا من أصل واحد هي اقرب للحقيقة .

- ذكرنا في اكثر من موضع ان الفئات التي نشأ بينها الإسلام هي ثلاثة فئات وهم : الطائيين (الطيايي) : وهم الذين كان لهم الدور الأكبر في نشأة الإسلام ، حيث ان النبي محمد ينتسب لهم . كذلك قبيلة بكر بن وائل : وهم البكريين او البصريين ، حيث عرفت منهم شخصيات مثل أبو بكر وخالد بن الوليد (الحارث بن بكرا) والمثنى بن حارث البكري الشيباني ، وكذلك هم الذين كان لهم علاقات مع الترك من أمثال آل الزبير ، والفئة الثالثة والأخيرة هم التنوخيين : وهم أجداد الملوك المناذرة ، حيث وكما لاحظنا ان عثمان بن عفان هو النعمان بن المنذر ، وان عثمان بن عفان ينتسب لبني أمية ، وان معاوية ينتسب لبني أمية ، فهذا يعني ان معاوية كان من التنوخيين ايضاً .

- الرواية العربية تنسب ان معاوية هو أبن هند بنت عتبة زوجة أبو سفيان ، وان شخصية هند هذه تماثل شخصية عرفت في تاريخ المناذرة وهي شخصية (هند) والدة ملك الحيرة (عمرو بن هند) المتوفى سنة 570م وهو نفس عام ولادة النبي محمد في المصادر الإسلامية . فمن ناحية التسمية ، فالاسمان متشابهان ، وكذلك ان للشخصيتين دور قيادي ، حيث ان هند بنت عتبة هي سيدة من سيدات بني أمية وقريش ، وزوجة سيد من سادة قريش (ابو سفيان) ، وكانت سيدة تجارة ، اما هند والدة عمرو ملك الحيرة (عمرو بن هند) ، ووالدها سيد من كندة ، وكانت هي المرأة الأولى وبدون منازع في الحيرة ، اما من ناحية اللقب ، فـ(هند بنت عتبة) لقبت بـ(أكلة الأكباد) في المصادر الإسلامية[375] ، لأنها أكلت كبد الحمزة بعد ان مثلت بجثته[376] ، اما هند والدة عمر ملك الحيرة ، فقد لقبت بـ(بنت اكل المرار) نسبة إلى والدها (حجر بن عمرو الكندي) ، ولربما هي اشارة واضحة للحويصلة التي توجد في أسفل الكبد والتي تدعى بـ(المرارة) ، غير ان الرواة المسلمين قد وضعوا تفسيرات كثيرة لفهم هذا اللقب واختلفوا بذلك ، ومنها ان لقب (المرار) هو نسبة إلى نبتة يقال لها المرار.

- خلال حكم بني أمية ، ضربت عملات تحمل اسم (تنوخ) وخاصة في عهد عبد الملك بن مروان ، وهي إشارة واضحة إلى موطنهم ونسبهم الذي جاءوا منه ، وكما ذكرنا ان سابقاً ان تنوخ هي سلالة ملوك المناذرة ، وكما في هذه العملات (الشكل رقم 49) :

---

375 - ابن كثير ، نفس المصدر ، ج8 ، ص129 .

376 - ابن هشام ، نفس المصدر ، ص393 .



الشكل رقم (49)

- ربما ان تسمية (بني أمية) التي شاعت عنهم في العصر العباسي جاءت من الأسماء التي كانت تحملها جدات الملوك اللخميين ، حيث ان جدة المناذرة وهي (ماوية بنت جشم) ، وهي زوجة جد المناذرة (امرؤ القيس بن النعمان) ووالدة المنذر بن امرؤ القيس زوج (هند بنت آكل المرار) التي تكلمنا عنها ، وبذلك فإن هذه (ماوية) هي جدة عمرو بن هند وجدة النعمان بن المنذر ، وكذلك حسب غوستاف روتشتاين ان زوجة النعمان بن المنذر كان اسمها (ماوية)[377] ، ولهذا ربما أطلق عليهم (بني ماوية) والذي حرف إلى (بني أمية) في العصر العباسي.

---

[377] - غوستاف روتشتاين ، نفس المصدر ، ص90 .

- الأمويين اهتموا بالعراق اكثر من اهتمامهم بالشام مقر حكمهم ، والسبب الشائع عن ذلك هو ان العراق كان معقل التمردات ضدهم ، ولكن هذا لا يمكن ان يكون مقنع ، مثلاً نلاحظ في الصورة (الشكل رقم 50) والتي هي لشكل الصليب الذي عثر عليه في تنقيبات الحيرة وعملة الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان والذي يظهر عليها صليب مشابه لصليب الحيرة الذي عثر عليه ، وهذا ما يعني ان بني أمية لغاية عبد الملك بن مروان كانوا نساطرة من اتباع الكنيسة الشرقية ، التي كان عليها الملوك المناذرة .



الشكل رقم (50)

- ان الدولة الأموية هي ذات طابع ونزعة عربية خالصة ، اي بمعنى آخر هو ان الدولة الأموية كانت دولة قومية عربية ، لم تكن تعتمد إلا على العناصر الخالصة التي تنحدر من أصل عربي ، وعلى الرغم من خضوع الشعوب الإسلامية الغير عربية إليها ، فلم يعينوا لهم أي أهمية إلا بقومهم العرب فجعلوا منهم الولاة والقادة ورؤساء الأقاليم والمقاطعات ، فضلاً

عن تسلمهم زمام الأسواق التجارية والمهنية والزراعية ، وهكذا كان النفوذ والثروات بأيدي العرب في زمن الدولة الأموية[378] ، حيث ان هذا يمكن ان نرجعه إلى أصولهم العربية من الحيرة .

ان الرواية الإسلامية تقول ان معاوية لم يستلم الحكم بشكل سلمي قبل عهده مع الحسن بن علي ، فحسب رواية أبن الأثير في الكامل في التاريخ انه عندما استلم علي أبن أبي طالب الحكم ، امتنع معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام عن مبايعته خليفة للمسلمين حتى يقتص من قتلة عثمان ، فأرسل علي أبن أبي طالب ، جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه للمبايعة ، و عندما قدم جرير إلى الشام ، أستشار معاوية عمرو بن أبي العاص ، فأشار إليه بجمع أهل الشام و الخروج نحو العراق للمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان[379] ، فحدثت معركة صفين التي انتهت بقصة التحكيم وظهور الخوارج وانشقاقهم عن جيش العراق ، فخاض ضدهم معركة النهروان التي انتصر فيها عليهم عام 39هـ ، اما عن مقتل علي أبن أبي طالب فتذكر الروايات الإسلامية انه كان يؤم المسلمين في صلاة الفجر في مسجد الكوفة ، و في أثناء الصلاة ضربه الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم على رأسه ، فقال علي جملته الشهيرة: "فزت ورب الكعبة" ، وتقول بعض الروايات إن علي أبن أبي طالب كان في الطريق إلى المسجد حين ضربه أبن ملجم ، حيث توفي بعد ثلاثة ايام من تلك الحادثة ، واستلم الخلافة من بعده ابنه الحسن بن علي وبايعه الناس في الكوفة ، واستمرت خلافته عدة اشهر ، وانتهت خلافته فيما عرف بعام الجماعة بصلح الحسن مع معاوية وتنازله عن الحكم حقناً لدماء المسلمين كما ذكرنا ، حيث تؤكد رواية سريانية البعض من هذه الاحداث وخاصة في رواية جرجس الرشعيني عن دخول معاوية في معاهدة سلام مع الامبراطور البيزنطي كونستانس ، والبدء بحرب مع علي أبن أبي طالب في صفين ، حيث ذكرت هذه الرواية علي بلقبه (أبو تراب) .

اما في المصادر الغير الإسلامية عن علي ابن أبي طالب ، فكما ذكرنا في الفصل السابق بالاستناد إلى رواية مارونية معاصرة نجد ان معاوية شقيقته واسمه حذيفة وان علي

---

[378] - عارف تامر ، القرامطة بين الالتزام والانكار ، دار الطليعة الجديدة ، دمشق ، ط2 ، 1997 ، ص13 .

[379] - أبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ، ص150 .

قتل وهو يصلي في الحيرة ، فذهب معاوية إلى الحيرة وبايعته كل قوات الطائيين هناك ، ان هذه الرواية تتفق مع الرواية الإسلامية بخصوص مقتل علي واستلام معاوية للحكم ، لكنها تضع الاحداث في الحيرة وليس في الكوفة ، ولكن على ما يبدو ان الرواية هذه قد خلطت بين الكوفة والحيرة بسبب التقارب الجغرافي بين المدينتين ، كذلك ان هذه الرواية تؤكد ان معاوية كان له اتباع في العراق وفي الحيرة بالتحديد ، وهذا يعني انه لم يكن غريب عنهم ، مما يؤكد ما جئنا به عن أصول بني أمية وعلاقتهم بالمناذرة الذين حكموا الحيرة قبل هذه الاحداث ، اما بالنسبة لحذيفة الذي تذكره هذه الرواية والذي يظهر كابن شقيقة معاوية ، هو على الأغلب (محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة) ، حيث ان والده هو شقيق (هند بنت عتبة) والدة معاوية ، اي يعني انه يقرب لمعاوية وهو أبن عمته ، حيث ان محمد بن أبي حذيفة هو أمير مصر في عهد عثمان[380] ، وهو احد المشاركين في معركة ذات الصواري مع عبد الله بن أبي السرح ، حيث كان محمد بن أبي حذيفة يعيبه ويعيب عثمان بتوليته ويقول له : استعمل رجلاً أباح الله ذمه! فكتب عبد الله بن أبي السرح إلى عثمان وقال له : ان محمد قد أفسد علي البلاد هو محمد بن أبي بكر. وأجابه عثمان : اما ابن أبي بكر فإنه يوهب لأبيه ولعائشة ، وأما أبن أبي حذيفة فإنه ابني وابن أخي وتربيتي وهو فرخ قريش . فكتب إليه : ان هذا الفرخ قد استوى ريشه ولم يبق إلا ان يطير[381] . فبعث عثمان إلى ابن أبي حذيفة ثلاثين الف درهم وبجمل عليه كسوة ، فوضعها محمد المسجد وقال للجمع ان عثمان يخدعني عن ديني ويرشيني ، وهذا ما جعل اهل مصر يزدادون تعظيماً له وطعنوا بعثمان وبايعوه بعد ذلك ، ثم خرج عبد الله بن أبي السرح من مصر ، فسيطر عليها، ويقال انه بعث بستين رجلاً كان لهم يد في مقتل عثمان ، حتى مقتل عثمان ومبايعة علي ، خرج عنه معاوية وعمرو بن العاص ، فبدأ معاوية بمصر، فقاتله محمد بالعريش ، فطلب منه عمرو بن العاص ان يلتقوا معاً بدون جيش كبير من أجل ان يعقدوا عهداً ، فاطمئن محمد بي أبي حذيفة لهم ، غير ان عمرو جعل له جيشاً خلفه في يوم اللقاء ، فعلم محمد ان عمرو قد غدر به ، فقبض عليه وتم سجنه في دمشق ، ثم قتله[382] ، وقيل قبل ذلك ان علي أبن

---

[380] - أبن الأثير، نفس المصدر، ص150 .

[381] - ابن الاثير، نفس المصدر، ص151 .

[382] - ابن الاثير، نفس المصدر، ص152 .

أبي طالب كان قد ولاه مصر ، ثم عزله وعين بمحله قيس بن سعد بن عبادة ، وقيل ايضاً انه كان مقرب من محمد بن أبي بكر الذي حرض معه ضد عثمان بن عفان ، الذي شارك مع علي ابن أبي طالب في حربه ضد معاوية في معركة صفين ، حيث ان معاوية بن خديج كان موالياً لمعاوية بن أبي سفيان وهو من قام بقتل محمد بن أبي بكر.

ان الإشكالية في شخصية معاوية ، هي انه لا يوجد دليل على انه كان مسلم او بالأحرى انه كان من اتباع الدين الجديد الذي جاء به الطائيين (الطيايي) ، ولا يوجد دليل على انه كان من اتباع النبي محمد او انه يقربه من ناحية القبيلة او العائلة ، حتى ان الرواية الإسلامية تضع له نسباً بعيد نوعاً ما عن قربه عائلياً من محمد ، حيث ان محمد هو من بني هاشم بينما معاوية هو من بني أمية ، وهذه التقسيمات في القبيلة الواحدة جاءت في مصدر صيني يعود إلى القرن الثامن الميلادي وعن فتح النبي محمد للحيرة :" ان قبيلة (كو لي) (Ku lie) (عاقولا نسبة إلى الكوفة) يحكمها زعماء يتوارثون مناصبهم ويسمون (بو يي تا شي) (Po yi ta shi) (التازي بالرداء الابيض) ، وقد انقسمت (كو لي) إلى أسرتين هما (بن ني مو هوان) (Pen ni mo huan) (ربما بني مروان) و(بن ني سي شن) (Pen ni sis hen) (بني هاشم) ، وظهر رجل حكيم وحاذق يدعى (مو هو مو) (Mo ho mo) (بمحمد) اختباره الناس ليكون حاكماً ، ووسع مملكته وسيطر على مدينة (هيا لا) (Hia la) (الحيرة) "[383] .

على الرغم من ان الباحثين اشاروا إلى ان المقصود بـ(كو لي) هو قريش إلا اننا لا نجد اي مبرر لذلك ، لأنه مثلما معروف لنا ان كولي هي عاقولاً وهي الكوفة ، ولأن الكوفة ذكرت في رواية صينية أخرى بنفس هذه الصيغة (يا كو لي) ، وكذلك ان هذه الرواية كانت قد دونت في زمن العباسيين ، وعلى الرغم من انها متأثرة بالروايات الإسلامية إلا انها تحتوي بعض الصحة ، مثل ان الطرفين يعودون باصولهم إلى العراق ، كذلك ان النبي محمد كان في الحيرة وعاش فيها ، وبالعودة لمعاوية واشكاليات حكمه وديانته ، فتذكر نفس المصادر المارونية عن مبايعة العرب لمعاوية وجعله ملكاً عليهم :" تجمع الكثير من العرب في اورشليم ، وجعلوا معاوية ملكاً ، وذهب وجلس في الجلجثة وصلى هناك ، وذهب إلى الكنيسة الجسمانية ، وذهب إلى قبر مريم المبارك وصلى فيه ...

---

[383] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص171 .

في يوليو من نفس العام تجمع الأمراء والكثير من العرب واعطوا البيعه لمعاوية ، ثم أصدر أمر أن يعلن ملكه في كل القرى والمدن التي تحت سلطانه ، وأنه ينبغي أن يتم الدعاء والتهليل له وسك العملات من الذهب والفضة ، لكنها لم تقبل لأنها لم تحمل الصليب ، كما لم يرتدي معاوية تاجاً كالملوك الآخرين في العالم ، ووضع عرشه في دمشق ورفض الذهاب إلى مقر محمد "[384] .

وهذه الرواية تذكر انه بعد ملوكية معاوية على العرب فهو يبدأ بالصلاة في الجلجثة، والكنيسة الجسمانية وقبر العذراء ، وهذه موافقة مسلكية على موت المسيح الخلاصي ، وكذلك نجد إشارة إلى سك العملات بدون صليب لم تلق رواجاً وربما هذه إشارة إلى العملات الساسانية العربية التي سكت في العراق وايران والتي اصبحت تحت سيطرة معاوية، حيث لو كان معاوية من ديانة غير المسيحية لفرض عليهم ذلك ولأجبرهم عليها ولا يعطيهم أي حق للاعتراض ، كذلك ان هذه الرواية تشير إلى ان معاوية قد ترك مقر محمد ، وحسب ذلك ، فإن معاوية قد خرج من العراق ووضع عرشه في الشام في دمشق .

وفي رواية اخرى مارونية ومن نفس المصدر، نجد انه في عهد معاوية حدث نزاع بين الطوائف المسيحية في الشام ، وعلى ما يبدو ان الجدل بينهم حدث امام معاوية ، وهزم اليعاقبة امام الموارنة ، وفرض عليهم معاوية ضريبة يدفعوها كل عام ، وهذه الرواية مهمة لتوضيح ان معاوية ليس من الغساسنة ، بل انه كان غريب عنهم ، وهذا يعني انه كان نسطوري من اتباع الكنيسة الشرقية ، حيث جاء في هذه الرواية :"حدث زلزال في فلسطين. وكان هناك نزاع بين اليعاقبة والموارنة وبحضور معاوية ، عندما هزم اليعاقبة ، أمرهم معاوية بدفع 20 ألف دينار، لذلك أصبحت عادة للأساقفة اليعاقبة أن عليهم كل عام إعطاء هذا القدر من الذهب إلى معاوية حتى لا يبطش بهم ... "[385] .

وفي نقش مكتوب باليونانية (الشكل رقم 51) ، ومؤرخ لعام 42هـ (يقصد به التاريخ العربي اي لحكم العرب) ، يشير إلى ترميم حمامات غادير التي تبعد حوالي 7كم شرق الطرف الجنوبي من بحر الجليل ، في عهد معاوية ، يمكن ملاحظة وجود الصليب في اعلى النقش:" في

---

[384] - Robert G. Hoyland. Ibid. P.136.

[385] - Robert G. Hoyland. Ibid. P.135 .

ايـام عبـد الله معاويـة (عبـد الله Maavia) ، القائـد مـن المـؤمنين (اميـر Almoumenen) الحمامات الساخنة من تم حفظ الناس هناك واعادة بنائها بواسطة (Abd) عبد الله بن أبي هاشم (Abouasemou) ، ومحافظ ، في الخامس من شهر ديسمبر ، في اليوم الثاني (الاسبوع) في العام TH6 من Indiction ، في سنة 726 للمستعمرة ، وفقاً للعرب (كاتا Arabas) السنة الـ42 ، لشفاء المرضى تحت رعاية ايوانس ، المسؤول غادارا "[386] .

ويتكلم هشام حتاتة عن هذا النقش ، ويقول ان النقش مكتوب باللغة اليونانية وليس بالعربية ، مع ان معاوية حاكم عربي وكان الاجدر به كتابته باللغة العربية ، ويلاحظ الصليب مع بداية السطر الاول من اللوحة ، كذلك ان تاريخ النقش هو عام 42 والذي يفيد ان معاوية اقام هذا بعد ولايته في عام 41هـ ، وهو تاريخ عربي ليس له علاقة بالتاريخ الهجري، وان النقش لا يحتوي على إشارة إلى الإسلام او نبي الإسلام او كتابة البسملة في اول النقش ، وكذلك لا يوجد ما يشير إلى كونه كان خليفة ، بل انه (أمير المؤمنين) ، وحتى هذه الصفة لا تشير إلى المسلمين ، لأن كل تابعي الاديان الاخرى مؤمنين بدينهم ، فالمسيحيين لهم أمير واليهود والسيخ والهندوس .....الخ[387] .

---

[386] - هشام حتاتة ، محمد ومعاوية التاريخ المجهول ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2017 ، ص79 .

[387] - هشام حتاتة ، نفس المصدر ، ص80 .



الشكل رقم (51)

اما بالنسبة للنقش المنسوب لمعاوية ، والموجود في الطائف ، نلاحظ نص هذا النقش هو منقط أي ان حروفه تحتوي على تنقيط ، ولكن في الحقيقة ان هناك اشكالية كبيرة حول مسألة وجود التنقيط في عهد معاوية ، لأن الاغلبية من الباحثين يجمعون على ان نصر بن عاصم الليثي الكناني هو اول من وضع التنقيط في عهد عبد الملك بن مروان ، بينما في روايات أخرى ان ابو أبي الأسود الدؤلي هو اول من وضع التنقيط في عهد علي ، وجاء في النقش :

" هذا السد لعبد الله معاوية

أمير المؤمنين بناه عبد الله بن صخر

بإذن الله لسنة ثمان وخمسين

اللهم أغفر لعبد الله معاوية

أمير المؤمنين وثبته وانصره ومتع المؤمنين به كتب عمرو بن حباب ".

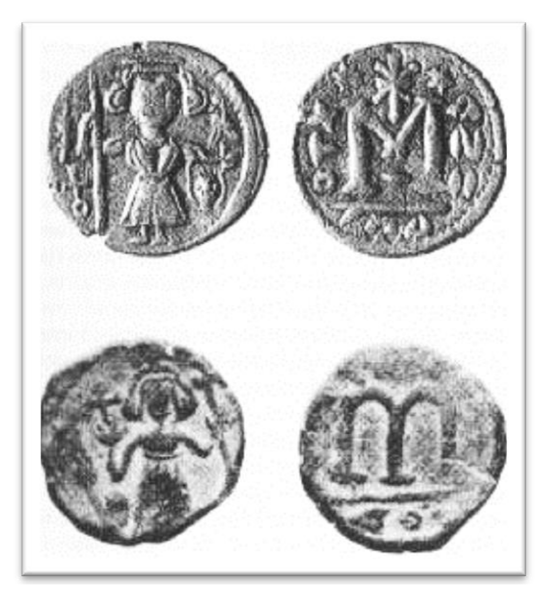
وبرغم ما اخفاه الرواة العرب وأهالوا عليه التراب عن مسيحية معاوية ، إلا ان الحقيقة أفلتت من بين أيديهم في شاردة هنا او هناك تقول ما وعته الذاكرة الشفهية للمعاصرين ، جيلاً بعد جيل ، لتصل إلى مرحلة التدوين ، وليذكرها البعض دليلاً دامغاً يصب في صالح رؤيتنا ، فتذكر بعض الروايات العربية ان معاوية مات وفي عنقه صليب ، كما في رواية القاضي ابو حنيفة النعمان المغربي :" عن سعيد بن المسيب ، قال : مرض معاوية ، مرضه الذي مات فيه ، فدخل عليه طبيب له نصراني ، فقال له : ويلك ما أراني أزداد مع علاجك إلا علة ومرضاً؟ فقال له : والله ما أبقيت في علاجك شيئاً أرجو به صحتك إلا وقد عالجتك به غير واحد ، فأني أبرأت به جماعة ، فإن انت ارتضيته وأمرتني بأن اعالجك به فعلت ، قال : وما هو؟ قال : صليب عندنا ما علق به عنق عليل إلا فاق ، فقال له معاوية : علي به ، فاتاه وعلقه بعنقه ، فمات في ليلته تلك والصليب معلق في عنقه ، وأصبح وقد انزوت بين عينيه غصون انطوت من جلدة جبهته مكتوبة يقرأها كل من رآها ، كافراً "[388] .

اما عن عملات معاوية ، فلدينا عملتين من عهد معاوية ، يظهر باحداها وهو يحمل قفة ، تمثل القفة التي حملت رأس يوحنا المعمدان ، وعلى جانبه الايسر يظهر صليب ، وفي الثانية يظهر فيها معاوية وهو يحمل في يده اليمنى صليب وفي يده اليسرى صليب[389] ، حيث ان العملتين ضربتا في الشام ، وكما الشكل رقم (52) .

---

[388] - القاضي النعمان المغربي ، سرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ط2 ، 1431هـ ، ص153 .

[389] - Karl-Heinz Ohlig, Gerd-R. Puin. Ibid. P.48-49 .



الشكل رقم (52)

اما عن عملاته التي ضربت على الطراز الساساني ، حيث توجد له عملة ضربت في داربجرد في ايران تعود للعام 663م ، وفيها معاوية يظهر كأمير للمؤمنين ، اضافة إلى كون العملة تحتوي على كتابات عربية وفهلوية[390] ، كما في الشكل رقم (53) :



الشكل رقم (53)

[390] J. Walker, A Catalogue Of The Muhammadan Coins In The British Museum, 1941, Volume I - Arab- - Sassanian Coins, British Museum: London, pp. 25-26.

شرح العملة :

نوع العملة : درهم ساساني

سنة الضرب : 663م ، 43 لحكم العرب

دار الضرب : داربجرد (في ايران حالياً)

- في وجه العملة : في الوسط يظهر صورة نصفية ملكية ساسانية واسم معاوية مكتوب بالفهلوية ، حيث جاء بصيغة : (ماوية أمير اي- ورويشنيكان) ، وتعني (معاوية أمير المؤمنين) ، اما في الهامش : تظهر عبارة بالعربية (بسم الله).

- ظهر العملة : يظهر مذبح النار الزرادشتي ، وعلى جانبيه تظهر كتابات بالفهلوية الفارسية (سنة الضرب ودار الضرب).

وله عملات ضربت على الطراز خاص بالعراق ، ولكن هذه العملات لمعاوية ضربت بعد عزله لوالي البصرة عبد الله بن عامر ، وهذا ما جاءت به العملة ، وكانت عربية خالصة وقبل ان يعرف عصر التعريب في عهد الحجاج بن يوسف وعبد الملك بن مروان ، واستمرت بالظهور إلى ان قام معاوية بتولية البصرة إلى زياد بن أبيه ، كما في الشكل رقم (54) :



الشكل رقم (54)

ولو رجعنا للحولية المارونية التي ذكرت سابقاً عن مبايعة قوات الطيايي لمعاوية بعد ان تسلم الحكم ، سنجد ان لهذه الرواية صدى في الروايات العربية ، وبشكل ملفت جداً ، حيث ان بعض القيادات في فترة علي ابن أبي طالب كانت قد بايعت معاوية ومنهم (قيس بن سعد بن عبادة وزياد بن أبيه ، وغيرهم) ، وبالنسبة لقيس بن سعد بن عبادة ، فهو بالبداية قرر مقاتلة معاوية بعد ان تنازل الحسن بن علي عن الحكم حيث ان بايعه اتباعه ، إلا ان معاوية كان يريد من قيس بن سعد ان ينضم إلى صفه ، وهذا ما دفع بعمرو بن العاص ان يقاتل قيس ويجبره على الخضوع او يقتله[391] ، إلا ان قيس اشترط الأمان له ولاتباعه ، ووافق معاوية على ذلك ، اما زياد بن أبيه فكان في عهد علي أبن أبي طالب والي ولاية فارس وكرمان ، ولما اصبح معاوية حاكماً ، فبعث له برسالة يسأله عن الاموال التي كانت تحت تصرفه ، فاخبره انه قد صرف منها واستودع منها ايضاً ، فطلب معاوية من زياد ان يأتي إليه لينظر في هذا الموضوع ، غير ان زياد قد رفض ذلك ، ولما علم والي البصرة (بسر بن أبي أرطأة) بهذا الموضوع ، فسارع بالقبض على اولاد زياد جميعاً ، وزج بهم في السجن ، واعلم زياد بذلك ، ولكنه رفض ان يأتي ، غير ان بسر بن أبي أرطأة كان قد عزم على قتلهم ، فذهب ابو بكرة شقيق زياد إلى معاوية ليخبره ما يريد ان يفعل بسر بابناء زياد ، فقرر معاوية اطلاق سراح اولاد زياد ، وخاف معاوية منه فلجأ إلى الحيلة وذكر ما كان من أمر أبيه يوماً ، ومقالته في زياد ، فأرسل إليه أنه سيقر بنسبه إلى أبيه ، ويصبح اسمه زياد بن أبي سفيان ، فوافق زياد ، فصالحه واستقدمه إلى الشام واستلحقه بنسب أبيه سفيان وكان ذلك سنة 44هـ ، حتى ان عملات زياد بن أبيه ضربت باسم (زياد بن أبي سفيان) (كما في الشكل رقم 55):

---

[391] - منير محمد الغضبان ، معاوية بن أبي سفيان ، دار القلم ، دمشق ، ط2 ، 1996 ، ص243 .



الشكل رقم (55)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم عربي ساساني

سنة الضرب : 53هـ / 672م

دار الضرب اردشير (ايران)

في وجه العملة : في الوسط وجه ملكي ساياني ، وبجانبه اسم (زياد بن أبي سفيان) مكتوب بالفهلوية ، وفي الهامش تظهر كتابة عربية وهي : (بس الله - ربي).

في ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي وكذلك مدينة الضرب وسنة الضرب .

لربما ان تفرد معاوية بالسلطة او لسبب كونه ديني ، اي لكون ان معاوية ينتمي للمسيحية بينما الباقين من اهل العراق ينتمون للدين الجديد ، أسس هذا لفكرة انشقاق البعض من قيادات البكريين (البصريين من قيادات بكر بن وائل) من أمثال محمد بن أبي بكر وكذلك شقيقه عبد الرحمن وشقيقته عائشة بنت أبو بكر والتي هي حسب الرواية الإسلامية كانت هي زوجة النبي محمد ، ومحمد بن أبي بكر كان والي مصر في عهد عثمان ، غير انه خرج عليه ويقال انه سار لحصار عثمان ، وفعل أمراً كبيراً ، وفكان احد من توثب على عثمان حتى قتل ، ثم انضم إلى علي وكان من امراءه وسيره على مصر ، ويقال انه دخل

بحرب مع جيش معاوية فانهزم واختفي ببيت مصرية ، فدلت عليه ، فقتله معاوية حديج ودسه في بطن حمار ميت وحرقه ، ويقال انه ارسل أسيراً إلى عمرو بن العاص ، وقتله[392] ، وما يدل على سوء العلاقة بين عائشة ومعاوية بعد ذلك هي رواية للطبري عن ابلاغ عائشة بمصير أخيها وردة فعلها عن تلك الحادثة : " فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعاً شديداً، وقنتت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو "[393] .وايضاً توجد بعض الروايات تشير إلى ان معاوية قام بقتل عائشة ، وله علاقة بموت أخيها عبد الرحمن بعد ان رفض البيعة ليزيد ، حيث بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر بمئة الف درهم بعد ان رفض البيعة ليزيد ، فردها عبد الرحمن ورفض ان يأخذها وقال : أبيع ديني بدنياي؟ وخرج إلى مكة فمات بها[394] ، حتى ان بعض المصادر كانت قد اشارت إلى ان معاوية حفر بئراً لعائشة ورماها فيه ثم غطى فتحة البئر عن الأنظار ، بعد ان قامت باهانته بسبب طلبه البيعة ، حيث ان هذه الاشكالية تفسر سبب ظهور عبد الله بن الزبير في مواجهة الأمويين في عهد يزيد بن معاوية ، حيث ان الزبير كان يمثل الطرف البكري في كونه ابن أخت عائشة ، كذلك تروي بعض الاخباريات الإسلامية ان معاوية قام بتسميم الحسن بن علي ، فيذكر الطبراني في المعجم الكبير عن أبي بكر بن حفص ان الحسن بن علي مات في زمن معاوية ويرون انه قام بتسميمه[395] ، وفي كتاب أسد الغاية : كان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس سقته السم[396] .

توفي معاوية عام 78هـ ، بعدما عهد الولاية لأبنه يزيد ، ويعتبر معاوية هو اول من بدأ بمبدأ التوريث في الحكم عند العرب بعد الإسلام ، بعد ان كان العمل سائراً بمبدأ البيعة للحاكم ، حيث ان العملات تؤكد ذلك ، فتذكر المصادر الإسلامية انه عندما قام معاوية بطلب البيعة لأبنه يزيد من عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال عبد الرحمن لمروان بن الحكم

---

[392] - الامام الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوس ومأمون صاغرجي ، مؤسسة الرسالة ، ط11 ، 1996 ، ص481 .

[393] - الطبري ، نفس المصدر ، ج5 ، ص105 .

[394] - أبن كثير ، نفس المصدر ، ج8 ، ص89 .

[395] - الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ص70 .

[396] - ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط1 ، 2012 ، ص277 .

والي المدينة في عهد معاوية : "جعلتموها والله هرقلية وكسروية " ، اي يعني جعلتم ملك الملك لمن بعد من ولده[397] ، وعرف عهد يزيد بن معاوية في العراق باعتماده على نفس الهيكل العسكري والاداري الذي كان في عهد ابيه معاوية ، حيث اعتمد في الولاة على العراق وايران على اولاد زياد بن أبيه الذي عرف بزياد بن أبي سفيان كما ذكرنا ، حيث وضع على البصرة (عبيد الله بن زياد) ، وعلى الكوفة (النعمان بن بشير) ثم وضع بمحله على الكوفة (عبيد الله بن زياد) ، ولذلك اصبح عبيد الله بن زياد والي العراق في عهد يزيد ، وعلى خراسان وضع (سالم بن زياد) ، اضافة إلى وضعه لولاة أخرين على مدن أخرى ، وكذلك عرف عهده بكثرة معارضيه من الطيابي (الطائيين ، الذين عرفوا بآل محمد) ، ومن البكريين (الذين تحالفوا مع آل الزبير) ، حيث خرج عليه الحسين بن علي الذي رفض بيعته سابقاً ، فارسل (مسلم بن عقيل) إلى الكوفة التي عرفت بشدة ولاءها لآل محمد ، بعد ان أرسل له الكوفيين رسلاً يخبروه بالقدوم إلى الكوفة لمبايعته ، فذهب مسلم إلى الكوفة ونزل في دار شخص من أهلها يقال له (عوسجة) ، وبايعه حوالي (12000) من الكوفيين ، فوصلت الأخبار ليزيد ، فجعل عبيد الله بن زياد والياً على الكوفة مع البصرة وان يطلب مسلم بن عقيل ويقتله ان وجده[398] ، حيث قام عبيد الله بن زياد بتهديد رؤساء العشائر والقبائل في مناطق الكوفة بإعطائهم خيارين ، الأول هو سحب دعمهم للحسين ، والثاني هو انتظار قدوم الجيش الأموي ليبيدهم عن بكرة أبيهم ، فبدأ الناس يتفرقون عن مبعوث الحسين مسلم بن عقيل شيئاً فشيئاً لينتهى الأمر بقتل مسلم بن عقيل ، واختلفت المصادر في طريقة قتله فبعضها تحدث عن إلقائه من أعلى قصر الإمارة وبعضها الآخر عن سحبه في الأسواق وأخرى عن ضرب عنقه ، وقيل أنه صلب ، وبغض النظر عن هذه الروايات ، فإن هناك إجماع على مقتله وعدم معرفة الحسين بمقتله عند خروجه من مكة إلى الكوفة بناء على الرسالة القديمة التي استلمها قبل تغيير موازين القوة في الكوفة ، وقد علم الحسين بمقتل مسلم بن عقيل عندما كان في الطريق إلى العراق ، حتى وصل إلى كربلاء في منطقة تدعى الطف ، واتجه الجيش الأموي بقيادة عمر بن سعد نحو الحسين واتباعه ، فوصل بالقرب من خيام الحسين وأتباعه

---

[397] - ابن كثير ، نفس المصدر ، ج8 ، ص89 .

[398] - ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دائرة المعارفة النظامية ، الهند ، 1325هـ ، ط1 ، ص349 .

في يوم الخميس التاسع من شهر محرم ، وفي اليوم التالي عبأ عمر بن سعد رجاله وفرسانه فوضع على ميمنة الجيش عمر بن الحجاج وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن وعلى الخيل عروة بن قيس وكان اتباع الحسين اعداد قليلة جداً ، ثم حدثت المعركة ، فقتل الحسين مع الاغلبية من اتباعه ، وقيل في بعض المصادر ان الكتيبة الحمراء الفارسية كانت قد شاركت في هذه المعركة ، حيث انها كانت تتبع عبيد الله بن زياد في البصرة ، فكانت هذه الاحداث سبباً رئيسياً في القيام بالثورات ضد الأمويين .

ان الاشكالية في هذه القصة هي مسير الحسين من مكة إلى الكوفة ، ومثلما وضحنا ان مكة هي متخيلة في الرواية الإسلامية ، وانها لم تكن معروفة في تلك الاحداث ، ولذلك نرى ان الحسين بن علي لم ينطلق من مكة ابداً ، والا ما سبب مروره بكربلاء التي تقع شمال غرب الكوفة لو كان انطلق من مكة التي تقع جنوب الكوفة؟؟ وكيف له ان يخرج مع اطفال ونساء في طريق الموت به حتمي؟؟

لذلك ان قصة خروج الحسين من مكة عليها إشكاليات كبيرة ، لأن الخروج لم يكن من مكة الحالية ، بل كان من منطقة قريبة على الكوفة ، ولذا فالافتراض الأمثل لذلك هو انه خرج من عين التمر ، لأن مدينة عين التمر هي المدينة التي عاش فيها اياس فترة طويلة من فترات حياته ، وكانت ذات أهمية بالنسبة له ، كذلك ان مدينة عين تقع إلى الشمال الغربي من الكوفة ، حيث ان الرواية الإسلامية تذكر ان الحسين بن علي اثناء رحلته إلى الكوفة من مكة كان قد مر بمكان يدعى (قصر بني مقاتل) فنزل به وهو بفسطاط (مخيم) مضروب[399] ، حيث ان القصر يقع قرب بلدة عين التمر[400] ، وهو ايضاً قرب القطقطانة ، حيث ان القطقطانة هي موضع قرب الكوفة من جهة جهة البرية بالطف (كربلاء) كان بها سجن للنعمان بن المنذر ، وهي كانت بالطريق إلى الشام بالنسبة لاهل العراق[401] ، لذا فإن الاشكالية هي بمرور الحسين إلى الشمال من الكوفة مع انه كان يستطيع اختصار الطريق إلى الكوفة مباشرة .

---

[399] - الطبري ، نفس المصدر ، ج5 ، ص407 .

[400] - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة البقاع ، دار المعرفة ، 1954 ، ص1100 .

[401] - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي صفي الدين ، نفس المصدر ، ص1107 .

وبالانتقال لمشكلة آل زياد بن أبيه ، فكمنا علمنا ان زياد بن أبيه كان تحول من موالات علي بن أبي طالب إلى موالات معاوية ، الذي ولاه البصرة ، ثم اعتماد يزيد على ابناء زياد بن أبيه في حكم الولايات في عهده ، نلاحظ ان عبيد الله بن زياد بن أبيه كان قد اعتمد على الأساورة (الكتيبة الحمراء) الذين كانوا أشبه بالمرتزقة من الترك والهنود في الجيش الجيش الساساني وهم الذين عرفوا بالكوفة باسم الحمران ، حيث ان الإشكالية هي بكون اختيار عبيد الله بن زياد على البصرة ، الذين عرفوا بوجود عنصر آخر وهو البكريين من بكر بن وائل الذين عارضوا معاوية ثم عارضوا باقي حكام بني أمية ، حيث بدأ الدخول الفعلي التركي إلى البصرة من خلال هذه الكتيبة ، وكان لهم دور في معركة ذي قار وهم من انشقوا من جيش اياس ، ويماثل ذلك الدور بدور قبيلة اياد التي انشقت على جيش اياس ، ودور الرماة في معركة أحد ، وهذا ما يفسر لنا سبب وجود العنصر التركي في البصرة خلال تلك الاحداث والذي تجاهلته الروايات العربية ، حيث نلاحظ انه من ذلك العهد بدأت تظهر العملات العربية التركية المضروبة على الطراز الساساني ، كذلك في عملات سالم بن زياد شقيق عبيد الله بن زياد وهو كان والي خراسان في المناطق المحاذية للترك ، وخاصة الهياطلة البيض المعروفين بالهون ، كما في عملة سالم بن زياد (الشكل رقم 56) :



الشكل رقم (56)

<u>شرح العملة :</u>

عملة سالم بن زياد

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : سنة 65هـ/685م

دار الضرب : مرو / انبير (ايران)

وجه العملة : في الوسط يظهر وجه ملكي ساساني ، وبجانبه من الناحية اليمنى يظهر اسم (سلم بن زياد) ، وكذلك في الهامش من الجهة اليسرى في الاعلى يظهر ختم الهياطلة الترك ، اما من الجهة اليمنى العلوية في الهامش يظهر اسم مدينة انبير مكتوب باللغة البكترية (البلخية) بصيغة (امبيرو) ، وفي الهامش من الاسفل تظهر عبارة عربية وهي : (بسم الله ، الله/اكبر) ، حيث ان عبارة (الله اكبر) ظهرت لاول مرة في هذه العملة .

ظهر العملة : بعض معاملها غير واضحة ، حيث في الوسط يظهر مدينة الضرب وسنة الضرب .

حيث انه من نفس تلك الفترة دخل سالم بن زياد الوالي الأموي على المدن الفارسية بحرب مع شخصية تركية كان زعيماً للهاطلة البيض (الترك) يدعى (الزبيل) ، فسار سالم بن زياد بجيش إلى اقليم خراسان وكان بجانبه المهلب بن ابي صفرة وعبد الله بن حازم السلمي وطلحة بن عبد الله الخزاعي وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ، فتمكن سالم بن زياد من طرق ابواب بخاري وسمرقند بعد مقاومة عنيفة ، ثم قام سالم بن زياد بانتداب أخاه يزيد بن زياد على الاقليم وجرد جيشاً لمحاربة الزبيل صاحب زابلستان (شرق ايران) ، وفشلت هذه الحملة وقتل قائدها وقتل ايضاً ابو عبيدة بن زياد ، كما جرد حملة أخرى على خراسان بقيادة طلحة بن عبد الله الخزاعي الذي افتدى الأسرى العرب بالف الف درهم ، وأعاد الاستقرار إلى سجستان بعد مفاوضات سياسية ، قبل ان يباغتهم بالهجوم[402] .

ليس من الصدفة ان يدخل الأمويين في صراع مع الزبير في مكة وبنفس الوقت يظهر الزبيل التركي كعدو للامويين ينافسهم في المناطق الشرقية من ايران ، ولكن عند الرجوع للعملات التي ضربت في تلك الفترة ، سنجد ان الزبير والزبيل هم شخصية واحدة ، وان ضرب عملة سالم بن زياد مع ختم للهياطلة مع هي إلا لكونه دخل اراضي الترك الهياطلة ، وحكمهم لمدة من الزمن ، حيث يظهر اسم الزبير في العملات بصيغة (ابيت-اي-الاي-زبيلان) (الشكل رقم 57) :



الشكل رقم (57)

[402] - سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث ، أطلس تاريخ الدولة الاموية ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 ، 2012 ، ص98.

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 65هـ

دار الضرب : داربجرد (ايران)

وجه العملة : في الوسط يظهر وجه ملكي ساساني ، وبجانبه كتابة (ابيت-اي-الاي-زبيلان أمير اي- ورويشنيكان) ، وتعني (عبد الله بن الزبيل أمير المؤمنين) ، وفي الهامش تظهر كتابة عربية : (بسم الله) .

ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .



الشكل رقم (58) ، توضيح بعض المناطق المهمة في شرق ايران ، الصورة منقولة من اطلس تاريخ الدولة الأموية لسامي بن عبد الله بن احمد المغلوث

والزبيليين هم سلالة حاكمة ، حكمت المناطق الحدودية بين افغانستان وايران منذ اوائل القرن السابع الميلادي حتى الفتح الاسلامي لأفغانستان وخلال هذه الفترة دخلوا في حروب مع المسلمين ، ويعتقد ايضاً انهم من نسل حكام قبل الهون (الهياطلة في زابلستان) ، والزنبيل يعني (اله الشمس) ، واله الشمس لديهم هو الاله (زون) ، ومن كلمة (زون) جاءت الكلمة الانكليزية الحالية للشمس (Sun) ، اما في الفارسية فهو (زون-داتبار) ويعني (الاله زون

مانح العدالة) ، اما في الفارسية الوسطى (الفهلوية) فاصبح الاسم بصيغة (زامن-اي-داتبار) وتعني (ارض اله العدالة) .

بحسب انطوني ماكنيكول والذي قاد الحفريات في قندهار في سبعينيات القرن الماضي فإن حكم الزبيليين في منطقة قندهار حوالي 250 سنة حتى اواخر القرن التاسع ، وعاصمتهم الرئيسية هي (زامندوار) ، والواقعة في مقاطعة هلمند الحالية في افغانستان ، حيث كان معبد الاله زون (اله الشمس) يقع على بعد ثلاثة اميال إلى الجنوب من قلعة موسى في هلمند ، ويعتقد البعض ان معبد سوناجير الذي ذكره الرحالة الصيني الشهير (شوانزانغ) في عام 644م له علاقة بهذه العبادة[403] ، فقال عنه عند عودته من الهند :

" لقد جاءت روح ديفا من جبل أرونا ، الذي يقع في كابيسا ، إلى تسو-كو-تشا (زابلستان) ، وتعيش في الجزء الجنوبي من ذلك الجبل في معبد سوناجير ، كل الناس وكل عام النبلاء والناس العاديين من الأراضي القريبة والبعيدة تأتي للمشاركة في الاحتفالات ، كما أنهم يجلبون معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة والأغنام والخيول وغيرها من الحيوانات الأليفة "[404] . ويعتقد ان معبد هذا الاله دمر بعد الإسلام في القرن السابع الميلادي ، والزون عند العرب هو صنم او كل ما عبد من دون الله ، والموضع الذي تجمع فيه الاصنام وتنصب يسمى بـ(الزون)[405] ، وفي عام 653م وصل الجيش العربي بقيادة (عبد الرحمن بن سمرة) إلى معبد زون الاله الشمس في زامندوار ، حيث تفيد التقارير إلى ان هذا القائد قام بقطع يد الاله زون وأخذ قطع الياقوت من عينه من أجل اقناع مرزبان سجستان (سيستان) ان هذا الاله او الصنم لا ضرر ولا خير منه ، وهذا ما جعل بعض سكان تلك المنطقة يدخل في الاسلام ، وفي عام 698م ذهب عبيد الله بن أبي بكرا بحملة ضد الزبيليين ولكنه هزم ، غير ان الزبيليين هزموا امام الجيوش العربية بقيادة عبد الرحمن بين الاشعث عام 700م .

اما عن المصادر العربية فيتحدث الدكتور حسين مؤنس في (اطلس تاريخ الاسلام) نقلاً عن الرواة العرب عن قصة الصراع التركي العربي في مرحلة الإسلام المبكر ويقول انه بعد

---

[403] - Abdul Hai Habibi. "The Temple of Zoor or Zoon in Zamindawar". alamahabibi.com. 1969. Retrieved August 14, 2012.

[404] - Abdul Hai Habibi. Ibid.

[405] - مجمع اللغة العربية ، المعجم البسيط ، مكتبة الشروق الدولة ، القاهرة ، 2004 ، ص408 .

ان اكمل المسلمين فتح كل اقاليم الدولة الساسانية ، وهي الجبال والري وطبرستان وفارس وكرمان وسجستان ونوهستان وخراسان ، بدأ الصراع العربي التركي على الاراضي الواقعة بين بلاد ايران وبلاد المغول ومن ورائهم الصينيون ، كان الترك أجناس شتى ، حيث واجههم العرب جنساً بعد جنس ، وكان اول جنس منهم قابلوه هم جنس الهياطلة والذي يسمون في النصوص الغير عربية باسم (Hephtalites) وكان الهياطلة قسمين كبيرين هما :

1- قبائل الشمال : وهي التي تسمى في الغالب باسم الهياطلة وملكهم يلقب بالزونبيل والذي يقرأ احياناً بالخطأ (الرتبيل) .

2- قبائل الجنوب : ويسمون بالزابليين ، وقد استقروا في اقليم زابلستان وأعطوه اسمهم ، وأصل الهياطلة من وسط أسيا ثم هاجروا إلى شمال الهند ، ومن هناك أمتدوا غرباً وهاجموا ايران وهزموا جيوشها ، وقتلوا ملكها فيروز في معركة كبيرة عام 484م ، واصبحوا سادة شرق ايران ، واخذوا الجزية من أهلها لنحو نصف قرن ، وخلال النصف الاول من القرن السادس الميلادي شملت دولة الهياطلة بلاد الصغد ، وحوض نهر جيحون الاعلى المسمى بالاوكسوس ثم صالحوا الفرس على ان يعودوا إلى بلادهم شرق سجستان ، ومعنى ذلك ان العرب كانوا قد تغلبوا إلى ذلك الحين على شعوب ايران ، وادخلوهم وبلادهم إلى دولتهم ، وبدأوا بعد ذلك معركتهم مع الترك ، ولم يكن الهياطلة هم الجنس التركي الوحيد الذين دخل العرب في صراع معهم في هذه المرحلة من مراحل بنائهم لدولة الاسلام ، بل كان هناك الترك (البختيون) ويسمون في المصادر الغير عربية باسم (البكتريين) نسبة إلى اقليم باكتريا (بلخ في افغانستان الحالية) الذي سكنوه ، والى شرقهم كانت منازل الترك الكوشان ، وكان البختيون والكوشان معادين للهياطلة ، وقد عرف هذان الفريقان من الترك باسم الترك الغربيون ، وعندما دخل العرب في الصراع مع الترك قاتلوا البختيون في نفس الوقت الذي قاتلوا فيه الهياطلة ، وكلا الفريقين ينتمى إلى الترك الغزية[406] .

وتذكر المصادر العربية ايضاً ان الربيع بن زياد فتح بلخ ، وهزم الترك في بادغيس وهراة وبوشنج ، وخلفه أبنه عبد الله بن الربيع بن زياد الذي وسع الفتوح حتى ضفاف نهر جيجون ، وعقد معاهدات صلح مع أهل زم ، وعندما ولي عبيد الله بن زياد البصرة والكوفة،

---

[406] - حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ط1 ، 1987 ، ص 130-131 .

عبر عام 674م نهر جيجون ودخل بيكند وبخاري من بلاد الصغد فيما وراء النهر ، واضطرهما إلى دفع الجزية وعاد في العام التالي إلى البصرة ، وخلفه على ولاية خراسان سعيد بن عثمان بن عفان عام 675م ، وصحبه عدد من كبار القادة من أمثال المهلب بن أبي صفرة وأوس بن ثعلبة ، وقد قاد سعيد بن عثمان بن عفان حملة كبيرة توغل بها في بلاد الصغد واجتار باب الحديد ، وفتح مدينة ترمز الحصينة على نهر جيجون ، فسيطر بذلك على الطريق الرئيسي من خراسان إلى ما وراء النهر[407] .

وقبل ان يكبر شأن عبد الله بن الزبير (الزبيل) ، خرج اهل المدينة ومناصري عبد الله بن الزبير على يزيد ، وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الانصار عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر ، وسجنوا من بالمدينة من بني أمية وطردوا عامل يزيد ، فبعث يزيد إليهم ان يعودوا للطاعة دون قتال فرضوا ذلك ، فارسل إليهم جيشاً قوامه 12000 مقاتل بقيادة مسلم بن عقبة ، فتمت محاصرة المدينة من ناحية يقال لها الحرة ، ولما فتحها دعا الناجين إلى بيعة يزيد فبايعه البعض ، ومن رفض تم قتله ، وعرفت تلك الحادثة بـ(وقعة الحرة) ، وتذكر المصادر الإسلامية ان الحرة تقع في الجهة الشرقية من المدينة[408] ، غير اننا لا نرى ذلك حقيقي ، فهذا الموقع نسب لها فيما بعد ، وان الموقع الحقيقي لها هي (الحيرة) ، في العراق ، حيث ان الوجود الأموي في الحيرة كما شرحناه في بداية هذا الفصل هو طبيعي ، بسبب كونهم من أصول لخمية من المناذرة ، كذلك انها المدينة التي حكم منها علي (النبي محمد/اياس) ، اضافة إلى الكوفة وعين التمر ، وكذلك لو رجعنا للرواية الإسلامية سنجد ان قائد الجيش الأموي (مسلم بن عقبة) كان قد دخل للحرة او للمدينة من جهة الكوفة ، حيث ذكر ابن الاثير في الكامل في التاريخ :"وصمد مسلم فيمن معه ، فأقبل من ناحية الحرة حتى ضرب فسطاطه (مخيمه) على طريق الكوفة "[409] .

اما بالعودة إلى أمر عبد الله بن الزبير ، فهو عرف بالمصادر الإسلامية كحفيد لابو بكر الصديق ، وامه هي اسماء بنت ابو بكر ، ووالده هو الزبير بن العوام ، وشقيقه هو مصعب بن الزبير ، ويعتبر هو اول من ولد في الإسلام في المدينة ، حيث شارك في عدة حروب في

---

[407] - حسين مؤنس ، نفس المصدر ، ص131 .

[408] - حسين مؤنس ، نفس المصدر ، ص88 .

[409] - ابن الاثير ، نفس المصدر ، ج3 ، ص458 .

الإسلام بالخصوص في مدن شمال افريقيا في عهد عثمان بن عفان ، وكان له دور كبير في معركة الجمل ، حيث انه خرج ضد علي ابن أبي طالب مع خالته عائشة بنت أبو بكر ، وانه احد الاشخاص الذين رفضوا البيعة ليزيد بن معاوية ، وقرر الذهاب إلى مكة ، وعلى الرغم من محاولات يزيد لأخذ البيعة من عبد الله بن الزبير إلا انه رفض في اكثر من مناسبة ، فارسل له يزيد حملة بقيادة عمرو بن الزبير (شقيق عبد الله بن الزبير) ومعه 1000 رجل ، ولكن عبد الله بن الزبير استطاع الامساك بعمرو شقيقه وعذبه ومات تحت الضرب ، ثم أرسل له حملة ثانية بقيادة الحصين بن نمير الذي قام بحصار ابن الزبير في مكة ، ثم قام بنصب المنجنيق ورمى به الكعبة واتباع ابن الزبير ، و اثناء احتدام المعارك بينهم احترقت الكعبة[410] ، جاء خبر للجيش الأموي ان يزيد قد مات ، فطلب الحصين من الزبير ان يتفاوضوا ، فتمت المفاوضات بينهم ، فعرض الحصين على الزبير ان يذهب معه للشام ليبايعه هناك على الخلافة بعد موت يزيد ، ورفض الزبير ذلك العرض ، ثم تمت مبايعة معاوية بن يزيد على الحكم في الشام ، غير ان حكمه لم يستمر طويلاً فقيل انه حكم ثلاثة اشهر وقيل اربعين يوماً وقيل انه حكم عشرين يوماً[411] ، فحدثت أزمة في حكم من بعده بسبب كون أخيه خالد بن يزيد كان صبياً صغيراً ، وفي تلك الفترة استفحل أمر أبن الزبير وبايع له الناس من أنحاء الدولة ، فرأى البعض من الشام وعلى رأسهم الضحاك بن قيس أمير دمشق ان يبايعوا أبن الزبير وحتى مروان بن الحكم كبير بني أمية فكر بالذهاب إلى ابن الزبير ليبايعه ويأخذ منه الأمان[412] ، غير ان البعض من بني أمية واتباعهم من جند وقادة رفضوا ذلك ، فبقي الشام بدون حاكم لمدة ستة أشهر ، حتى اتفقوا على ان يعقدوا مؤتمر للشورى ، فاتفقوا على مبايعة الفرع الثاني من بني أمية وهم (المروانيين) ، وأولهم هو (مروان بن الحكم) ، حيث بدأ العهد المرواني في الحكم الأموي من هذه الفترة[413] . واستغل ابن الزبير اوضاع بني أمية المتدهورة في الشام فقام بهدم الكعبة ، وينقل الطبري عن تلك الحادثة ان ابن الزبير هدم الكعبة وسواها بالارض ، و قد مالت حيطانها بسبب ما رميت به

---

[410] - الطبري ، نفس المصدر ، ج5 ، ص498 .

[411] - علي محمد الصلابي ، خلافة عبد الله بن الزبير ، مؤسسة اقرأ ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص60 .

[412] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص62 .

[413] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص63 .

من حجارة المجنيق في حرب ابن الزبير والحصين بن نمر كما ذكرنا ، فحفر أساساتها وادخل الحجر فيه ، وكان الناس يطوفون من وراء الأساس ، ويصلون إلى موضعه ، وجعل الركن الاسود عنده في تابوت في سرقة (شقائق الحرير) ، وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثياب او طيب عند الحجبة في خزانة البيت ، حتى اعادها لما اعاد البناء[414] .

في تلك الاثناء اتجهت الكفة إلى جهة ابن الزبير على حساب المروانيين ، حيث تمت مبايعة ابن الزبير في العراق وفي إيران ومناطق شرق أيران وفي بعض مناطق الشام وكذلك في مصر وباقي المناطق ، ولكن في نفس الوقت رفض كل من ابن عمر ومحمد بن الحنفية وإبن عباس البيعة له ، فقام ابن الزبير بسجن ابن الحنفية في مكة ، وفي هذا الوقت بدأ نشاط المختار الثقفي يظهر بشكل لافت في العراق ، حيث استطاع ان يجمع الكثير من الانصار له ، تحت شعار الأخذ بثأر الحسين ، حيث استطاع ان يستولي على الكوفة ، وقام بإرسال جيش إلى مكة عام 66هـ لتخليص ابن الحنفية من سجنه ، فنجح بذلك ، مع العلم ان القتال لم يحدث بسبب منع ابن الحنفية لذلك ، فشعر ابن الزبير بمصدر القوة التي كانت عند ابن الحنفية في مساندة المختار له ، فارسل أخاه مصعب الذي ولاه على البصرة بعد هروب عبيد الله بن زياد ، وأمره ان يقاتل المختار ، وفعلاً استطاع مصعب بن الزبير ان يقضي على المختار في عام 67هـ ، فارسل أبن الزبير إلى ابن الحنفيه أخاه عروة يطلب منه ان يبايعه وهدد بالحرب ان أصر على الرفض[415] ، إلا ان ابن الحنفية توجه إلى الشام عند عبد الملك الذي طلب منه البيعة ايضاً مقابل المال او عند الرفض فإنه سيخرج من الشام ، غير ان ابن الحنفية أراد العودة إلى مكة فرفض أبن الزبير ذلك ، فاتجه إلى الطائف وقيل إلى المدينة وبقي بها[416] . حيث استطاع المختار قبل ذلك من القضاء على قتلة الحسين بن علي من عبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم ، وكذلك يعتقد الكثير ان المختار كان من اتباع الكيسانية وان بدايتها انطلقت منذ عهده ، حيث ان الكيسانية هي فرقة شيعية منقرضة تدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب .

---

[414] - الطبري ، نفس المصدر ، ج5 ، ص582 .

[415] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص69 .

[416] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص69 .

ومن الملاحظ خلال فترة حكم الزبيريين بدأت العملات التركية تكثر وتظهر بشكل واضح ، وخاصة في عملات مصعب بن الزبير والي البصرة ، (الشكل رقم 59) ، حيث يحضر في هذه العملة التي ضربت عام 69هـ ختم الهياطلة الهون ، كذلك بعض العبارات العربية والبكترية على الهامش في العملة .



الشكل رقم (59)

وان مسألة الدخول التركي مع البكريين في البصرة ، كان بسبب تحالفهم مع قبيلة بكر بن وائل في تلك الاثناء ، حيث ان الرواية تنسب عبد الله بن الزبير ومصعب إلى كونهم أبناء اسماء بنت أبو بكر ، وان بداية ظهور الرموز التركية في العملات الإسلامية تدل على ان شأنهم ظهر مع ظهور عبد الله بن الزبير (الزبيل) ، وهذا يؤكد على أهمية البصرة في تلك الاثناء وان شأنها اكبر مما هو متوقع في الإسلام ، كذلك توجد عملات تركية عربية غريبة نوعاً ما ، ليس لأنها من عهد عبد الله بن الزبير ، بل ان اسم الحاكم الذي كتب على العملة لم تذكره المصادر الإسلامية ، على الرغم من ان عملته اسلامية ، حيث ان اسم هذا الملك هو (جوريجو شاه) ، كما في الشكل رقم (60) :



الشكل رقم (60)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

مدينة الضرب : مرو ، (انبير) كركان (المدينتين في ايران حالياً).

سنة الضرب : عام 68هـ ، اي اثناء خلافة عبد الله بن الزبير وحربه مع الامويين .

- وجه العملة : في الوسط يظهر رأس ملكي ساساني ، وبجانبه يظهر اسم الملك (جوريجو شاه) مكتوب بالخط البلخي المنقرض (لغة منقرضة) .

وفي الهامش تظهر عبارة (بسم الله) بالعربية وبالخط الكوفي ، وبجانبها كتابة ربما باللغة الفهلوية .

ظهر العملة : في الوسط يظهر معبد النار الزرادشتي ومدينة الضرب وسنة الضرب ، اما في الهامش تظهر كتابات بالفهلوية والبلخية المنقرضة .

بالنسبة لاسم الملك (جوريجو شاه) ، فهو يظهر باللغة البلخية (البكترية) بصيغة (زولووو جوزوجانو) ، ويعني (زولو جوزجان) ، او (ملك كركان) ، حيث تصنف اللغة البكترية اليوم كلغة منقرضة ، وان السبب الوحيد لتفسير انقراض اللغة البكترية (البلخية نسبة الى مقرهم الرئيسي وهي مدينة بلخ في افغانستان حالياً) ، هو أنصهارهم بالمجتمعات الفارسية والعربية ، فبعد ان نزحوا من شرق اسيا الى أواسط اسيا بدأوا ينصهرون بالمجتمعات الفارسية ، ومن ثم تبنوا اللغة العربية في بغداد في العصر العباسي ، بعد ان دخلوا باسماء

متعددة منها البرامكة بالشراكة مع الفرس ، واشار البعض إلى ان الخط البكتري مقتبس من الخط اليوناني ويعزوه البعض الى زمن الاسكندر المقدوني ، وعلماء اللغة يشيرون إلى ان اقرب لغة حالية معروفة للغة البكترية هي لغة مونجي في شمال شرق افغانستان الحالية ، والبشتوية اللغة الرسمية الحالية لافغانستان ، وكذلك هي قريبة من اللغة البارثية القديمة.

اما بالنسبة لآل مروان في الشام ، فقد استطاعوا ان يعيدوا السيطرة على الشام ومصر وكذلك قيام مروان بن الحكم بتولية العهد لعبد الملك وعبد العزيز ، تحت مبدأ التوريث الذي اتبعه معاوية ، حيث نستطيع ان نسمي فترة عبد الملك بن مروان بأنها الفترة الفاصلة في التاريخ الاسلامي ، والسبب في ذلك هو ان مكة الحالية عرفت لاول مره من عهده وكذلك في عهده ظهرت أهمية لمسجد قبة الصخرة عند المسلمين ، ولأول مرة ظهرت كلمة (الخلافة) ، وكذلك كلمة (الإسلام) ، وكذلك كثرة الاحداث المهمة التي حددت مسيرة الدين الإسلامي الحالي ، حيث ان أهم الاحداث في عصر حكم عبد الملك هو حربه مع ابن الزبير ، وفي هذه الفترة بالتحديد ظهرت أهمية مكة الحالية عند المسلمين ، وقبلها كانت غير معروفة ابداً ، وكذلك ظهرت أهمية ما يسمى اليوم بالمسجد الاقصى في فلسطين ، حيث اصبح الأمر أشبه بصراع القبلات بين عبد الملك بن مروان وعبد الله أبن الزبير ، وعرفت هذه الفترة بالصراع على المدينة المقدسة ونحن لا نعني بذلك المدينة الإسلامية الحالية ، لأن ابن الزبير لم يكن يعرف مكان هذه الكعبة نهائياً ، بل ان هذا المكان هو اختراع عبد الملك ، وكذلك يعتبر عبد الملك هو اول حاكم اموي مسلم ، وهذا ما تدل عليه العملات والأثار ، حيث انه في اثناء حربه مع ابن الزبير خرج بفكرة خلق قبلة للمسلمين بديلة عن الكعبة التي كانت تحت سيطرة ابن الزبير. فقام ببناء المسجد المعروف اليوم (بمسجد قبة الصخرة) سنة 72هـ، حيث ظهر حديث نبوي من تلك الفترة منقولاً عن ابن شهاب الزهري الذي أعطى الشرعية للمسجد الجديد في التقليد الاسلامي ، فقال :" ... عن سعيد عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى ، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري بهذا

الإسناد غير أنه قال تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد "[417] .فقام عبد الملك بن مروان بالنقش عليه بكتابات تدل على محاولته جعله مكاناً مهماً ، فكانت تلك النقوش هي :

" 1- بسم الله الرحمن الرحيم لا اله إلا الله وحده لا شريك له/ له الملك وله الحمد/ يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

2- محمد عبد الله ورسوله/ إن الله وملائكته يصلون على النبي/ يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما/ صلى الله عليه والسلم عليه ورحمت الله/ .

3- يا اهل الكتاب لا تعلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق/ إنما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته القيها إلى مريم وروح منه/ فأمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلثة/ انتهوا خيرلكم/ انما الله اله واحد/ سبحانه ان يكون له ولد/ له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله شهيدا.

4- لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون/ ومن يستنكف من عبدته ويستكبر فسيحشركم اليه جميعا.

5- اللهم صلي على رسولك وعبدك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه تمترون/ ما كان لله ان يتخذ ولد/ اذا قضى امرا يقول له كن فيكون/ ان الله ربي وربكم فاعبدوه/ هذا صراط مستقيم " .

وكتب اسمه منقوشاً بالفسيفاء عند مدخل الصخرة من الباب الجنوبي :

" بنى هذه القبة عبد الملك ... أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين ، تقبل الله منه ورضي الله عنه امين"[418] .

اما الكتابة الأثرية فهي على المثمنات :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله صلى الله عليه ، بني هذه القبة المباركة ، عبد الله عبد (الله الامام المأمو)ن أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله ورضي الله عند امين "[419] .

---

[417] - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار احياء الكتب العربية ، رقم الحديث: 1397 ، ص628 .

[418] - محمد كرد علي ، خطط الشام ، مكتبة النوزي ، دمشق ، ط2 ، ج5 ، ص251 .

[419] - محمد كرد علي ، نفس المصدر، ص251 .

والكلمات الثلاث الموضوع ضمن قوسين هي بخط صفر ونقش أغبر وهي كانت بلا شك (الملك بن مروا) وقد ابدلتها يد الصناع في عهد الخليفة العباسي المأمون عام 216هـ ، بدليل أنهم نسوا ان يرفعوا التاريخ الاصلي لبناء القبة وهو عام 72هـ .

وبعد ان فشل عبد الملك بمسعاه هذا ، قام بمحاولة إخضاع العراق ، فسار إلى العراق بجيش في مقدمته أخاه محمد بن مروان ، حيث أخذ يكاتب زعماء اهل العراق من جيش مصعب يمدهم ويمنيهم ، وحدثت المعركة بينهم وظهرت الخيانات في جيش مصعب ، وغالبية قادة جيشه قتلوا ، حتى قتل مصعب نفسه ، فدخل عبد الملك إلى الكوفة ، وبايعه أهلها حيث عاد العراق إلى سيطرة الدولة الأموية ، فعرفت تلك المعركة بمعركة دير الجاثليق، ونلاحظ من ذلك ان مصعب بن الزبير كان قد قتل في الكوفة وليس في البصرة ، وهذا يعني ان عبد الله بن الزبير كان قد بقي في البصرة ، حيث لم تعرف مكة في حينها بعد ، ووبعد ذلك قام عبد الملك بتوليه أخاه بشر بن مروان والياً عليها ، وقبل ان يغادرها أعد جيشاً للقضاء على ابن الزبير بمكة[420] ، لأنه قرر ان يقضي نهائياً على دولة أبن الزبير ، حيث وقع الخيار على الحجاج بن يوسف ، فتوجه إلى الحجاز واستقر بالطائف ، وبدأ يرسل بعض الفرق العسكرية إلى مكة ، وكان ابن الزبير يرسل إليه بمثلها فيقتتلون وتعود كل فرقة إلى معسكرها[421] ، وفي محاولة لانهاك ابن الزبير قام الحجاج بفرض حصار اقتصادي عليه ، مما أجبر البعض على الانسحاب من معسكر الزبير في مكة ، حيث ان الحجاج اعطى الأمان لكل من كف عن القتال وانسحب من جيش ابن الزبير ، وقام الحجاج ايضاً بنصب المنجنيق على جبال مكة ، بعد ان توجه بجيشه إلى مكة ، وقام بضرب الكعبة ضرباً متواصلاً بعد ان تحصن فيها ابن الزبير ، حيث توسط اعيان مكة لدى الحجاج طالبين إليه ان يكف عن استعمال المنجنيق وقال لهم : "والله إني لكاره لما ترون ولكن ماذا أصنع وقد لجأ هذا إلى البيت؟؟" . ولما كانت الوفود تأتي إلى مكة من جميع الاقطار ، منع الطواف حول البيت بسبب خطر المنجنيق ، فكتب ابن عمر للحجاج يدعوه لوقف الضرب بالمنجنيق ، فأمر الحجاج بوقف الضرب على الكعبة حتى ينتهي الناس من الطواف ، وبعدما انتهى موسم

[420] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص117 .

[421] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص126 .

الحج نادي الحجاج في الناس بالانصراف من البلاد لأن القتال سيستأنف ضد ابن الزبير[422] ، والضرب بالمنجنيق ، وبالفعل بدأ يضرب الكعبة ، فشدد على ابن الزبير، حيث تركه معظم اصحابه ، وقتل يوم الثلاثاء من سنة 73هـ ، وتولى قتله رجل من مراد ، وحمل رأسه إلى الحجاج ، وقام الحجاج بصلبه على الثنية اليمنى بالحجون كما ينقل البلاذري[423] ، فقالت اسماء بنت ابو بكر للحجاج : "قاتلك الله على ماذا صلب؟؟" فقال : "إني استقبت انا وهو إلى هذه الخشبة ، فكانت اللبجة به ، فسبقني إليها" ، فاستأذنته في تكفينه ، ودفنه فأبى ووكل بجثته من يحرسها ، وكتب إلى عبد الملك انه صلب ابن الزبير، فلامه عبد الملك على ذلك[424] .

ان الإشكالية الحقيقية في هذه القصة هي كثرة ضرب الكعبة بالمنجنيق ، وكذلك حريق الكعبة وهدمها وحفرها ، ونحن نعتقد انه خلال هذه الاحداث تم تحويل الكعبة من مكانها الأصلي في البصرة إلى مكة الحالية ، ولذلك سنعيد سردية القصة بما نراه اقرب للحقيقة والوقائع التي من خلالها نحاول ان نوضح شيء من غموض تلك الفترة : فخلال مجريات الحرب الاهلية الإسلامية الثانية ، بعد 64 سنة من تأسيس الاسلام اعلن عبد الله ابن الزبير نفسه خليفة على البصرة بعد ان خرجت عن سيطرتهم ، وكان ذلك امراً معاكساً للحكام الأمويين ، فما كان منهم إلا ان يرسلوا جيشاً إليها ، وحدثت معارك بينهم إلى ان وصل نبأ يفيد بوفاة الخليفة الأموي في دمشق ، ولذلك أراد اعضاء الافراد العائلة الأموية المرافقين للجيش في العودة إلى دمشق ، وبحسب تدوين الاحداث ومجرياتها وبحسب تاريخ الوقائع ، يصعب تخيل ان تكون هذه الجيوش الأموية قد سافرت من مكة الحالية لتصل دمشق بعد 40 يوم من وفاة الخليفة أخذين في الاعتبار وسائل النقل والمواصلات في تلك الايام ، ويخبرنا الطبري ان ابن الزبير قد حفر معبد الكعبة إلى الارض ، حافراً اساساتها ، ثم اقتلع الحجر الاسود من أساسه ووضعه في قفص خشبي ولفه بالحرير، ويذكر الازرقي ان الناس كانوا خائفين مما يحدث في هذه الاثناء ، وان بعضهم اصابه الندم لأنه اشار لابن الزبير بهدم الكعبة[425] ، وفي عام 65هـ ادعى ابن الزبير انه اكتشف حجارة الاساس التي وضعها

[422] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر، ص127 .

[423] - البلاذري ، أنساب الأشراف ، نفس المصدر، ج7 ، ص129 .

[424] - البلاذري ، نفس المصدر، ص129 .

[425] - الازرقي ، نفس المصدر، ج1 ، ص301 .

ابراهيم ، وعلى ما يبدو ان هذا الادعاء حصل في مكة الحالية ، والأرجح ان ابن الزبير قد اختار مكاناً بعيداً ليبقى الحجر الاسود سالماً من هجوم الأمويين ، فبنى الكعبة الحالية ، اما الأمويين فكانوا حينذاك منشغلين بصراعات داخلية بعد وفاة معاوية بن يزيد ، وفي سنة 68هـ ذهبت اربع مجاميع مختلفة للحج ، كل منها تحت علم مختلف ، لأنهم كانوا في خلاف ونزاع مع بعضهم حول موضوع نقل الحجر الاسود ام لا[426] ، وهذا يبين بوضوح لماذا ذهبت كل مجموعة إلى مكان مختلف ، ثم حصلت ثورة في دمشق مما جعل الانظار بعيدة عن مشكلة نقل الكعبة ، حيث ان الطبري يخصص عدة صحفات لكل سنة في كتابه (التاريخ) ، فيذكر لنا انه في سنة 70هـ ان ابن الزبير قام بشراء عدداً كبيراً من الجمال والاحصنة والمفروشات[427] ، مما يستنتج منه ان هذا كان لكي ينقل بها حاشيته واملاكه إلى مكة وهكذا تقرر ابقاء الحجر الاسود في مكة الحالية ، كذلك حدثت عدة ثورات اخرى في بلاد العرب سنة 71هـ ، ولقد ثارت مدينة الكوفة في العراق وانضمت إلى ابن الزبير في الترويج إلى القبلة الجديدة ، واخبروا ابن الزبير انهم الشعب الذي سيتوجه إلى نفس القبلة التي يعتبرها هو ، ومن أمثال ذلك هو انضمام ابراهيم بن مالك الاشتر إلى جيش مصعب بن الزبير في قتاله ضد عبد الملك بمعركة دير الجاثليق التي قتل خلالها ، ويذكر الازرقي ايضاً ، ان الحجاج بن يوسف كتب رسالة إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في اعادة الكعبة إلى ما كانت عليه في الجاهلية[428] ، والحجاج في هذه الرسالة أراد ان يعيد الكعبة إلى مكانها الأصلي ، إلا ان عبد الملك بن مروان رأى ان مكانها جيد ومناسب بالنسبة لدولته وخاصة ان الكعبة تبعد عن معقل التمردات في العراق ، فأمره باجراء بعض التعديلات عليها ، ويذكر احمد السباعي نقلاً عن الازرقي ان عبد الملك عني بتجديد سقف المسجد واتخذ له خشباً من الساج واستورد له السواري محلاة رؤوسها بالذهب في عام ٧٥هـ[429] ، وكذلك أمر عبد الملك عامله خالد القسري باضاءة مابين الصفا والمروة ، كما أمر بأتخاذ مصباح كبير مقابل الركن الاسود ، ثم انشأ للمصباح عموداً ، وأرسل مال كثير وانشأ ظفائر للبيوت الملاصقة لها تحول دون اختراق اي

---

[426] - Dan. Gibson. Ibid. P 299 .

[427] - الطبري ، نفس المصدر ، ج6 ، ص150 .

[428] - الازرقي ، نفس المصدر ، ص305 .

[429] - أحمد السباعي ، تأريخ مكّة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران ، ص150 .

سيل لها ، واهدى لها شمسيتين من الديباج وقدحين من الجاج وعلق في سقفها ، لنلاحظ من الرواية اعلاه انه على الرغم من الاهمية الدينية للصفا والمروة فانها كانت غير مضاءة!! وهذا ما يضعنا على اعتبار ان هذا انها تم تعيينها في هذه الفترة ، لأن من غير المعقول ان تكون هذه الاماكن المقدسة غير مضاءة ولها تلك الاهمية الدينية عند العرب والمسلمين ، ثم اننا نجد ان تلك الاعمال الجديدة للكعبة قد قامت بعد نقل الكعبة مباشرة وبعد دخول مكة تحت حكم الامويين والقضاء على خلافة ابن الزبير. ووجد نقش في مدينة الطائف (الحالية) في السعودية (الشكل رقم 61) ، يعود الى العام 78هـ ، يؤرخ لبناء المسجد الحرام ، وعلى الرغم من ان المصادر الإسلامية تشير الى ان هذا النقش يتكلم عن اعادة بناء المسجد الحرام ، ولكن النص باشارة صريحة الى بناء جديد وليس اعادة بناء ، اي ان هذا البناء كان قد استحدث ، وما يؤكد ذلك هو إن هذا النقش يعود الى ما بعد فترة صراع عبد الملك والحجاج مع ابن الزبير بخمس سنوات فقط :

١ - شهد الريان بن عبد الله أنه لا إله إلا الله

٢ - و شهد أن محمداً رسول الله

٣ - ثم هو يدمي من أتي أن يشهد علي

٤ - ذلك رحم الله الريان و

٥ - غفر له و استهد به إلي صراط الجنة

٦ - و أسأله الشهادة في سبيله أ

٧ - مين كتب هذا الكتب

٨ - عام بني المسجد الحرام

٩ - لسنة ثمان و سبعين

الشكل رقم (61)

ولو عدنا الى مسجد البصرة ، سنلاحظ انه قد عاش احداث تشبه الاحداث التي جرت للكعبة ، حيث تذكر الروايات ان هذا المسجد قد تعرض لحريق أيضاً ، فأعاد بناءه الوالي أبو موسى الأشعري باللبن والطين ، وسقفه بالعشب وزاد في مساحته ، ولما تولى زياد بن أبيه ولاية البصرة لمعاوية بن أبي سفيان اتخذ عدة إجراءات في اعمار المسجد، حيث وسع مساحته وأعاد بناءه بالآجر والجص أما سقفه فمن الساج ، وتذكر الروايات ايضاً ان الحجاج بعد ان استلم ولاية العراق وبعد ان اكمل عمله في الكوفة توجه الى البصرة ومسجدها بالتحديد ، حيث كان معه الف رجل من اهل الشام ووضع كل مئة جندي على كل باب من ابواب المسجد الثمانية وأمرهم ان يقتلوا كل من يخرج من الابواب ، بعد سماعهم الجلبة في الداخل وأخذ معه مئتين من الرجال الى داخل المسجد ، وأمرهم ان ينتظروا اشارته بقتل المصلين بعد ان يبدأ بخطبته ، لأنهم سيحصبونه ، وفعلاً بدأ بالخطبة فحصبه بعض الناس ، فاشار الى جنوده ، فابتدأوا بقتل المصلين في المسجد ، وعندما حاول هؤلاء الخروج تلقاهم الجنود الواقفون على الابواب وقتلوهم[430] .

وفي بردية عثر عليها في مصر تعود للفترة مابين عامي 86هـ الى 99هـ اي في فترة حكم الوليد بن عبد الملك ، ذكر الحج لأول مرة ، لكن بنص غامض بعض الشيء ، حيث نجد ان (أمير المؤمنين) حسب النص ، قد سمح للناس بالحج وحث عليه! ، وهذا ما يشير الى حدوث مشكلة قبل ذلك ، كانت سبب بتوقف الحج ، اي إنه توقف لفترة من الزمن ، وجاء في هذه البردية ، (الشكل رقم 62) :

" بسم الله الرحمن الرحيم

من سهل بن عبد العزيز الى

عقبة بن مسلم سلم عليك

فاني احمد اليك الله الذي

لا اله الا هو

اما بعد فاني ذكرت الحج و

---

[430] - عبد الواحد ذنون طه ، العراق في عهد الحجاج بن يوسف ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ص72 .

قد اذن به امير المؤمنين للناس

وحض عليه

فان استطعت ان تخرج معي فافعل

فانك ان تشا تفعل .....

ذلك إن شا الله اخرج الى مع رواحلى

ولا تكلفن شيا غير كرا راحلة

والسلم عليك ورحمت الله

من سهل بن عبد العزيز الى عقبة بن مسلم" .



الشكل رقم (62)

اما عن التغير في ديانة عبد الملك بشكل خاص والامويين بشكل عام ، والذي نراه هو اول حاكم اموي تبنى ديانة اهل العراق ، وكذلك بالنسبة لأخية بشر بن مروان والي الكوفة حيث ظهرت عملاته تحمل عبارات دينية إسلامية على عكس ما عرف به حكام بني أمية سابقاً ، حيث ظهرت العملات الأموية في الكوفة وسكت باسم بشر (كما في الشكل رقم 63):



الشكل رقم (63)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 73هـ

دار الضرب : الكوفة (اكولا في العملات)

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني ، وبجانبه اسم الوالي الأموي على الكوفة (بشر بن مروان) ، وفي الهامش تظهر عبارة : بسم الله – محمد رسول الله) بالعربية .

وفي الهامش ظهرت عبارة (بسم الله – محمد رسول الله) بالعربية.

ظهر العملة : يظهر ثلاثة اشخاص بشكل يشبه شكل معبد النار الزرادشتي في العملات السابقة ، ويتوسطهم شخص يرفع يديه إلى جانب رأسه ، وربما هو في وضعية الصلاة ! ، مع ظهور لمدينة الضرب وسنة الضرب .



الشكل رقم (64)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 73هـ

دار الضرب : البصرة؟

وجه العملة : في الوسط تظهر صورة نصفية ساسانية ملكية ، إلى جانب الصورة النصفية توجد كتابات بالفهلوية الفارسية : كلمة (افزوت) وعلى الاغلب تعني (الدعاء) او (الدعاء بالزياد) ، ويظهر اسم الذي سك العملة وهو (بشر بن مروان) ، وكتب على العملة بالصيغة الفارسية الفهلوية (بشر اي مروانان) .

وفي الهامش تظهر كتابات عربية بالخط الكوفي : (بسم الله ، لا اله إلا الله ، وحده محمد رسول الله).

ظهر العملة : يظهر ثلاثة اشخاص ، يتوسطهم شخص يرفع يديه إلى جانب رأسه ، وربما هو في وضعية الصلاة !

وكذلك يظهر سنة الضرب والمدينة التي ضربت بها العملة (على الاغلب البصرة في العراق).

وقبل ظهور هذه العملات ، كان بشر بن مروان يضرب العملات مع بقاء معبد النار الزرادشتي (كما في الشكل رقم 65):



الشكل رقم (65)

وكذلك ظهرت عملة لبشر بن مروان ، كتب عليها دار الضرب بصيغة (ATRA) ، واعتقد اغلب الباحثين في العملات انها تعود للكوفة ، وربما انه ليس المقصود منها الكوفة بل المقصود هي مدينة الحيرة ، لأن اسم الحيرة في التلمود هو (حوترا او حوطرا) وهو يشابه لفظياً اسم مدينة الحضر في النقوش الحضرية وهو (حترا) ، لذلك ان المقصود بـ(ATRA) هي الحيرة ، كما في الشكل قم (66) :



الشكل رقم (66)

وعن عبد الملك ، تذكر المصادر انه بالبداية وقبل ان يتحول بديانته إلى الإسلام ، دخل بتحالف مع بيزنطة ، بموجبه يدفع لهم 365 الف قطعة ذهبية و360 عبداً و330 جواداً اصيلاً سنوياً ، وان تقتسم الدولة البيزنطية والدولة الأموية خراج قبرص وارمينيا ، وارتهن منهم رهائن وضعهم في بعلبك[431] ، حيث قام بضرب العملات العربية على الطراز البيزنطي وبكثرة ، (كما في الشكل رقم 67 ، ورقم 68) :



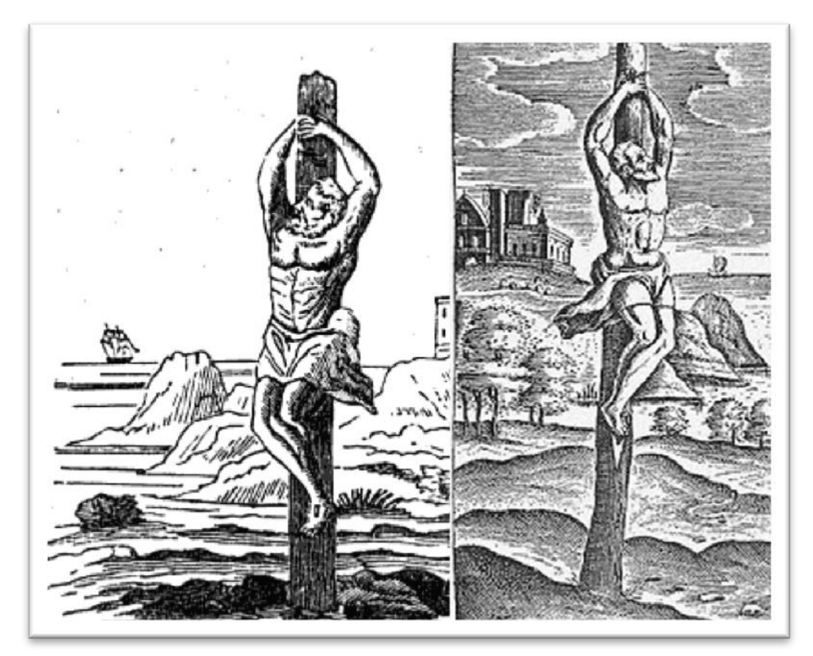
الشكل رقم (67)

[431] - علي محمد الصلابي ، نفس المصدر ، ص112 .



الشكل رقم (68)

ونلاحظ في العملتين اعلاه ، في وجه العملة يظهر عبد الملك وهو يرتدي ثيابه العربية، وفوق رأسه (الكوفية) وله لحية طويلة ، ويحمل سيف الذي يظهر به يسوع في آخر الزمان حسب التقليد المسيحي ، اما في ظهر العملة فيظهر عمود ظهر ايضاً في الالواح التي عثر عليها في الحيرة في العراق ، وهذا العمود يمثل (عمود الالام المسيحي) او كما يعرف باليونانية بـ(عمود ستاوروس) ، لأن بعض العقائد المسيحية تؤمن ان يسوع صلب على عمود او ما يشبه الشجرة او النخلة ، كما في الشكل رقم (69).



الشكل رقم (69)

اما لو رجعنا لى قصة صلب الحجاج للابن الزبير ، ففي هذه الحادثة ما يثير دهشتنا هو الطريقة التي اتبعها الحجاج بن يوسف في صلب عبد الله بن الزبير !

فقيل ان الحجاج صلبه على جذع النخلة كما ذكرنا سابقاً ، وهذا نجد له سند بالنسبة لطريقة الصلب في القرأن ، حيث جاء : " قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى "[432] .

غير أننا نجد ايضاً ان هذه الطريقة للصلب كانت واضحة بالنسبة لعملات عبد الملك بن مروان وكذلك الكثير من الصلبان التي عثر عليها في الحيرة في العراق كما في هذه الصورة ادناه، فنجد عمود في العملة يسمى (عمود الالام او ستاورس كما يعرف باليونانية) وهو يمثل طريقة صلب المسيح بالنسبة لهم ، بالضبط كما يعتقد (شهود يهوه) .

[432] - القرآن ، سورة طه ، الاية رقم 71 .

اما عن مصير التحالف بين عبد الملك والروم ، فقدر له عدم الاستمرار ، حيث نلاحظ ذلك من خلال العملات التي ضربها عبد الملك ، حيث بدأت تدخل الرموز والعناصر الإسلامية في العملات بالتدريج ، حتى عربت بشكل كامل ، كما في الشكل رقم (70) :



الشكل رقم (70)

ضربت هذه العملة في دمشق عام 86هـ ، وكما نلاحظ انها عربية خالصة ، حيث عرف التعريب ربما بنصيحة الحجاج بن يوسف الى عبد الملك ، حيث كان ديوان الخراج في العراق يعمل باللغة الفارسية ، وفي الشام ومصر باللغة اليونانية ، فتذكر المصادر الإسلامية انه حينما صار الحجاج والياً على العراق ، اودع أمر الكتابة في يد شخص فارسي يدعى (زادان فرخ) وكان معه شخص آخر عربي يدعى (صالح بن عبد الرحمن) مولى بني تميم ، الذي كان يعرف الكتابة بالعربية والفارسية ، وكان صالح من أسرى (سيستان) فأتي به زادان فرخ ليقوم على خدمة الحجاج فاعجب به ، وذات يوم قال صالح لزادان فرخ : انت من أتيت بي لخدمة الأمير ، انا أرى ان عملي يعجبه جداً ، وأخشى ان يفضلني ويقدمني عليك وتأخذ انت في السقوط ، فقال زادان : لا تظن ان الحجاج اكثر احتياجاً اليك مني ، لأنه لن يلتمس شخصاً غيري يكفيه أمر حساباته ، فقال صالح : والله لو أردت انا ان أجعل الحسابات باللغة العربية لاستطعت ، فقال زادان فرخ : فلتجعل شيئاً منه باللغة العربية حتى أراه ، ففعل صالح ، بعد ذلك طلب زادان من صالح ان يتمارض ، فارسل الحجاج

طبيبه الخاص اليه ، ولم يرى الطبيب فيه مرضاً ، حينما سمع زادان هذا الخبر ، أمر صالح بأن يكف عن التمارض ، ولما كان عبد الرحمن بن محمد أبن الأشعث قد قام بالثورة ، وذات يوم قتل زادان فرخ وهو خارج زادان فرخ من احد المنازل ، فعهد الحجاج بأمر الكتابة الى صالح ، وشرح صالح للحجاج الكلام الذي جرى بينه وبين زادان فرخ ، فعزم الحجاج على تحويل الديوان من الفارسية الى العربية وأكله له هذا الأمر ، فسأله مردانشاه ابن زادان فرخ صالحاً : ماذا سوف تفعل مع (دهويه وششويه) ، قال ساكتب عشرة ونصف عشرة ، وسأله مرة ثانية : ماذا ستفعل مع كلمة (ايداء) ، قال : ساكتب ايضاً ، وقال له : وماذا ستفعل مع (اند) ، قال نفسها (نيف) في العربية وكلما اضيفت زيادة ، زدت انا ايضاً عليها ، فقال له : قطع الله جذورك من الدنيا ، كما قطعت انت جذور الفارسية[433] .

واحد الأمور المهمة الأخرى عن فترة حكم عبد الملك هو ظهور كلمة (خليفة الله) لاول مرة في عملاته ، حيث لم يسبق احد من قبل ان ادعى انه هو خليفة الله ، فحتى عبد الله بن الزبير لم يكتب في عملاته انه خليفة الله (الشكل رقم 71) ، بل ذكر انه (أمير المؤمنين) ، على الرغم من ان الرواية الإسلامية تقول انه ادعى الخلافة وان بيعته كانت بيعة خليفة ، وهذا الكلام ينطبق على كل من قبله من الحكام المسلمين ، حيث ان مبدأ الخلافة الذي عرفه عبد الملك لم يكن نفسه الذي عرفه العباسيين ، لأن العباسيين استفادوا من منصب الخاقان التركي وجعلوه الخلافة نظاماً اشبه بهذا المنصب التركي .

---

[433] - - عبد الرفيع حقيقيت ، نفس المصدر ، ص244-245 .



الشكل رقم (71)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 75هـ

دار الضرب : غير معلوم

وجه العملة : في الوسط ظهور وجه ملكي ساساني ، واسم عبد الملك ، وسنة الضرب ، وفي الهامش ظهور عبارة : بسم الله – لا اله الا الله – وحده محمد رسول الله).

في ظهر العملة : في الوسط يظهر عبد الملك وهو يرتدي ملابسه وكوفية في رأسه ويحمل سيف، وبجانبه تظهر عبارة (أمير المؤمنين) ، (خلفت الله) .

والكثير من الباحثين يعتقدون وبعضهم يجزم ان الخلافة الاسلامية وجدت نتيجة تأثر المسلمين بثقافات شعوب أخرى ، ولذلك يعتبروها أمر مستحدث في التاريخ الاسلامي ، فعلى الرغم من اننا نملك اول دليل مادي يذكر عبارة خليفة الله في عملة الحاكم الاموي عبد الملك بن مروان ، الا ان المصادر الاسلامية تذكر انه بدأ استعمال كلمة خلافة بعد وفاة النبي محمد وخاصة بعد استلام ابو بكر للسلطة الاسلامية . ففي كتاب (خليفة الله) للباحثين في التاريخ الاسلامي (باتريشيا كرونة ومارتن هيندز) ذكروا ان لقب (خليفة الله) هو اصطلاح يفهم منه بمعنى (مندوب الله) ، حيث ان المسلمين سلموا بأن الله حي لا يموت ، غير

ان بعض الباحثين فسروه على انه يعني (خليفة الرسول المؤيد بتأييد الله له) وهذا ما يؤيده الكثير ، والباحث الالماني رودي باريت اشار الى ان لفظة (خليفة) المذكورة في القرأن تعني (خلف) واستند من لقبوا انفسهم بـ(خلفاء الله) عادة الى ايتين قرأنيتين : " واذا قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة" سورة البقرة ، اية 30.
"يا داود انا جعلناك خليفة في الارض" سورة ص ، اية 26.

فأن ثبت صحة ما يدعيه باريت بأن لفظة الخليفة في القران تعني دائماً (الخلف) ، وكان لقب (خليفة الله) قد صيغ بالفعل استناداً الى هاتين الايتين ، اذاً فإن اللقب كان ينبغي ان يشير الى (خلف الله) بمعنى (خلف الرسول المؤيد بتأييد الله له) ، ولكن من الواضح ان ذلك ليس بصحيح ، وبغض الطرف عن وجود مفسرين اختلفوا مع باريت ، فإن النصوص لا تدع مجالاً للشك في ان لقب (خليفة الله) الذي كان يطلق على رأس الدولة يعني (وكيل الله في ارضه)[434] ، اما عن التأثيرات الأخرى على منصب الخليفة فنجد ان هذا اللقب يرد في نص سامري يدعى (ميمار مرقاه او تعاليم مرقاه)، حيث أطلقه موسى أثناء احتضاره على اليعزر ، وجاء بصيغة (حليفت يهوه)[435] ، ويهوه في اليهودية هو الله عند المسلمين ، وعند العباسيين ان نظام الخلافة الاسلامية شبيه الى حد كبير بنظام الحكم عند الترك في أواسط اسيا قبل الاسلام ويعرف عندهم بنظام الخاقانية ، حيث كان يحكمهم ملك يدعى بالـ(خاقان) ، وهذا الخاقان لا يظهر الا مرة كل اربعة اشهر ولا يتحدث الا نادراً حيث تصل شخصيته الى موضع التبجيل والرمزية ، ويكون دائماً من سلالة ملكية ، ويعين له (خليفة) والذي يسمى بـ(خاقان بك) يدير شؤون الدولة من ادارة وعسكر وهو الذي يظهر للعامة وهو الذي يقود الحرب وهو الذي يمتلك جميع القوى ذات التأثير وهو الذي تذعن له الملوك والممالك الاخرى ، وبذلك يكون منصب (الخاقان) هو منصب تشريفي لا اكثر لأن السلطة الفعلية هي بيد خليفته ، وهذا ما عرف في عصر الخلافة الاسلامية في العصر العباسي بالخصوص ، حيث كان منصب الخليفة في العصر العباسي هو منصب تشريفي لا اكثر والسلطة الفعلية هي بيد الوزراء وقادة الجيش من الفرس والترك ، ويذكر المسكتشف

---

[434] - باتريشيا كرونة ، مارتن هيندز ، خليفة الله ، ترجمة : احمد طلعت ، جسور للترجمة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2017 ، ص12 .

[435] - باتريشيا كرونة ، مايكل كوك ، نفس المصدر ، ص52 .

الاسباني اليهودي (بنيامين التيطلي) في رحلته الشهيرة الى بغداد وعن ما عرفه وشاهده عن الخليفة العباسي ، فيقول :

" والمسلمون لا يشاهدونه الا مرة في العام وعندما يتوافد الحجاج من كل فج بطريقهم الى مكة من اعمال اليمن (كذا) وكلهم شوق لرؤيا طلعته ، فيحتشدون في باحة القصر هاتفين : " يا سيدنا ، نور الاسلام وفخر المسلمين ، أطل علينا بطلعتك الميمونة " ، لكنه لا يبالي بهذا النداء ، فيقول له رجال حاشيته : " يا امير المؤمنين ، أشرق بطلعتك على رعيتك الذين توافدوا من الاقطار النائية للاستذراء بظل فضلك!" ، وعندئذ ينهض الخليفة فيرخى ذيل بردته من مشرفة الالقصر فيقبل الحجاج على لثمها بكل خشوع ، ومن ثم ينادي بهم الحاجب : " اذهبوا بأمان الله ، فأن سيدنا امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام" ، فينصرف الناس فرحين بهذه التحية التي يهديها اليهم الحاجب باسم الشخص الذي في قلوبهم مقام النبي . وجميع الامراء من بيت الخلافة معتقلون في قصورهم الخاصة وراء سلاسل الحديد وعليهم الحراس الموكلون بهم ......"[436] .

وكذلك في عهده بدأت العملات تظهر بسك وضرب الجزيرة ، وكما اشرنا لذلك في الفصل الاول من هذا الكتاب ان الجزيرة العربية التاريخية هي الجزيرة الفراتية التي تقع اليوم بين العراق وتركيا وسوريا ، كما في الشكل رقم (72) :

[436] - رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمة : عزرا حداد ، المجمع الثقافي ، ابو ظبي ، 2002 ، ص294-295 .



الشكل رقم (72)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

دار الضرب : الجزيرة (العراق)

سنة الضرب : 79هـ

وجه العملة : في الوسط تظهر عبارة : "لا اله الا الله وحده لا شريك له" ، وفي الهامش تظهر عبارة : "بسم الله ضرب هذا الدرهم بالجزيرة سنة تسع وسبعين" .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : "الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد" ، وفي الهامش تظهر عبارة : " محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" .

ثورات في عهد ولاية الحجاج للعراق.

بعد ان انهى حربه مع ابن الزبير في العراق ومكة الحالية تولى الحجاج ولاية العراق في عهد عبد الملك بن مروان ، وكانت سياسته في العراق غير جيدة وهي التي خلقت عدة ثورات ضده ، ومنها موقفه من أهل البصرة بعد ان ارتكب مجزرة في مسجدها ثم اعلانه انه لا يرضى بالزيادة التي كان آل الزبير قد منحوها للبصريين في العطاء ، وقد اراد الحجاج ان

يسيطر على الاجزاء الشرقية من سيستان (سجستان في ايران) ، حيث ظهر هناك ملك تركي آخر يدعى (الزنبيل) ، وعلى ما يبدو ان هذا الملك غير الزبير الذي حاربه عبد الملك في العراق ومكة الحالية ، لأن عملات الزبير من تلك الفترة اختفت ، لكن العملات التركية استمرت بالظهور ، وهذا يعني ان القيادة انتقلت الى شخص آخر ، حيث جهز جيشاً واختار على قيادته (عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث)[437] ، وعرف هذا الجيش بـ(الطواويس) لتكامل عدته وشجاعة افراده ، وتوجه ابن الاشعث إلى قتال هميان بن عدي السدوسي الذي خرج على الحجاج في فارس ، وهزمه ، وارسل برؤوس بعضهم الى الحجاج ، ثم دخل سجستان واخذ يحارب الزبيل ويتوغل في بلاده ، ورفض ان يتفاوض معه ، لكنه اكتفى بما ناله منهم من اراضي وغنائم ، وأجل محاربتهم إلى العام القادم وكتب للحجاج بذلك ، لكن الحجاج لم يرضى بتلك الخطة ، وعدها من ابن الاشعث تسويفاً وموادعة ، وكتب إليه يلومه واتهمه بالضعف والجبن[438] ، وهذا ما دفع عند ابن الاشعث روح التمرد والخروج عن سلطة الحجاج ، فرجع ابن الاشعث هو وجنوده الى العراق يبغون الاطاحة بالحجاج[439] ، وفي الطريق من فاس رأى ابن الاشعث كثرة الجموع المؤيدة له ، لم يكتفِ بخلع الحجاج بل قرر خلع عبد الملك بن مروان ايضاً ، وكان للعامل الديني أثر كبير في تطور ثورة أبن الاشعث ، فقد انضم اليها الكثير من القراء والزهاد والفقهاء ، ضد ما يقوم به الحجاج من خروج عن الدين حسب ما يروه هم تؤدي بصاحبها الى الكفر ، و استمر خروج بن الأشعث قرابة الأربع سنين وخاض بضعا وثمانين معركة مع الحجاج وجيوشه كلها كانت لصالح عبد الرحمن إلا أن هزم في دير الجماجم فهرب عبد الرحمن إلى بلاد الترك عند (الزبيل) هو وعبيد بن أبي سبيع التميمي ، فأرسل الحجاج عمارة بن تميم اللخمي يطلب عبد الرحمن ، فعندما أدرك ابن الاشعث أنه سيسلم إلى اللخمي آثر الإنتحار على أن يسلم للحجاج وذلك في سنة 85هـ[440] .

---

[437] - عبد الواحد ذنون طه ، نفس المصدر ، ص78 .

[438] - عبد الواحد ذنون طه ، نفس المصدر ، ص79 .

[439] - عبد الواحد ذنون طه ، نفس المصدر ، ص80 .

[440] - الطبري ، نفس المصدر ، ج6 ، ص391 .

ان احداث ثورة ابن الاشعث تشير إلى ان اغلب قياداته كانت من العراقيين من النبط ، لذلك اغلب الباحثين وصفوا ثورته على الحجاج بأنها ثورة طبقة الموالي من العراقيين ، وان قد تحالف مع الزبيل قبل ان يغير وجهته الى العراق لخلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، والا كيف هرب إليه ، وربما ان ذلك التحالف حدث بعد ان وصف الحجاج لابن الاشعث بالجبن ، حيث ان سبب ذلك التحالف هو ما جرى من احداث بين أبن الزبير في العراق أضرت باهل العراق وبالترك ايضاً.

والثورة الثانية على الحجاج حدثت أخرى بقيادة مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وأسبابها تشابه اسباب ثورة أبن الاشعث التي ثار من أجلها القراء ، حيث كان مطرف عاملاً للحجاج على المدائن ، واتصل بشبيب الخارجي ليتفقا على الخروج على الحجاج ، لكنهما اختلفا في القيادة ، فجمع مطرف أهله واصحابه وخرج بهم الى الجبال عام 77هـ ، وانضم اليه سويد بن سرحان الثقفي وبكير بن هارون البجلي والحجاج بن جارية الخثعمي ، وقد كتب الحجاج الى عاملة على اصفهان ، البراء بن قبيصة والى عدي بن وتاد الايادي عامله في الري ، بالاستعداد لقتالهم ، وارس لهم خمسمائة الى الف رجل ، وكانت النتيجة هي قتل مطرف وبعض اصحابه وأسر الباقون[441] .

ان ثورات القراء الذين خرجوا مع ابن الاشعث ومطرف بن المغيرة هي ربما جاءت بسبب ما فعله الحجاج بالقرآن ومحاولته ايجاد نص قرآني واحد ، وعلى الرغم من ان الرواية الإسلامية تنسب جمع القرآن الى عهد عثمان بن عفان الا ان عدم وجود نسخة قرآنية من عهد عثمان لا ترجح ذلك ، ان الجمع الحقيقي او التوحيد الحقيقي للقرآن كان في عهد الحجاج في العراق ، وهذا ما جعل أهل العراق يقولوا عن الحجاج بأنه كافر وخارج عن الدين ، حيث جاء عند أبي داود على أن الحجَّاج ابنَ يوسف الثقفي قام بتغيير حروف من القرآن الكريم :" حدثنا عبد الله حدثنا ابو حاتم السجستاني ، حدثنا عباد بن صهيب ، عن عوف بن أبي جميلة ، الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان احد عشر حرفاً ، قال:
كانت في البقرة (لَمْ يَتَسَنَّ وَانْظُرْ) بغير هاء فغيرها {لَمْ يَتَسَنَّهْ} [البقرة: 259] بالهاء
وكانت في المائدة (شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا) فغيرها {شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: 48]

---

[441] - عبد الواحذ ذنون طه ، نفس المصدر ، ص88-89 .

وكانت في يونس (هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ) فغيرها {يُسَيِّرُكُمْ} [يونس: 22] ،
وكانت في يوسف (أَنَا آتِيكُمْ بِتَأْوِيلِهِ) فغيرها {أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ} [يوسف: 45]
وكانت في المؤمنين [ص:158] (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ لِلَّهِ لِلَّهِ) ثلاثتهن ، فجعل الاخرين (اللَّهُ اللَّهُ)
وكانت في الشعراء في قصة نوح (مِنَ الْمُخْرَجِينَ) ، وفي قصة نوح (مِنَ الْمَرْجُومِينَ) فغير قصة نوح {مِنَ الْمَرْجُومِينَ} [الشعراء: 116] وقصة لوط {مِنَ الْمُخْرَجِينَ} [الشعراء: 167]
وكانت الزخرف (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعَايشَهُمْ) فغيرها {مَعِيشَتَهُمْ} [الزخرف: 32] ،
وكانت في الذين كفروا (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ) فغيرها {مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} [محمد: 15]
وكانت في الحديد (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَاتَّقَوْا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) ، فغيرها {وَأَنْفَقُوا} [البقرة:195]
وكانت في اذا الشمس كورت (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) فغيرها {بِضَنِينٍ} [التكوير:24][442] ".
حيث كان في ذلك العهد يوجد اكثر من مصحف في الكوفة ، بل كانت الكوفة هي المدينة التي وجد بها جيمع المصاحف ، مثل مصحف علي والذي كان مرتب حسب اسباب النزول ، وكذلك مصحف عبد الله أبن مسعود الذي لم يعتبر المعوذتين من القرآن وكذلك مصحف أبي أبن كعب الذين كانوا يحتوي على سورتين لا توجد في المصحف الحالي ، لذلك ان الحجاج هو من قام بحرق باقي المصحاف في العراق ، وهو من قام بالتجرؤ على المقدس في إطار مشروع بناء الدولة الذي كان يعمل على إنجازه. وينسب إلى الحجاج قيامه بكثير من التبديل والتغيير في القرآن وإتلاف النسخ المخالفة ، وعلى الرغم من ذلك ان المسلمين بقوا يحتفظون بروايات تناقلوها حول ما قام به الحجاج بالقرآن ، حيث تنقل لنا المصادر الإسلامية عن قصة مقرئ من بغداد يدعى (ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت) والملقب بـ(ابن شنبوذ) ، وكان يعتمد شواذ القراءات ويقرأ بها ، وقرأ بالمحراب في بعض صلواته بحروف مروية عن عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يخالف مصحف عثمان بن عفان الذي اتفق عليه المسلمين في العصر العباسي ، وجادل في ذلك و حاول في جرأة أن يقرئ بها بعض الناس واشتهر أمره ، وحاول ابن مجاهد أن يرده إلى جادة الصواب حسب زعمه ، ولكنه لم ينته فرفع أمره إلى ابن مقلة الوزير في ذلك الوقت ، فاستدعاه وأحضر

---

[442] - أبي داود ، كتاب المصاحف ، تحقيق : محب الدين عبد السبحان واعظ ، دار البشائر الإسلامية ، ج1 ، ط2 ، بيروت ، 2002 ، ص280 .

القضاة والفقهاء والقرّاء وفي مقدمتهم ابن مجاهد ، وكان ذلك في سنة 323هـ ، غير أن ابن شنبوذ اعترف بما عزي إليه وأقر عليه ، فأشار جميع من حضروا بعقوبته ، فضرب أسواطاً وسجن ، فأعلن توبته . وعقد له ابن مقلة محضراً أقر فيه ابن شنبوذ اعترف بذلك في حضوره طوعاً[443] .

وبالعودة الى الحجاج وأمره وخلال تلك الاحداث بدأت عملات الحجاج بن يوسف تظهر في العراق وتضرب في مدن ايران ، وهذا ما يشير الى انه اتخذ اشبه بالسلطة المستقلة عند عبد الملك بن مروان في الشام ، وحتى سياسته كانت تشير الى ذلك ، ويعتبر الحجاج هو اول والي قام بوضع اسمه مكتوباً بالعربية على عملاته ، ومن عملاته نلاحظ ان العناصر العربية بدأت تطغى على العملات الساسانية ، كما في الشكل رقم (73) :



الشكل رقم (73)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 78هـ

دار الضرب : تاورج – اردشير خورا (ايران)

[443] - أبن مجاهد ، كتاب السبعة في القراءات ، تحقيق : شوقي ضيف ، دا المعارف ، القاهرة ، ص15 .

وجه العملة : في الوسط يظهر وجه ملكي ساساني ، واسم الحجاج مكتوب بالخط الكوفي (الحجاج بر بوسف) (الحجاج بن يوسف) .
وفي الهامش تظهر عبارات عربية : بسم الله / لا اله الا الله / وحده محمد رسول الله).
ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .

وكذلك قبل ذلك ظهرت عملات باسم عبد الرحمن بن الاشعث ، بعد ان خرج ضد الحجاج ، كما في الشكل (74) :



الشكل رقم (74)

شرح العملة :

نوع العملة درهم

سنة الضرب : 80 هـ

دار الضرب : ، سجستان (ايران)

وجه العملة : في الوسط يظهر وجه ملكي ساساني ، وعلى الجانب الايمن توجد كتابة بالخط الفهلوي الفارسي وهي : (ابتو-رمن ، اي-محمتان) ، وبالعربية تعني (عبد الرحمن بن محمد)، وخلف الرأس توجد كتابة بالفهلوية ايضاً وهي : (افزوت) وبالعربية تعني (الدعاء والبركة او المدد) .

وفي الهامش توجد كتابة بالخط الكوفي هي (بسم الله) .
ظهر العملة : يظهر معبد نار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .

وكذلك ظهرت للحجاج عملات في العراق دعيت بالمكروهة لاقتراب اسم الحجاج من لفظ الجلالة في غير نسخ ، كما في الشكل رقم (75) ، وعلى ما يبدو ان هذه العملات كانت تقارب الطراز العراقي الذي ضربت به العملات ، اي انها ليست على الطراز الساساني وليست ايضاً على الطراز البيزنطي ، حيث يظهر في الوسط كتابة عربية وهي : "الأمير الحجاج بن يوسف" ، وهذه العملة هي اشبه ما كانت بكونها ختم للحجاج اكثر مما هي ذات شكل عملة ، والكتابة التي ظهرت كانت في الوجه الامامي من العملة فقط ، اما ظهر العملة فيظهر فارغاً بدون اي رمز او كتابة عليها .



الشكل رقم (75)

وفي سنة 86هـ توفي عبد الملك بن مروان وتولى أبنه الوليد الحكم الاموي في الشام والذي استمر لعشر سنوات فقط ، وأقر للحجاج ما أقر له والده ، بل قربه اكثر من ذلك ، وشهد عصره توسع كبير للدولة الاموية شرقاً وغرباً ، حيث وصلت الى الصين شرقاً بعد ان فتح بلاد ما وراء النهر من ممالك طخرستان والصغد وخوارزم والى الاندلس غرباً ، والذي شهد عهده ظهور قائد عربي آخر يعرف بـ(موسى بن نصير) الذي تولى قيادة الجبهة في شمالي

افريقيا مع طارق بن زياد ، حيث عرف موسى بن نصير حسب الرواية الاسلامية بـ(ابو عبد الرحمن موسى بن نصير) موالي قبيلة (لخم) ، أصوله ترجع الى بلدة عين التمر في مدينة كربلاء في العراق ، التي كانت تابعة ادارياً لمملكة الحيرة ، في العراق ، كان والده (نصير بن عبد الرحمن) هو من الأسرى الذين أسرهم خالد بن الوليد في بلدة عين التمر ، واصبح يدين بالاسلام بعد الأسر ، وكذلك ان والده كان من اتباع معاوية بن ابي سفيان ، يعتبر موسى بن نصير من اهم القيادات الاسلامية التي شاركت بالفتوحات ، وعين والياً في شمال افريقيا ، وهو من قاد الفتح الاسلامي لاسبانيا عام 712م .

اما عن العملات التي ضربت في عهده ، فكانت تضرب بطراز عربي خالص ، كما في عملات والده عبد الملك ، وكما في الشكل رقم (76) :



الشكل رقم (76)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 96هـ

دار الضرب : ارمينيا

وجه العملة : في الوسط تظهر عبارة : لا الله الا الله وحده لا شريك له / بسم الله ضرب هذا الدرهم بارمينية (ارمينيا) سنة ست وتسعين (96هـ) .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد .
وفي الهامش تظهر عبارة : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

توفي الحاكم الاموي الوليد عام 96هـ ، وتسلم الحكم من بعده اخيه سليمان بن عبد الملك ، ولم يعرف عهده الذي لم يتجاوز الثلاثة سنوات تلك الاحداث المهمة ، واستمر بضرب العملات على الطراز ما كان في عهد أبيه وأخيه ، كما في الشكل رقم (77) :



الشكل قم (77)

<u>شرح العملة :</u>
نوع العملة : درهم
سنة الضرب : 97هـ
دار الضرب : اصطخر (ايران)
وجه العملة : في الوسط تظهر عبارة : لا الله الا الله وحده لا شريك له / بسم الله ضرب هذا الدرهم بارمينية (ارمينيا) سنة سبعة وتسعين (97هـ) .
ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، وفي الهامش تظهر عبارة : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

كذلك عثر في الحيرة في العراق على آنية من عهده تحمل اسمه (الشكل رقم (78) ، وتعود الى عام 96هـ ، وتظهر عليها كتابة بالخط الكوفي ، جاء فيها :

" من عمل ابراهيم النصراني مما / الحيرة لأمير سليمن (سليمان) أمير المؤمنين"



الشكل رقم (78)

وتوفي سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ ، وتولى الحكم من بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، الذي اشتهر عند السنة والشيعة برد المظالم ، وعلى الرغم من اعتقاد الشيعة بأن حكمه كان باطلاً الا انهم عدوه من افضل حكام بني امية في تلك الفترة ، نظراً لما قام به بالنسبة لهم ، حيث الغى المرسوم الذي وضعه معاوية الذي ينص على لعن علي أبن أبي طالب على المنابر في صلاة الجمعة ، وكذلك رد ارض فدك لابناء فاطمة والتي اقطعها معاوية لمروان والتي وهبها بدوره الى أبنه عبد العزيز[444] ، واستمر حكمه اكثر من سنتين ضربت خلالها العملات على الطراز العربي ، كما في الشكل رقم (79) :

---

[444] - اليعقوبي ، نفس المصدر ،ج2 ، ص366 .



الشكل رقم (79)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 100هـ

دار الضرب : البصرة (العراق)

وجه العملة : في الوسط تظهر عبارة : لا الله الا الله وحده لا شريك له / بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة سنة سبعة وتسعين (100هـ) .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ، وفي الهامش تظهر عبارة : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

ولعمر بن عبد العزيز طراز خاص من العملات ضرب في الكوفة ، وهو يشير الى عدله، وكما ذهبنا في الفصل السابق الى ان قصة عدل الخليفة عمر بن الخطاب كانت قد اقتطعت من سيرة الحاكم الاموي عمر بن عبد العزيز ، وما يؤكد ذلك هو ظهور كلمة العدل في عملته التي ضربت في الكوفة كما في الشكل رقم (80) :



الشكل رقم (80)

شرح العملة :

نوع العملة : فلس

دار الضرب : الكوفة

سنة الضرب : 100 هـ

وجه العملة : تظهر عليه كتابة عربية وهي : (بأمر الله بالوفا والعدل) .

ظهر العملة : تظهر عليه كتابة عربية وهي : (بسم الله ، ضرب هذا الفلس بالكوفة سنة مئة).

اختلفت الروايات عن سبب مرض عمر بن عبد العزيز وموته ، إذ تذكر بعض الروايات ان سبب مرضه وموته هو الخوف من الله تعالى والاهتمام بأمر الناس كما روي عن زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، إلا الرأي الشائع في سبب موته هو انه سقي السم ، وذلك ان بني أمية قد تبرموا وضاقوا ذرعاً من سياسة عمر التي قامت على العدل وحرمتهم من ملذاتهم وتمتعهم بميزات لا ينالها غيرهم على حد زعم المصادر، بل جعل بني أمية مثل أقصى الناس في أطراف دولة الإسلام ، ورد المظالم التي كانت في أيديهم ، وحال بينهم وبين ما يشتهون ،

فكاد له بعض بني أمية بوضع السم في شرابه[445] ، وتوفي عام 101هـ ، فحكم من بعده يزيد الثاني بن عبد الملك لمدة اربعة سنوات ، عرفت خلالها ثورات قامت على حكمه في العراق وكذلك ثورات الخوارج ، حيث خرج يزيد بن المهلب وسيطر على البصرة وسجن عامل يزيد بن عبد الملك والمدعو عدي بن أرطاة (الذي ضرب العملات باسمه كما في الشكل رقم (81))، لأنه كان قد سجن آل المهلب في عهد عمر بن عبد العزيز حين هرب هو ، وامتدت سيطرة يزيد بن المهلب على الاهواز وخراسان ، فارسل يزيد بن عبد الملك جيشاً بقيادة عمه والذي يدعى بـ(مسلمة بن عبد الملك) الى البصرة ، فحدثت معركة بينهم سميت بـ(العقر) انتهت بمقتل يزيد وحبيب ابناء المهلب بن أبي صفرة وفرار بقية اتباعه الى خراسان قبل ان يقتلوا ايضاً[446] .



الشكل رقم (81) عملة عدي بن أرطاة التي ضربت في البصرة

ان سيطرة يزيد بن المهلب على البصرة والمدن القريبة منها هي محاولته العودة بالإسلام الى ما قبل عهد عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف ، حيث يذكر ابن كثير ان

---

[445] - الامام الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، نفس المصدر ، ج5 ، ص120 .

[446] - أبن كثير ، البداية والنهاية ، نفس المصدر ، ج9 ، ص219 وما بعدها .

يزيد بن المهلب كان يخطب في جيشه المكون من اكثر من مائة الف وحثهم على الثورة ضد بني امية حتى لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج (يقصد الحجاج بن يوسف) ، وهذه إشارة مهمة الى ما حدث في عصر الحجاج ، وان خروج يزيد بن المهلب هذا هو لمحاولته ان يعيد بشيء من السلطة لبكر بن وائل التي فقدوها ، و من خلال عملات يزيد بن المهلب التي ضربت قبل ذلك نلاحظ ان ما ذهبنا إليه يؤكد ان يزيد كان يريد بالعودة الى الإسلام ما قبل عبد الملك بن مروان ، حيث ان عملاته عرفت بالسك على الطراز القديم قبل تعريب العملات ، وكذلك مع ظهور الرأس الملكي الساساني في وسط وجه العملة ، وكذلك وجود ختم الهياطلة في هامش العملة كما في الشكل رقم (82) ، وكما في عملات الحجاج بن يوسف قبل التعريب:



الشكل رقم (82)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

دار الضرب : انبير (ايران)

سنة الضرب : 84هـ

وجه العملة : يظهر وجه ملكي ساساني ، واسم يزيد بن المهلب بجانب الرأس مكتوب بالعربية (يزيد بن المهلب) ، وفي الهامش تظهر عبارة : بسم الله / العزم) ، وفي الهامش يظهر ختم الهياطلة الترك .

ظهر العملة : يظهر فارس يحمل رمح ويرتدي كامل قيافته العسكرية ، وبجانبه سنة الضرب ومدينة الضرب .

وفي نفس السنة التي توفي بها يزيد بن عبد الملك وتسلم أخيه هشام بن عبد الملك (عام 105هـ) ، ظهرت لاول مرة عملة تحمل اسم الحجاز وضرب به ايضاً ، وهذا ما يشير الى ان هذا المكان كان قد استحدث حديثاً ودخل في خانة الاراضي التي وقعت تحت سيطرة الدولة الاموية ، كما في الشكل (83) :



الشكل رقم (83)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : دينار

سنة الضرب : 105هـ

دار الضرب : الحجاز

وجه العملة : تظهر عبارة : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد/ معدن أمير المؤمنين بالحجاز.

وفي الهامش تظهر عبارة : بسم الله ضرب هذا الدينر (الدينار) سنة خمس ومئة .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له .
وفي الهامش تظهر عبارة : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وعرف عهد هشام بن عبد الملك الذي حكم لمدة عشرين سنة ، باحداث اشهرها ثورة زيد بن علي في العراق وكذلك استمرار الفتوحات على عدة جهات ، وكان اهم عامل مسبب لثورة زيد بن علي ضد هشام بن عبد الملك هو ان الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك غضب على والي العراق خالد بن عبد الله القسري ، بسبب وشايات وسعايات بحق خالد ، فقام بعزله وكلف مكانه رجلاً من اعداء خالد وهو يوسف بن عمر الثقفي ، الذي كان يحب ان يتشبه بالحجاج ، واول ما فعله عندما دخل على العراق قبض على خالد القسري ، وتحفظ على كل امواله ومحاسبته عليها ، وفي اثناء المحاسبة ادعى البعض على خالد أنه قد اودع جزءاً من ماله وديعة عند زيد بن علي ، فارسل الحاكم هشام بن عبد الملك الى زياد بالتوجه الى الكوفة ليتحقق من هذه التهمة ، وبالفعل ذهب زيد الى الكوفة وتوضحت براءته من تلك التهمة ، لكن زيد ظل مقيماً في الكوفة لبعض الوقت ، وعندما علم الشيعة بالعراق ان زيد بن علي مقيم بالكوفة ، انهالوا عليه من كل حدب وصوب يبايعون ويقسمون بين يديه بالقتال حتى الموت ، وشكل جيشا قوامه اربعين الف مقاتل ، وقرر زيد تقدم موعد قيام الثورة ، فيجتمع مع قيادات الثورة ويطلعهم على خطته للحركة ، حيث وصلت الأخبار ليوسف بن عمر، فأمر بجمع أهل الكوفة جميعاً يوم الثلاثاء آخر محرم أي قبلها بيوم في الجامع الكبير، وأخذ يتوعد من يتخلف بالقتل وأرسل الشرطة لجمع الناس بالجامع ، وخرج زيد ومن وافقه على مذهبه (يوم الأربعاء 1 صفر 122هـ) ، وأخذ يرسل بعض فرسانه ينادون في نواحي الكوفة بشعار الثورة: يا منصور يا منصور ، ولم يجتمع عنده إلا ثلاثمئة وثمانية عشر رجلاً فقط ، وأصر زيد بن علي على مواصلة الثورة والخروج .

وعندما التقى الطرفان أقبل يوسف بن عمر بجيشه ، ودارت رحى حرب غير متكافئة، وثبت زيد ومن معه في القتال، فلما كان يوم الخميس 2 صفر واصل زيد القتال بضراوة شديدة ، وانكشف بصب وابل من السهام عليه ومن معه ، فأصابه سهم في جانب دماغه الأيسر، فحمله أصحابه تحت جنح الظلام وطلبوا له الطبيب ، ولكنه ما إن نزع السهم من دماغه حتى مات ، ودفنه أصحابه في حفرة من الطين ثم أجروا عليها الماء حتى لا يعثر عليه

أحد[447] ، وقيل ان يوسف متنصحا فدله على موضع قبره فاستخرجه يوسف وبعث رأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن أصلبه عريانا فصلبه يوسف كذلك طيلة حياة هشام ، وقيل أنّ هشاما أمر بحرقه فأحرق و نسف رماده في الفرات ، وقيل بل بقي مصلوبا طوال حكم هشام فلما تصدى الوليد للحكم أمر بإحراقه ونسف رماده[448] .

ان يوسف بن عمر الحجاج والي العراق كان يحب ان يتشبه بالحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان ، ويقال انه كان قريبه ، لذلك نراه يصلب زيد بن علي على جذع نخلة ، كما فعل الحجاج بعبد الله بن الزبير ، وربما هذا الأمر ليس من باب التشبه فقط ، بل له علاقة بديانة بني امية واتباعهم السابقة ، قبل ان يتركوا النسطورية ويتحولوا الى تبني ديانة اهل العراق .

وغير ذلك اصطدم المسلمين في عهد هشام بن عبد الملك بالترك من الخزر في ارمينيا واذربيجان في سنة 112هـ ، واصطدموا مع البيزنطيين بالقرب من انطاكيا ، وفي عهده اصطدموا ايضاً مع الفرنجة في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ والتي انتهت بهزيمة المسلمين وانسحابهم .

ومن عهده وردت اول إشارة للكعبة في المصادر البيزنطية وهي الإشارة المسيحية الثانية بعد نص مؤرخ خوزستان ،حيث وردت في نص (التواصل البيزنطي العربي)[449] ، وهو مصدر يرجع إلى بداية حكم هشام بن عبد الملك بن مروان وينتهي بنهاية حكمه كما ذكرنا في الفصل الثاني ، وفي سنة 125هـ توفي هشام بن عبد الملك وخلفه أبن أخيه (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ، ولهذا الحاكم الجديد قصة توضح لنا ان الكعبة لم تكن تعني شيء لهم ، وانها لا تحمل عندهم اي قدسية ، حيث يذكر ابن كثير :" ان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ، ثم من بعده لولده الوليد هذا ، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو ،

---

[447] - سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث ، نفس المصدر ، ص226-227 .

[448] - ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الامم و الملوك ج7، ص212 ، وصابري، تاريخ فرق اسلامي، ج2، ص67- 66، و ابن سعد، الطبقات الكبري، ج5، ص163، وعمرجي، الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الاسلامي، ص36، والشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (ص)، ص403.

[449] - Continuatio Byzantia Arabica. P. 347

فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشر ومائة ، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه ، حتى يقال : إنه جعلها في صناديق ، فسقط منها صندوق فيه كلب، فسمع صوته فأحالوا ذلك على الجمال ، فضرب على ذلك.

قالوا : واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ، ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك ، واستصحب معه الخمور وآلات الملاهي وغير ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفا من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك ، فلما تحقق عمه ذلك منه نهاه مرارا فلم ينته ، واستمر على حاله القبيح ، وعلى فعله الرديء"[450] .

حيث اشار الكثير من الباحثين الى انه كان من الزنادقة ولم يكن مسلم ، والزنادقة هم اتباع المانوية في العراق وقبل الإسلام وبعده ، عرفوا بالزنادقة في العصر العباسي كتحقيراً لهم ، ويعتبر الكثير من الباحثين ان حكم الوليد الذي استمر سنة واحدة فقط هي بداية نهاية الحكم الاموي وقيام الدولة العباسية ، حيث قتل من قبل جنده في الحرب التي وقعت بينه وبين ابن عمه يزيد بن الوليد سنة 126هـ ، وكان على رأسهم محمد بن خالد القسري ، وكان ذلك في قصر النعمان بن بشير بالبخراء ، وحمل رأسه الى دمشق ونصب بالجامع[451] ، وتسلم يزيد بن الوليد الحكم من بعده ، لكنه توفي بعد ذلك بستة اشهر ، وسمي بيزيد الناقص لأنه أراد ان يقتدي بعمر بن عبد العزيز ، فانقص رواتب الجيش أسوة بعمر بعد ان كان يزيد الثاني قد زادها[452] ، فتسلم الحكم من بعدهم ابراهيم بن الوليد ، الذي بايعه اهل دمشق فقط عام 127هـ ، ورفض ان يبايعه مروان بن محمد الذي كان نائباً في اذربيجان وارمينيا بسبب حادثة قتل الوليد بن يزيد من قبل يزيد بن الوليد ، واتى حكم إبراهيم بن الوليد في فترة اضطراب الدولة بعد أن كانت في أوج ازدهارها وقوتها ، أمر بقتل اثنين من أبناء الخليفة الوليد الثاني خوفا على حكمه ، ولبث في الخلافة سبعين يوماً ، وانتهى حكمه عندما تولى مروان بن محمد امر دمشق وسيطر على الدولة وتنازل له إبراهيم عن الخلافة ، واختفى إبراهيم ، ثم ظهر بعد أن أمنه مروان ، وقتل مع من قتل من بني أمية

---

[450] - أبن كثير ، نفس المصدر ، ج10 ، ص2 .

[451] - سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث ، نفس المصدر ، ص227 .

[452] - سامي بن عبد الله بن احمد المغلوث ، نفس المصدر ، ص227 .

حين سقطت دولتهم على يد العباسيين ، وقيل غرق في نهر الزاب ، وكان ذلك سنة 132 هجري تسلم الحكم الاموي بعد ذلك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو آخر حاكم اموي قبل ان يطيح به العباسيين في معركة الزاب ، حيث استمر حكمه لمدة خمسة سنوات فقط ، عرفت خلالها الكثير من الاحداث والاضطرابات ضد بني أمية وخاصة في العراق وايران ، وبذلك بدأ عصر جديد في الإسلام متمثل بقيام الدولة العباسية .

الإسلام في عهد العباسيين.

حسب الرواية الإسلامية ينتمي العباسيين لأسرة بني هاشم التي ينتمي إليها النبي محمد وعلي أبن أبي طالب ، حيث ترجع أصولهم الى العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد، حيث ان ظهور العباس بن عبد المطلب في الرواية الإسلامية هو موضع شك ، ونحن بدورنا نصنف دوره في تلك الرواية ما هو الا بعنصر مفاجأة ، ليس له ذاك الدور المهم في تأسيس الإسلام ، وحتى الرواية الإسلامية نفسها تشير الى أنه اسلم يوم فتح مكة ، أي أنه لم يتبع محمد في اثناء دعوته المبكرة لا في مكة قبل الهجرة ولا في المدينة بعد الهجرة ، الا في السنة الثامنة للهجرة يوم فتح مكة ، حيث ان القرآن في سورة الاحزاب بالتحديد يشير الى ان للنبي محمد لديه عم واحد فقط :" وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ "[453].

ان أصول العباسيين تبقى مجهولة بالنسبة لنا ، على الرغم من وجود فرضيات حول أصلهم التركي او الفارسي وبين من يقول انهم من العرب ، الا انه في الحقيقة لا يوجد ما يؤكد أصولهم العربية ، حيث ذهب بعض الباحثين حديثاً الى ان العباسيين هم من أصول طورانية وذلك بالاستناد الى الرسومات والمنمنمات لخلفاء و امراء و قادة بني العباس القديمة لأن وجوههم اقرب للعنصر المغولي التركي الطاجيكي الأوزبكي ، كذلك الى كثرة العنصر التركي في الجيش العباسي ، الا ان ذلك لا يعبر عن الواقع في تلك الفترة ، فالرسومات العباسية لا تعبر عن واقع المجتمع العباسي

في الرسمة الشكل رقم (84) والتي تمثل واقعة اسطورية من كتاب الشاهنامة لابو القاسم الفردوسي ، حيث يظهر مهراس السفير البيزنطي ذو الشعر الاصفر وبشكله الاسيوي

---

[453] - القران ، سورة الاحزاب ، الاية رقم 50 .

(المغـولي) وهـو يحمـل صـليب ، بعـد ان أرسـله الامبراطـور البيزنطي الـذي كـان خـائف مـن احتمالية غزو الجيش الفارسي للامبراطورية ، وهو يقوم بتوصيل الهدايا (اكواب ذهبية) الى الملوك الفرس من أجل الصلح ، بعد ذلك تم التوصل لاتفاق سلام بين الطرفين ، ونلاحظ ان الرسـمة توضـح ان السـفير البيزنطي ذو شـكل اسـيوي وشـعر اصـفر !! وهـذا لا يمكـن بالتأكيد، لكون البيزنطيين لم يكونوا ذو شكل اسيوي ، هذا يعني : انه ليس كل رسم قديم يعبر عن واقع الحياة في تلك الفترة القديمة ، وبالتأكيد هذا ما حدث بالعصر العباسي ، لأن سبب ظهور وشيوع الشكل الاسيوي في الرسومات والمنمنمات العباسية هو ان هذا الفن تأثر بـالفن الاسـيوي في تلـك الفترة ، حيـث انتجـت المنمنمـات مـن عـدة مـدارس منهـا المدرسـة البغداديـة التي انتجـت اشـكال شـرق اوسـطية وكـذلك المدرسـة المغوليـة التي انتجـت اشـكال اسيوية وكذلك مدرسة فارسية كانت اشبه بحلقة وصل بين مدرسة بغداد ومدرسة المغول ، اضافة الى ذلك لا يمكن انكار الدخول القوي للعنصر التركي والمغولي في بغداد وبلاد فارس ، حيث سيطروا على اغلب مفاصل الجيش والوزارة ، وخاصة بعد عهد المأمون .



الشكل رقم (84)

وعند مناقشة جزء من عقيدتهم ربما سنعرف بعض الشيء عن أصولهم الغامضة ، وتذكر الى ان الامويين اعطوا ارض في الاردن تدعى الحميمة لعلي بن عبد الله بن عباس ، فسكن بها العباسيين الى غاية قيام توفي فيها[454] ، وكان لعلي بن عبد الله بن عباس ولداً يدعى محمد ، وكان ذو شخصية قوية لأنه كان يريد الخلافة ، فكان له علاقة وثيقة بـ(أبى هاشم بن محمد بن الحنفية) ، والتقى به لاول مرة في دمشق خلال حكم الوليد بن عبد الملك ، وأبى هاشم كان من اتباع الكيسانية التي كانت تدعوا للامامة لمحمد بن الحنفية والتي كانت هي مذهب المختار الثقفي في الكوفة ، وقبل ان يتوفى أبى هاشم يقال أنه دفع بالصحيفة الصفراء الى محمد بن علي وكان فيها علم رايات خراسان السوداء[455] ، حيث يعتقد العباسيين ان الامامة نقلت بعد ذلك الى بني العباس ، بعد اتباعهم للكيسانية ، لذلك فقد اعتبرت الثورة بالنسبة لانصار الكثير من الكيسانية والزيدية انها جاءت محققة لآمالهم، وبعد ان ازداد الدعاة لتلك الثورة ، تبين لهم ان الكوفة ليست المكان المناسب للثورة بسبب قربها من دمشق مركز الحكم الاموي ، حيث اتفقوا على مدينة جديدة اقترحها بكير بن ماها وهي خراسان ، غير انه في هذا الوقت توفي أخ لبكير في بلاد السند تاركاً ثروة كبيرة دون وارث، فتوجه بكير الى الحميمة وعرض على محمد بن علي وجهة نظره في نشر التنظيم السياسي للثورة في خراسان ، بعد ان يستغل الاموال من ورث أخيه لذلك ، فواق محمد بن علي على ذلك وسمح له ان يذهب الى السند وان يختبر الوضع في المشرق ، فعاد بكير الى الكوفة ونقل لهم تعليمات محمد بن علي ، ثم سافر الى خراسان والسند وامضى شهر في جرجان وشهرين في مرو لينشر التنظيم السياسي هناك ، فنجح في ذلك ، وحصل على ولاء الاتباع البارزين مثل سليمان بن كثير الخزاعي ويزيد بن النهيد وابو عبيد بن زريق ، حيث استطاع سليمان بن كثير ان يكسب الى صفوفه الكثير من وجوه خزاعة في خراسان ، وهم بدورهم أخذوا يكسبون الناس إليهم[456] ، حيث كان الدعاة يبلغون الاخبار الى مسؤول التنظيم في الكوفة وهذا بدوره يبلغها الى الحميمة لمحمد بن علي ، حيث كانت الكوفة مدينة مهمة بنظرهم لأنها تعتبر مركزاً مهماً للمواصلات ، غير ان محمد بن علي توفي في الحميمة عام 125هـ وخلفه ابنة

---

[454] - البلاذري ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ج2 ، ص307 .

[455] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني ، العباسيين من الدعوة الى الدولة ، مكتب وجدي للطباعة ، بغداد ، 2014 ، ص39 .

[456] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني ، نفس المصدر ، ص41 .

ابراهيم الذي عرف بـ(ابراهيم الامام) ، حيث التقى ابراهيم الامام بشاب لم يتجاوز عمره الواحد والعشرين سنة ، والذي يدعى بـ(عبد الرحمن بن مسلم الخراساني) والذ عرف بـ(ابو مسلم الخراساني) ، والذي ارسله الى خراسان ليكون ممثلاً عن الإمام لأن سليمان بن كثير رفض استلام مهمة رئاسة التنظيم ، فطلب من ابراهيم الإمام ان يرسل احد من ابناء البيت العباسي ، فواجه هذا التعيين معارضة سليمان لأنه في تعينه مفارقة وخيبة للآمال[457] .

ينسب الرواة العرب ابو مسلم الى أرومة فارسية كانت تقيم في سواد الكوفة ، وكان مملوكاً لإدريس بن معقل العجل ، فسار به الى مكة ، وكان له شغف بآل البيت ويحب ان تصير لهم الدولة ، ولما دخل به مولاه على محمد بن علي ، أخذ بيديه يقبلها ويبكي بشدة ، فاشتراه من إدريس ، وقام بتربيته وتهذيبه فلازمه مدة تخرج فيها عليه ، ولما مات محمد بن علي انتقل ولاء ابو مسلم الى ابراهيم الإمام[458] ، وبذلك اسندت قيادة المسلمين في خراسان الى ابو مسلم ، حيث انه في تلك الاثناء بدأت الدعوة تنتشر بشكل اوسع ، وفي عام 130هـ كان ابو مسلم ينتظر الفرصة للانقضاض على اعداءه المتنازعين فيما بينهم ، ودخل ابو مسلم مدينة مرو في ايران واخذ البيعة من الجنود ، وعين قحطبة بن شبيب الطائي قائداً للجيش العباسي ، ثم بدأ بمحاربة شيبان الحروري الذي رفض مبايعة ابراهيم الامام واستطاع ان يشتت شملهم ، فارسل نصر بن سيار عامل خراسان جيشاً لمحاربة العباسيين ، وهزموا وترك نصر بن سيار مدينة نيسابور ، فدخلها الجيش العباسي ، واتخذت قاعدة عسكرية لهم[459] ، ونتيجة للخسائر الاموية اضطر الامويين الى امداد بن سيار بالجند ، فارسل نباتة بن خنظلة الكلابي على رأس حملة الى جرجان ، الا ان هذا القائد لم يتعاون مع بن سيار بل سار بمفرده ، وخاض معركة هزم فيها ، وفي تلك الاثناء اخذ العراق يغلي ضد الامويين ، حيث سار قحطبة بن شبيب وابنه الحسن بالجيش العباسي غربا ، واخضع المدن الواحدة تلو الاخرى ومنها الري وهمدان ونهاوند ومدناً اخرى ، وبذلك اصبح الطريق الى العراق مفتوحا للعباسيين ، فسار الحسن بن قحطبة على مقدمة جيش الى العراق والجيش

---

[457] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني ، نفس المصدر ، ص44 .

[458] - عبد العزيز الثعالبي ، سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ، تحقيق : حمادى الساحلي ، دار الغرب الاسلامي ، ط1 ، 1995 ، ص57 .

[459] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني، نفس المصدر، ص50 .

الاموي تقدم شرقاً وعسكر في جلولاء لكن قحطبة استطاع ان يتجنبهم ، فعبروا نهر دجلة متوجهين الى الكوفة ، وتبعه أبن هبيرة ، حتى وصلوا نهر الفرات ، فحدثت معركة بينهم وانتصر الجيش العباسي فدخلوا الى الكوفة ، فسلم الأمر الى أبي سلمة الخلال الذي دعي بوزير آل محمد[460] ، غير ان الحاكم الاموي اكتشف محل اقامة ابراهيم الامام عن طريق رسالة منه الى ابو مسلم فقبض عليه وسجنه في حران حتى توفي ، ومنهم من يقول انه مات مسموماً ، او هدم عليه الجدار ، وقبل ان يقبض عليه عهد الى أخيه أبي العباس ان يذهب خفية الى الكوفة ، وبالفعل رحل الى الكوفة ، واخبر ابو سلمة الخلال بقدومه الا انه انكر ذلك واراد ابقاءهم خارج الكوفة ، الا ان العباسيين افهموه ان بقاءهم خارج الكوفة خطر عليهم ، فسمح لهم بالدخول للكوفة ، وكتم أمرهم لمدة شهرين ، حيث ان أبى سلمة الخلال اراد نقل الخلافة الى العلويين ، فارسل عدة رسائل الى جعفر بن محمد الصادق فاحرق كتاب أبى سلمة دون ان يقرأه ، ورسالة الى عبد الله بن الحسن ، فقبل كتب أبى سلمة فحذره جعفر الصادق وبين له عدم وجود أية علاقة بينه وبين الجيش العباسي الذي دخل العراق ، كما أرسل رسالة أخرى الى عمر بن علي بن الحسين ، حيث ارتاب الجيش الخراساني بأمره فطلب ان يظهر الإمام الذي دعوا إليه ، ثم أكتشف احد الاتباع محل اقامة أبو العباس فذهب إليه وبايعه ورجع وأخبر بقية الدعاة والرؤساء بمحل اقامته ، فعلم الجميع ان أبى سلمة هو المسؤول عن اخفاء خبر إمامهم فلاموه ، وفي اليوم التالي خرج ابو العباس الى مسجد الكوفة تحيط به ثلة من الحرس ، وهناك بويع البيعة العامة عام 132هـ[461] ، فخطب أبو العباس السفاح بأهل الكوفة وقال لهم :" يا أهل الكوفة ، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا ، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا ، وقد زدتكم في أعيطاتكم مائة درهم ، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير "[462] .

وفي نفس العام وقرب نهر الزاب الكبير وهو أحد روافد نهر دجلة، ويقع في شمال العراق. وقعت المعركة بين الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد وعبد الله بن علي ، والتي

---

[460] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني ، نفس المصدر ، ص52 .

[461] - وسيم رفعت عبد المجيد العاني ، نفس المصدر ، ص53 .

[462] - عبد العزيز الثعالبي ، نفس المصدر ، ص206 .

عرفت بمعركة الزاب ، حيث التقى الجيشان في منطقة الزاب بين الموصل وأربيل ، فانهزم جيش مروان وفر إلى مصر حيث قتل في مدينة أبي صير فكان آخر خلفاء بني أمية في الشام ، وبمقتله انتهت عملياً الدولة الأموية ، ولذلك تعد إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي\، ولم ينجوا من الأمويين إلا عبد الرحمن بن معاوية الملقب بعبد الرحمن الداخل ، الذي بدوره فر إلى الأندلس وأسس الدولة الأموية الثانية بها.

ولما صفت الأمور لأبو العباس السفاح ودانت له الدنيا انشأ مدينة الهاشمية بالقرب من الكوفة فكانت مقراً لهم ، ولم يكن لهم هم غير التخلص من أبي سلمة ، فقد جمع ذات ليلة رجالاً من المقربين منه وذكرهم بماذا اراد أبي سلمة وما كان يخفيه لصرف الحكم الى آل بيت محمد ، فكتب أبو العباس الى أبو مسلم بذلك ، حيث ان أبو مسلم اوصاه بقتله ، غير ان بعض آل العباس نصحوه بأن كلام أبو مسلم فيه حيلة ليحتج بها عليك مع الحراسانيين، ونصحوه ان يرسل الى ابو مسلم باختيار شخص يقتله ، فارسل أبو مسلم شخص يدعى مرار بن أنس الضبي ليقتل أبى سلمة الخلال ، فذهب مرار الى السفاح في المدينة الهاشمية وأخبره بسبب قدومه ، ثم اختفى ، فأظهر السفاح رضاه عن أبي سلمة وأمر مناديه ان ينادي في المعسكر ان أبو العباس السفح قد رضي عن أبي سلمة ودعاه إليه ، فجعله يتردد حتى وثق به ، ثم في احدى الليالي وهو خارج من عند أبو العباس منصرفاً الى بيته يمشي وحده آمناً حتى توسط المنازل ، فخرج له مرار ومن معه من الاعوان وقتلوه ، ولما عثروا عليه اشاعوا في الناس ان الخوارج هي من قتلته ، ودفن في المدينة الهاشمية[463] .

اتسم عهد السفاح بكثرة الثورات التي قامت عليه ، فخرج الكثير من الطوائف والأهالي عليه ، واجتمعت كل فئة من الثائرين على السفاح على شخصٍ ما ، فكان ما حدث في عام 132هـ أن أهل قنسرين ثاروا على السفاح الذي كان في تلك الفترة في الحيرة ، واجتمعوا على أمير قنسرين مجزأة بن الكوثر ، ولبسوا البياض ، فذهب عبد الله بن علي إليهم ، ولكن في نفس الوقت ثار أهل دمشق على السفاح بقيادة رجل يسمى عثمان بن عبد الأعلا بن سراقة ، وقتلوا أمير دمشق ، ولكن استطاع عبد الله بن علي القضاء على ثورتهم بعد حين ، وفي نفس وقت ثورة أهل قنسرين تراسل أهل حِمص معهم ، واجتمعوا على أبي

---

[463] - عبد العزيز الثعالبي ، نفس المصدر ، ص220 .

محمد السفياني ، وبايعوه بالخلافة ، وقام معه ما يقارب من أربعين الفاً ، فالتقى عبد الله بن علي معه بمكان يسمى مرج الأخرم ، فقتل ألوف حتى هرب أبو محمد السفياني (وقد قتل في عهد أبي جعفر المنصور) ، وبعد أن استقر الأمر للسفاح أمن أهل قنسرين ، ولبسوا السواد مرة أُخرى ، وأيضا في نفس العام خلع أهل الجزيرة السفاح بعد أن علموا بما فعل أهل قنسرين ، فأرسل إليهم أبي جعفر المنصور ، فحاصرهم وقاتلهم حتى عدلوا عن رأيهم ، فولى السفاح أخاه المنصور الجزيرة وأذربيجان واريمينيا ، وفي عام 133هـ خرج رجل في بخارى يدعى شريك بن شيخ المهري ، وقال: ما على هذا بايعنا آل محمد على سفك الدماء ، وقتلِ الأنفس ، فأرسل إليه أبو مسلم الخراساني بقيادة زياد بن صالح الخزاعي فقتله ، وفي عام 134 هـ خرج على السفاح رجل يدعى بسام بن إبراهيم ، ولكن أرسل السفاح إليه شخصا يدعى خازم بن خزيمة فقتله ، وفي عام 135هـ خرج رجل يسمى زياد بن صالح ، ولكن استطاع أبو مسلم الخُراساني القضاء عليه ، وأيضا فقد ثار الخوارج على السفاح مرة واحدة في عهده ، فقد خرج خوارج عُمان الإباضيين بزعامة شخص يدعى الجلندي ، ولكن أرسل له السفاح جيشا كبيرا بقيادة خازم بن خزيمة ، وقد استطاع القضاء عليهم[464] .

ان الاشكالية في عهد أبو العباس السفاح هو انه اسمه لم يظهر على أي عملة من عهده ، بل على العكس نجد ان هناك عملات كثيرة تحمل اسم أبو مسلم الخراساني ، وان صح القول فيجب ان نذكر ان هذه العملات هي منسوبة لأبو السفاح لأنه لا يوجد لدينا دليل يؤكد وجود هذه الشخصية ، مع العلم ان فترته ليست شبحية وليست من اختراع الرواة ، بل هي فترة حقيقية حدثت و سقطت خلالها الدولة الاموية وظهرت خلالها دول بني العباس ، ونجد ان العملات المنسوبة لأبو العباس السفاح كثيرة وان مدن ضربها كانت متعددة ولكن الاغلبية منها كان في العراق ، وان العباسيين استخدموا نفس النظام الاموي في ضربهم للعملات ، وكانت جميعها معربة لا تحمل أي أشارات غير عربية ، كما في الشكل رقم (85) :

[464] - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) ، دار المعارف ، ط9 ، ص32 .



الشكل رقم (85)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 132هـ

دار الضرب : الكوفة

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له

وفي الهامش تظهر عبارة : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة اثنين وثلثين ومئة (132هـ) .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة : محمد رسول الله .

وفي الهامش تظهر عبارة : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

اما عملات أبو مسلم الخراساني فقد كانت اوضح مما في العملات المنسوبة لأبو العباس السفاح ، ولكنها كانت تضرب منذ عام 131هـ على عكس ما جاءت به المرويات التي تذكر ان الدولة الاموية سقطت عام 132هـ ، فاما ان هذه العملات قد ضربت لتكون في اطار الخدعة السياسية في ذلك الوقت ، او ان أبو مسلم ضرب العملات في الاماكن التي سيطر عليها مبكراً ، الا ان عملاته في البداية كانت تضرب بشكل مغاير عن العملات التي عرفت في

عهد الامويين او التي ضربها أبو العباس السفاح اثناء تسلمه للسلطة العباسية في العراق ، واشارت عملاته الى لقبه الذي عرف به وهو (أمير آل محمد) ، بعد ان رأى لنفسه الفضل الأكبر لتشييد الدولة ، كما في الشكل رقم (86 ، 87 ، 88) :



الشكل رقم (86)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : فلس

مدينة الضرب : سجستان (سستان)

سنة الضرب : 131 هجرية

وجه العملة : ظهور عبارة (لا الـه الا الله ، وحـده) ، وكـذلك ظهـور الايـة القرأنيـة (قـل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" .

ظهر العملة : تظهر عبارة (محمد رسول الله) ، وكذلك دون عليها ما يلي : (بسم الله ،مما امر به ابو مسلم امير ال محمد بسجستان سنة احدى وثلثين ومئة (131هـ" .



الشكل رقم (87)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : فلس

مدينة الضرب : هراة (في افغانستان حالياً)

سنة الضرب : 132هـ

وجه العملة : يظهر في الوسط اسم دار الضرب (هراة) وسنة الضرب : (سنة اثنين وثلاثين ومئة (132هـ)).

وفي الهامش ظهرت عبارة: " بسم الله ، مما أمر به ابو مسلم امير ال محمد) .

ظهر العملة : ظهرت عبارة (محمد رسول الله) ، وتوجد في الهامش كتابات غير مفهومة .



الشكل رقم (88)

شرح العملة :

نوع العملة : فلس

مدينة الضرب : لم تذكر في العملة

سنة الضرب : 135 هجرية

واجهة العملة : في الوسط تظهر عبارة : (لا اله الا الله وحده) ، وفي الهامش ظهرت عبارة : (بسم الله ، مما أمر به الامير عبد الرحمن بن مسلم ، سنة خمس وثلثين ومئة) .

ظهر العملة : في الوسط تظهر عبارة (محمد رسول الله) ، وفي الهامش يظهر نص قرأني : " قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" .

إن النص القرآني الذي يظهر في ظهر عملات أبو مسلم الخراساني : " قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" سورة الشورى ، اية 23 ، وضع بسبب ميول أبو مسلم وحسب تفسير السيوطي في (الدر المنثور) في تفسير هذه الآية بالاسناد إلى أبن عباس ، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ قُل لا أسألُكُم عَليه أجراً إلاّ المودَّةَ في القُربى ﴾ قالوا : يارسول الله ، من قرابتك هؤلاء الذين وجّبت علينا مودتهم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : علي وفاطمة وولداهما[465] .

عهد ابو العباس السفاح قبل وفاته بولاية العهد الى أخيه أبو جعفر ثم لأخيه عيسى بن موسى ، فسار بذلك على سياسة الامويين في تولية العهد ، وهذا يعني ان الخلافة في عهدهم كما ذكرنا سابقاً انها كانت مزيج بين ما تركه بني امية وبين ما تأثر به العباسيين من الترك وخاصة منصب الخاقان التركي ، حيث حكم أبو العباس لمدة اربع سنوات وتسعة أشهر، ومات بالجدري عام 131هـ في مدينة الأنبار التي أتخذها عاصمة لخلافته ، وخلفه أبو جعفر المنصور الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وعرف عهده بالكثير من الاحداث المهمة في التاريخ الاسلامي ، فخرج عليه عمه في الشام بعد إن ادعى إن ابو العباس جعل الخلافة من بعده لمن انتدب لقتل مروان بن محمد ، فبعث اليه المنصور بأبو مسلم

[465] - السيوطي ، الدر المنثور ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والاسلامية ،ط1 ، القاهرة ، 2003 ، ج13 ، ص149-150 .

الخراساني ، وهزمهم بالقرب من نصيبين عام 137هـ ، فهرب الى أخيه سليمان بن علي أمير البصرة واخفاه عنده ، ولما علم أبو جعفر ذلك أرسل الى سليمان يأمره بارسال عبد الله بن علي إليه وأعطاه الأمان ، فذهب سليمان الى المنصور ، لكنه قام بحبسه ثم ثتله عام 147هـ[466] ، كذلك اقدم أبو جعفر المنصور على قتل أبو مسلم الخراساني عام 137هـ بسبب خوفه من نفوذ أبو مسلم في السلطة والسياسة ، حيث كان أبو مسلم يقدم أسمه على أسم أبو جعفر في رسائله وكذلك قتله سليمان بن كثير الخزاعي الذي يعتبر احد شيوخ الدعوة العباسية ، واضافة الى اسباب اخرى ، واتجه أبو مسلم الى الكوفة للسيطرة عليها قبل إن تحدث اعمال شغب متوقعة ، فوصل إليها حيث في الكوفة ظهرت نوايا أبو مسلم تجاه المنصور ، فعرض على عيسى بن موسى ان يتعاونا على تنحية المنصور وتنصيب عيسى بمحله ، الا إن عيسى أنكر ذلك وحذره من مغبة هذه الخطة[467] ، غير أن خروج عبد الله بن علي على أبو جعفر جاء من ناحية ايجابية بالنسبة لأبو جعفر ، حيث إن ارساله لأبو مسلم لقتال عبد الله بن جعفر كان خطوة ذكية منه ، لأن ابو جعفر سينتفع اذا قتل احدهما الأخر، ثم إن ارسال ابو مسلم الى الشام يعني ابتعاده عن موطن قوته في خراسان ، كذلك إن المنصور لم يعطي كل القوة في الشام لأبو مسلم بل ارسل كتائب بقيادة قادة اخرين لا يرتبطون بابو مسلم ، وبعد أن انهى أبو مسلم عمله في الشام اراد الرجوع الى خراسان لكن المنصور ارسل له شخص يدعى يقطين بن موسى ليحصي غناءه وأمواله التي حصل عليها فغضب أبو مسلم لذلك ، غير إن المنصور قال له إنه لم يكن يقصد اخذ الغنائم وطلب منه الحضور لمقابلته لأمر هام ، فرفض أبو مسلم ، ولكن في النهاية استطاع المنصور إن يستغل بعض اصحاب أبو مسلم بأن يقنعوا أبو مسلم بضرورة مقابلته ، فأرسل أبو مسلم احد قواده الى مقر المنصور ليطلع على شعوره مع قواده تجاهه ، ولما علم المنصور بذلك أمر أفراد البيت العباسي بحسن معاملته عند قدومه ، وكذلك تمكن من استمالته الى جانبه ووعده بولاية خراسان[468] ، حيث قابله في المدائن لأول مرة وكانت المقابلة ودية إذ استقبله

---

[466] - بدر عبد الرحمن محمد ، الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط1 ، 2012 ، ص40 .

[467] - بدر عبد الرحمن محمد ، نفس المصدر ، ص47 .

[468] - بدر عبد الرحمن محمد ، نفس المصدر ، ص52 .

بالحفاوة والتعظيم حين دخل عليه ، غير إنه في المقابلة الثانية كان المنصور قد هيأ رئيس الحرس عثمان بن نهيك مع جماعة من الحرس لقتل أبو مسلم بعد ان يأمرهم ، ولما جاء أبو مسلم واستأذن بالدخول الى المنصور ، اخبروه أنه يتوضأ وطلبوا منه ان يجلس حتى ينتهي المنصور من وضوئه ، حتى جاء الإذن من المنصور بالسماح له بالدخول ، ولما قام ليدخل أدخله سلام الحاجب في دهليز وحده دون جماعته ثم طلب منه إن ينزع سيفه[469] ، وفي المقابلة الاخيرة قام المنصور بقتل أبو مسلم ، ومن الجدير بالذكر أنه بعد قتل أبو مسلم أتهم بأنه كان ذو ميول علوية ، او أنه نادى باراء متطرفة في الاسلام وأنه كان زنديقاً[470] .

اما الخطر الأخر على المنصور هو أنه بعد إن قتل أبو مسلم خرج شخص مجوسي في ايران بالتحديد في خراسان يدعى بال(سنباذ) يطلب الثأر لأبو مسلم ، حيث قيل أنه أراد هدم الكعبة ، فوجه المنصور له جيشاً بقيادة جمهور بن مرار العجلي والتقوا بين همدان والري وهزمهم وقتل السنباذ[471] .

وفي سنة 141هـ حدثت ثورة الراوندية ضد المنصور ، حيث كانوا يعتقدون بتناسخ الارواح وان روح ادم كانت في روح عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وان جبرائيل هو الهيثم بن معاوية ، وعندما ظهروا امام قصر المنصور في هاشمية الكوفة ، قالوا هذا قصر ربنا ، فحاربهم المنصور وقتل بعضهم وسجن بعضهم ، فغضب اصحابهم فأخذوا نعشاً ومروا بباب السجن فرموا النعش واقتحموا السجن واخرجوا اصحابهم ، وذهبوا الى قصر المنصور حتى كادوا يقتلون المنصور[472] ، لكنه قضى عليهم فيما بعد ، ومن أخطر الثورات التي واجهت المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، من سويقة المدينة (سويقة الثائرة) وكان من أشراف بنى هاشم علمًا ومكانة ، وكان يلقب بـ(النفس الزكية) فاجتمع العلويون والعباسيون معا وبايعوه أواخر الدولة الأموية ، وكان من المبايعين المنصور نفسه ، فلما تولى الخلافة لم يكن له هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل ، وهنا خرج محمد

---

[469] - بدر عبد الرحمن محمد ، نفس المصدر ، ص55 .

[470] - بدر عبد الرحمن محمد ، نفس المصدر ، ص58 .

[471] - أبن الأثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص113 .

[472] - أبن الأثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص114 .

النفس الزكية بالمدينة سنة 145هـ ، وبويع له في كثير من الأمصار ، وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة ، واجتمع معه كثير من الفقهاء ، وشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف ، فبعث المنصور إلى محمد النفس الزكية يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال ، ويرد محمد بأن على المنصور أن يحكم بدين الله ولا يمكن شراء المؤمن بالمال ، وكانت المواجهة العسكرية هي الحل بعد فشل المكاتبات ، واستطاعت جيوش المنصور أن تهزم النفس الزكية بالمدينة وتقتله ، واجتزوا رأسه ، وكان مقتله عام 145هـ ، وكذلك تم القضاء على أتباع إبراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتلهم .

إن الرواية الاسلامية تشير الى إن المنصور انشأ مدينة اطلق عليها فيما بعد اسم (بغداد) واسمها على العملات هو (مدينة السلام) ، وارجعوا سبب هذه الخطوة من المنصور هو أنه كان قد ابتنى الهاشمية بنواحي الكوفة ، ولما ثارت الراوندية عليها فيها ، كره سكانها لجوارهم مدينة الكوفة ، ولأنه كان لا يأمن أهلها بعد أن أفسدوا جنوده[473] ، غير أن هذه الرواية بها بعض الاشكاليات لأن بغداد كانت موجودة قبل ذلك ، حيث ورد اسم مدينة بغداد في المصادر المسمارية بصيغتين هما : (بكدادو ، بكدادا) ويكتبان بالمقاطع المسمارية (باك – دا – دو) و (باك – دادا) مسبوقة بالعلامة الدالة على المدن اي الكلمة البابلي (الو - Alu) (كما في الشكل رقم 73) ، وان اقدم وثيقة بابلية ورد فيها اسم مدينة بغداد ترجع الى عهد الملك البابلي حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الاولى ، وتكرر اسم بغداد في العصر الذي اعقب سلالة بابل الاولى ، وهو العصر المعروف بالـ(كاشي) ، واقدمها حجرة حدود بابلية (كودورو) من عهد الملك الكاشي (نازي مرتاش) ، وانها بالقرب من نهر (نار شري) ، وتكرر ذكر اسم بغداد (بغدادو – بغدادا) في النصوص المسمارية في العهود التالية ، ومنها الوثائق الاشورية مابين القرن الثالث عشر قبل الميلاد والقرن التاسع قبل الميلاد[474] ، ويقول السير هنري رولنصن ايام ما زار بغداد وتفقد معالمها في سنة 1848م : " وفي صيف تلك السنة نضب ماء اغلب الجداول والابار ونقص دجلة نقاصاً عظيماً فظهرت الابنية التي كانت قد غمرتها المياه ، وفي ذات يوم اثناء جولاته على شاطئ الجانب الغربي من بغداد عثر على

[473] - أبن الأثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص144

[474] - طه باقي ، نفس المصدر ، ص201 وما بعدها .

متراس فسيح مبني بالاجر البابلي وكانت كل لبنة مختومة باسم نبوخذنصر الثاني والقابه وفتوحاته" ، و قبل الاسلام أتخذ الساسانيون من بغداد متنزه لهم لحسن موقعها وطيب هوائها ، وتوجوا فيها مؤسس دولتهم اردشير بن بابك ساسان (226-241م) ، وشيدوا في ارجائها قصراً ملكياً ، وعرف من اهلها الاسقف يزيد بو يزيد وهو من الاساقفة الذين خرجوا على الجاثليق داديشوع (جاثليق المشرق في قطيسفون) المتوفي عام 465م .

وهذا يعني تم انشاء مدينة بغداد على انقاض قرية بغداد والتي كانت تقع بين الأديرة والقرى، حيث كانت قرية بغداد ذات شأن مهم في اواخر العصر الساساني ، وانتشرت فيها معالم الحضارة والتمدن وراجت فيها اسواق تجارية ، وكان التجار يجتمعون فيها في اول كل شهر للبيع والشراء وبقيت حتى بعد نهاية الساسانيين وبداية ظهور الاسلام ، فيذكر الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد ، ان بعض الجنود المسلمين بقيادة المثنى بن حارث الشيباني قد دخلوا الى بغداد وانتشروا في اسواقها وقراها ، اما القرى والاديرة النسطورية التي ادخلها المنصور في عاصمته الجديدة فقد ذكرها المؤرخون والبلدانيون منها :

- قرية سونايا : هي قرية قديمة كانت ينسب اليها العنب الاسود الذي يتقدم ويبكر على سائر العنب ولما عمرت بغداد دخلت هذه القرية في العمارة وصارت تعرف بالعتيقة .

- قرية براثا : كانت تعتز بابنيتها وقد بقي اسمها بعدما ادمجت في بغداد ، لليوم يوجد جامع في بغداد يحمل نفس الاسم ويقع في نفس موقع بغداد العباسية .

- قرية قطفتا : عرفت بهذا الاسم بعد انشاء مدينة المنصور ، وكانت ذات اسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي ، وعلى مسافة اقل من ميل من نهر عيسى .

- قرية درنا : كانت عامرة برياضها وتقع في مدينة الكاظمية الحالية قرب موقع (قطربل) وكانت تحتوي على دير نسطوري ، وجرفها نهر دجلة عام 1300 م .

- قرية ورثال : فيها محلة القلائين نسبة الى باعة اللحوم المقلية الذين كانوا يبيعونها على ضفة النهر الذي شقه العباسيون ، وموقعها اليوم بين الشيج جنيد ومنطقة الشالجية .

- محلة كليليشوع : اسمها بالنسبة الى دير وتقع بالقرب من مقبرة الشيخ معروف[475] .

وعن تلك الاحداث التي كانت في فترة نشوء الدولة العباسية لغاية خلافة المنصور ، فنجد تلك الاحداث في رواية صينية تعود للقرن الثامن الميلادي ، تحكي وقائع تكاد تتطابق مع الرواية الاسلامية ، على الرغم من التصحيف الكبير في نقل الاسماء بين اللغة العربية واللغة الصينية ، حيث تذكر اسم قبيلة انقسمت الى قسمين وتدعى (كو لي) ، والمفروض أن تلك الكلمة تدل على (قريش) الا اننا نجد إن اسم الكوفة هو الاقرب ، لأن الكوفة في العصور الاسلامية المبكرة كانت تدعى (اكولا ، عاقولا) ، ولذلك فالمقصود بـ(كو لي) هو (الكوفيين) ، وذكر في تلك الرواية المنقولة عن المؤرخ الصيني تويو (Tu Yu) في موسوعته ، ان موفد من بلاد التازيين يدعى سو لي بو (Su li Pu) جاء الى البلاط ، وأدى طقوس الخضوع أمام الإمبراطور وتلقى ثوباً أرجوانياً كهدية ، حيث قيل على لسان الموفدين :" ان قبيلة كو لي (Ku Lie) يحكمها زعماء يتوارثون مناصبهم ويسمون بو ي تا شي (التاشي (الطائي) بالرداء الابيض)، وقد انقسمت كولي الى أسرتين هما بن ني مو هوان (بني مروان) وبن ني سي شن (بني هاشم) ، وظهر رجل حكيم وحاذق يدعى مو هو مو (محمد) اختاره الناس ليكون حاكماً ، ووسع ممتلكاته الى ثلاثة آلاف لي وفتح مدينة الحيرة ، الحاكم الرابع عشر كان مو هوان (مروان بن محمد) الذي قتل اخاه يي كي واستولى على العرش ، وكان شديد القسوة وانفصل عنه اتباعه تباعاً ، وظهر شخص يدعى هو لو شان من مو لو وتحالف مع بو سي لين (أبو مسلم الخراساني) للاطاحة بمو هوان ، وأعلنا للناس أن على كل من يؤيدهما ارتداء الثياب السوداء ، ومن هنا جاء اسم اتباعهما (هي تي تا شي) (التاشي (الطائي) بالرداء الاسود) ، وسرعان ما جمعا جيشاً يتألف من عشرة الى عشرين ألف رجل لقتل مو هوان ، واختير (آ بو لو با) (أبو العباس السفاح) من عائلة (سي شن) ملكاً ... وبعد وفاته صعد أخوه (آ بو كونغ فو) (أبو جعفر المنصور) الى العرش ، وفي عام 756 أوفد الملك بعثة الى الصين ، واستعاد الإمبراطور بمساعدته عاصمتي الصين "[476] . كذلك يذكر المؤرخ نفسه عن لسان أسير صيني يدعى (تونغ تيين) كما ذكرنا سابقاً ، والذي وقع أسيراً بيد المسلمين في معركة

---

[475] - رفائيل بابو اسحاق ، احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1960 ، ص9 وما بعدها .

[476] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص171 .

تالس (طلاس) عام 751م ، والذي نقل الى الكوفة ، حيث يتحدث عن احداث خلال فترة خلافة أبو جعفر المنصور وحكمه في هاشمية الكوفة قبل ان ينتقل الى بغداد ، فيقول :" عاصمتهم تسمى (يا تشو لو) وملكهم العربي يسمة (مومن) (أمير المؤمنين) ، وتقع عاصمته في هذا المكان ، وان الرجال في الأقاليم التي يعيش العرب فيها ذوي أنوف كبيرة ولحى سوداء وشعر غزيز على وجوههم مثل الهنود ، ويحملون خناجر من فضة ويضعون أحزمة فضية ولا يحتسون الخمر ولا يعرفون الموسيقى ، نساؤهم بيضاوات البشرة ويغطين وجوههن عندما يغادرن بيوتهن بغض النظر عن رفعة مرتبتهن الاجتماعية ، وعندما يتشاجر الناس لا يوجهون لكمات الى بعضهم البعض ، ولديهم معابد تتسع لآلاف المصلين (مسجد الكوفة) ، وفي ملك سابع من يوم الأسبوع يتوجه الملك بخطاب الى رعاياه من عرشه العالي في المعبد بالكلمات الآتية : " حياة البشر صعبة جداً وليس سلوك الطريق القويم بسهل والخيانة خطيئة ، وما من إثم أكبر من السرقة والنهب وخداع الناس بالكلمات ، وأن يعرض المرء حياة الآخرين للخطر في سبيل أن ينعم هو بالأمان وغش الفقراء ، واضطهاد الضعفاء ، وأولئك الذين ماتوا بأيدي الأعداء (أعداء الإسلام) سيحيون مجدداً في الجنة ، أولئك الذين هزموا العدو سينعمون بالسعادة" "[477]. ويرى المؤرخ أنه من هنا سبب براعة الطائيين بالحرب ، وهم يصلون خمس مرات للروح السماوية ، ثم يتابع كلامه :" اغيرات الارض برتها ، لقد تبع الناس (دعوتهم الدينية) كما تتبع السواقي النهر ، والقانون يطبق برحمة ولا يدفن الميت الا بحرص ، ولا ينقص الناس شيء مما تنتجه الارض سواء داخل سور المدينة العظيمة او وراء الأبواب في القرى ، في بلدهم يجتمع الكون وفيه سلع لا تحصى بوقرة وأثمان زهيدة ، وفيما تنتشر الأثواب الموشاة بالذهب واللآلئ والنقود في المتاجر ، تعج الشوارع والأزقة بالحمير والجمال والبغال ، ويقطع السكان قصب السكر ليبنوا أكواخاً تشبه العربات في الصين ، وعندما تحل الأعياد تقدم هدايا الى الأعيان تشمل أكواباً زجاجية وقوارير وأوعية نحاسية أكثر من ان تعد ، الرز الابيض والدقيق الابيض لا يختلفان عما يوجد في الصين ، وتشمل فاكهتهم الدراق والتمر ، وتنمو نبته اللفت ليصل وزنها الى رطل وهي مستديرة ومذاقها شهي جداً فيما تشبه الخضروات الأخرى تلك الموجودة في باقي البلدان ، .... ، وأرضهم صخرية

[477] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص168 .

وغير ملائمة كثيراً للزراعية ، ويمارس الناس هناك اكثر ما يمارسون الصيد ويأكلون اللحم ولم يعرفوا الدقيق والرز الا بعد ان هزموا فارس وبيزنطة ، ولديهم عنب كبير تبلغ حبته حجم بيضة الدجاجة ، أحصنتهم ممتازة وولدت من نسل تزاوج بين التنين بافراس وجدت على شاطئ خليج فارس ، ويمكنها السفر ألف لي ، في اليوم الواحد ، وتوجد الجمال ايضاً ، اما أكثر الزيوت العطرية تقديراً لديهم فهي الياسمين والمر"[478] .

اما عن عملات المنصور ، ففي البداية كانت عملاته تضرب بالبصرة والكوفة وبقاي المدن الإسلامية التي كانت تحت سلطته كما في الشكل رقم (89) ، وبعد بناء بغداد ، بدأت تظهر العملات تحمل اسم مدينة السلام كما في الشكل (90) :



الشكل رقم (89)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 137هـ

دار الضرب : الكوفة

[478] - غازي عيتاني ، نفس المصدر ، ص169 .

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابات التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالكوفة سنة سبع و ثلثين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : محمد رسول الله ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .



الشكل رقم (90)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 154هـ

دار الضرب : الكوفة

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابات التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة اربع و خمسين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : محمد رسول الله ، بخ بخ ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

كذلك ظهر اسم (المهدي) أبن أبو جعفر المنصور على عملات فترة خلافة المنصور ، وهذا ما يشير الى بيعته من بعد أبيه للخلافة في بغداد كما في الشكل رقم (91) :



الشكل رقم (91)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 154هـ

دار الضرب : الكوفة

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابات التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالمحمدية سنة اربع و خمسين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : مما أمر به المهدي محمد بن امير المؤمنين ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

توفي أبو جعفر المنصور عام 154هـ وهو في مكة وهو بنية الحج ، وتسلم المهدي الخلافة من بعده ، وان اخطر ثورتين واجهن المهدي خلال خلافته هي حركة المقنع بخراسان وحركة يوسف البرم ، حيث ظهر المقنع في خراسان عام 159هـ ، وكان رجلاً قصيراً اعوراً من

أهل مرو ويسمى حكيماً ، وكان اتخذ وجهاً من الذهب فجعله على وجهه لئلا يرى ، ولذلك سمي المقنع ، فادعى الالوهية ولم يظهر ذلك الى جميع اصحابه ، فسير المهدي العباسي جيشاً بقيادة أبو عون لمحاربته ولم ينجح بذلك ، فاستعمل معاد بن مسلم[479] ، وحدثت معركة بينهم وبين اتباع المقنع ، فهرب اتباع المقنع الى المقنع نفسه ، فقام بعمل خندق وحصن ، ولما حوصر في حصنه جمع نساءه وأهله ونزلوا الخندق وسقاهم السم ثم حرقهم وحرق نفسه في سنة 161هـ[480] ، اما يوسف البرم فكان قد خرج على المهدي العباسي سنة 160هـ ، في خراسان ، واتبعته اعداد كبيرة من الناس ، فتوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني ، ودخل معه بقتال حتى تم أسر يوسف البرم ، فأرسل الى المهدي مع الاسرى الآخرين ، فقطعت يده ورجلاه وقتل وصلبوه على الجسر[481] .

ان أهم حدث في خلافة المهدي ، هو اختراع نسب قريش الحالي ، اي انه في عهده تم اضافة البكريين الى قريش او الطيايي الذين ظهر بينهم محمد ، فينقل ابن الاثير رواية من عهد المهدي العباسي عن المهدي العباسي أمر برد آل بكرة من ثقيف الى قريش ، والسبب في ذلك ان رجلاً من البكريين رفع مظلومة الى المهدي العباسي ، اراد من خلالها التقرب بالولاء الى النبي محمد ، ووافق المهدي العباسي على ذلك ، ونفس الوقت أمر باخراج آل زياد من قريش وردهم الى عبيد[482] ، حيث ان هذه الرواية تغنينا عن اشياء كثيرة حول سبب اعتبار البكريين الذي وجدوا في البصرة من قريش ، حيث انهم لم يكونوا من الطيايي بل من فئة مختلفة ، وربما من عهد المهدي العباسي بدأت معرفة قريش الحلف التجاري كقبيلة لها حسب ونسب ترتبط باسماعيل ابن ابراهيم النبي .

وان الإشكالية ليست في هذا فقط ، بل حتى في الانساب ايضاً ، حيث يظهر نسب في الروايات العربية وهو (البجلي) نسبة الى البجيلة ، ترجعه المصادر العربية الى قحطان جد العرب ، الا ان الحقيقة في ذلك هو ان كلمة البجلي جاءت من اسم (البصرة او بكرا) كما اوضحنا ، حيث ان كلمة البجلي هي صيغة فهلوية فارسية لاسم (البصرة) ، وظهراسم

---

[479] - أبن الاثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص230 .

[480] - أبن الاثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص338 .

[481] - أبن الاثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص233 .

[482] - أبن الاثير ، نفس المصدر ، ج5 ، ص235 .

البصرة في العملات بعدة صيغ كما اشرنا لذلك ، ومنها (بجرا او بكرا) ، وبما ان صوت (اللام) في الفهلوية هو نفسه صوت (الراء) ، كما وضحنا ذلك لاسم عبد الله بن الزبير (الزبيل) ، ولذلك فإن البجلا هي البجرا ، كما في عملة خالد بن عبد الله البكري الذي ضربت عملاته في عهد الحجاج بن يوسف في مدينة البصرة ، وكما في الشكل رقم (92) :



الشكل رقم (92)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

دار الضرب : بجرا/بجلا (البصرة)

سنة الضرب : 73هـ

وجه العملة : يظهر في الوسط رأس ملكي ساساني ، وبجانبه اسم الحاكم وهو: خالد بن عبد الله ، وفي الهامش تظهر عبارة : "بسم الله / محمد رسول الله" .

ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي وسنة ودار الضرب .

وان من اهم شخصيات البجليين هو جرير بن عبد الله البجلي ، والذي يعتبر حسب الرواية الإسلامية هو صحابي من اصحاب النبي محمد وهو جد والي البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي عام 126هـ ، حيث ما زالت هذه القبيلة تسكن البصرة والكوفة

وتنتشر بالعراق بثكرة اضافة الى انتشارها في المناطق الشرقية من الخليج العربي ، وكذلك في الشام واليمن .

وفي رواية غريبة ينقلها ابن كثير عن محاولة المهدي اعادة البناء على ما كانت عليه في عهد عبد الله بن الزبير ، غير ان هذه الرواية تؤكد ما ذكرناه على ان الكعبة الحالية هي كعبة مستحدثة في عهد عبد الملك وحربه على أبن الزبير ، فجاء في تلك الرواية :" وقد هم ابن المنصور المهدي أن يعيدها على ما بناها ابن الزبير ، واستشار الإمام مالك بن أنس في ذلك ، فقال : إني أكره أن يتخذها الملوك لعبة ، - يعني : يتلاعبون في بنائها بحسب آرائهم - فهذا يرى رأي ابن الزبير ، وهذا يرى رأي عبد الملك بن مروان ، وهذا يرى رأيا آخر ، والله سبحانه وتعالى أعلم "[483] .

وعن البلاذري انه لم يزد احد في بناء المسجد بعد ابن زياد حتى عهد المهدي الذي اشترى دار نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ودار عبيد الله بن أبي بكرة ودار ربيعة بن كلدة الثقفي ودار عمرو بن وهب الثقفي ودار أم جميل الهلالية ودوراً غيرها ، وزادها في المسجد ايام الوالي البصرة محمد بن سليمان بن علي ، وهذا ما يمكن ان نفسره هو ان المهدي كان يعلم قصة الكعبة ونقلها من البصرة[484] ، لذلك ان رفض مالك بن أنس لفكرة المهدي العباسي ، وعلى الرغم من هذا فقد اولى المهدي اهتماماً واسعاً بالمسجد .

اما عن عملاته ، فكانت الاغلبية منها قد ضربت في المدن العراقية ، مثل الكوفة والبصرة ومدينة السلام والمحمدية والعباسية ، كذلك ان المهدي العباسي هو اول خليفة عباسي يضع اسمه على العملات العباسية ، وكما في الشكل (93) :

---

[483] - أبن كثير ، نفس المصدر ، ج8 ، ص250 .

[484] - البلاذري ، فتوح البلدان ، نفس المصدر ، ص484 .



الشكل رقم (93)

<u>شرحة العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 159هـ

دار الضرب : مدينة السلام (بغداد)

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابة التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بمدينة السلام سنة تسع و خمسين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليفة المهدي، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

توفي المهدي العباسي عام 169هـ بالقرب من مدينة مندلي في العراق ، وخلفه أبنه الهادي ، حيث عرف عصر الهادي بالعديد من الثورات والصراعات الحربية الداخلية والخارجية ، كان من بينها ثورة الحسين بن علي بن الحسن الذي أعلن نفسه خليفة في المدينة ، ولقد تم قمع هذه الثورة والقضاء على الحسين ورجاله في موقعة فخ ، إلا أن ابن عم الحسين بن علي نجا من القتل وهرب إلى المغرب ، وأسس هناك نواة دولة الأدارسة ، ويرى بعض المؤرخين أن وفاة الهادي كانت وفاة طبيعية، بينما يرى البعض أنه اغتيل من

قبل الخيزران بنت عطاء أم هارون الرشيد التي أمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه ، ويعتقد أن سبب الاغتيال هي رغبة الهادي في خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد ، وجعلها لأبنه جعفر ، وتوفي الهادي ربيع أول سنة 170هـ ، وتوجد له عملات ضربت باسمه ، كما في الشكل رقم (94) :



الشكل رقم (94)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 170هـ

دار الضرب : المحمدية

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابات التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بالمحمدية سنة سبعين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليفة الهادي، بر ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

تسلم هارون الرشيد الخلافة في بغداد بعد موت الهادي عام 170هـ ، وهو واحد من أشهر الخلفاء العباسيين واكثرهم ذكراً لما اتصف به عصره من شهرة ، حيث عرف عهده بظهور التأثير الفارسي على الحياة الاجتماعية ، فاصبح عيد نوروز عيداً رسمياً للدولة ، واصبحت الازياء تتبع النمط الفارسي كما انتشرت الاطعمة والاشربة الفارسية ، وفي عهده خرجت عدة ثورات ضده وخاصة من المناطق العربية في الشام ومصر والموصل وخروج العلويين في بطرستان وافريقية (تونس) ، وفي عصره حدثت نكبة البرامكة عام 187هـ بعد ان سيطروا على الدولة اقتصادياً وادارياً ، حيث بقي موضوع البرامكة احد المواضيع الغامضة في التاريخ الاسلامي ، على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها لحل اشكال هذا الغموض ، الا انهم اتفقوا على ارجاعهم الى جدهم الاول (برمك) ومنه اشتق اسم أسرة البرامكة ، غير ان هذه الكلمة البوذية لا تعني اسم بل لقب يطلق على القائم بشؤون المعبد ، وتعني (الممص) اي مص السم ، حيث قيل ان برمك كان يرتدي خاتماً مسموماً ، حتى عندما يتعرض للغزو او يقع في الأسر يسرع الى مص السم في الخاتم حتى يحفظ كرامته[485] ، وارتبط تاريخ أسرة البرامكة بنشاطهم الديني في مدينة بلخ في افغانستان التي كانت عندهم مدينة مقدسة تقصدها الشعوب المجاورة بقصد الحج وتقديم القرابين ساعد بذلك موقعها الاستراتيجي واشرافها على الممرات الرئيسية التي تربط الهند وايران ، حيث كانت لهم كعبة في بلخ يطلق عليها اسم (النوبهار) ، وان اسم النوبهار جاء من الكلمتين السنسكريتيتين (نفا) و(قهارا) والذين يعنيان (المعبد الجديد) ، وأكد الدكتور بيرزن نقلاً عن تراجم الهينايانا البدائية البوذية ان تاجرا من بلخ اعتنق البوذية عام 537ق.م وصار راهباً بوذياً وعاد الى بلده وبنى ديراً بوذياً في بلخ ، فانتشرت البوذية هناك ، وفي الفترة بين عام (87-102م) اصبح النوبهار الدير الرئيسي في بلخ[486] .وكان حولها اصنام وتماثيل كبيرة للالهة ، حيث حرص البرامكة على ان تكون كعبتهم مشرفة على كل الجهات وترى من بعيد لذلك نصبوا في اعلاها رماحاً تحمل قطعاً طويلة من القماش الحرير ، وتزعم بعض الروايات ان سكان القرى القريبة من كعبة البرامكة كانوا يسعدون اذا اصبحوا عبيداً لبرمك ، ولذلك فقد كان الذين ينعمون بهذا

---

[485] - أبن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق : دي جويه ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1885 ، ص223 . محمد احمد برانق ، البرامكة في ظلال الخلفاء ، دار المعارف ، القاهرة ، ص11 .

[486] 0 بيرزن ، نبذة عن البوذية ، www.berzinarchive.com ، ص9-10 .

الشرف من سكان ضواحي مدينة بلخ يحرصون على وقف ضياعهم عليه ويحملون له الهدايا حتى يلمسون رضاه وعفوه ، وتذكر الروايات ان البرامكة اتخذوا هذه الكعبة معبداً لهم بعد ان عرفوا وصف مكة وحال الكعبة وكيف ان قريش تعظهما[487] ، وحاول بعض المؤرخين ان يربطوا بين البرامكة وبين تاريخ الفرس ، فجعلوا من النوبهار بيتناً من بيوت النار ونسبوا بناءه الى الملوك الساسانيين ، واشاروا الى ان اجداد البرامكة كانوا قد تولوا الوزارة في الدولة الساسانية ، ثم زال عنهم ذلك بزوال الدولة ، فعوضوا هذا السلطة السياسية بالسلطة الدينية بخدمة كعبة النوبهار ، اما بعد الإسلام فإن سلطة البرامكة قد تغيرت تغيراً كبيراً بعد ان وصل العرب الى بلخ وما جاورها ، ويرى ان برمك قد رغب بالاسلام فسار مع وفد الى المدينة المنورة حيث قابل عثمان بن عفان واسلم على يديه ، حتى غير أسمه الى (عبد الله) ، فدخل سكان تلك المنطقة بصراعات مع برمك لارجاعه الى دينه ، فزحف نيزك طرخان احد الملوك الذي انزعجوا من اسلام برمك بجيش ، فقتل برمك ومعه الكثير من اتباعه ، ولم يبقى منهم سوى طفل وهو برمك أبو خالد الذي هربت به أمه الى الهند ، فنشأ هناك وتعلم العلوم والحكمة وهو على دين ابائه ، واصاب أهل البلد الطاعون والوباء فتشاءموا بمفارقة دينهم ودخولهم الى الإسلام ، فكتبوا الى برمك حتى يقدم عليهم ، فاجلسوه في مكان ابائه وتولى النوبهار[488] . تزوج برمك من ابنة ملك الصغانيات فولدت له الحسن وهو اكبر ابنائه وبه كان يكنى ، ثم ولدين هم خالد وعمر وبنت يقال لها ام خالد ، وتزوج امرأة أخرى من أهل بخارى فولدت له سليمان ، وتزوج من جارية أخرى يقال لها ام القاسم ، وهناك روايات بوذية تتفق مع ما ورد في المصادر الإسلامية الاخرى عن اسلام برمك ، فتذكر بأن بعض البوذيين في بلخ وعلى رأسهم برمك أسلموا وظل الاكثرية منهم على البوذية ، لكنها تختلف في تحديد تاريخ دخوله للإسلام ، فتذكر بأن ذلك تم في مطلع حكم معاوية ، وولاية عبد الله بن عامر على البصرة ، وتتفق الرواية البوذية مع رواية الطبري في قيام ثورة ببلخ شارك فيها سدنة النوبهار تحت قيادة الأمير التركي البوذي نيزك طرخان الذي تمكن من طرد الامويين من بلخ بشكل مؤقت ، وخرب الامويين النوبهار بسبب هذه الثورة وفر السدنة الى

[487] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ج5 ، ص307 .

[488] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ج5 ، ص308 .

الهند ، ثم عادوا وصالحوا الامويين وعاد المعبد لعمله من جديد ، ويذكر الشاعر اسحاف البلخي انه رأى برمك وهو قد وفد على هشام بن عبد الملك وبرفقته ابنه خالد وخمسمائه من اتباعه ، فاعجب به ، والتقي كذلك بمحمد بن علي العباسي امام الدعوة العباسية وتعرف عليه[489] ، واصبح خالد من دعاة الدعوة العباسية في منطقة كركان ، فاختاره بكير بن ماها واحداً من النقباء العشرين الذين يحلون محلهم في حال غيابهم ، فكان خالد يتحرك بين جرجان وطبرستان والري ويدعوا الناس بدعوته العباسية على هيئة تاجر لكي يتجنب الوقوع في ايدي الامويين ، فانضم الى أبو مسلم الخراساني بعد اعلان الدعوة ، وشارك في العديد من معاركها فشارك بفتح جرجان وطبرستان ، وشارك ايضاً مع الجيش العباسي الذي ارسل لفتح العراق ، وحضر خالد بيعة أبو العباس السفاح بالكوفة بعد ان استولى العباسيين عليها ، وجعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند وعلى ما كان يتقلد من الغنائم ، ثم تولى لوزارة في عهد السفاح بعد مقتل أبو سلمة الخلال ، اما في عهد المنصور فقد وقف بجانبه اثناء عصيان أبو مسلم للمنصور ، فكسب ثقته حتى ولاه تربية ابنه المهدي على الإدارة والحكم ، ثم عزله عن الوزارة وولاه فارس لاخماد الفتن هناك ، ثم عزله عن ولاية فارس بعد ان اتهم بصرف ثلاثة ملايين درهم من خراجها على صلات من وفد عليه من الأشراف والشعراء ، فغرمه المنصور المبلغ ، وشاوره المنصور في بناء بغداد ، ثم ولاه طبرستان لاخماد ثورات الخارجين عليه ، ونجح بذلك ، ثم ولاه الموصل حتى وفاة المنصور ، اما في عهد المهدي العباسي ، فولاه فارس فقسط الخراج على أهلها وأسقط عنهم خراج الشجر ، وكانا يدفعون عليه خراجاً ثقيلاً ، واكثر الصلات والجوائز الى عامة الناس وخاصتهم مما دفع الجند للشعب عليه ، فقتل قائدهم شاكر التركي ، فغضب عليه المهدي العباسي والزمه مالاً جليلاً قسطه عليه بحيث يدفع كل جمعة مليون درهم ، حتى شفعت له الخيزران زوجة المهدي ، فرده الى منزلته[490] ، وتوفي خالد عام 163هـ اثناء عودته من احدى المعارك مع هارون الرشيد .

---

[489] - الكرماني ، أخبار البرامكة ، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، تحقيق : احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ج1 ، ص12 .

[490] - الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1981 ، ص88 .

من تلك الفترة كانت هناك عملات لخالد تضرب على الطراز الساساني البحت والذي لا يحمل اي علامات عربية ابداً ، حيث ان تلك العملات عادت للضرب بهذا الطراز والذي يعود لعصر ما قبل الإسلام ، وذكر اسم خالد بصيغته الفهلوية (هاليت) ، كما في الشكل (95) :



الشكل رقم (95)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

دار الضرب : طبرستان

سنة الضرب : 117 بعد حكم يزدجرد الثالث ، ويعادل 151هـ و768م .

وجه العملة : يظهر وجه الملك الساساني يزدجرد الثالث وبجانبه اسم خالد بن برمك (مكتوب بصيغته الفهلوية "هاليت") ، وفي الهامش تظهر كلمة (افزوت) والتي تأتي بمعنى الدعاء او المدد .

ظهر العملة : يظهر معبد النار الزرادشتي ودار وسنة الضرب .

مهد خالد بن برمك من خلال الدور الذي أداه في ادارة الدعوة والدولة العباسية الطريق أمام ابنائه ولا سيما يحيى للوصول الى أرفع المناصب بالدولة ، فقد أشتهر يحيى بن

خالد البرمكي بكونه كاتباً بليغاً اضافة الى معرفته بعلم التنجيم فولد خالد عام 120هـ في أواخر الدولة الاموية ، ونشأ وترعرع في ظل الدولة العباسية ، فولاه المنصور ولاية اذربيجان عام 158هـ ، واختاره المهدي العباسي ليربي ابنه هارون وكلفه بالاشراف على الحملة التي قادها هارون ضد بيزنطة ، ثم ولاه كور فارس ، فانكسر عليه من خراجها مليون درهم ، فالزمه المهدي بتسديدها دفعة واحدة[491] ، وأقر الخليفة الهادي ليحيى البرمكي ما كلفه به المهدي من أمور هارون واعماله ، ثم ساءت علاقته بالهادي عندما طالبه باقناع أخيه الهارون بالتنازل عن ولاية العهد لجعفر بن الهادي ، واشار عليه بعدم البيعة لابنه جعفر الا ان الهادي رفض ذلك ، الا ان الهادي توفي فجأة ، وتسلم هارون الخلافة ، فأدى يحيى البرمكي دوراً بارزاً في خلافة الرشيد ، الذي أشرف على تربيته وهو صغيرة ، فجعله وزيراً له، وفوض إليه أمر ادارة الدولة نيابة عنه ، ويبدو ان منح هذه الصلاحيات والامتيازات كان بضغط من أمه الخيزران التي كانت تتولى مقاليد الأمور بشكل فعلي ، حيث انفردت بالسلطة في السنوات الثلاث الاولى من خلافة الرشيد حتى وفاتها عام 789هـ ، فبدأ الرشيد باستعادة صلاحياته فقام بسحب الخاتم من البرامكة وسلمة للفضل بن الربيع ، واستعان يحيى في تصريف شؤون الدولة وادراتها بولديه الفضل وجعفر ، والفضل هو اكبر ابنائه وامه زبيدة ، وهو أكثرهم كرماً ، حيث تقلد في اثناء وزارتهم امارة العديد من البلدان ، فولاه طبرستان وارمينيا واذربيجان ، وكلفه باخماد الثورات ، ثم ضم إليه خراسان ، وقضى على الثورات هناك ، وفتح العديد من مدن طخرستان وكابل ، وهزم الترك ، وقام بعدة اجراءات ادارية وزاد رواتب الجند والقادة والكتاب ، ثم عاد الى بغداد ، وكلفه الرشيد بتربية ابنه الأمين ، حيث عمل على أخذ البيعة للامين بولاية العهد ، وقلده الرشيد ديوان الخاتم ثم نقله الى أخيه جعفر ، واختلفت الروايات حول سبب سوء العلاقة التي حدثت بينهم ، حيث يقال ان هارون لعن الفضل امام الناس بسبب موقفه من أمر إمام الشيعة موسى الكاظم ، في حين ان الشيعة ينفون ذلك ، اما جعفر بن يحيى البرمكي ، فقد تقلد في عهد الرشيد بريد الآفاق ودور الضرب والطراز في جميع المدن علماً ان مراقبة دور الضرب هي مهمة الخليفة ، وأمر بكتابة اسم جعفر على العملات المضروبة ببغداد ، حيث جرت العادة ان يذكر اسم

---

[491] - أبن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج4 ، ص31 .

الخليفة فقط على العملات ، وكذلك قدله ديوان الخاتم واشركه معه في ديوان المظالم ، واسند إليه قيادة حرس الخليفة ثم نقلها الى هرثمة بن أعين وكلفه بتربية المأمون ، حيث لعب دوراً بأخذ البيعة له بعد الأمين ، وتولى الإمارة لبعض المدن ، وكان يرسل نواباً لهذه المدن ، واصبح اقرب البرامكة الى الرشيد واكثرهم نفوذاً[492] ، اما عن نكبتهم فيقول هولو جودت فرج عن اقرار الرواة بتلك النكبة واختلافهم في تعليل الأسباب التي دفعت الخليفة العباسي هارون الرشيد للتنكيل بالبرامكة ، وقد أقر المؤرخون بهذا الاختلاف ، فالطبري يقول : أما سبب غضبه عليه (أي على جعفر) الذي قتله عنده، فإنه مختلف فيه ، ويقول المسعودي : واختلف الناس في سبب إيقاعهم بهم ، ويقول أبو الفداء : وقد اختلف في سبب ذلك اختلافًا كثيرًا ، وقال ابن كثير: وقد اختلف في سبب ذلك ، ويقول ابن خلكان : وقد اختلف أهل التاريخ في سبب تغير الرشيد عليهم ، أما ابن الطقطقي فقال : اختلف أصحاب السير والتواريخ في ذلك ، ويقول اليعقوبي : ان الرشيد قتل جعفر بن يحيى بن خالد بغير أمر متقدم ، وإن أكثر الناس في أسباب السخط عليه مختلفون[493] ، ويقول الطبري عن مقتل جعفر: إن الرشيد حج في سنة 186هـ ، وأنه انصرف من مكة فوافى الحيرة في المحرم من سنة 187هـ عند انصرافه من الحج ، فلما كان ليلة السبت لانسلاخ المحرم أرسل مسرورا الخادم ، ومعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند ، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلاً ، ودخل عليه مسرور وعنده ابن بختيشوع المتطبب ، وأبو زكار الأعمى المغني الكلوذاني ، وهو في لهوه فأخرجه إخراجاً عنيفا يقوده حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد، فحبسه وقيده بقيد حمار، وأخبر الرشيد بأخذه إياه ومجيئه به ، فأمر بضرب عنقه ، ففعل ذلك[494] ، وقال ايضاً : وأمر الرشيد في تلك الليلة بتوجيه من أحاط بيحيى بن خالد وجميع ولده ومواليه ومن كان منهم بسبيل فلم يفلت منهم أحد كان حاضرا وحول الفضل بن يحيى ليلا فحبس في ناحية من منازل الرشيد وحبس يحيى بن خالد في منزله وأخذ ما وجد لهم من مال وضياع ومتاع وغير ذلك ومنع أهل العسكر من أن يخرج منهم خارج إلى مدينة السلام او

---

[492] - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، تحقيق : مصطفى عبد القادرة عطا ، دا الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ج12 ، ص164 .

[493] - هولو جودت فرج ، البرامكة سلبياتهم وايجابياتهم ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص72-73 .

[494] - الطبري ، نفس المصدر ، ج8 ، ص294 .

إلى غيرها ووجه من ليلته رجاء الخادم إلى الرقة في قبض أموالهم وما كان لهم وأخذ كل ما كان من رقيقهم ومواليهم وحشمهم وولاه أمورهم وفرق الكتب من ليلته إلى جميع العمال في نواحي البلدان والأعمال بقبض أموالهم وأخذ وكلائهم فلما أصبح بعث بجثة جعفر بن يحيى مع شعبة الخفتاني وهرثمة بن أعين وإبراهيم بن حميد المروروذي وأتبعهم عدة من خدمه وثقاته منهم مسرور الخادم إلى منزل جعفر بن يحيى وإبراهيم بن حميد وحسين الخادم إلى منزل الفضل بن يحيى ويحيى بن عبد الرحمن ورشيد الخادم إلى منزل يحيى ومحمد بن يحيى وجعل معه هرثمة بن أعين وأمر بقبض جميع ما لهم وكتب إلى السندي الحرشي بتوجيه جيفة جعفر إلى مدينة السلام ونصب رأسه على الجسر الأوسط وقطع جثته وصلب كل قطعة منها على الجسر الأعلى والجسر الأسفل ففعل السندي ذلك وأمضى الخدم ما كانوا وجهوا فيه وحمل عدة من أولاد الفضل وجعفر ومحمد الأصغار إلى الرشيد فأمر بإطلاقهم وأمر بالنداء في جميع البرامكة ألا أمان لمن آواهم إلا محمد بن خالد وولده وأهله وحشمه فإنه استثناهم لما ظهر من نصيحة محمد له وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة وخلى سبيل يحيى قبل شخوصه من العمر ووكل بالفضل ومحمد وموسى بني يحيى وبأبي المهدي صهرهم حفظة من قبل هرثمة بن أعين إلى أن وافى بهم الرقة فأمر الرشيد بقتل أنس بن أبي شيخ يوم قدم الرقة وتولى قتله إبراهيم بن عثمان بن نهيك ثم صلب وحبس يحيى بن خالد مع الفضل ومحمد في دير القائم وجعل عليهم حفظة من قبل مسرور الخادم وهرثمة بن أعين ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم ولا ما يحتاجون إليه وصير معهم زبيدة بنت منير أم الفضل ودنانير جارية يحيى وعدة من خدمهم وجواريهم ولم تزل حالهم سهلة إلى أن سخط الرشيد على عبد الملك بن صالح فعمهم بالتثقيف بسخطه وجدد له ولهم التهمة عند الرشيد فضيق عليهم[495] .

ومثلما أشرنا سابقاً الى ان العملات التي ضربت في عهد الرشيد كانت تحمل اسماء الوزراء ، واكثرهم هو جعفر البرمكي ، كما في الشكل رقم (96) :

[495] - الطبري ، نفس المصدر ، ج8 ، ص296 .



الشكل رقم (96)

<u>شرحة العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 179هت

دار الضرب : زرنج

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر الكتابات التالية : بسم الله ضرب هذا الدرهم بزرنج سنة تسع وسبعين و مئة .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : جعفر ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم / الخليفة المهدي / بخ ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وفي عملاته الأخرى ظهر اسمه مكتوباً بصيغة (هرون) ، كما في الشكل رقم (97) :



الشكل رقم (97)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 171هـ

دار الضرب : لم تذكر

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر كتابات تشير الى سنة الضرب .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم / مما أمر به عبد الله / هرون أمير المؤمنين ، وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

كيفة أخذت مكة شرعيتها الدينية.

ان ظروف نشأة السيرة الإسلامية ساهمت بشكل كبير في اعطاء الشرعية لموقع مكة الحالية بمقابل أهمال موقع مكة الحقيقية والتي هي البصرة ، حيث انه وكما معلوم لنا ان اقدم سيرة دونت سيرة النبي ومغازيه هي سيرة ابن اسحاق التي لم تصلنا ولم نعرف اين اختفت ، حيث دونت في عهد أبو جعفر المنصور وباشارة منه الى أبن اسحاق بعد ان التقى به في مدينة الحيرة ، في ذلك الوقت كانت الكوفة والبصرة هي معقل التمردات على

العباسيين وخاصة ما حدث مع الراوندية في هاشمية الكوفة ، لذلك ان المنصور أراد ان ينهي بعض الشيء من قدسية هاتين المدينتين بمحاولته ان يكتب السيرة كما يريد ، وبالتالي ينهي التمردات على حكم العباسيين ، فلذلك انشأ بغداد ودون السيرة حسب ما يريد هو وحسب ما تتطلبه الظروف من أجل ان يأخذ الشرعية في حكمه ، وخاصة انهم قد قربوا آل البكر على حسب آل محمد ، والى غير ذلك تذكر بعض المصادر الى ان سيرة ابن اسحاق ليست الأقدم ، فهناك سير آخرى أقدم مثل ما دونه عروة بن الزبير ، حيث يذكر أبن سعد في طبقاته ان عبد الملك بن مروان رأى كتاباً بالمغازي بين يدي أحد ابنائه فأمر باحراقه[496] ، وهذا ما يعني ان عبد الملك بن مروان حاول اخفاء بعض ما جاءت به هذه السيرة لأنها كانت تحمل القصة الحقيقية لنشأة الإسلام ، وبالعودة لسيرة ابن اسحاق ، فنجد ان الكثير من المسلمين كانوا لا يميلون له واتهموه بالكذب ، حيث فسر الباحثين ذلك بأن ابن اسحاق كان من الموالين لعلي أبن أبي طالب ، وبالحقيقة ان هذا عليه شك كبير ، لأن المسلمين في عهده كانوا يعلمون ما كان يفعله ابن اسحاق ، لأن وقت كتابته للسيرة كان المسلمين يعانون كثرة الصراعات الداخلية فيما بينهم ، كذلك ان الدولة العباسية كانت قد خرجت لتوها من حرب دامية مع بني امية ، فيذكر ابن نديم في الفهرست ان ابن اسحاق مطعون عليه وغير مرضي الطريقة[497] ، وكذلك ان الامام مالك بن انس وهشام بن عروة بن الزبير كانوا يتهمونه بالكذب ، وان أهالي المدينة كانوا يشنعون عليه[498] ، اضافة الى ذلك ان الفترة الزمنية ما بين وفاة النبي محمد وجمع ابن اسحاق للسيرة والمغازي لو تماشينا مع الرواية الإسلامية فهي اكثر من 120 سنة ، ولو تماشينا مع روايتنا التي تنص على ان النبي محمد هو نفسه علي ابن أبي طالب فهذا يعني ان الفترة بينهم هي اكثر من 90 سنة ، وهي فترة كبيرة جداً ، حدثت فيها حروب طاحنة بين بني امية وآل الزبير والبكريين واهالي الكوفة ومعهم الفرس وباقي الترك ، ولذلك ان هذه الرواية يمكن ان تعتبر منحولة ، الا ان ذلك لا يمكن ان يخفي كون ان الكثير منها هي حقيقية وحدثت بالفعل .

---

[496] - أبن سعد ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : زياد محمد منصور ، الجامعة الإسلامية ، ط4 ، ج5 ، ص149 .

[497] - أبن نديم ، الفهرست ، تحقيق : مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1985 ، ص422 .

[498] - أبو العرب محمد بن احمد التميمي ، كتاب المحن ، تحقيق : يحي وهيب الجبوري ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1988 ، ص376 .

وبعيداً عن الغياب شبه التام لاية آثارٍ جاهلية تدعم ادعاءات الرواة وكتاب السير العباسيين بشأن تلك الحقبة ، مثلاً ، لم يتم العثور ابداً على قصاصة واحدة من الشعر الجاهلي المزعوم! ، وبعيداً كذلك عن الضعف الواضح لمصادر السيرة من الناحية التاريخية، فهي تمثل أقاويل ظلت تتناقل شفهياً لأكثر من قرن من موت النبي محمد (عام 632م)، مما يفتح الباب لكل تشويه وتحريف وزيادة ونقصانٍ ونسيان مرتبطٍ بالروايات الشفهية ، فتولى ابن إسحاق جمعها تحت سلطة الخليفة العباسي ، وفي إطار ظرف معقٍ ومتصارع دينياً وسياسياً ، في كتاب مليء بالأساطير والخرافات والأخطاء التاريخية ، لم تصلنا منه إلا نسخة منقحة على يد آخر هو أبن هشام ، الذي يفصله قرنين كاملين عن زمن النبي محمد ، بينما لم يصلنا أية مخطوطة كاملة مما كتبه أبن إسحاق ، مع ملاحظة أن المصادر الأخرى للسيرة هي كتب متأخرة : المغازي للواقدي 822م ، وكتاب طبقات ابن سعد 845م ، وتاريخ الطّبري 922م ، ومجموعة كتب الصحاح للبخاري 870م ،والتي كتبت لسبب ما في جيل واحد في القرن التاسع ، ومسلم 875م ، وابن داوود 888م ، والترمذي 892م ، والنسائي 915م ، وابن ماجه 886م ، والغريب هنا أن كتابات الأحدث تتضاعف فيها الروايات كما وكيفاً عن الأقدم ، أي كلما تأخر المصدر زمناً ، كلما ازدادت التفاصيل التي يحكيها ، وهو أمر آخر يثير الشكوك ، أما أكثر المصادر قدمًا ومصداقيةً تاريخيةً فهو القرآن، لكنه يحكي قصصاً محددة فقط .

ان السؤال الأهم هو كيف للعباسيين اعداء الامويين ان يتخذوا كعبة تبناها الامويين؟؟ ان هذه الاشكالية لا يمكن ان تفسر الا عن توضيح ان الكعبة الحالية هي الكعبة التي اتخذها ابن الزبير كعبة له ، بعد ان نقل الحجر الاسود وهرب به الى مكة الحالية ، حيث كانت تعتبر مكة الحالية هي منطقة ذات فاعلية يمنية ، اكتشف بها بعض النقوش المسندية ، وهذا ما يعني ان مكة الحالية كانت في قبل الإسلام تقع تحت الفاعلية اليمنية ، فيذكر الرحالة الاسباني بنيامين التطيلي ان مكة الحالية تقع في اليمن[499] ، بينما ان العرب الذين نشأ الإسلام بينهم كانوا ذو ثقافة شرقية اقرب للارامية ولهم خطهم ولغتهم الخاصة التي تختلف عن الثقافة اليمنية ، حيث يعتبر العباسيين هم من اسندوا تلك

[499] - رحلة بنيامين التطيلي ، ت: عزرا حداد ، المجمع الثقافي ، أبو طبي ، ط1 ، 1945 ، ص294 .

الشرعية الدينية لموقع مكة وهم من استحدثوا عليها ، حيث انهم من بدأ الحج إليها بشكل فعلي ابتداءاً من عهد أبو العباس السفاح والى ابو جعفر المنصور والمهدي العباسي والهادي وهارون الرشيد ، حيث ان زوجة الاخير هي من قامت بانشاء الطريق الرابط بين الكوفة ومكة الحالية والذي عرب فيما بعد بـ(درب زبيدة) او (طريق الحج الكوفي) ، والذي سمي بهذا الاسم نسبة إليها ، وهذا ما يعني ان الطريق من العراق قد استحدث في العهد العباسي في عهد هارون الرشيد ، حيث زودوه بالمنافع والمرافق المتعددة ، كبناء احواض المياه وحفر الآبار وإنشاء البرك وإقامة المنارات وغير ذلك ، كما عملوا على توسيع الطريق حتى يكون صالحاً للاستخدام من قبل الحجاج والمسافرين ودوابهم ، كما أقيمت علية علامات ومنارات ومشاعل ومواقد توضح مسارة ، ليهتدي بها المسافرون ، وقاموا بانشاء المحطات المهمة على طوله ، وكذلك ظهرت فيه النقوش العربية وعثر بطريقه على الكثير من العملات الإسلامية التي حملها سكان العراق وبالخصوص الكوفة في طريقهم الى مكة الحالية ، وبسبب انشاء هذا الطريق كانت البداية الفعلية لدخول اللغة والخط العربي لهذه المنطقة ، وكذلك في العصر العباسي في عهد المتوكل العباسي بدأت تظهر مكة كدار لضرب العملات ، اي ان ذلك تم في القرن الثالث الهجري ، وهذا الأمر بغريب لو كانت مكة الحالية هي المدينة الحقيقية التي نشأ فيها الإسلام بأن يظهر اسمها على العملات بعد مرور ثلاثة قرون على نشأة الإسلام؟؟ حيث وكما في الشكل رقم (98 ، 99):



الشكل رقم (98)

شرح العملة :

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 234هـ

دار الضرب : مكة

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر كتابات وهي : بسم الله / ضرب هذا الدرهم بمكة / سنة اربعة وثلثين ومائتين .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : لله / محمد رسول الله / المتوكل بالله / وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .



الشكل رقم (99)

<u>شرح العملة :</u>

نوع العملة : درهم

سنة الضرب : 283هـ

دار الضرب : مكة

وجه العملة : تظهر عبارة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، اما في الهامش فتظهر كتابات وهي : بسم الله / ضرب هذا الدرهم بمكة / سنة اربع وثمنين ومئتين .

ظهر العملة : تظهر في الوسط عبارة : لله / محمد رسول الله / المعتضد بالله / وفي الهامش تظهر الكتابات التالية : محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

وعلى الرغم من ذلك بقيت ذاكرة بعض المسلمين في العراق والمناطق القريبة منه تحفظ شيء من الرواية الحقيقية لقصة الإسلام حيث ظهرت في القرن الثالث الهجري حركة بدأت من سواد الكوفة تدعى بـ(القرامطة) نسبة الى مؤسسها الداعي الاسماعيلي حمدان بن الاشعث الملقب بـ(قرمط) ، الذي ظهر في سواد العراق[500] ، بعد ان استغل القرامطة ضعف

---

[500] - عارف تامر ، نفس المصدر ، ص52 .

الدولة العباسية وتفككها لدويلات ، وانشغالها بحرب مع ثورة الزنوج ، حيث قيل أن مناسبة هذا اللقب لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى اي يقارب بين خطواته وقيل إنه كان احمر البشرة والشعر تشبهاً بالقرميط الاحمر اي الطوب الآجر ، وقيل انها مأخوذة من (قرمط) اي عبس وغضب ، غير أن الاب انستاس الكرملي يقول إن هذه اللفظة هي ارامية نبطية مشتقة من (قرمطونا) اي المدلس والخبيث والمحتال الماكر[501] ، وعلى ما يبدو أن هذه الرواية هي الاقرب لكون حمدان بن الاشعث هو نبطي من سواد العراق وان الكثير من العراقيين في تلك الفترة كانوا من النبط ، وكان القرامطة على المذهب الاسماعيلي الذي نشأ بعد وفاة الامام جعفر الصادق الإمام السادس للشيعة حدث انشقاق في الصف الشيعي ، فهناك من اعتبر إسماعيل بن جعفر هو الإمام وعرفوا فيما بعد بالإسماعيلية ، وهناك من اعتبر موسى بن جعفر الإمام السابع وهم يمثلون الأغلبية للشيعة اليوم ويسمون بالاثني عشرية لتمييزهم عن الإسماعيلية ، وعد الكثير من الباحثين بأن دعوة القرامطة كانت اول ثورة اشتراكية في التاريخ ، وكانوا يرون النظام الرأسمالي القائم في المجتمعات نظاماً قائماً على الإيثار والاستئثار وتحكم طبقة قليلة باغلبية محرومة ، فجندوا الطبقة الفقيرة العاملة والمزارعين وغرسوا بافكارهم ضرورة تغيير النظام السائد وتمليك الاراضي للفقراء واحلالها محل الطبقة الغنية[502] ، فاستولوا على البحرين والاحساء واصبحت عاصمة لهم ، وكانوا ايضاً يدركون حقيقة الكعبة الحالية ، وحاولوا منع المسلمين من الحج إليها ، وكانوا ينصبون الكمائن للحجاج ، وفي عام 319هـ هجموا على مكة وخربوا بئر زمزم بعد أن رموا جثث الحجاج فيه وفرشوا المسجد بالقتلى ، ثم ازالوا الحجر الاسود واخذوه الى الاحساء ، حيث بقي فيها الى عام 339هـ بعد أن أنشأوا كعبة ووضعوه فيها ، ثم زحفوا الى العراق وسيطروا على الكوفة ، حيث اضطر العباسيين الى أن يعقدوا معهم هدنة[503] ، ونقلوا الحجر الاسود الى الكوفة وعلقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين مسجد الكوفة[504] ، ويذكر الحموي أنه عندما

---

[501] - عارف تامر ، نفس المصدر ، ص52 .

[502] - عارف تامر ، نفس المصدر ، ص56 .

[503] - عبد الرحمن بن الجوزي ، القرامطة ، تحقيق : محمد الصباغ / المكتب الاسلامي ، ط5 ، 1981 ، دمشق ، ص18-19.

[504] - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، نفس المصدر ، ج2 ، ص224 .

قام القرامطة بنصب الحجر الاسود في مسجد الكوفة ، رأى احد القرامطة ان رجل من اهالي الكوفة يتمسح به وهو معلق على الاسطوانة السابعة فقال له : ما يؤمنكم ان نكون غيبنا ذلك الحجر وجئنا بغيره؟ فقال له : ان لنا فيه علامة ، وهو أننا اذا طرحناه في الماء لا يرست ثم جاء بماء فالقوه فيه فطفا على وجه الماء ، وان هذه الرواية تدل على أن أهل العراق اعلم من غيرهم بطبيعة الحجر الاسود ، حيث ان الحجر الاسود لمدة 22 سنة لم يكن موجوداً بمكة ، الى أن تمت اعادته بعد تهديدات الفاطميين لهم .

تاريخ مدينة البصرة قبل الاسلام.

تظهر الكتابات من العصر الاكدي وسلالة اور الثالثة والعصور الاشورية وخلال سلالة ارض البحر الاولى في منطقة جنوب العراق – بلاد بيت ياكين الكلدانية على ساحل الخليج حيث مصب نهر الفرات في الخليج ، ان البصرة كانت موجودة بتسمياتها القديمة من خلال المرافئ (تريدون) و(الأبلة) التي كانت تتجار مع واد السند والمدن الاخرى ، رغم تضارب الاراء في تحديد موقع (تيريدون) ، وتناول اسم وموقع تيريدون عبر العصور عدد من الباحثين والجغرافيين ، والذين استعانوا في بحوثهم بما كتب عن المدينة وتاريخها ، فهذه المدينة لم يتكشفها الاثاريون بعد ، وما يذكر عنها لا يكفي لالقاء الضوء الكافي على تاريخها ، فالحلقات المفقودة واسعة ، وربما هناك طمساً لتاريخ هذه المدينة استمر عدة قرون سبقت الفترة الهيلينستية (عصر الاسكندر واخلافه) كما هو الحال مع مدينة ميسان ، حيث ان ما ذكرته الكتابات عن تلك الفترة من معلومات جاءت شحيحة ، مجتزأة ، ومتناثرة ، ومكررة لا تمدنا بتفاصيل شافية ولا ترسم صورة لمدينة تيريدون وموقعها وتاريخها ونشاطها كميناء ومستودع لتجارة الخليج عبر العصور القديمة[505] ، حتى ان الكاتب الروماني الموسوعي بليني الذي ملأ اجزاء كتابه (التاريخ الطبيعي) باسماء واوصاف مدن لا تقل اهمية عن مدينة تيريدون لم يقدم وصفاً شافياً عن هذه المدينة سوى إشارة عابرة دون الوقوف عندها وتعريفها إذ قال : "اذا اتخذت طريق الماء شمالاً من بلاد البارثيين وصلت قرية تدعى تيريدون" ، وقد انتقده ارنولد ويلسون بقوله :"فالجانب الجغرافي من تاريخ بليني هو على العموم اقل اعماله كفاية ، ويهبط مستواها لدى المقارنة بالنوع نفسه من كتابات ايراتو سشينيس وسترابون ، فهي

[505] - حسين بن سعدون ، البصرة ذات الوشاحين ، مكتبة مدبولي ، ص7 .

تتألف غالباً من قوائم مبوبة لاسماء مدن وقبائل وانهار" ، اما ايراتو سشينيس الذي ذكر في القرن الثالث الميلادي بعد ان خصص معظم كتاباته باحول الخليج العربي والجزيرة كما يذكر اقتبس منه (اريان وسترابون) إشارة عابرة مثل بليني الى هذه المدينة بقوله :" يضيق الخليج العربي عند هرمز لدرجة فإنه من المستطاع ان ترى أقاليم ماكي ، وان ساحل هذه المضيق الايمن (الشرقي) والذي يبلغ الف (استاديا) (كل ستاديا = 200متر) ينحني حتى مدينة تيريدون الواقعة على مصب نهر الفرات" ، ان هذه الإشارة مهمة حول مكة والبصرة ، فنلاحظ ان اقليم ماكي حسب هذه الرواية الكلاسيكية قريب من مدينة تيريدون ، وربما ان اشارات الملوك الفرس الاخمينيين حول (ماكا) كما في نقش بيستون ودايفا والذين تكلمنا عنهم في الفصل الاول المقصود بها البصرة على الاقل ، او بالاحرى ميسان ، حيث ان اسم مكان التي وردت بالنصوص السومرية والاكدية وخصوصاً في عهد سرجون الاكدي ربما قلب الى ميسان ، مع الأخذ بعين الاعتبار ان صوت الكاف او القاف يقلب ببعض الاحيان الى صوت السين ، وخاصة ان الاوصاف السومرية والاكدية لمدينة مكان تتطابق مع ميسان وخصوصاً انها مدن ذات موانئ وهي مدن تجارة ايضاً ، حيث ذكرها سرجون الاكدي في احد نصوصه :"شاروكين هو ملك كيش ، خاض 34 معركة وانتصر فيها ، ودمر اسوراً حتى شاطئ البحر ، وجعل سفناً من ميلوخا وسفناً من مكان وسفناً من دلمون ترسوا في ميناء اكد"[506] ، حيث ان ميلوخا هي منطقة وادي السند (باكستان) ، والشائع حالياً ان (مكان) هي عُمان ودلمون هي البحرين ، غير ان الشكوك كثيرة اثيرت حول ذلك ، والسبب في ذلك وجود اكثر من منطقة تصح ان تتطبق عليها اوصاف دلمون ومكان ، ولكن لنلاحظ الاكتشاف الاثاري الاخير الذي حدث في العراق ، بعد ان تم العثور على اراضي مملكة البحر في جنوب العراق ، حيث ان من المعروف أنهم سيطروا على أراضي المستنقعات حول رأس الخليج العربي ، بما في ذلك عدد من المدن القديمة في جنوب بلاد بابل ، وقد أزعجوا ملوك بابل كثيراً ، ودخلوا معهم في صراعات ، حيث كان هذا الكيان السياسي قريب من دلمون ومكان ، وهذا ما يعني ان دلمون ومكان هي اماكن كانت قريبة من السومريين والبابليين ايضاً ، فقد تكلمت المصادر المسمارية عن هذه المملكة التي نشأت في الربع الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد ، ولذلك

[506] - عيد مرعي ، اللسان الاكدي ، منشورات الهيئة العامية السورية للكتاب ، دمشق ، 2012 ، ص17 .

فإنه من المحتمل ان اسم تيريدون هو تحريف لاسم دلمون ، حيث في خريطة منشورة على موقع (David Rumsey Map Collection) لـ(Grassl, J. (Joseph) يظهر موقع بالقرب من البصرة يدعى (Daleimin) كما في الشكل رقم (100) :



الشكل رقم (100)

اضافة الى ذلك فإن دلمون هي الجنة عند السومريين ، وان عدن وهي اراضي جنوب العراق ومنها البصرة كانت تعتبر الجنة في التوراة وهي جنة عدن . وبالعودة الى تيريدون فيذكر سترابون بان نبوخذنصر ملك بابل هو من أسسها ، ولكن ديرتوتيس (Dirditis) وصفت بأنها قرية يتردد عليها التجار العرب وربما كانت سوقاً مؤقتة عند مصب نهر الفرات ، بينما تيريدون تقع الى الشمال من (ديريدوتيس) ، اما موقع تيريدون فمختلف فيه ، فنرى (مانرت) يضعها على جزيرة بوبيان في حين يجعلها جسني على جبل سنام ، قرب الزبير ، وقيل ان تيريدون هي اريدو جنوب مدينة اور ، وذكرها اريان بصدد حملة أميرال الاسكندر (نياركوس) على الهند فقال :"ان اسطوله ألقي مراسيه عند عودته منه قرب مصب نهر الفرات في مدينة ديريدوتيس ، وهي فرضة او ميناء لتجارة البخور وما إليه مما تنتج بلاد العرب وبنسب تشييدها الى الملك نبوخذنصر"[507] .

[507] - حسين بن سعدون ، نفس المصدر ، ص8 .

ويورد جان جاك بيريبي ما نصه : "بعد ان انطلق الأميرال المقدوني من مصب نهر السند سنة 324ق.م ، استمرت مغامرته مائة وثلاثين يوماً قبل ان يصل الى رأس الخليج العربي ، وفي الثلاثين بعد المائة وصل الاسطول المقدوني الى مصب نهر الفرات والقى مرساته أمام قرية تدعى (ديريدوتيس) ، وفي هذه المدينة اعتادت المراكب التجارية ان تنقل البخور والاطياب العربية الى انحاء العالم" ، وكما ينقل ويلسون : "وصل الاسطول رأس الخليج والقي مراسيه على فم الفرات قرب مدينة بابلية تدعى (ديريدوتيس) المركز التجاري للتجارة التي تنقل بحراً اللبان وغيره من المنتوجات العطرية بالجزيرة العربية" ، ويقول سماها كتاب اخرون (تيريدون) ، ويقول المؤرخ البيزنطي (اميانوس) وهو يصف مملكة الساسانيين :" ان الخليج الذي يعج بالملاحة وان السفن البحرية كانت تختم رحلاتها في تيريدون عند مصب الفرات" ، ويذكر البحار الاغريقي من برينيكي (برقة في طرابلس الغرب) صاحب كتاب الطواف حول البحر الارتيري حوالي سنة 80م عن وجود مدينة قديمة ترقى الى زمن نبوخذنصر وهي مدينة تيريدون التي كانت تحتكر التجارة وكانت السفن البحرية تنتهي رحلاتها عند مينائها ، ويقول ابيدينس :" ان نبوخذنصر أسس قنالين وبنى تيريدون كحصن ضد الهجمات" ، وبمرور الوقت هجرها أهلها بعد ان تحول مجرى الفرات ، فخربت وانتقل نشاطها التجاري الى مدينة الأبلة التي اصبحت مستودع تجارة الخليج[508] .

وكان نبوخذنصر ملك بابل اختط مدينة تيريدون فاصبحت ميناء استيراد البخور من بلاد العرب والهند عبر الخليج ، ويذكر هيرودوت ان تجارة البخور كانت رائجة ون ما كان يستهلك منه في معبد بعل وحده يساوي الف طن سنوياً ، ويذهب عدد من المؤرخين الى قيام نبوخذنصر بتخريب ميناء صور لأجل توسيع التجارة البحرية في الخليج عبر ميناء تيريدون ، لأن البخور كانت في غاية الاهمية في العالم القديم حيث استعلت في الطقوس الدينية بالمعابد حتى قيل ان كهنة الاله بعل (مردوك) في بابل كان يحرقون عشرة الاف وزنة من البخور في السنة الواحدة ، وكانت حضرموت هي البلاد الوحيدة التي تنتجه ، وكانت اليمن

[508] - حسين بن سعدون ، نفس المصدر ، ص9 .

مركز هذه التجارة ومنها تنتقل وتوزع الى اقطار العالم ومنها العراق حيث ترد إليه عن طريق ميناء تيريدون[509] .

وتدل المدونات السومرية على انه حدث في عهد الملك (نور ادد) ملك لارسا (1865-1850ق.م) فيضان ادى الى غرق منطقة سومر الجنوبية بأسرها وتحويل مجرى نهر الفرات الى فرع بابل ، وان الاسباب التي ادت الى تحول مجرى الفرات من مجراه الشرقي الى فرع بابل غرباً هي تأثير الترسبات الغرينية التي تراكمت في قع النهر فادت الى تدفق مياه الفيضان الى فرع بابل بحيث اصبح هذا الفرع المجرى الرئيس للفرات في الالف الاول قبل الميلاد ، ولم يقتصر تأثير هذا الفيضان على نهر الفرات بل شمل نهر دجلة ايضاً الذي تحول مجراه الاصلي باتجاه مدن اخرى وهكذا صار دجلة والفرات يلتقيان في اور فتجري مياههما الموحدة من هناك ثم تتصل بخور عبد الله على الخليج في جدول مدخل جزيرة بوبيان ، وعلى الرغم من تباين كتابات الباحثين فكلها لا تستقر على اثبات واضح ، كما حول موقع مدينة الأبلة ونهرها، عير ان الواضح هو ان تيريدون بلدة قديمة موجودة منذ العصور التي سبقت الميلاد ، وانها كانت مرفأ تجاري مهم استطاع نبوخذنصر ان يجعل منه ميناء نشط لتجارة بابل ومتسودعاً لتجارة البخور والتوابل بعد ان اوقف نشاط ميناء صور التجاري وحوله الى ميناء تيريدون للتجارة مع الهند واليمن ومنه الى بابل وانحاء العالم ، حيث حدد العقيد فرنسيس جسني في خارطته التي طبعها عام 1849م موقع مدينة تيريدون في جبل سنام ، بالقرب من سفوان التي سميت بالخريبة والتي شيدت بالقرب من انقاض مدينة (تردم – تردن) الكلدانية ، كما ان البصرة كانت تعرف قديماً باسم تدمر والمؤتفكة ، لأنها ائتفكت بأهلها اي انقلب في اول الدهر ، ويعتقد ان تدمر هي قلب لكلمة تردم[510] .

وردت اشارات للبصرة في القرآن في سورة النجم وسورة الحاقة ، حيث يذكر القمي بتفسيره لسورة النجم الاية 53 : "وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى" ، ان المقصود بالمؤتفكة هي البصرة [511] ،

---

[509] - حسين بن سعدون ، نفس المصدر ، ص10 .

[510] - حسين بن سعدون ، نفس المصدر ، ص11 .

[511] - القمي ، تفسير القمي ، ج3 ، ص1027 .

وفي تفسيره لسورة الحاقة الاية رقم 9 : "وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ" ، كذلك ان المقصود بالمؤتفكات هي البصرة[512]

تذكر المصادر ان علي ابن أبي طالب بعد معركة الجمل وقال : "ياأهل البصرة ، وياأهل المؤتفكة ، ياجند المرأة وأتباع البهيمة ، رغافاً جبتم ، وعُقِر فهربتم ، ماؤكم زعاق ، وأحلامكم رِقاق ، وفيكم ختم النفاق ، ولعنتم على لسان سبعين نبياً إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبرني أن جبرئيل (عليه السلام) أخبره أنه طوى له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء ، وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال ، المقيم فيها مذنب ، والخارج منها متدارك برحمة ، وقد ائتفكت بأهلها مرتين ، وعلى الله تمام الثالثة ، وتمام الثالثة في الرجعة"[513] ، وفي تفسير العدل والاعتدال ان المؤتفكات هي مدائن لوط ، سميت يت بذلك لانقلابها بالخسف ، والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات ، قال الزجاج: المؤتفكات جمع مؤتفكة ، ائتفكت بهم الارض اي انقلبت ، يقال : إنهم جمع من أهلك كما يقال للهالك قد انقلبت عليه الدنيا ، وروى النضر بن أنس عن أبيه انه قال : "أي بني لا تنزلن البصرة فإنها احدى المؤتفكات قد ائتفكت بأهلها مرتين وهي مؤتفكة بهم الثالثة ، قال شمر: يعني بالمؤتفكة أنها غرقت بأهلها مرتين فشبه غرقها بانقلابها[514] .

اما بعد سقوط بابل اصبحت البصرة تابعة لمملكة ميسان التي نشأت بتأثيرات هيلينستية ، حيث عرفت احدى مدنها باسم الفورات او الفرات ، وكذلك وقد عرفت في المصادر باسم(فرات ميسان)[515] ، وهي من المدن التجارية المهمة التابعة للمملكة التي تقع اسفل نهر دجلة في جنوب وادي الرافدين على بعد نحو(11) ميلاً من خاراكس عاصمة مملكة ميسان ، وتظهر اهمية "فورات" التجارية انها الميناء الذي تنطلق منه الخطوط التجارية البحرية والنهرية، واهمها الطريق البحري الذي يربط خاراكس العاصمة ومدينة فورات ثم ابولوغوس(الأبلة) ثم جزيرة فليكا[516]الكويت حالياً) ثم الى باربايكون[517] عند نهر

---

[512] - القمي ، نفس المصدر ، ص1096 .

[513] - القمي ، نفس المصدر ، ص1027 .

[514] - الزبيدي ، تاج العروس ، ج13 ، ص508 .

[515] - ابن رستة، ابو علي احمد بن محمد(ت 300هـ) الاعلاق النفسية ، (ليدن: بلا مط، 1981م)، ج1 ص104.

[516] - الاصفهاني،، تاريخ الاصفهاني، القاهرة ، مطبعة الشعب ، 1974 ، ص143.

السند عن طريق الخليج العربي، والخط الثاني الذي يربط مدينة "فورات" بمدينة سلوقية على نهر دجلة وكان صالحاً للملاحة الى هذه المملكة، فضلاً عن الطريق الثالث الذي يربط مدينة فورات بمدينة بابل عبر نهر الفرات[518] .

وبسبب الاهمية التجارية لهذه المدينة نلاحظ انها ارتبطت بعلاقات تجارية متميزة ومنها علاقتها بتدمر[519] ، ويتضح ذلك من خلال النصوص التدمرية التي ذكرتها بوصفها مركزاً تجارياً، فضلاً عن ذلك أنشأ التجار التدمريون مراكز تجارية في مدينة فورات مارسوا من خلالها نشاطهم التجاري ، وقد بلغ من قوة الصلات التجارية بين فورات وتدمر ان ظهرت على الحياة السياسية فتولى فيها التدمريون مراكز ادارية في فورات ولا سيما اصبح بعض منهم حكاماً على مدينة فورات في حقبة من الحقب[520] .

وكذلك ظهرت هذه المدينة على العملات الإسلامية المبكرة ، باسم الفرات ، وخاصة في العهد الاموي ، كما في هذه العملة (الشكل رقم 101) المنسوب للحاكم الاموي الوليد والتي سكت عام 96هـ :



الشكل رقم (101)

---

[517] - باربايكون، من الانهر المهمة التي تجري عبر نهر السند في المحيط الهندي، (ينظر: بيلونس، بلاد الغرب من تاريخ بيلونس ، ترجمة: محمود شكري محمد ، بيروت ، 1964 ، ص163.

[518] - رو، جورج، العراق القديم ، ترجمة: حسين علوان، بغداد ، دار الحرية للطباعة والنشر، 1983 ، ص121.

[519] - البكر، العرب والتجارة الدولية ، ص103.

[520] - الصالحي ، نشوء ونطور مملكة ميسان ، ص 14-15.

اما مدينة الأبلة فتقع يقع الى الجنوب من مدينة فرات على الضفة الغربية لنهر دجلة على مقربة من خاراكس ونهر الفرات[521] ، وهذا الموقع الجغرافي المميز جعله نقطة مهمة في طريق المواصلات البحرية فكان بمثابة حلقة وصل بين اسواق الشرق واسواق البحر المتوسط[522] ، وقد اشار صاحب كتاب الطواف حول البحر الارتيري[523] الى ميناء ابولوغوس (الأبلة) بقوله :"يمتد ذلك البحر الكبير (الخليج العربي) الى مساحة كبيرة في الداخل وفي النهاية تقوم مدينة سوق اسمها (ابو لوغوس) (الابلة) الواقعة على مقربة من خاراكس ، وكانت مدينة الابلة تعرف في الكتابات الاكدية (ابولوم) وتعرف في المصادر الكلاسيكية بـ(ابو لوغوس) (Ubulum)[524] ، وميناء الابلة ميناء قديم يعود تاريخ نشؤه الى عهد البابليين[525]، اذ يشكل جزءً من ارض بابل وهو منفذهم البحري على الخليج العربي، اذ كانت الرحلات تنطلق منه الى شبه الجزيرة العربية والى سواحل الهند[526]، وكان الاسكندر المقدوني الذي استولى على مدينة بابل عام331 ق.م قد اهتم بانشاء اسطول بحري فقام باجراء تحسينات في الموانيء المطلة على سواحل الخليج العربي ومنها الابله ، فقد ذكر انه قام باستئجار الفينيقيين للعمل في الملاحة البحرية في الخليج العربي ، كما قام ببناء السفن مستفيداً من اشجار السرو[527] ، فضلاً عن ذلك كانت تصدر الى موانئ اليمن الكثير من اللؤلؤ والارجوان والتمر والذهب والعبيد[528] ، ويصف القلقشندي (ت 821هـ) الأبلة بانها مرفأ للسفن القادمة

---

[521] - مرزوق سهيلة مرعي ، التركيبة الاجتماعية والفكرية لمنطقة البصرة قبل الإسلام ، مجلة (الآداب) ، العد 67 ، بغداد: جامعة بغداد ، 2004 ، ص636 .

[522] - اوليري دي لاي ، جزيرة العرب قبل البعثة ، عمان ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الاردنية ، 1990 ، ص80 .

[523] - نقلاً عن: زيادة، نيقولا ، البحر الارتيري وتجارة الجزيرة العربية ، موسوعة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ، جامعة الملك سعود ، 1973 ، ص63 .

[524] - مرزوق ، سهيلة مرعي ، الأبلة في العصور القديمة ، مجلة ديالى ، العدد 12 ، ديالى ، جامعة ديالى ، 2002 ، ص43.

[525] - اوليري ، جزيرة العرب ، ص80 .

[526] - الحمادنة ، صالح، دور الابلة في تجارة الخليج ، مجلة (المؤرخ العربي)، العدد(15) ، ص33 .

[527] - نقولا ، زيادة تطور الطرق البحرية والتجارية بين البحر الاحمر والخليج العربي مع المحيط الهندي ، مجلة (دراسات الخليج والجزيرة العربية) ، العدد(4)، (الكويت ، ، 1975م) ص127.

[528] - الشمري، مواني شبه الجزيرة العربية، ص59 .

من الصين مما يشير الى تنوع السفن القادمة الى الابلة من الهند والصين[529] ، كذلك كانت الأبلة تستقبل السفن التجارية الهندية باستمرار وبكثافة لدرجة ان اطلق عليها اسم (ارض الهند)[530] ، وبسبب الاهمية التجارية اصبحت من اكبر موانئ ميسان حيث قال عنها(نيرخوس) قائد اسطول الاسكندر المقدوني (ت 323ق.م) "انه ميناء عميق ومستودع تجارات الخليج ومستودع البضائع القادمة من الهند"[531] .

اما مدينة باب ساليميتي ، فهي عبارة عن ميناء يقع هذا الميناء على رأس الخليج العربي[532] ، بالقرب من نهري دجلة والفرات[533] ، وجاء ذكر الميناء في نقش يعود الى عهد الملك الاشوري سنحاريب يشار فيه الى موضع يسمى (باب سالميتي) الذي كان احد القلاع المهمة في مقارعة الاعداء القادمين من الشرق الذي كان يسمى (الخليج العربي)[534] ، ويذكر احد الباحثين انه من المحتمل ان يكون هذا الموضع في مكان قريب من الموضع الذي اتخذت منه مدينة البصرة الان[535] ، وبسبب الاهمية التجارية لهذه المدينة اصبحت تمثل مرفأً تجارياً فضلاً عن الموانئ التي تعود لمملكة ميسان[536] ومستودعاً تجارياً مهماً للبضائع القادمة اليها ، وظهرت مدينة ساليميتي على العملات الإسلامية في فترة الإسلام المبكرة باسم السامية ، وخاصة في العهد الاموي بعد فترة عبد الملك بن مروان كما هذه العملة المنسوبة للحاكم الاموي مروان بن محمد والتي ضربت عام 131هـ (كما في الشكل رقم (102" :

---

[529] - القلقشندي ، ابوالعباس ، احمد بن علي بن احمد بن عبدالله (ت 820هـ- 1418م) ، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1987م، ج4) ، ص239.

[530] - ابن سلام ، ابوعبدالله القاسم بن سلام الهروي(ت 231هـ- 1136م) ، المخصص ، تحقيق : محمد عبدالمعين (الهند: حيدر اباد ، مجلس دائرة المعارف ، 1964، ص166.

[531] - الاحمد، تاريخ الخليج، ص364.

[532] - طالب منعم، سنحاريب سيرته ومنجزاته، ص163.

[533] - سهيلة مرعي، التركيبة الاجتماعية ، ص639.

[534] - الاحمد ، تاريخ الخليج، ص283.

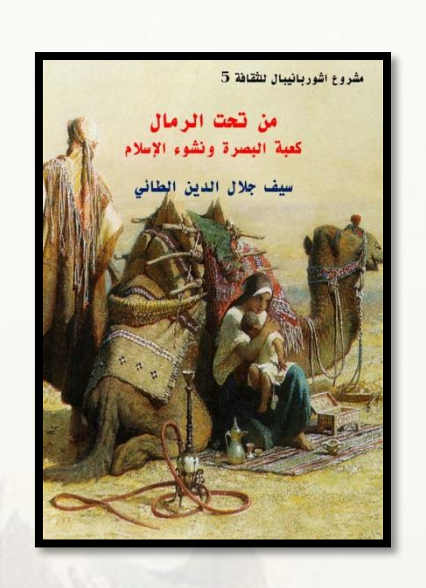
[535] - ناجي، عبدالجبار، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية،(البصرة: مطبعة جامعة البصرة، 1986م) ص130.

[536] - Luckehbill, D.D. The annals of Sennacerb(A.s chiga: 1942)P.101 .



الشكل رقم (102)

المحتويات



من تحت الرمال
كعبة البصرة ونشوء الاسلام
سيف جلال الدين الطائي

ان ما تحت الرمال يمكن ان يكشف عنه بسهولة ولمجرد ان نمسحه بأيدينا وبيد أي شخص أراد ذلك، ولكن ما هو تحت التراب يمكن ان يبقى مدفون تحت هذا التراب إلى ان يكشفه منقب او مختص بعلم الأثار وبصعوبة وبدقة عالية تستوجب منه توفر كل الامكانيات اللازمة لذلك، وبعد ان تخصص له الامكانيات اللازمة من أجل ذلك، لذلك فإن هذا العنوان برأينا هو الانسب لهذا الموضوع، لأن أي شخص يستطيع ان يقوم بذلك، اذا أراد هو ذلك، ولهذا انا اشبه الرواية العربية عن الإسلام بأنها اشبه بلغز مدفون تحت الرمال وليس تحت التراب، وبإمكان أي شخص ان يحل هذا اللغز متى ما أراد وفي أي زمان ومكان، ولأن الحاجة تتطلب منا معرفة الحقيقة او على الاقل شيء بسيط من هذه الحقيقة المدفونة تحت الرمال في ظل ما يحدث اليوم من صراعات، حتى تساهم بحل تلك الصراعات التي تحدث